









# شرح رسالة أفسس

للكاتب القس إبراهيم سعيدي



طبعة أولى سنة ١٩٣٧

طبعة ثانية سنة ١٩٦٩

طبعة ثالثة سنة ١٩٨٣

صدر عن دار الثقافة ص.ب ١٣٠٤ — القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار ( فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة

نشر أو طبع بالرونو للكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر وللناشر

وحده حق إعادة الطبع ) ١٨٥/١٠ ط ٣ (١) ٨٣ — ٧٥

رقم الايداع بدار الكتب ٨٢ \ ٣١٨٩

طبع بمطبعة

**دار العالم العربي للطباعة**

٢٢ شارع الظاهر — القاهرة ت: ٩٠٦٧٠٦

رسالة

بولس الرسول

الى أهل أفسس

المقدمة العامة

« رسالة » ، « بولس » ، « أفسس » — ثلاث كلمات جامعة، كثلث  
نجوم لامعة، تسطع في سماء هذه الرسالة. ولكل من هذه الثلاث الكلمات  
جاذبية قوية تستميلنا إليها، إذا ما حاولنا كشف كنوز هذه الرسالة  
« رسالة » ، « بولس » ، « أفسس » — أو الرسالة، ومرسلها،  
والمرسلة المرسل إليها :

— ١ — الرسالة : تتبوأ هذه الرسالة عرشاً رفيعاً في قلب كتابات  
بولس ، حساً ومعنى . فهي قلبها الخافق ، وهي الدرة اليتيمة المنتظمة في  
منتصف عقد رسائله الدرية ، هي الرسالة الوحيدة التي يفخر بها الرسول ،  
ويعتبرها حجة « رسوليته » إلى الأمم ، ومقياس درجة « درايته بسر المسيح »  
( ٢ : ٣ و ٣ ) .

حسنًا قال فيها كولردج « هي أسمى كتاب في سجل الوحي . لأنها تجمع

بين دفتيها خلاصة العقائد المسيحية ، وهي ملتقى مطالب الدين المسيحى بمطالب الدين الطبيعى .

هى إحدى الرسائل الأربع التى كتبها بولس الرسول وهو سجين فى روما لأول مرة ، فهى الوثيقة الرابعة فى هذا العقد الرباعى النظيم ، المؤلف من رسائله : إلى فيلبى ، وكولوسى ، وفليمون ، وأفسس . ومع أن كل واحدة من هذه الرسائل الأربع ، تختلف عن الأخرى معنى ومبنى ، إلا أن نعمة واحدة مشتركة تتخللها جميعاً ، ونعمة إلهية واحدة أوحى لبولس بها جميعها . فالقلم واحد ، والعقل واحد ، والقلب واحد ، والروح واحد ، لكن الظروف متباينة ، والنعمة أيضاً متنوعة ( ١ بطرس ٤ : ١ ) . ولقد أجاد مونتanos ، إذ شبه نفس بولس بقيثارة ذات أوتار حساسة ، فلما هبت عليها نسبات نعمة الله المتنوعة ، أفاضت منها نغمات عدة . فتارة نسمع دوى رعد قاصف كما فى رسالتيه إلى غلاطية ، وطوراً نصغى إلى ترجيع أناشيد عذبة رخيمة ، كما فى رسالتيه إلى فيلبى وفليمون ، وحيناً نستمع إلى تسبيح ملائكة يرتفع إلى السماويات فى الأعالي كما فى الرسالة التى نحن بصدد ها . وفى كل هذه النغمات المتعددة ، توجد أصداً مشتركة تتخللها جميعاً ، فتوحد ما بينها من تجانس . ففى رسالة أفسس نجد أصداً متجاوبة مع رسالة كولوسى ، وفى رسالة كولوسى نسمع نغمات مشتركة مع ألحان رسالة فيلبى ، وفى رسالة فيلبى نصغى إلى نبرات متفقة مع أناشيد رسالة فليمون .

\* \* \*

فى أحد أيام سنة ٦٠ ميلادية ، خرج شخصان من روما ، وسارا فى



الطريق السلطاني المعروف وقتئذ بـ «طريق ابيوس» : إسم أحدهما «تيخيكوس» وهو من آسيا مولداً ، واسم الثاني «أنسيموس» وهو عبدها رب من مولاة أما أولهما فهو حامل هذه الرسالة . ولما أتاحت العناية لإنسان واحد أن يحمل من الكنوز في يوم واحد ، مثلاً حمل تيخيكوس في ذلك اليوم — إذ حمل ثلاث رسائل من خير ما كتب بولس الرسول . رسائله : إلى كورنثوس ، وإلى فلبيمون ، وإلى أفسس — وآخرها أفخرها — أو كما قال فيها أركجرا هام : «هي تاج كتابات بولس الرسول» .

هذه رسالة ذات مادة وروح . أما مادتها فهي وليدة سجن روما الضيق المظلم ، وهي مكتوبة بقلم بولس أو باملأ منه . فلقد كتبها في منفاه وسلاسل السجن تقيد جسمه الضعيف الهزيل . وأما روح هذه الرسالة ، فهي منبعثة من «السموات» في الأعلى — موطن الحرية ، والنور ، لأنها صادرة عن روح إله بولس ، وحيث روح الرب فهناك الحرية . فبينما جسد بولس يرسف في السلاسل والقيود ، إذا بروحه تقسامي في الأعلى متمتعة بالشركة الروحية مع «الرفيق الأعلى» . إن مادة هذه الرسالة مقيدة بأثقال بولس وقيوده ، لكن روحها محملة «ثقل مجد أبدي» ومشبعة «بغنى المسيح الذي لا يستقصى» . هذه رسالة خالية من الجدل — فهي تختلف عن رسالة غلاطية التي يتفغل فيها روح الجدل العنيف . فإذا كان بولس قد كتب رسالة غلاطية بمداد من محلول أشعة نور عقله النير ، فقد كتب هذه الرسالة بمداد من ذوب قلبه الملتهب .

هذه رسالة خالية من الإشارات الشخصية — فهي رسالة الكنيسة

الجامعة في كل عصر وعصر . فيها رفع الرسول نظره فوق الحدود والضيق التي تفصل أجزاء الكنيسة عن بعضها ، فقدم رسالته هذه للكنيسة كلها ، وقدم فيها أفضل ما عنده . ومن فرط ما غمرته به العناية من أفضال ونعم ، خشع بقلبه شاكرًا ، وفي شكره سكب خلاصة قلبه ، وفي سكيبه المقدس كان ساجدًا وفي سجوده كان متعبدًا ، وفي تعبده تركنا نحن الواقفين على رمال الوادي مبهوتين ، مندهشين ، مرتعدين ، نسمع الصوت ولا نميز منه سوى نبرات قليلة تزيدنا شوقًا وحنينًا إلى تلك « السماويات » العليا ، ولا تروى فينا غليلا ، ثم انطلق هو إلى الأعلى ليرتوي من تلك الينابيع العليا التي لا ينضب لها معين ؟!

إن الفكرة الرئيسية في هذه الرسالة هي : « المسيح والكنيسة » . فهي البلاغ النهائي في تفسير ذلك الإعلان الجليل الذي فاه به المسيح على طريق قيصرية فيلبس : « على هذه الصخرة ابني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » . فلا غرو إذ كان الخطاب فيها موجهاً إلى « القديسين والمؤمنين في المسيح يسوع » ، أو بعبارة أخرى ، إن موضوع هذه الرسالة هو « قصد الله الأزلي المعلن في المسيح ، والمحقق في الكنيسة وبها » .

ليس هذا القصد مقصوراً على دعوة الله للكنيسة ، ولا على اتحاد عناصر الكنيسة المتنوعة ، لكنه يمتد فيطوى كل الجنس البشري الذي قصد الله أن يجمعه في المسيح الذي هو « الرأس الأعلى » . ولكي يفصح الرسول عن هذا القصد ، بدأ بالكلام عن حاجة الفرد إلى الخلاص الذي قدمه المسيح ، والفداء الذي أكمله بصليبه ، والغفران الذي آتاه بدمه الكريم ومن هذا تدرج

إلى الكلام عن الصلة الكائنة بين المؤمنين وسائر المؤمنين ، فهي على مثال الصلة التي تجمع عضواً في الجسد بسائر الأعضاء . وعلى هذه النسبة المسكينة تبني الصلة بين اليهود والأمم ، فلئن اختلفوا جنساً ، إلا أنهم واحد في المسيح . وجدير بنا أن نذكر ما قرره الرسول : وهو أن الكنيسة مع ممو مكاتها في قصد الله ، ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لإظهار حكمة الله المتنوعة للعالمين : « حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا » .

سبب صلة هذه الرسالة ببعض أسفار العهد الجديد

كتبت هذه الرسالة في نفس الوقت الذي كتبت فيه رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ، فلا عجب إذا وجد بينها شيء غير قليل من التشابه في اللفظ والمعنى . وإليك بعض هذا التشابه :

- (١) « المسيح رأس الكنيسة » : أفسس ١ : ٢٢ = كولوسي ١ : ١٨ و ٢ : ١
- (٢) « ممو المسيح على الملائكة » أفسس ١ : ٢٢ = كولوسي ٢ : ١٠
- (٣) « الكنيسة جسد المسيح » أفسس ١ : ٢٣ ، ٤ : ١٢ ، ٥ : ٣ = ١ : ١٨ و ٢٤
- (٤) « نعو الجسد » أفسس ٤ : ١٦ = كولوسي ٢ : ١٩
- (٥) « وحدانية الجسد » : أفسس ٤ : ١٦ ، ٤ : ٤ = كورنثوس ١ : ١٥
- (٦) « الحالة الطبيعية التي كان عليها المؤمنون » أفسس ٢ : ٢ = كولوسي ١ : ٢١
- (٧) « قيامة المؤمنين في المسيح » أفسس ٦ : ٢ = كورنثوس ٢ : ١٢ ، ٣ : ١
- (٨) « المؤمنون يحيون في المسيح » أفسس ٥ : ٢ = كولوسي ٢ : ١٣
- (٩) « المؤمنون مصالحون بموت المسيح » أفسس ٢ : ١٣ = كولوسي ١ : ٢٠
- (١٠) « المؤمنون مفقدون بموت المسيح » أفسس ١ : ٧ = كولوسي ١ : ١٢
- (١١) « المؤمنون سالكون في النور » أفسس ٥ : ٨ و ٩ = كولوسي ١ : ١٢

- (١٢) «المؤمنون متأصلون في المسيح» أفسس ٣ : ١٧ = كولوسي ٢ : ٢
- (١٣) «المؤمنون مبنون على أساس» أفسس ٣ : ١٧ = كولوسي ١ : ٢٣
- (١٤) «المؤمنون مملوون في المسيح» أفسس ١ : ٢٣ = كولوسي ١ : ١٩
- (١٥) «الملء» أفسس ١ : ٢٣ ، ٣ : ١٩ = كولوسي ١ : ١٩ ، ٢ : ٩
- (١٦) «الإنسان العتيق والإنسان الجديد» : أفسس ٤ : ٢٢ = كولوسي ٣ : ٩
- (١٧) «سلسلة خطايا ممتدة» أفسس ٤ : ٢ و ٣ = كولوسي ٣ : ١٢ - ١٤
- (١٨) «غضب الله على العصاة» أفسس ٥ : ٦ = كولوسي ٣ : ٥ و ٨
- (١٩) «واجبات يثية مطلوبة» أفسس ٥ : ٢٢ - ٦ : ٩ = كولوسي ٣ : ١٨ - ٤ : ١
- (٢٠) «السلوك في الخطية» أفسس ٢ : ٢ ، ٤ : ١٧ = كولوسي ٣ : ٧
- (٢١) «السلوك في القداسة» أفسس ٢ : ١٠ = كولوسي ١ : ١٠
- (٢٢) «افتداء الوقت» أفسس ٥ : ١٦ = كولوسي ٤ : ٥
- (٢٣) «ترنيات روحية» : أفسس ٥ : ١٩ = كولوسي ٣ : ١٦
- (٢٤) «الصلاة والتضرعات» : أفسس ٦ : ١٨ = كولوسي ٤ : ٢
- (٢٥) «السرا المعلم» أفسس ١ : ٩ ، ٣ : ٣ = كولوسي ١ : ٢٦ و ٢٧
- (٢٦) «الغنى» : أفسس ١ : ٧ و ١٨ ، ٢ : ٧ = كولوسي ١ : ٢٧ ، ٢ : ٢٦
- (٢٧) «الأجيال والدهور» : أفسس ٣ : ٢١ = كولوسي ١ : ٢
- (٢٨) «كلمة الحق» أفسس ١ : ١٣ = كولوسي ١ : ٥
- (٢٩) «صفات تيمخيكوس ومهمته» : أفسس ٦ : ٢١ = كولوسي ٤ : ٧
- (٣٠) «المسيحيون مبنون هيكلًا» : أفسس ٢ : ٢٠ = كولوسي ٢ : ٢
- التشابه بين بعض عبارات في هذه الرسالة وفي أعمال ٢٠
- (١) «بكل تواضع» : أفسس ٤ : ٢ = أعمال ٢٠ : ١٩
- (٢) «مشورة الله» : أفسس ١ : ١١ = أعمال ٢٠ : ٢٧
- (٣) «القدرة الإلهية» : أفسس ٣ : ٢٠ = أعمال ٢٠ : ٣٢
- (٤) «بناء المؤمنين» : أفسس ٢ : ٢٠ = أعمال ٢٠ : ٣٢
- (٥) «ميراث القديسين» : أفسس ١ : ١٤ و ١٧ = أعمال ٢٠ : ٣٢

## ج - كاتب الرسالة وظروف كتابتها

تحمل هذه الرسالة اسم بولس الرسول، مقروناً بالتحية في غرته، كعادته في سائر الرسائل التي تحمل طابع قلمه الملمهم.

وقد قبلت هذه الرسالة على مر الأجيال حاملة اسم الرسول المبارك . وقرئت وفسرت من جبهة المفسرين مقرونة باسم بولس . هذه حقيقة تؤيدها سحابة من الشهود الأقوياء - فمن بوليكا يوس تلميذ يوحنا الرسول وأسقف أزمير، إلى تلميذه أيريناوس (\*) الذي نشأ في آسيا الصغرى في القرن الثاني للميلاد . إلى إغناطيوس الذي عاش في أواخر القرن الثاني ، إلى سائر اللاهوتيين والمفسرين في جميع العصور . فمع أن الآراء قد تباينت وتشعبت في حقيقة من كتبت إليهم هذه الرسالة ، إلا أنها أجمعت كلها واتفقت على أن كاتبها هو بولس الرسول .

كتب بولس هذه الرسالة أثناء إقامته في روما - لا كما نرى مرة أن يزور روما حراً طليقاً ، معزياً ومتعزياً بالإيمان المشترك بينه وبين مؤمني روما - ولكنه حل فيها أسيراً سجيناً . غير أن ظلال السجن أتاح له نوراً باهر المهيئ له بهاء النور الطبيعي . وضيق غرفته قدم له سعة ورعاية ، عز عليه أن يجد مثلها في باحة العالم الفسيح . وأوقات خلوته ووحدته ، هيأت له فرصة

(\*) من الأوصاف التي خلعها أيريناوس على هذه الرسالة ، قوله عنها :

"The words of the beautiful Paul in his Epistle to the Ephesians."

« كلام بولس الأنيق في رسالته إلى أهل أنس »

نادرة للتفكير العميق، والإلهام الحر الطليق، والاتصال الوثيق بالرفيق الأعلى،  
وفي الوقت نفسه أتاح له فرصة نادرة للاتصال بزائريه من مختلف الأقطار  
والأمصار (أعمال ٢٨ : ٣٠).

لقد أجمعت كلمة آباء الكنيسة الأولين، على أن بولس هو كاتب هذه  
الرسالة. وجلهم أضاء صفحات كتاباته بمقتبسات من هذه الرسالة على اعتبار  
أن بولس كاتبها.

غير أن هذا الإجماع لم يخل من اعتراضات قامت في سبيله : بعضها سلبى ،  
والبعض الآخر إيجابى :

في مقدمة الاعتراضات السلبية : أن الرسالة خالية من كل طابع شخصى  
لرَسُول. فلا مكان فيها لتحيته الشخصية التى ألفناها منه في سائر رسائله.  
ولا مجال فيها الظروف الكنيسة المحلية الخاصة، كما في كورنثوس وروما وغلاطية.  
ومن الاعتراضات الإيجابية : أن أسلوب الرسول في هذه الرسالة، يختلف  
بعض الاختلاف عنه في سائر رسائله. فبين دفتى هذه الرسالة نلتقى بكلمات  
«فذة» لا نعر على مثلها في سائر كتابات الرسول. وسياق الفكر في هذه  
الرسالة يمتد بالكاتب الى مدى بعيد، فيخرجه طوراً عن الموضوع الأصلي،  
وتارة يفتح أمامه أبواباً جديدة. فضلاً عن ذلك، فإن العقائد المتضمنة في  
هذه الرسالة، قد عولجت بطريقة لا عهد لنا بها في كتاباته الأخرى.

لكن هذه الاعتراضات—أو جلها—تتضاءل، ولعلها تضيع، أمام  
نور الحقائق الآتية :

فالتاريخ المسيحى في جانب الرأى القائل إن بولس هو كاتب هذه الرسالة

ولا شك في أن العلماء الناقدين الذين عاشوا في القرون المسيحية الأولى، هم خير حكم في هذا الموضوع، لأنهم كانوا قريبين من ذلك العهد، فتعتبر شهادتهم كأنها شهادة عيان، فيتم فيهم ذلك القول المأثور: «وشهد شاهد من أهلها».

أما السبب في خلو هذه الرسالة من الإشارات الشخصية، فقد يظهر لنا متى جئنا إلى بحث هذا السؤال: «إلى من كتبت هذه الرسالة؟».

ومن جهة اختلاف أسلوب الرسول في هذه الرسالة، عنه في سائر رسائله، فالسر فيه يرجع إلى أن أسلوب الكاتب الواحد قد يتخذ أشكالاً مختلفة، باختلاف الموضوعات التي يعالجها، وفوق ذلك فإن رجلاً خصيب العقل كبولس، قوى الإلهام كرَسُولِ الأُمَمِ، لا يمكن أن يتقيد بأسلوب خاص، في كل رسائله. وبقيننا أن هذا الاعتراض حجة في جانب الرسول، لا عليه.

أما عن كون الرسول قد عالج في هذه الرسالة عقائد لم يعالجها في غيرها أو بطريقة غير طريقته المعهودة، فإن هذا يُعزَى إلى أن معلماً عظيماً كبولس، لا بد أن يخرج من كنزهِ جديداً وعتقاء، سيما وأن أحوال كل كنيسة تختلف عنها في الأخرى. ومن المفروض أن المؤمنين يتقدمون «من نعمة إلى نعمة» ومن «درجة في التمييز إلى درجة أرقى» فمن الطبيعي أن يزداد لهم النور بقدر ازديادهم في المعرفة، والفهم، والقابلية. وفي اعتقادنا أنه لو كانت العقائد في هذه الرسالة، مقصورة على العقائد التي تناوَلها الرسول في رسائله الأخرى لاعتبرت هذه حجة ضد كتابته هذه الرسالة، ولقيل لنا إن هذه الرسالة ليست من كتابات بولس؟ بل بقلم شخص أراد أن يحاكيه في الكتابة فنقل نحن ولم يحسن النقل، لأن هذه الرسالة لم تأتِنا بعقيدة جديدة ۱۱۱

فالمعترض لا يكف عن الاعتراض ، ولو كان الحق واضحاً كالنهار ١١ .  
وما أجل ما قال العلامة هو «سوف في هذا الصدد: » ليس لنا من جواب  
على كل معترض سوى أن نقول واثقين : لا يمكن أن يكون لهذه الرسالة من  
كاتب سوى بولس الرسول . فقد شهد اريناوس في بدء القرن الثاني أن  
بولس هو الكاتب . فمن إذاً بين بولس و اريناوس ، يكون كاتباً لهذه الرسالة ؟  
إن وجد شخص مثل هذا ، فلا بد أن تكون له مؤهلات لا تقل عن مؤهلات  
بولس — في سلاسة الأسلوب ، وسلامة الذوق ، ودقة التعبير ، وإلهام  
متصل بباب السماء ، ووداعة تمس أهداب الأرض ، وصلابة في الحق ،  
وقوة في الشعور ، ونور في العقل ، ونار في القلب . فإن لم يكن بولس هو  
الكاتب ، فلا بد أن يكون أفضل من بولس !! فمن هو إذاً ؟ أليس الأفضل  
أن نسلم بأنه هو بولس ؟

— د — إلى من كتبت هذه الرسالة ؟

من المسلم به ، أن العبارة «في أفسس» المتضمنة في العدد الأول ، ليست  
موجودة في بعض النسخ الخطية القديمة . وإلى هذه الحقيقة يعزى السبب  
في خلو هذه الرسالة من الإشارات الخاصة إلى الظروف المحلية المحيطة بكنيسة  
أفسس ، مما حدا بجلب الباحثين أن يستنتجوا أن هذه رسالة «دورية» أرسلت  
إلى كنائس تضمها معاً مقاطعة واحدة — من ضمنها أفسس ، وأن الرسول ترك  
«فراغاً» في العنوان ليملاً باسم الكنيسة التي يأتي دورها . وأن النسخ الخطية  
المحتفظة بهذه العبارة : «في أفسس» ، هي صورة طبق الأصل للنسخة الأولى



التي أرسلت إلى أفسس بالذات ، باعتبار كونها إحدى تلك الكنائس أو « مفتاحها » .

ومتى ذكرنا أن تيخيكوس حمل هذه الرسالة مع رسالة كولوسي، وأن اسمه مذکور في كل من الرسالتين بكل حب وإجلال وإكرام ( كو ٤: ٧ و ٨ ، أفسس ٦: ٢١ و ٢٢ ) . وأن هاتين الرسالتين تتشابهان في مواضع غير قليلة ، تبين لنا أن هذه الرسالة ، هي في الغالب تلك التي ذكرت في رسالة كولوسي باسم « الرسالة إلى لاودكية » ( كو ٤: ٦ ) .

وبما أن أفسس كانت على رأس مدائن تلك المقاطعة ، ومتقلدة زعامتها سياسياً ، وعلمياً ، واجتماعياً ، ودينيّاً ، وأنها كانت « مفتاح » مقاطعة آسيا الصغرى ، فكان من الطبيعي أن ترسل هذه الرسالة إلى كل تلك الكنائس « عن طريق » كنيسة أفسس . وإلى هذا يعزى السبب في وجود العبارة : « في أفسس » في كثير من النسخ الخطية القديمة جداً .

هذه هي أفسس عاصمة الدولة الرومانية في آسيا الصغرى . لقد امتازت بغناها الجزيل ، وفنّها المبدع ، ومعبدّها الذي فاق كل طارف وتليد ، إذ سلخ من الدهر ٢٢٠ سنة في إقامته ، فشيّد على ١٢٧ عموداً ، وبلغ طوله ٤٢٥ قدماً ، وعرضه ٢٢٠ قدماً ، وارتفاعه ٧٠ قدماً — هذا هو هيكل ديانا .

هذه هي أفسس التي كانت قبل بزوغ شمس الإنجيل ، متحلية بجمالها القبيح ، متعظمة بغناها المفتقر ، متفاخرة برفعتها الخفية ، ولكن عندما غمرها نور الإنجيل ، خرت « ديانا » ساجدة عند قدمي الناصري المصلوب . ولكن أين هي أفسس الآن ؟ لقد أضحت أثراً بعد عين . لأنها اكتفت

بالمظهر دون الجوهر ، وانصرفت بـ «الاسم» عن «الحقيقة» ، «فتركت محبتها الأولى» ( رؤيا ٢: ٥ ) .

ولئن ذهبت أفسس ، فإن رسالتها خالدة . ولئن مضى الرسول فالرسالة باقية . فالسموات والأرض تزول ، ولكن كلمة الله لا تزول . فلنتقدم إلى

دراسة هذه الرسالة بروح التخضع والتعبد ، طالبين من روح

الله ، أن يعلن لنا ما خفى منها وما استتر ، وأن يحقق

لنا في حياتنا العملية ، ما وضع منها وما ظهر ،

لأنها في الواقع كتبت لنا نحن

الذين امتدت بنا

الأيام إلى هذا

العصر

## التفسير

### الأصحاح الأول

ديباجة الرسالة ١ : ١ و ٢

تستهل رسائل بولس عادة بتحيةة ، وشكر ، وطلبية . وفي بعض الأوقات تُغفل التحية ، أو الطلبية ، وفي البعض الآخر تجتمع هذه الثلاثة العناصر معاً ، كما في ديباجة هذه الرسالة ، التي تتضمن ثلاثة عناصر هامة — كل عنصر منها قائم بذاته :

أولاً : كاتب الرسالة : « بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله »

ثانياً : المكتوب إليهم : « إلى القديسين الذين في أفسس والمؤمنين في المسيح يسوع »

ثالثاً : التحية : « نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح »

وكل عنصر من هذه الثلاثة العناصر قائم على ثلاثة أركان :  
أولاً : كاتب الرسالة يصف نفسه وصفاً مثلثاً :

(١)	(٢)	(٣)
اسمه :	وظيفته :	السلطان الذي تقلد به وظيفته
« بولس »	« رسول يسوع المسيح »	« بمشيئة الله »

## بولس

ثانياً : الكاتب يصف المكتوب إياهم وصفاً مثلثاً :

(١)	(٢)	(٣)
دعوتهم :	مكأنهم :	مقامهم :
« القديسين »	« الذين في أفسس »	« المؤمنين في المسيح يسوع »

ثالثاً : التحية في وصفها المثلث :

(١)	(٢)	(٣)
مشمولاتها :	مالكها :	مصدر درها :
« نعمة وسلام »	« لكم »	« من الله أبينا الرب يسوع المسيح »

أولاً : الكاتب يصف نفسه وصفاً مثلثاً :

**عدد ١** (١) اسمه « بولس » — وهي كلمة يونانية الأصل ، معناها « صغير ». لأول مرة حدثنا لوقا في أعمال ١٣ : ٩ أن رسول الأمم عرف بهذا الاسم بعد تجديده ورجوعه إلى المسيح . وقد كان قبلاً معروفاً باسم : « شاول » — ومعناه « المطلوب » أو « المرغوب فيه » . وشتان بين الإصحاحين . فالإسم القديم يحيطه الزهو ، وتحف به الخيلاء . والإسم الجديد مشتق من معدن البساطة والوداعة .

وإذا ذكرنا أن شاول الطرسوسي عرف باسم « بولس » ، بُعيد اهتدائه إلى مرجيوس بولس ، الذي قبيل الإيمان على يديه ( أعمال ١٣ : ٥-٧ ) ،

## رسول

جاء لنا ان نستنتج أن بولس الرسول ، تقلد اسم أول رجل تجدد على يديه ، على مثال ما يتم للفقهاء الذين تخلع عليهم أسماء المواقع الحربية الحصينة التي يظفرون فيها. يضاف إلى هذا ، أن بولس الرسول ، بعد أن تجدد ورجع إلى المسيح ، تعين عليه أن يحمل اسم المسيح أمامهم وملكه ، فصار من المحتم عليه ، والحالة هذه ، أن يجتاز مقاطعات وبلاد يونانية . وبما أن اسمه الأول « شاول » عبري الأصل ، فقد أضحي لازماً عليه ، أن يحمل اسماً يونانياً ، يتفق والمزايا اليونانية والرومانية التي حصل عليها ، فلم تر أنسب من اسم « بولس » الذي يذكره باسم أول رجل اهتدى على يديه .

ويغلب على اعتقاد الأسقف ، ووليّه ، أن الرسول بولس كان يحمل اسمين منذ الطفولة — أحدهما : « شاول » العبري لغة ، لأن الرسول يهودي الأصل والمولد . وثانيهما : « بولس » اليوناني لغة ، لأن الرسول يوناني الثقافة . فلما تجدد وأضحى رسولاً للأمم ، ابتلع اسمه اليهودي في اسمه اليوناني ، فأصبح معروفاً بشاتيهما وحده ، فاخترى الطرسوسي شاول في بولس الرسول .

وجدير بالملاحظة أن بولس ، في هذه الرسالة وفي رسالته إلى رومية لم يقرن اسماً آخر باسمه — من غير عاداته في رسائله الموجهة إلى سائر الكنائس . وغالباً جداً ، يرجع السبب في هذا ، إلى أن هذه الرسالة عامة في موضوعها ، موجهة إلى كنائس أخرى علاوة على أفسس . ( إرجع إلى المقدمة العامة ) .

(٢) وظيفته : « رسول يسوع المسيح » . كلمة « رسول » تعني اطلاناً :

## يسوع المسيح

الشخص المكلف بمهمة ورسالة . ويُفترض فيها أن المرسل أجلّ قدرًا من الرسول . وفي هذا يقول المسيح « ليس رسول أعظم من مرسله » (يو ١٣ : ١٦) . لكنها استعملت هنا على وجه التخصيص ، لتعني واحداً من طبقة ممتازة ، منتقاة ، مؤلفة من اثني عشر رجلاً ، اختارهم المسيح ، ودعاهم ، وأرسلهم ليكونوا شهود عيان لقيامته ، وليحملوا اسمه ورسالة أنجيله إلى البشر . وكلهم عاين المسيح بعد قيامته بالجسد . إلا يهوذا الاسخريوطي الذي سقطت راية الشرف من يده .

إن قوله : « رسول يسوع المسيح » يفيد أن بولس مرسل من المسيح ، وهو تابع له ، ومملوك منه ، بل أن المسيح هو علة رسوليته وغايتها ، وموضوعها . ولا شك في أن انتساب بولس إلى المسيح يسبغ على رسالته سلطة ، ورفعة ، ووداعة . فهو رسول ملك الملوك ورب الأرباب ، وفي الوقت نفسه هو رسول ذلك الذي قال عن نفسه « لأني وديع ومتواضع القلب »

ويجمل بنا أن نقارن بين الصفة التي تقدم بها بولس إلى قارئيه في هذه الرسالة ، والصفات التي تقدم بها إلى قارئيه في بعض رسائله الأخرى : في رسالته الأولى والثانية إلى تسالونيكي قال : « بولس »

وفي رسالته إلى رومية قال : « بولس عبد يسوع المسيح »

وفي رسالته الأولى إلى كورنثوس قال : « بولس المدعو رسولاً ليسوع المسيح »

وفي مطلع رسالته الثانية إلى كورنثوس قال : « بولس رسول يسوع المسيح »

وفي بدء رسالته إلى غلاطية قال : « بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان »

وفي مقدمة رسالته إلى فيلبي قال : « بولس عبد يسوع المسيح »  
وفي غرة رسالته إلى تيموثس قال : « بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح »  
وافتح رسالته إلى فليمون بقوله : « بولس أسير يسوع المسيح »  
من هذه المقابلات يتضح لنا ، أن بولس عندما كان يبعث برسالة  
إلى أناس لا يشكون في سلطان رسوليته ، كان يكتفي في الديباجة بذكر  
اسمه مجرداً عن كل لقب ، أو يكتفي بأن يتسربل بثوب « العبد ليسوع  
المسيح » — كما في رسائله إلى تسالونيكي ، وفيلبي ، وفليمون . ولكنه في  
مخاطبة الكنائس التي كانت فيها رسوليته موضوع شك أو جدل أو منازعة  
كان يحرص على تعزيز سلطان رسوليته ، ضماناً بكرامة خدمته لا بكرامة  
شخصه — كما في رسالتيه إلى غلاطية ورومية . ولكن في الرسالة التي نحن  
بصددها الآن ، وفي رسائله إلى كورنثوس وكولوسي ، اتخذ موقفاً وسطاً  
وايس بخاف أن لاختبارات بولس الشخصية شأناً يذكر في هذا الباب .  
هذا هو بولس الذي قال عن نفسه « إنه كان مضطهد الكنيسة » ،  
و « أول الخاطئة » و « ليس مستحقاً أن يدعى رسول المسيح » ، ولكنه « رُحِمَ  
لأنه فعل بجهل في عدم إيمان » .

على أنه من الجائز أن يعتبر كل مؤمن رسولاً بمعنى عام فلكل مؤمن  
رسالة يؤديها في حياته ، ما دامت حياته مرتبة بحكمة سامية ، لقصد سام .  
(٣) السلطان الذي تقلد به وظيفته : « بمسيئة الله » . لم يتقلد  
مهام رسالته من الرسل الذين قبله ، ولا من الكنيسة ، ولا من بشر ، ولا

## الله

بحكم أى نظام بشرى، ولا عن تطفل منه، أو حماس شخصى، ولا عن مجرد رغبة منه فى خلاص البشر، لكنه تسلم مقاليدهما من المسيح نفسه وبمحض مشيئته العلوية. وأن كانت كنيسة انطاكية قد أفرزته للتبشير، إلا أنه كان قد دعى قبلاً إلى هذا العمل، فقال الروح القدس: «أفرزوا لى يرنابا وشاول (بولس) للعمل الذى دعوتها اليه» (أعمال ١٣: ٢). هذا واضح غاية الوضوح فى رسالة أخرى كتبت مع هذه الرسالة—هى رسالة غلاطية إذ يقول «لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته، أن يعلن ابنه فى لا بشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحماً ودماً، ولا صعدت إلى الرسل الذين قبلى... فان الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فى أيضاً للأمم». (غلاطية ١: ١٥—٢٠ و ٢: ٦—٨).

هذا هو بولس الذى اختاره المسيح، ودعاه لوظيفة الرسولية وشرفه بأن وضعه فى رأس قاعة الرسل، مع أنه قد رضى تنازلاً منه، أن يضع نفسه فى رأس قاعة الخطاة (١: ١٥)، وفى ذيل قاعة القديسين (أفسس ٨: ٣)، وفى مؤخرة صفوف الرسل (١ كو ١٥: ٩).

لا مشاحة فى أن بولس كان واثقاً من المشيئة السهاوية التى قلدها أعباء هذه الخدمة، وكان على اتصال وثيق بهذه المشيئة، يصغى لصوتها ويستمع لدقات ساعتها، وهو شاعر على استمرار بأنه ليس شيئاً فى ذاته، لأنه ليس عائشاً لذاته، وأنه متمتع بسلطان المسيح الذى اقتداه، وهداه، وأرسله. فهو بذلك



## إلى القديسين

في حرز حريز من كل الهجمات البشرية ، عزيز إذا أُريد له الذل ، كريم إذا أُريد له الضيم ، آمن مطمئن إذا أُريد به الشر ، لأنه متمم مشيئة الله . لا تلويه عن قصده تجربة وإن دقت ، ولا تقف في سبيله عقبة وإن جلدت ، لأنه متمم مشيئة الله . وكذلك شأن كل مؤمن يجد في إتمام مشيئة الله في حياته

ثامناً : الكاتب يصف المكتوب إليهم وصفاً مثلثاً :

(١) دعوتهم : « القديسين » . (٢) مكانهم : « أفسس » . (٣) مقامهم :

« المؤمنين في المسيح يسوع » .

إن كلمة : « القديسين » والعبارة التي بعدها : « المؤمنين في المسيح يسوع » لا تصفان صنفين من الناس ، بل تعنيان فريقاً واحداً ، فهما وصفان متكاملان للجماعة واحدة . فقوله : « قديسين » ، يصف المرسل إليهم في سمو دعوتهم . وقوله : « المؤمنين في المسيح يسوع » ، يصفهم في متانة مركزهم ورفع مقامهم . الكلمة الأولى تصفهم في موقفهم بالنسبة للعالم الذي أفرزوا منه ، ووقفوا أنفسهم لله وخدمته . والكلمة الثانية تصفهم في موقفهم بالنسبة للمسيح الذي به يثقون ، وفيه يقومون ، وله يخلصون ويوالون . فالمسيح موضوع إيمانهم ، وغاية ولائهم ، ومستودع أمانتهم .

« قديسين » — أستعملت هذه الكلمة في العهد القديم لتصف حالة خارجية ، ولطالما أُطلقت على الناس والجماد . ومعناها : « المفروز لقصد أو لشخص معين » . وفيها معنى من « عانى » « التحريم » . فالشيء متى خُصص

## الذين في أفسس

لغرض ما ، حُرم استعماله لغير ما أُفرز له . فأواني الهيكل كانت مقدسة منذ الوقت الذي أُفرزت فيه لخدمة الهيكل ، فصار من المحرم استعمالها لغير الهيكل والسبت «مقدس» لأنه يوم الرب ، وجبل صهيون «مقدس» ، لأنه جبل قدس الرب . والأنبياء «مقدسون» لأنهم رجال الله . لكن كلمة : «قديسين» أُستعملت في العهد الجديد بمعنى إيجابي . فإذا كانت في العهد القديم تعني اعتزال الإنسان العالم ، فهي في العهد الجديد تعني وقف الإنسان نفسه لله . في العهد القديم تعني الانفصال عن ، وفي العهد الجديد تعني الامتلاء من . في العهد القديم تفيد التطهير الخارجي الطقسي ، وفي العهد الجديد تعني القداسة الداخلية الروحية ، القائمة بحلول المسيح في قلب المؤمن بروحه الأقدس ، وتقديس القلب من كل أدران الخطية بنار الروح المطهر . وقد أُجمل بولس هذه الحقائق في قوله : «كيف رجعتُم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي» (١ تس ١: ٩) .

إن كلمة «قديسين» كما وردت في العهد الجديد ، ليست منحصرة في طغمة خاصة من المؤمنين ، لكنها تعني جميع المؤمنين على وجه التعميم . فهي مرادفة لكلمة مسيحيين . وفي هذا يقول يوحنا فم الذهب : باطلاعنا على ما جاء في ١: ٦، ٢٢: ٥ و ٢ من هذه الرسالة ، يتضح لنا أن القديسين المعنيين هنا ، هم مسيحيون يشاطرون سائر البشر حياتهم العملية — فمنهم الأزواج والزوجات والسادة والعبيد .

## والمؤمنين في المسيح يسوع

(٢) مقامهم : « المؤمنين في المسيح يسوع » . الكلمة المترجمة « مؤمنين » معناها في اللغة اليونانية القديمة ( الكلاسيك ) : « الأمناء » ، أو « الذين يركن إليهم » ، وقد استعملت في لغة العهد الجديد بمعنى « الواثقين » ، « والمعتلئين إيماناً » ، كما في يوحنا ٢٠: ٢٧ « ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » ، وغلاطية ٣: ٩ « ابراهيم المؤمن » ، وكولوسي ١: ٢ « الإخوة المؤمنين » ، و١ بطرس ١: ٢١ « أتم الذين به تؤمنون بالله » . و ( آتى ٤: ٣ ) « المؤمنين وعار في الحق » .

ويستفاد من إيراد العبارة : « في المسيح يسوع » بعد كلمة « المؤمنين » ، أن المسيح هو موضوع إيمانهم . وقد ذكرت كلمة « في » للدلالة على ما بين المؤمنين والمسيح من اتحاد حيوي وثيق ، في روح واحد . فهو ليس فقط موضوع إيمانهم ، بل هو أيضاً حياة إيمانهم ، وقوامه . فهو لهم بمثابة الكرامة للأغصان . وليسوا هم مجردة مؤمنين بالمسيح أو عن المسيح لكنهم مؤمنون فيه .

(٣) مكانهم : « في أفسس » .

إن قوله : « في المسيح يسوع » يصف المؤمنين في مقامهم ، وقوله « في أفسس » ، يصفهم في مكانهم . ومتى ذكرنا ما كانت عليه أفسس من شر وفساد ، تحققتنا أن وجوده مؤمنين في تلك البيئة الموبوءة ، ليس سوى معجزة من معجزات النعمة المجانية . لأن وجوده مؤمنين في أفسس يعد بمثابة وجوده يوردة بيضاء في محيط أغبر ، أو جذوة من النار في قلب البحر ، أو بنقشة ثابتة في قلب صخر .

## نعمة لكم

إن الوصفين : « قديسين » ، « ومؤمنين في المسيح يسوع » لا يصفان حالة كمال معينة في المؤمنين ، بل يصفان كل مسيحي مخاض في إيمانه بالمسيح ، فإن لم يكن المسيحي ذلك ، وجب أن يكون كذلك .

عدد ٢ | ثالثاً — التحية :

(١) مشتملاتها : « نعمة وسلام »

في هذه التحية الرسولية الجامعة ، انتمت تحية الأمم بتحية اليهود . « فالنعمة » هي التحية اليونانية . و « السلام » هو التحية اليهودية . كلمة « نعمة » تعني الجمال وقد كان من الطبيعي أن يتخذ اليونانيون هذه الكلمة تحية لهم ، لأنهم كانوا عاشرين في أرض الجمال ، ويتكلمون بلغة الجمال ، ويعبدون آلهة الجمال . فالفضيلة عندهم هي الجمال . لكن النعمة المسيحية هي الجمال الروحي ، الذي خلقه الله على البشر ، إذ أحبهم وأسبغ عليهم أجمل نعمة واجلتها في شخص المسيح الذي هو أبرع جمالاً من بنى البشر ، وهو « يجمّل الودعاء بالخلاص » .

اهتم اليونان بجمال الجسد ، فاستحال جمالهم قبيحاً . لكن المسيحية اهتمت أولاً بجمال النفس الذي يشعّ منها على الجسد ، فيكسبها عواجل جلالاً . والنعمة تختلف عن المحبة ، في أن المحبة قد تتخذ اتجاهات واحداً من ثلاثة — من الأعلى إلى الأدنى ، أو من الند إلى الند ، أو من الأدنى إلى الأعلى . لكن النعمة لا تعرف إلا اتجاهات واحداً — من الأعلى إلى الأدنى .

## وسلام

والمحبة قد تكون مجرد عاطفة تذهب هباء، لكن النعمة عاطفة محملة بخيرات فهي دائماً عامرة القلب مليئة اليدين . وهي تختلف عن الأجرة ، في أن الأجرة تعطى لمستحقها . لكن النعمة توهب لغير المستحقين .

«والسلام» هو تحية اليهود . وهم يريدون به عادة الأمن الخارجى ، والتحرير من القيود السياسية . لأن أرضهم كانت — ولم تزل — مطمع الأمم القوية ، ومطمعاً للقلقل والثورات . لكن المسيحية تريد سلاماً عميقاً ، روحياً ، قلبياً ، اشتراه المسيح بدمه الثمين — سلاماً لا تقدر الدنيا أن تنيلنا إياه ، ولا تستطيع عواصفها أن تنزعه من عواطفنا — سلاماً هو نعم الاطمئنان القلبى الذى يملك على المؤمن مشاعره ، نتيجة مصالحة مع الله ، وغفران خطاياه ، ونصرته على تجاربه ، ويقينه برجاء الخلود ، على رغم ما يحيط به من صعاب وآلام ، فيظل آمناً ناعم البال ولو هبت الرياح . ويتהל مترنماً ولو كان فى أعماق السجون . ويكون حر القلب طليقه ولو كانت يداه ورجلاه ترسف فى القيود .

«نعمة وسلام» — اقتبست المسيحية هاتين التحيتين وقرنتهما معاً ثم مسحتهما بمسحتها المقدسة ، وطهرتهما من كل شائبة مادية أو زمنية .

«نعمة وسلام» : النعمة هى رضى الله الذى يحيط بنا ويغمرنا . والسلام هو بركة داخلية تكون فى أعماق قلوبنا كالنبع الفيض .

«نعمة وسلام» : يمثل هذه التحية استهل بولس رسائله إلى كورنثوس ،

## من الله آيينا والرب

وغلاطية ، وفيلبي ، وكولوسي ، وتسالونيكي ، وفليمون : لكنه في رسائله الرعوية قد أضاف كلمة «رحمة».

(٢) مصدر التحية : «من الله آيينا والرب يسوع المسيح». مع أن الله

هو أب الجنس البشري بوجه عام ، إلا أنه أب للؤمنين بنوع خاص ، باعتبار كونهم متحدين بابنه يسوع المسيح ، لذلك قال الرسول . «الله آيينا» . فالضمير «نا» يعود على المؤمنين — وبولس الرسول واحد منهم .

إن في وضع اسم الرب يسوع المسيح جنباً إلى جنب مع اسم الله آيينا ، واعتبارهما معاً مصدر نعمتنا وسلامنا ، أكبر دليل على لاهوت المسيح . من أجل ذلك قال الرسول : «ربنا يسوع المسيح» . ومتى ذكرنا أن كاتب هذه العبارة لم يولد في المسيحية ، بل نشأ بفطرتة وتربته عدواً للمسيح والمسيحية ، وكان يجد لذة خاصة في تحقير المسيح ، واضطهاده ، تبين لنا أن شهادته من أقوى الشهادات للاهوت المسيح ، لأنها من قلم عدو ، والفضل ما شهدت به الأعداء . وجدير بالاعتبار أن هذه العبارة : «ربنا يسوع المسيح» لم يعدها الرسول بكلمة إيضاح ، بل صدرت عنه عفواً ، بلا جدل ولا منازعة ، مثلاً تنبعت الأشعة من الشمس بغير كلفة ولا مجهود . ولنا في هذا أكبر دليل على أن الاعتقاد بلاهوت المسيح ، كان من المعتقدات الأساسية المسلم بها لدى الرسل والكنيسة الأولى . ولا شك في أن الاعتقاد بلاهوت المسيح ، ليس درساً يتلقنه إنسان عن إنسان ، ولا هو علم يتوارثه الأحفاد عن الأجداد

## يسوع المسيح

وانما هو إعلان إلهي سماوي يتلقاه المؤمنون من الله رأساً . في هذا الصدد قال المسيح لبطرس « طوبى لك يا سمعان بن يونا . إنَّ الحُكَّاءَ ودماءَ لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » ( مت ١٦ : ١٧ ) ، ويقول بولس الرسول : « ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس ! » ( ١ كور ١٢ : ٣ ) .

( ٣ ) ماآل التحية : « لكم » — من هم المكتوب اليهم ؟ إرجع إلى

المقدمة العامة . فقد تجد فيها الجواب على هذا السؤال .

## القسم الأول — القسم التعليمي في الرسالة

(٣: ١ — ٣: ٢١)

أولاً : شكر على بركات الله التي أغدقها على الكنيسة

(٣: ١ — ١٤)

لدى دخولنا رحبات هذه الرسالة ، يواجهنا مدخل فخيم غاية في الجلال والرواء ، واذ تلج بابه نسمع أنشودة الرسول التي هي أحد مزامير العهد الجديد هذا فصل جليل ، يرتقى فيه الرسول محققاً في سماء المعلنات الإلهية ، حتى أحاطته أشعة أنوار محبة الله ونعمته . ولما شرع يحدثنا عن جلال تلك المعلنات وجمالها لمح أنواراً فوق أنوار ، تبهر الأبصار ، ورأى قماً من المجد يرتقى بعضها فوق بعض ، ونظر بركات تتلوها بركات ، ولحظ نعماً تعقبها نعم ، فاسترسل في الكلام بغير توقف ولا تمهل ، حتى بلغ نهاية هذا الشوط . وكأني به — بعد هذا الفصل الجليل — ألقى قلمه ليستريح هنيهة بعد هذه المرحلة الطويلة العلوية التي قطعها سابحاً في الأفلاك السماوية .

ومن فرط ما أخذ به من معلنات ، أغفل كل إشارة شخصية ، على خلاف عادته في معظم رسائله ، كما يتبين جلياً من مراجعة كلامه في غرة الرسائل الآتية :

رسالته الأولى إلى تسالونيكي : « نشكر الله كل حين من جهة جميعكم »  
 رسالته الثانية إلى تسالونيكي : « ينبغي أن نشكر الله كل حين من جهتكم »  
 رسالته إلى غلاطية : « إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً »



رسالته إلى فيلبى: «أشكر إلهى عند كل ذكرى إياكم»  
رسالته إلى كورنثوسى: «نشكر الله... كل حين مصلين لأجلكم».  
فبعد أن تملى نظره برؤية الشمس، لم يرغب فى التحدث عن ساكنى  
الأرض إلا بعد أن استكمل الحديث عن مملكات السماء (١٥: ١).  
إن أسلوب الرسول فى مطلع هذه الرسالة، لا يماثله سوى أسلوبه فى  
رسالته الثانية إلى كورنثوس، التى كتبت فى ظرف دقيق حرج، إذ كان  
الرسول آنثذ على أحر من الجمر فى انتظار كلمة عن نتيجة رسالته الأولى التى  
بعث بها إلى تلك الكنيسة. وحالما بلغته أخبار طيبة، اهتز قلبه طرباً،  
فطفق يقول شاكرًا: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح بأورأفة وإله كل  
تعزية». فلم يوجه الخطاب إلى سكان الأرض إلا بعد أن استكمل ملهات  
السماء فقال فى ١١: ١ من تلك الرسالة «وأنتم أيضاً ساعدون بالصلاة لأجلنا».  
على أن موضوع الشكر الذى شغل ذهن بولس فى رسالته الثانية إلى  
كورنثوس هو أضعف أثرًا فى ذهنه من الموضوع الذى ملأ قلبه فى هذه  
الرسالة. إن شكره هناك، مقصور على فرحه بنجاته، وسروره بالاطمئنان  
الذى ملأ قلبه من جهتهم. لكن شكره هنا، يشمل كل البركات الروحية،  
الفدائية، العلوية، التى أسبغها المسيح على الكنيسة. فلست أدري، أكان  
بولس متخذًا فى هذا الفصل موقف الشاكر، أم موقف المستكشف أمام  
أمرار الفداء؟ يلوح لى أنه كان فى شكره مكتشفًا وفى اكتشافه شاكرًا.  
هذا فصل أقرب إلى أنشودة نحموية منه إلى مقالة لاهوتية. هذه قطعة  
خالدة كتبها الرسول بمحاول من ذوب قلبه، لا بمداد قلمه. هذه برقة مجيدة

نسج بولس سداها من شغاف فتؤاده وحبك لمتها من أشعة أنوار المجد النوراني .  
فلا عجب إذا فشل المفسرون في تحليل هذه القطعة ، وإخضاعها لقواعد  
التقسيم المألوفة . لأن هذا يُعتبر بمثابة محاولة حبس أشعة الشمس داخل  
غلاف رسالة ترسل بالبريد .

إن هذا الفصل المؤلف من اثني عشر عدداً ، شبيه بسلسلة كاملة  
الحلقات — والعدد ١٢ رمز الكمال — كل حلقة منها مسبوكة بعناية ودقة ،  
على صورة يتعذر معها فصل كل حلقة عن الأخرى — فالحلقة الأولى  
تتصل بقصد الله منذ الأزل ، والحلقة الأخيرة تماشى المؤمنين في اختباراتهم  
على مر الأجيال . الحلقة الأولى تلامس هامات السماء ، والحلقة الأخيرة  
تمس أهذاب الأرض .

إذا ألقينا نظرة سطحية على هذا الفصل ، أخذنا لأول وهلة بغنى اللغة  
التي عبر بها الرسول عما في فكره ، ولكننا متى أمعننا النظر ، ظهر لنا فقر  
اللغة ، أمام غنى المعنى . وهذا يتضح جلياً من التجاء بولس إلى تكرار بعض  
العبارات ، بين آونة وأخرى ، لأن لغة الأرض ضاقت ذرعاً بمكنونات السماء .  
مثال ذلك : تكراره كلمة : «الذي» وحدها سبع مرات ( ٣ و ٧ و ١١ و ١٣ و ١٤ ) ،  
وكلمة «فيه» وحدها خمس مرات ( ٤ و ٧ و ١١ و ١٣ ) ، وتكرار  
الكلمتين معاً أربع مرات ( ٢ و ١١ و ١٣ ) وكلمة : «في المسيح» وما يرادفها  
أحدى عشرة مرة ( ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ ) . ومتى دققنا  
البحث ، تبين لنا أن هذا الفصل يرتكز على بعض العبارات الرئيسية ، نظير  
قوله : « مشيئة الله » ، ( عدد ٥ و ٩ و ١١ ) ، « مدح مجده » ( عدد ٦ و ١٢ )

( ١٤ ) ، « في المسيح » ( عدد ٣ و ٤ و ٦ و ٧ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ ) .  
 من هذا يتضح لنا أن الفكرة الرئيسية في هذا الفصل هي أن مشيئة الله  
 قصدت بالمؤمنين تدبيراً مجيداً في المسيح . ولكي يوضح الرسول هذه  
 الفكرة رجع بمقارئيه الى تدبير الفداء ، مذ كان قصداً كامناً في فكر الله ،  
 حتى أصبح عملية متدرجة ، محكمة الحلقات ، تتم كل حلقة منها في وقتها المعين ،  
 وقد وجه الرسول نظرنا الى ثلاث مراحل في هذا البرنامج القدائي —  
 تنتهي كل منها بمباركة شبيهة بقرار يتردد حيناً بين الثلاثة الأدوار التي تتألف  
 منها هذه الأنشودة — هذا القرار هو قوله : « لمجد مجده » ( عدد ٦ و ١٢  
 و ١٤ ) . في الدور الأول ( ١-٣-٦ ) تغنى الرسول بمجد المحبة القدائية في  
 تدبيرها الأزلي — في قلب الماضي . وفي الدور الثاني ( ١ : ٧-١٢ ) سبّح  
 بمجد هذه المحبة القدائية في حياتها الحاضرة وفي الدور الثالث ( ١ : ١٣ و ١٤ )  
 عظم الرسول جلال هذه المحبة القدائية كرجاء وطيد يتم تحقيقه في حياة  
 الأبد . « من الأزل — إلى الأبد » هذا هو الخيط الذهبي الذي يربط بدء  
 هذا الفصل بختمه .

في هذا الفصل ذكر الرسول عمل كل من أقانيم الثالوث الأقدس ، في  
 برنامج الفداء . فقرة هذا الفصل خاصة بعمل الله الأب في هذا البرنامج .  
 ( عدد ٣ ) . وقلبه مكرس لنصيب الله الابن . بدليل تكرار كلمة « فيه » مراراً  
 ( عدد ٤ و ٧ و ١٠ و ١١ ) ، وخاتمته متوجة بختم الروح القدس ( عدد ١٣ ) .  
 فالأقنوم الأول دبر الفداء ووهبنا بركاته ، والأقنوم الثاني نفذ تدبير الفداء  
 وهو أس بركاته ، والأقنوم الثالث هو مخصص لنا فوائدها الفداء وضا من بركاته

## (٣) مبارك الله

مع أن هذا الفصل مكتوب بلغة يونانية ، إلا أن عمزية الرسول قد نمت عنه في أسلوبه . ما أشبه هذه التسبحة الرسواية ببعض المزامير التي كان يرتلها بولس الرسول في يهوديته قبل اعتناقه المسيحية (مزمو ٤٢ — ٤٣ و ٩٩) . فكلمة «خلاص وجهي» تقسم المزمورين الأولين إلى ثلاثة أدوار (مزمو ٤٢: ٥ و ١١ و مز ٤٣: ٥) كما أن العبارة «قدوس هو» تقسم ثالث هذه المزامير إلى ثلاثة أدوار أيضاً (مز ٩٩: ٣ و ٥ و ٩) وعلى نفس هذا القياس تفصل عبارة «لمدح مجده» بين الثلاثة الأدوار الرئيسية في هذه التسبحة الرسولية .

إن مطلع هذه التسبحة الرسولية جميل في مبناه ، جامع في معناه ، فيه تلتقى جميع المعاني المنبثة في ثنايا هذه التسبحة ، ومنه تتفرع فهو للتسبحة بمثابة الرأس للجسد :

**عدد ٣** «مبارك الله» ! هذه هي الأنشودة التي تلتقى فيها رغبات الأرض بمقاصد السماء . عندما أبدعت الخليقة الأولى ، «ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني الله» . ومنذ سقط الجنس البشري ، وأفسدت الخليقة الأولى ، ضجت الأرض ، وأنتت الخليقة كلها . ولكن حالما أعلن الله قصده الفدائي الذي دبره لخلاص البشرية الساقطة ، استرد المؤمنون من بني آدم تلك الأنشودة التي أضاعتها عليهم الخطية ، وعادوا يهتفون لفاديهم الذي خلقهم خليفة جديدة ، ويسبحون له تسبحة جديدة ، تمتاز عن التسبحة

## أبو ربنا

الأولى ، بمقدار ما تمتاز الخليقة الجديدة عن الخليقة العتيقة . ولقد أجاد بولس الرسول إذ نظم للبشرية المقدية أنشودتها الجديدة التي مطلعها وخاتمتها : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح ! » .

يتألف هذا العدد الذي يتكون منه مطلع هذه الرسالة من مقطعين متقابلين ، متوازيين — كلاهما يبدأ بالبركة ويختتم بشخص المسيح

**المقطع الأول** — « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح »

**المقطع الثاني** — « الذي باركنا بكل بركة . . في المسيح »

في المقطع الأول ، المؤمنون يباركون الله بالحمد والشكر . وفي المقطع الثاني الله يبارك المؤمنين باغداقه عليهم بركات السماء . نحن نباركه بتقديمنا له ثمرات الفكر ، والقلب ، واللسان ، وهو باركنا بتقديمه لنا ابن محبته الذي هو رأس كل البركات .

« مبارك الله ! » — هذه هي النعمة التي وقعها رجال العهد القديم — من ملكي صادق إلى دانيال — سواء منهم من كان في ظفروه وسعادته كداود وسليمان ، أو من كان في حسرتة وشقاوته ، أمثال أيوب وإرميا . ولكن لم يستطع أحد أن يقول « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » ، إلا بعد أن بزغ نور « المشرق من العلاء » ، ونجمد « الكلمة » في شخص المسيح الذي كشف عن أبوة الله — بالنسبة له أولاً — بدرجة خاصة ، ونوع ممتاز . لا يدانيه فيها سواء — ثم لجميع المؤمنين ، على درجة أدنى في النوع . وفي الدرجة .

## يسوع المسيح

في العهد القديم كان الله معروفاً لشعبه بهذه الألقاب : «الإله العلي» ، «الإله القدير» ، «إله السماء» ، «إله إسرائيل» ، «الراعي» ، «الصخر» ، «الإله الحقيقي» ، «الإله الحي» ، «الملاك الأبدى» — وكلها ألقاب مجيدة تبعث في النفس روعة وخشوعاً . أما ذلك اللقب الجليل : «الآب» ، الذي يضيف إلى روعته في النفس حباً وثقة ، فقد ظل مخفياً عن عيون رجال العهد القديم ، ولكنه أُعلن لرجال العهد الجديد ورسالة الأطهار — وفي طبيعتهم بولس ، الذي جعل من هذا اللقب الجليل أبهى غرة لجل رسائله .

إن قوله : «أبو ربنا يسوع المسيح» يعتبر على مثال قول المسيح «أبي وأبيكم» (يوحنا ١٧: ٢٠) . (أنظر شرح بشارة يوحنا للمؤلف صفحة ٨٠٦) . «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح» — وردت أيضاً هذه العبارة بنصها في ٢ كو ١ : ٣ و ١ بط ٣ : ١ . والكلمة الأصلية المترجمة «مبارك» وردت ثمانى مرات في العهد الجديد ، وفي كل مرة منها ، لها صلة بذات الله . (أنظر بنوع خاص مرقس ١٤ : ٦١ حيث قال رئيس الكهنة للمسيح «أأنت المسيح ابن المبارك» ؟) . وقد استعمل الرسول كلمة «باركنا» بصيغة الماضي ، للتوكيد ، لتبيان أن هذه البركات وهبت للمؤمنين في قصد الله قبل كون العالم .

في هذا العدد يصف الرسول بركات الله الموهوبة لنا ، في ثلاثة أوصاف : — أ — في طبيعتها : «كل بركة روحية»

## الذي باركنا

— ب — في دائرتها : « في السماويات »

— ج — في أساسها ووسيطها : « في المسيح ».

(١) طبيعة البركات الموهوبة لنا من الله الأب : « الذي باركنا بكل بركة روحية » ، تختلف البركات التي جعلها الرسول موضوع شكره لله ، عن البركات الموعودة في العهد القديم ، في أن بركات العهد الجديد روحية خالدة ، وتلك بركات مادية زمنية . فمن بركات العهد القديم قوله : « مباركاً تكون في المدينة . ومباركاً تكون في الحقل . ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمره أرضك وثمره بها ثمر نتاج بقرك وإناث غنمك » (تث ٢٨: ٣-٦) . « أباركك مباركة وأكثر نسلك تسكيراً كنجوم السماء . . . ويرث نسلك باب أعدائه » (تث ٢٢: ١٨) . « إن سمعتم وأطعتم تأكلون خيراً الأرض . وإن أبيتتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأنهم الرب تمكلم » (إشعيا ١٩: ٢٠) : لكن بركات العهد الجديد على طراز أعلى وأرقى : « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . طوبى للاتقياء القلب لأنهم يعاينون الله . طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون . طوبى للمطرودين من أجل البر . لأن لهم ملكوت السموات » (مت ٥: ٣-١٠) . كان بولس الرسول نفسه من أبعد الناس تمتعاً بالبركات الزمنية . فقد قضى حياته ولم يكن له زوج ، ولا ولد ، ولا مال ، ولا عقار ، ولا مأوى . فما كان أسعده وأعجده ، على رغم كونه يهودي الأصل متعوداً على بركات

## بكل بركة

الأرض : لأنه بعد أن صار مسيحياً أضحي وهو في حرمانه أسعد حالاً منه في تمتعه . لأن حرمانه من كل شيء أتاح له فرصة التمتع بالؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن : فكان وهو فقير ، مغنياً كثيرين . وكان وهو لا يملك شيئاً ، مالكاً كل شيء . ومن ظلمات سجنه أراق نوراً على حياة الكثيرين . فكان في خيمته ناعماً بغنى لا يزول ، وكان في سجنه المظلم متمتعاً بحرية السماء . وكان هو يتقلب على الطوى ، راتعاً في أعجاء العلى ، فهو على هذه الحال خير مثال للمستمتعين بكل بركة روحية .

فالبركات « الروحية » هي تلك التى أغدقها الله على روح الإنسان ، لا على جسده ، لأن لها علاقة متينة بميلاده الجديد (يو ٣: ١٦) ، وهى تنعش حياته الروحية وتغنيها (رومية ٨: ٩ و ١٠) كما أنها تتوج مصيره الروحي الخالد (رومية ٧: ١١ ، ١ كو ١٥: ٤٤) .

يعتقد بعضهم أن كلمة « روحية » تعنى أنها بركات « الروح القدس » . وحجتهم فى ذلك : أن الرسول أشار فى هذا العدد إلى الأقسام الأول فى اللاهوت ، وإلى الأقسام الثانى ، فلا بد من أن يكون قد أشار هنا إلى الروح القدس ، الذى هو الأقسام الثالث فى اللاهوت . ولكننا نميل إلى رأى القائل إنها بركات خاصة بروح الإنسان . فمن البركات ما يشترك فيها الإنسان والحيوان — مثل الحياة والصحة — هذه بركات جسدية . ومنها ما يتمتع به الإنسان الطبيعى — نظير المعرفة والتمييز والذوق ، والعقل والمنطق — هذه بركات



## روحية في

عقلية . ومنها ما لا يتمتع به سوى المؤمنين شركاء الطبيعة الإلهية — هذه هي البركات الروحية المقصودة هنا . وفي الوقت نفسه نقرر أنه من المحال فصل البركات الروحية عن «الروح القدس» لأنه هو روح هذه البركات (ب) دائرة هذه البركات : « في السماويات » . بما أن هذه البركات آتية من السماويات ، فهي تسمو بالمؤمنين إلى « السماويات » ، على رغم كونهم يعيشون على الأرض . وهي أيضاً بركات محفوظة في « السماويات » . لا يمكن أن ترتفع إليها يد الزمان ولا تطرقات الحداث . « لأن حياتهم مستترة مع المسيح في الله » ( كولوسي ٣: ٣ ) ، « فإن سيرتنا نحن هي في السموات » ( فيلبي ٣ : ٢٠ ) .

لم ترد هذه العبارة : « في السماويات » في كل الكتاب المقدس سوى خمس مرات — كلها في هذه الرسالة ( ٣: ١ و ٦: ٢ و ٣: ١٠ و ١٢: ٦ ) : ويجوز أن تترجم إلى « في الدائرة السماوية » . ولدى تصفح هذه المواضع يتبين لنا ، أن « السماويات » بيئة روحية غير منظورة ، فيها يكثر نشاط القواات الروحية بما فيها قواات الشر التي تحاول أن تقاوم مقاصد الله في المؤمنين ، وقواات الخير المؤيدة لقصده تعالى . وفوقها جميعاً يتسلط المسيح ويسود بنفوذه العجيب الذي كسبه بقيامته من الأموات : ليجمع كل شيء في المسيح — ما في السموات وما على الأرض في ذلك » ( ١ : ١٠ ) « ويصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات »

## السماويات

(كولوسي ١: ٢٠) فهي لا تعني حالة مقبلة ، بل حالة راهنة . وخير ضمان لنا إزاءها ، أن المسيح متسلط عليها بمجده . فإن كانت هي ساحة مصارعتنا ، فإن المسيح هو ضامن ظفرنا . وإن كانت هي مستودع بركاتنا الروحية ، فإن المسيح هو ضامن تمتعنا بها . لأن به وفيه كل شيء لنا « ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى لأن التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية » (٢ كو ٤: ١٨) .

وإذا كانت هذه العبارة تعين دائرة البركات التي نتمتع بها ، فهي تعين مقامنا في المسيح: «الذي أقامه الآب وأجلسه عن يمينه في السماويات ، وأقامنا نحن أيضاً معه وأجلسنا معه في السماويات» (١: ٢٠ و٢: ٦) . فالمسيح هو هروننا الذي انسكب دهن المسحة على رأسه أولاً ، ثم نزل إلى طرف ثيابه . (ج) أساس هذه البركات ووسيطها : « في المسيح » . هذه العبارة من مميزات أسلوب بولس الرسول . ومع أنها وردت في كل رسائله أو جلها ، إلا أنها تكاد تكون وفقاً على هذه الرسالة ، وعلى رسالته إلى كولوسي . وقد وردت كلمة « المسيح » — في الأصل — تارة معرفة بأداة التعريف وطوراً مجردة عنها . في الحالة الأولى ، تشير إلى وظيفة المسيح . وفي الثانية تعني شخصه بالذات . وقد وردت هنا خالية من أداة التعريف ، لتعني شخص المسيح الذي « فيه باركنا الآب بكل بركة روحية في السماويات » . منذ القديم ، والأمة اليهودية تضع كل رجائها في « مسيا » الموعود ،

## في

فكانت كل انتظارات اليهود موجّهة إلى شخصه . وفي ملء الزمان ولد يسوع الناصري في بيت لحم اليهودية . لكن الأمة اليهودية كمجموع جهلت حقيقة — أو تجاهلتها — اذ اصطدمت بصخرة صليبه . ولما أعلن الله « سره » لبولس رسول الأمم ، طفق يعلم اليهود والأمم ، أن يسوع الناصري هو هو مسيا — المسيح المنتظر — الذي تمت فيه كل نبوءات العهد القديم ، فينبغي أن يكون هو محط آمال اليهود والأمم سواء بسواء . فهو رأس المؤمنين وهو رئيسهم ونائبهم الأعظم ، وقاطع العهد معهم ، وضامن عهدهم ، وأُس حياتهم ، ورأسهم الروحي . فهو الكرمة وهم الأغصان — لذلك هم « فيه » مباركون ، وفيه يقومون ، وفيه هم مقامون ، وممجّدون (٢ تي ١: ٩) . لأنهم متصلون به صلة حبوية ، فعلية ، فضلاً عن كونها شرعية .

ومن محيزات كتابات بولس الرسول أنه يقرن فيها اسم « يسوع » بوظيفته : « المسيح » ، إلا في المرات التي أراد أن يمدّثنا فيها عن ناحية من نواحي اتضاعه (٢ كو ٤ : ١٠) .

ومن العجيب حقاً ، أن بولس اليهودي الأصل يجعل جل تفكيره وتعليمه مركزاً ، لا في يسوع حسب الجسد ، بل في المسيح السماوي ، الإلهي الذي هو الله ظاهرآ في الجسد . فرسالته « من السماويات إلى السماويات » . فلا غرابة إذ سمعناه يقول : « إبدأ نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد إون كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد » (١ كو ٥ : ١٦) .

## المسيح

فالمدة التي قضاها المسيح على الأرض ليست كل حياته ولا هي جلها ، وإنما هي فترة قصيرة المدى ظهر فيها المسيح متضجاً . فهو أزل في وجوده . أبدي في كيانه . لكنه « افتقر لأجلنا وهو غني » ، « وإذا كان في صورة الله . . . أخذ نفسه آخذاً صورة عبد صار آفياً شبه الناس » . وإذا انتهت مدة اتضاعه « رفعه الله أيضاً وأعطاها اسماً فوق كل اسم » . ( ٢ كو ٨ : ٩ وفيلبي ٢ : ٦ - ٩ ) . إن معرفة بولس بالمسيح سارت على درجات متتابعة . فقد عرفه أولاً باعتبار كونه : « يسوع » المتضع ، المظطهد : « أنا يسوع الذي أنت تضطهده » ( أعمال ٩ : ٥ ) ، وفيما بعد وجد فيه « مسيحاً » المنتظر . وبعد أن تلقن هذا الدرس لقنه الآخرين : « وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود والسامكانين في دمشق محققاً أن ( يسوع ) هذا هو المسيح » ( أعمال ٩ : ٢٢ ) .

هذا هو المسيح المصلوب ، المقام ، الممجّد ، الجالس عن يمين العظمة في الأعلى المتسلط على كل القوات والسلطين ، الذي « فيه باركنا الآب بكل بركة روحية في السماويات » .

هذه هي البركات الموهوبة لنا فيه — من حيث طبيعتها ودائرتها ، وأساسها ، ووسيطها . وفيما بعد فصل الرسول ما سبق فأجمله في العدد الثالث ، سيما قوله : « في المسيح » . فأبان لنا أن هذه البركات ليست مستحدثة كما لو كانت فكرة طارئة على قصد الله وتديره ، بل هي بركات مقضى بها منذ الأزل ، ولذلك فهي أكيدة محقة .

## ٤ كما اختارنا

**عدد ٤ (١) الحلقة الأولى في سلسلة البركات الروحية — الاختيار .**

يحدثنا الرسول في هذا العدد عن أساس البركات الروحية الموهوبة لنا :  
اختيارنا في المسيح . ويرينا هذا الاختيار في أربعة أوجه : — ١ — حقيقة  
اختيارنا : « كما اختارنا » — ب — علة اختيارنا : « فيه » — ج — وقت اختيارنا  
« قبل تأسيس العالم » — د — غاية اختيارنا : « لنكون ... »

في هذا العدد شرع الرسول في تفصيل ما أجمله في عدد ٣ ، فاستهل  
كلامه بكلمة « كما » . إن هذه البركات الروحية موهوبة لنا « في  
المسيح » ، لأن الله سبق فاخترنا فيه منذ الأزل . فقبل أن يمد الله يده،  
اختار الموهوبين إياها . وقد باركنا في المسيح ، لأنه سبق فاخترنا فيه قبل  
كون العالم .

— ١ — حقيقة اختيارنا : « كما اختارنا » ، إن هذه العبارة ترجع بنا  
إلى ذلك القول الإلهي الوارد في سفر التثنية : « لأنك شعب مقدس للرب  
إلهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين  
على وجه الأرض » ( تث ٢٤: ٢ ) ، وقول المزمع « رنمو لاسمه لأن ذاك خلو » .  
لأن الرب قد اختار يعقوب لذاته وإسرائيل لمحبته » ( مزمور ١٣٥ : ٤ ) ،  
وقول الله على لسان إشعياء : « وأما أنت يا إسرائيل عبيدي يا يعقوب الذي  
اخترته . . . وقلت لك أنت عبيدي اخترتك ولم أرفضك » . . « هوذا عبيدي  
الذين أعضدهم مختاري الذي سررت به نفسي » . ( إشعياء ٤١: ٨ و ٩ ، ٤٢: ١ )

## فيه

غير أن الاختيار كما علمنا إياه العهد القديم ، يختلف صما عرفنا إياه العهد الجديد . فالأول يتناول الأمة اليهودية كمجموع ، والثاني يتناول المؤمنين أفراداً . وكان من الطبيعي أن يتحدث بولس الرسول عن الاختيار ، لأنه كان أحد أفراد تلك الأمة اليهودية ، التي اختارها الله من كل قبائل الأرض . وجدير بعناية كل دارس لكلمة الله ألا يغفل أن جل العقائد التي ينادي بها العهد الجديد ، إنما هي عقائد سبق فأوحى بها العهد القديم ، ثم صاغها العهد الجديد في قالب جديد . هذا يؤيد قول رب المهددين : « لا تقنوا أني جئت لآتقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لآتقض بل لأكمل » (مت ٥: ١٧) . وإنما الفرق بين شعب الله المختار في العهد القديم ، وشعبه المختار في العهد الجديد ، هو أن شعبه في العهد القديم كان منحصراً في أمة خاصة ، تتكلم لساناً خاصاً ، وتقطن أرضاً خاصة ، لكن شعب الله في العهد الجديد منبث في كل أمة ، وفي كل شعب ، وينطق بكل لسان ، لا تحده حدود جغرافية ولا تقيده قيود الزمن .

إن الاختيار ، كما علمنا إياه بولس الرسول ، هو رسالة خاصة ، بعث بها الله إلى أبنائه ، ليثبتهم في الإيمان ، ويحفظهم من كل ارتداد . ولم يقصد به قط أن يكون حجر صدمة يتعثر به الذين لم يؤمنوا بعد . وهو اختيار للخلاص والحياة ، لا للهلاك والموت ، فالخلاصون يتمتعون بنعمة الحياة نتيجة عمل إيجابي ففعال ، يجريه الله في قلوبهم ولكن الغير المؤمنين ينحدرون إلى الهلاك نتيجة

## قبل

حكم أصدروه هم على أنفسهم بعدم استحقاقهم الحياة الأبدية: «فجاهر بواس  
وبرنابا وقالوا . كان يجب أن 'تسلكوا' أتم أولاً بكلمة الله ، ولكن إذ  
دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هو ذات توجه إلى  
الأمم» (أعمال ١٣: ٤٦) . وما يسرى على الأفراد يسرى على الأمم.  
أضف إلى هذا ، أنه ليس اختياراً جهلياً كخبط عشواء، لكنه اختيار  
رشيد مبني على حكمة أزلية ، كامنة في قصد الله الأزلي ، فلا نستطيع أن  
نفهم أسرار الاختيار إلا متى أتيج لنا أن نعرف أسرار قلب الله: «فما أبعد  
أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء» .

ولا نفوتنا أن نشير إلى هذه الحقيقة الأساسية، وهي: «أن الاختيار ليس  
«جواز سفر» يتسلمه المؤمن ليدخل به السماء اعتباطاً ، وبغير قيد ولا شرط ،  
فيدوس به شريعة الله الأدبية وينتهك حرمة الأخلاق ، وإنما هو رادع داخلي  
قوي يرفع المؤمن عن الدنایا ، ودافع قوي يدفعه إلى سلوك طريق الله «اختارنا  
فيه لنكون قديسين وبلا لوم إقدامه في المحبة» . فالسماء مكان معد للناس  
معدتين .

فع أن الاختيار عمل إلهي مبني على مسرة مشيئة الله إلا أنه لا يلغى  
الإرادة البشرية ، فليس البشر آلات ميكانيكية صماء يدفعون إلى أفعالهم  
دفعاً ، وإنما هم خللاق مدركة عازلة تسير بناء وس التأثير والتأثر. ومن فرط  
حكمة الله وقدرته ، أنه يجعل الناس أحراراً يعملون ما يشاؤون ، وفي الوقت

## تأسيس

نفسه يكونون متممين مشيئته تعالى . وليس في الإمكان معرفة ما يحيط  
بالاختيار من أسرار إلا متى استطعنا أن نكشف ذلك الخيط السري الدقيق  
الذي يفصل بين إرادة الله، وإرادة البشر في حياة البشر .

— ب — علة اختيارنا : « فيه » : « كما اختارنا فيه قبل تأسيس  
العالم » — هذا هو الفصل الأول من سفر التكوين الجديد ، الذي كتبه  
بولس الرسول . إذ سفر التكوين الأول ، يتكلم عن الخليفة الطبيعية الأولى ،  
ولكن سفر التكوين الثاني يتكلم عن الخليفة الروحية الجديدة — خليفة  
النعمة . يستهل سفر التكوين الأول بالقول : « في البدء خلق الله السموات  
والأرض » . ويستهل سفر التكوين الثاني بالقول : « قبل تأسيس العالم  
اختارنا الله في المسيح » . فالمسيح هو كلمة الله « الذي به عمل العالمين » —  
فهو علة الخليفة الأولى . وهو أيضاً علة الخليفة الثانية وأساس اختيارها .

— ج — وقت اختيارنا : « قبل تأسيس العالم » — هذا دليل على أن  
أعمال الله في دائرة النعمة — نظير أعماله في دائرة الخلق والعناية — ليست  
بنات ساعتها ، ولا هي مرتجلة كما أنها فكرة طارئة ، لكنهما مدبرة تدبيراً محكماً ،  
لأن كل أعمال الله حلقات متماسكة في سلسلة واحدة . ولا شيء يوازي غنى  
حكمة الله وعلمه ، نظير غزارة نعمته ( رومية ١١ : ٣٣ ) . في رسالة أخرى تكلم  
الرسول عن اختياره هو للرسولية فقال : « ... سرّ الله الذي أفرزني من بطن  
أمي ودعاني بنعمته ، أن يعلن ابنه فيّ لأبشر به » ( غلاطية ١ : ١٥ و ١٦ ) ،



## العالم

وهنا في غرة هذه الرسالة ، يرجع بنا خطوتين إلى الماضي البعيد البعيد —  
الخطوة الأولى تسير بنا من بدء تكوين الفرد إلى بدء تكوين الجنس البشري ،  
والخطوة الثانية ترجع بنا من بدء تكوين الجنس البشري إلى ما « قبل تأسيس  
العالم » بأسره . وفي ذلك الزمن الذي يعتبر نقطة الزوال أمام الفكر البشري .  
« قد اختارنا الله في المسيح » .

إن هذا العالم الكائن قد خلق ورُتب على نظام خاص ، وإن هذا النظام  
المتين مبني على أساس معين ، وإن وراء هذا الأساس ، ففكر الإله الحكيم  
المدير . فالعقل البشري يستطيع أن يكتشف في العالم المنظور تلك الآثار التي  
طبعها عليه الفكر الإلهي الغير المنظور . فقبل تأسيس العالم وتكوينه ، كان  
الإنسان مائلاً أمام فكر الله ، في شخص المسيح الكائن قبل كل الدهور ،  
ففيه عرفنا الله وفيه تفكر فينا ، وفيه نظر إلينا ، وفيه اختارنا .

في عرف الحقيقة والواقع ، لا تفاوت في تدبيرات الله من حيث الزمن ،  
فليس في تدبيراته ما يحسب سابقاً ولا لاحقاً . ولكن في عرف المنطق ،  
واللغة التي يفهمها العقل البشري ، نستطيع أن نقرر أن الله اختارنا للفداء قبل  
أن يخلقنا ، أي أنه دبر أن يخلقنا الخليقة الثانية قبل أن يخلقنا الخليقة الأولى .  
فنجن إذاً مخلوقون للحياة التي أتاحها لنا النعمة ، لالاموت الذي قدّمته  
الخطية لأجرة للذين باعوا أنفسهم لها ، والملكوت الذي يرثه مباركوا الأب ،  
قد أعد لهم منذ تأسيس العالم » (متى ٢٥: ٣٤) ، وذبيح فدائنا قد دبر قبل

## لنكون قديسين

كون العالم : «عالمين أنكم اقتديتم .. بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (بطا ١: ١٨ - ٢٠) . وأبناء الملكوت ، قد سجلت أسماؤهم في سفر الفداء منذ تأسيس العالم» (رؤيا ١٣: ٨) . فالخلقة والفداء ، والطبيعة والكنيسة ، إن هي إلا حلقات متماسكة في سلسلة تدبير الله ، قد رُتبت سابقاً ، ثم نفذت . ومع أن اختيار المؤمنين للحياة الأبدية يرى لنا تاريخياً كأنه أحدث من اختيار الأمة اليهودية لأنه جاء بعد رفضها ، إلا أنه في الحقيقة والواقع مدبر في فكر الله «قبل تأسيس العالم» .

— د — غاية اختيارنا : «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» في تربة الاختيار تنمو نبتتان جميلتان في جو حسن جميل ، أما النبتتان فهما : القداسة ، وعدم اللوم . وأما الجو : فهو : «المحبة» . في هذا أكبر دليل على أن الاختيار لا يدفع الناس إلى التوغل في مجاهل الشر والفساد ، بل هو أكبر مشجع يرفعهم إلى مستوى القداسة وعدم اللوم «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» .

رغب بعض المفسرين في اعتبار هذه العبارة وصفاً لموقفنا النظري كما يرانا الله في المسيح ، ونعتقد نحن — مع الترجمة العربية — أن هذه الجملة تصف تصرفنا العملي نتيجة تمتعنا ببركات الفداء ، فمع أننا في المسيح

## وبلا لوم قدامه

«قديسون وبلا لوم» حكماً وشرعاً ، إلا أنه من الواجب أن نكون أيضاً «قديسين وبلا لوم» فعلاً واختباراً .

والفرق بين القداسة وعدم اللوم ، هو أن القداسة اختبار داخلي ، لكن عدم اللوم حالة خارجية . فالأولى أساس الثانية ، والثانية ثمرة الأولى وحيثتها . الأولى تصف حالة إيجابية ، والثانية تصف حالة سلبية . الأولى حالة كمالية ، والثانية حالة ممكنة . فقد يكون الإنسان «بلا لوم» من حيث المنتظر منه ، ومع ذلك يكون بعيداً عن مستوى القداسة الراقى . إن كل قديس بلا لوم ، لكن ليس كل من هو بلا لوم قديساً .

«قدامه» .. مأرهب الحياة المسيحية ومأرحبها ! لأن المؤمن يقضى كل حياته «قدام الله» . هذا دليل على أن القداسة التي يتصف بها المسيحي الحقيقي ، ليست قداسة سطحية وإنما هي قداسة داخلية عميقة ، لأن عيني الله مخترقتان كل حجاب .

قبل أن تُقدم الذبيحة في العهد القديم ، كان ينحصرها الكاهن ليحرف ما إذا كان فيها عيب ، ومتى تبين له أنها «بلا عيب» ، كان يقدمها على المذبح . وبما أن كاهننا الأعلى وذبيحتنا الأعظم ، قدم نفسه عنا «بلا عيب ولا دنس» وجب أن يكون المختارون فيه ، مثله — «قديسين وبلا لوم» .

«في المحبة» : هذه العبارة — كما وردت في الأصل — قد تصف ما قبلها أو ما بعدها ، ونحن نميل إلى اعتبارها وصفاً لما قبلها . فهي الجوالمقدس

## في المحبة . ٥ إذ سبق

الذي تنمو فيه القداسة وترعرع . وحجبتنا في هذا : — أ — أن نفس هذه العبارة وردت خمس مرات آخر في هذه الرسالة على اعتبار أنها من الفضائل المسيحية ( ١٧: ٣ ، ٤: ٢ و ١٥ و ١٦ ، ٥: ٢ ) . — ب — إن مقامها في هذه القرينة ، بمثابة الصدى لصوت اختيار الله لنا ، فهي خير حجة على أن نعم الله لم تسبغ علينا عبثاً . فالله ، من جانبه ، اختارنا « حسب مسرة مشيئته » لنكون نحن من جانبنا قديسين وبلا لوم قدامه « في المحبة » التي هي أسّ الفضائل ورباط الكمال . وليس بخاف أن ما في قلوبنا نحن البشر من محبة ، ليس سوى صدى محبة الله لنا ، ومما يحبتنا الله إلاّ فتح قلوبنا لتتشر فيها أشعة أنوار محبة الله — « نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً » . إن قوله « قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة » ليس أساس اختيار الله لنا ، بل هو غاية هذا الاختيار ، فلم يختارنا الله لكوننا « قديسين » ، بل لنكون « قديسين » لأنه اختارنا ونحن خطاة ليقدمنا .

عدد ٦ و ٥ ( ٣ ) الحلقة الثانية في سلسلة بركاتنا الروحية — التبني .

- نرى في هذين العديدين — أ — حقيقة التبني . « عيننا للتبني » .  
 — ب — الوقت الذي فيه تبنانا الله : « سبق فعيننا » — ج — وسيط التبني : « يسوع المسيح » — د — علامة التبني : « حسب مسرة مشيئته » .  
 — ه — غاية التبني : « لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في البر »  
 — أ — حقيقة التبني : « إذ سبق فعيننا للتبني لنفسه » .

## فمبنا

التبني في اصطلاح علماء اللاهوت «هو فعل نعمة الله المجانية، الذي به تُقبل في عداد بني الله فيصير لنا حق في جميع أنعماتهم». وكلمة «تبني» يُراد بها اتخاذ شخص ابناً، ومعاملته كذلك. فالمتبنيون ليسوا أبناء بالطبيعة، لكنهم محسوبون كذلك، لا شيء صالح فيهم، ولا تفضل يُنتظر منهم، بل لمجرد نعمة الله المجانية. فقد يتفق لأحد الموسرين أن يزور أحد ملاجيء اليتامى أو اللقطاء، فيعجب بذلك أحد الأولاد، ويكون الزائر بلا ولد، فيتخذ ذلك اليتيم ابناً له. ولكن الله قد تفضل كرمًا منه، فتبنانا لنفسه، ونحن نجسون لا شيء، فينا يدعو إلى الإعجاب أو الحب، فضلاً عن ذلك، فإن الله لم يعوزه أبناء، إذ كان يكفيه أن يتمتع بالمسيح ابن محبة الأوحدة، «وكنّا نحن بالطبيعة أبناء الغضب — لا أبناء المحبة — كالباقين أيضاً»، لكن الله حسبنا أبناء له تعالى. هذا هو تبني النعمة. وهو يختلف عن التبني العام، في أن الثاني يُراد به حسابان جميع البشر أبناء الله، باعتبار كونهم خالقهم وحافظهم. لكن «تبني النعمة» يُراد به اختيار الله بعضاً من الناس ليكونوا أبناءه، بنوع خاص يمتاز عن بنوة البشر العامة. وفي الوقت نفسه لا يبلغ مرتبة بنوة المسيح لله، لأن بنوتنا اكتسابية بالحسابان، لكن بنوة المسيح حق جوهرى وصلة أزلية هذا هو التبني، الذي ظل فكرة غامضة مبهمّة في العهد القديم، فأراق عليه تجسد المسيح نوراً سماوياً ساطعاً، أَرانا فيه امتيازاً مجيداً يتمتع به انفراد نتيجة إيمانه بالمسيح (غلاطية ٣: ٢٦، ٤: ٤ و ٥، يوحنا ١: ١٢ و ١٣)، بعد أن كان حقاً مشاعاً على الأمة اليهودية (مزمو ١٠٣: ١٣، هوشع ١: ١١).

## للتبني

«لنفسه» — هنا يلتقي طرفا درج التبني — فباعثه ونشأته من قلب الله ، وما له إليه تعالى .

ب — الوقت الذي فيه تبنانا الله : «إذ سبق فعيننا للتبني» \* معروفة لدى الله منذ الأزل ، كل أعماله \* فالمستقل مائل أمامه كالماضي ، والحاضر \* فمن هذا القبيل ليس في أعمال الله سابق ولا لاحق ، ولكن في لغة المنطق ، أو بالحري في عرف اللغة التي يحاول العقل أن يفهم بها شيئاً عن أعمال الله ، قد عرفنا الرسول أن التبني سابق للاختيار . لأن قوله «إذ سبق» عائد على قوله «اختارنا فيه» فالله سبحانه وتعالى ، أحبنا أولاً ، ثم عيننا للتبني ، ومن ثم اختارنا ليحقق فينا هذا القصد المجيد كل هذا قد دبره الله قبل تأسيس العالم (رومية ٨: ٢٩).

في العدد السابق استعمل الرسول كلمة : «اختارنا» ، وفي هذا العدد استعمل كلمة : «عيننا» — وهما تعبيران إلهيان لحق واحد - والفرق بينهما — على الغالب — هو أن أولاهما : «اختارنا» تشير ضمناً إلى معدن الخطأ الذي إنقنا الله منه ، وثانيتها : «عيننا» تشير إلى الامتياز الذي رفعنا الله إليه فالأولى ترجع بنا ضمناً إلى «المنجيم» الذي أخذنا الله منه . والثانية تشير إلى المقام الذي وضعنا الله فيه . الأولى تشير إلى الأشخاص ، والثانية تشير إلى الغاية التي اختيروا لها . ومادما أولاداً لله ، فكل ما لله لنا . وجميع الأشياء تعمل معاً لخيرنا . والثقة المتبادلة بيننا وبينه من نصيبنا . والهداية والإرشاد من حقنا . ومجد الخلود ، وخلود المجد ، لنا .

## يسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته

ج — وسيط التبني : « يسوع المسيح » . في المسيح اختارنا الله ،  
وبه عيّننا للتبني ، فهو وسيط الاختيار ووسيط التبني . فيه رأينا الله قبل أن  
نخلق ، فأحبنا . وبه تبنانا لنفسه . وقد تم لنا هذا الامتياز بواسطة تجسد  
المسيح وموته على الصليب ، وكما أن المسيح هو الوسيط الذي به تبنانا الله .  
فهو أيضاً الوسيط الذي به تتمتع بهذا الامتياز ، بإيماننا باسمه ( يوحنا ١: ١٢  
وغلاطية ٣: ٢٦ ) .

د — باعث التبني : « حسب مسرة مشيئته » . إن هذه العبارة عائدة  
إلى ما قبلها إلى بدء العدد الرابع : « كما اختارنا فيه » . فهي تصف الباعث  
الإلهي للاختيار والتبني معا . وقد وردت في الكتاب المقدس بمعنىين :  
أولهما : سلطان الله المطلق الذي به يدبر كل ما يحسن في عينيه ، بعيداً عن  
كل مؤثر أو دافع ، أو باعث خارجي ، ومن غير أن يكون في حاجة إلى تقديم  
حساب عن أعماله ، بدليل ما جاء في متى ٢٦: ١١ ولوقا ١٠: ٢١ . والمعنى الثاني  
يشير إلى رضى الله ونعمته ، وتمطقه المتفاضل على أبنائه ، وإرادته الصالحة  
المرضية الكاملة نحوهم . هذا ، في الغالب ، هو المعنى الذي أرادته الرسول هنا ،  
وفي سائر كتاباته ( رومية ١٢: ٢ ) . فالاختيار ينطوي على محض مسرة الله  
التي أظهرها نحو شعبه ، فلا يداخله شيء من غضب الله على غير المؤمنين لأن  
الاختيار هو علة خلاص المؤمنين ، لكنه ليس علة رفض الغير المؤمنين . فإذا  
حق للمختارين أن يفرحوا به وأن يشكروا الله عليه ، فلاحق لغير المخاضين  
أن يتذمروا أو يشكروا منه لأنه ليس علة هلاكهم . وإنما العلة هي عدم إيمانهم .

## ٦ مدح مجد نعمته

عدد ٦ | هـ - غاية التبني : «مدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»

هنا تتجاوب الغاية النهائية مع العلة الأساسية. فالعلة الأساسية هي «مسرة مشيئته»، والغاية النهائية هي: «مدح مجد نعمته». العلة الأساسية هي: «نعمة الله المجانية»، والغاية النهائية هي: «مدح مجد هذه النعمة».

إن نعمة الله ، مجانية في أساسها . فليس لها من دافع سوى نفسها ، فلا تستدرّها الدموع ، ولا تستعطفها الأنات ، إلا إذا كانت حرارة القتيلة المدخنة تضيف شيئاً إلى حرارة الشمس ، وهي مجانية في طريق الحصول عليها ، فلا الذهب يشتريها . ولا الحسنات تحييها ، ولا الصلوات تغذيها ، فهي منبت الحسنات . ومبعث الصلوات ، وهي مجانية في غايتها ، لأنها لا تنتظر من المنعم عليهم أجراً ولا شكوراً .

يحدثنا هذا العدد عن ثلاث حقائق متعلقة بالنعمة (١) مجد النعمة.

(٢) مدح مجد النعمة . (٣) وسيط النعمة؛

(١) «مجد نعمته» . بما أن هذه النعمة منحدرة على البشر من علوّ

شاهق ، وصادرة عن الله ذي الجلال والإكرام والمجد ، فهي إذاً نعمة ذات مجد ، لأنها مشتقة من غنى الله في المجد ، ولأنها ترفع المتمتعين بها إلى ذرى المجد — فهي كال مياه ، ترتقى إلى المستوى الذي منه نبعث ، وهي ذات مجد لأنها مظهر كمال الله المجد ، ومجلى صلاحه المطلق ، ومجتمع صفاته القدسية



## التي أنعم بها علينا

المجيدة ، فجد النعمة هو كمالها ، وفيضها ، ومجانييتها ، وتنازلها ، وسموها . فكما أن مجد الله هو التناسق المتكوّن من مجتمع صفاته ، كذلك مجد النعمة هو التناسق المتكوّن من مجتمع كل مزاياها .

(٢) « مدح مجد نعمته » إن الطوة السحيقة التي هوى إليها البشر ، قدّمت مجالا متسعاً لإعلان مجد نعمة الله ، وإعلائه . فمع أن مجد نعمة الله عال ، وسام في ذاته ، سواء أخلق البشر وافتدوا أم لم يخلقوا ويفتدوا ، إلا أن لوحة خطايا البشر السوداء ، كانت أداة لإظهار مجد نعمة الله ، وإعلائه وإعلائه للرؤساء والسلاطين في السماويات والأرضين . فلو كان البشر أطهاراً في أنفسهم ، أو كان لهم أقل يد في تخليص ذواتهم ، لنقص جمال مجد نعمة الله . فجد نعمة الله ، ظاهر في مجانييتها وفي المسافة الشاسعة التي قطعتها النعمة في تنازلها من السماء إلى أركان الأرض السفلى ، وفي رفع الخطاة من مهاوى الفساد إلى أوج المجد ومدح مجد هذه النعمة ، هو إظهار هذا المجد ، وشكر الله عليه ، والتغنى به ، ليعرفه كل دان وقاص « إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح » (رومية ٣: ٢٣ و ٢٤) ، « لكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدّها للمجد . . . التي أيضاً دعانا نحن إليها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً (رومية ٩: ٢٣ و ٢٤) .

بهذا تتجلى نعمة الله بمجد وجلال ، فتمتدح وتشكر دائماً أبداً .

(٣) وسيط النعمة : « التي أنعم بها علينا في المحبوب » . إن وسيط

## في المحبوب ٧. الذي فيه

النعمة هو هو وسيط اختيارنا وتبنيينا. فيه اختارنا الآب، وفيه تبنا، وفيه أنعم علينا نعمة فائقة، وفيه باركنا بكل بركة روحية في السماويات. هذا هو المسيح «ابن محبته» (كولوسي ١: ١٣). هذا هو المحبوب من الآب منذ الأزل حبا أبدياً فائقاً، لا يشاطره إياه أحد سواه. هذا هو الابن الوحيد الذي «هو في حضن الآب» (يوحنا ١: ١٨).

كما أننا «في المسيح» ابن الله الوحيد، صرنا أبناء، كذلك «في المسيح» المحبوب من الآب حبا ممتازاً، صرنا محبوبين، فأنعم علينا الآب الغني في المجد، بنعمة غنية متفاضلة.

### عدد ٧ (٣) الحلقة الثالثة في سلسلة البركات الإلهية — الفداء.

إلى هنا حدثنا الرسول عن البركات الروحية السماوية التي أغدقها الله علينا في المسيح — من اختيار سابق، وتين وفق تدبير معين، بدافع من نفسه، لرفع لواء مجد نعمته التي أنعم بها علينا في ابن محبته. وجدير بالاعتبار، أن الرسول لم يذكر إلى الآن شيئاً عن الخطية، ولا عن التوبة التي منها اختارنا الله، فيكاد القارئ يعتقد، أن هؤلاء الذين اختارهم الله وعينهم للتبني، إنما هم أطهار بالفطرة، وقد يسون بالطبيعة، لم يترفوا أثماً ولم يرتكبوا جريمة. لكن العدد السابع ينم عن طبيعة أصلهم، وحقيقة حالهم: «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا». فالمتخسرون كانوا أصلاً غارقين في لجج الآثام والخطايا. والمتبنون كانوا «بالطبيعة أبناء

## لنا الفداء

الغضب كالباقين أيضاً . فالفضل في اختيارهم ليس لأصلهم ولا لحالهم ، بل لله وحده .

إن كلمة « فداء » تعني الفسك من الأسر بواسطة دفع فدية أو دية . والتمن الذي دفعه المسيح فدية عنا هو دمه الثمين . هذا ما سبق فأنبأ به تلاميذه (مت ٢٠: ٢٨)

والدم كما ذكر في الكتاب المقدس ، له قوة التكفير عن ذنب ، والفسك من أسر ، وتثبيت عهد ، وإزالة معصية .

فما أتمن هذا الدم الكريم ! فهو أساس فدائنا (أفسس ١: ٧) . وأداة تبريرنا (رو ٨: ٣) . ومطهر ضمائرنا (عب ٩: ١٤) . ورأس شركتنا مع الله (١ يو ١: ٧) . و تمن السلام والمصالحة معه (١ كو ١: ٢٠-٢٢) . ولقد أشار الرسول في هذا العدد ، إلى الفداء ، باعتبار كونه امتيازاً يملكه المؤمنون المظتممون في المسيح ، رأسهم الأعلى ، ورئيسهم ، وهو يركة يتمتعون بها في الحال . هذا واضح من قوله : « الذي فيه لنا الفداء » . فالفداء بركة حالية وإن كان في كماله رجاء عتيداً (رو ٨: ٢٣) .

ومن الحقائق التي عرفنا بها الرسول في هذا الفداء : — ١ — وسيطه « فيه » . ما أغنى هذه الكلمة الصغيرة ، المركبة من حرف جر : « في » ، ومن ضمير الغائب « هـ » التي هي في عرف لغة النعمة ، كلمة مركبة من حرف رفع وبتاء . ومن ضمير المنفرد العلم الحاضر في كل زمان ومكان — « في المسيح » . « فيه » تم اختيارنا . وتعييننا للتبني ، وفيه حق لنا الفداء .

## بدمه

— ب — وسيلته : « بدمه » — دم المسيح حمل الله السكريم ،  
الذى رفع خطية العالم . إن هذه الوسيلة التى تم بها فداؤنا ، تعين طبيعة  
هذا الفداء — فهو فداء كفارى ، لم يتم بمجرد رغبة من الله ، ولا بكلمة  
صدرت عنه ، ولا بمقدرة كامنة فيه ، بل بدم ابن محبته الذى مات عنا طوعاً  
واختياراً . فهو فداء كريم ، كاف الآب تضحية ابن محبته ، وكلف ابن محبته  
تضحية نفسه وحياته — والجسد بالنفس أقصى غاية الجود . وقد ذكر الرسول  
هذا الفداء معرّفاً إياه بأداة التعريف ، فقال « الفداء » ، مميّزاً إياه عن كل  
أشباه الفداء وظلالته ، التى تمت فى العهد القديم وفى نظم أخرى — بدم  
كباش وحمالان . ويدهى أن الله المقتصد فى كل تدبيراته ، ما كان ليجرى  
فداءنا بدم المسيح لو كان فى الإمكان تفادى هذا الثمن العظيم : « كريمة  
هى فدية النفوس فغلقت إلى الدهر » . يُضاف إلى هذا ، أن كرامة الشريعة  
الإلهية فوق كل كرامة ، لأن كرامة الشريعة مشتقة من كرامة صاحب  
الشريعة . فالإله الذى أراد أن يغفر خطايا البشر ، هو بذاته الذى قال « إن  
النفس التى تخطئ هى تموت » . فبر الله يتطلب احترام شريعته بأداة كل  
نفس تخطئ . ورحمة الله تنادى بمغفرة خطايا الفجار الآثمة . فليس فى السماء  
ولا فى الأرض ملئقى لبر الله برحمته سوى الصليب ، لذلك قدّم الله ابن  
محبته فداء وكفارة عن خطايا البشر . ولو كان فى الإمكان أن يكتفى فى أمر  
الفداء بمجزات المسيح ، أو بأمثاله وتعاليمه ، أو بحياته وسيرته . لما وجد داع

## غفران الخطايا

لإراقه قطرة واحدة من دمه الثمين على الصليب، فالصليب إذا ضرورة ملجئة، قضت بها رحمة الله في التقائها بعدائه.

— ج — ثمرة الفداء : «غفران الخطايا» — هذه هي الثمرة الناضجة

التي يناها مقديو يسوع المسيح — «غفران الخطايا». فما هو هذا الغفران؟ إذا اعتبرناه عاطفة قلبية، قلنا إنه ارتداد تيار غضب الله عن الخطاة، وتدفق تيار رضوانه تعالى عليهم. وإذا حسبناه قوة أدبية، قلنا إنه كسر شوكة الآلام المبرحة التي ينشئها الضمير اللوام المحتج في قلب الإنسان. وإذا نظرنا إليه باعتبار كونه حقيقة شرعية، قلنا إنه رفع العقاب الذي يستحقه البشر بسبب خطاياهم. فالغفران إذاً هو عاطفة قلبية شريفة، أظهرها الله نحو البشر، وهو قوة أدبية تتسرب في قوى الإنسان النفسية، وهو حقيقة شرعية، يتمتع بها الخاطئ المتبرر مجاناً بنعمة المسيح. فهو نعمة متدفقة من قلب الله، وهو أثر أدبي متصل بالضمير وهو حكم شرعي يحظى به الخاطئ تجاه الناموس.

إن الكلمة المترجمة «خطية» : تعني حرفياً «الخروج عن الخط» أو «الانحراف عن السبيل» أو «عدم إصابة المرمى» (رومية ٤: ٢٥، ٢ كور ٥: ١٩، كولوسي ٢: ١٣) وقد استعملت أيضاً للتعبير عن الارتداد (عب ٦: ٦).

غير أن الغفران، لا يزيل الآثار الطبيعية التي تتركها الخطية في حياة المرء. فقد يصفح الإنسان عن خطية صديق اتهمه بخانه وجرده من كل ما يملك، لكن هذا الصفيح لن يرد لذلك الصديق الخائن تلك الثقة التي

## حسب غنى نعمته

أضاعها ، وقد تصفح زوجة طيبة ، وهي على فراش الموت ، عن خطايا زوج خائن ، لكن هذا الغفران لن يترجع لذلك الزوج تاج وفائه الذي حطمه تحت قدميه القاسيتين ، والشاب الذي يعيث بزهرة طهارته ، لن يستعيد لها ولو ذرفت منه دموع التوبة مدراراً ، أو تساقطت سحب ندامته أمطاراً .

— ج — قياس الفداء وغفران الخطايا : « حسب غنى نعمته » . هذا هو قياس الغفران الذي أثمره لنا الفداء ، وهو قياس الفداء الذي أثمر الغفران . فمثل الفداء والغفران مثل شجرة وثمرها ، ومتى ذكرنا أن غنى نعمة الله لا يُحد ، نحققنا أن هذا قياس بغير قياس ، وحد غير محدود .

إذا كانت غاية بركات الله علينا ، مدح مجد نعمته ، فإن باعث هذه البركات وقياسها — غنى نعمته . ومن الملاحظ ، إن كلمة « غنى » — وقد وردت في الأصل بصيغة الجمع — هي إحدى مميزات كتابات بولس الرسول ، لأنه وجد لذة خاصة في التعبير بها عن بركات الله وآلائه ، ونعمه ( أفسس ١: ١٨ ، ٢: ٤ ، ٣: ٧ ، ٤: ٨ ، ٩: ١١ ، فيلبي ٤: ١٩ ، كولوسي ١: ٢٧ ، ٢: ٢ ) .

في جمال الطبيعة نستطيع أن نرى شيئاً من غنى جمال الله ، وفي دقة النواميس المحيطة بالكون ، نشهد شيئاً من غنى حكمة الله ، وفي قوة المادة وقدرتها ، نستطيع أن نلمس شيئاً من غنى قدرة الله ، لكننا في الصليب وحده نستطيع أن نرى غنى نعمة الله .

على أنه وإن تكن بركات الله . وهوبة لنا « حسب غنى نعمته » ، إلا

## ٨ التي أجزلها لنا

أنا لا نتمتع بها، إلا على قدر ما نوسع في قلوبنا مكاناً لها : « افقر فاك فأملأه » . فقياس البركات من حيث مصدرها هو غنى نعمة المعطى .  
وقياس هذه البركات من حيث الاستمتاع بها ، هو درجة إيمان المعطى .  
فما أعظم غنى الله ، وما أكبر مسئولية الإنسان .

عدد ٨ و ٩ و ١٠ | (٤) الحلقة الرابعة في سلسلة البركات الإلهية —

الحكمة والفطنة : في هذه الأعداد ذكر الرسول الحلقة الرابعة في سلسلة البركات الإلهية الموهوبة للمؤمنين — الحكمة والفطنة . فأشار إلى هاتين البركتين ، إشارة مجملة في عدد ٧ ، ثم فصلها في الأعداد ٨ — ١٠ ، فذكر المعلنات الإلهية التي كفلتها لنا الحكمة والفطنة الموهوبة لنا من إله النعم والعطايا : ومن فرط غنى الله ، وحكمته ، ونعمته ، أنه لم يكتفِ بأن أنعم علينا بالقضاء حسب غنى نعمته ، بل أفاض علينا نعمته ، وأردفها بفضيلتين ناجتتين عنها : الحكمة والفطنة . وقد حرص الرسول على أن يرينا غنى هاتين الطبتين فقال : « كل حكمة وفطنة » — فالله قد وهبنا هاتين النعمتين بأعلى قياس . هذا دليل آخر على غنى نعمته ، وفيض سخائه ، إذ أفاض علينا كل حكمة وفطنة . بل هذا برهان حكمته المتعالية ، لأنه لم يقتصر على أن يهبنا نعمة القضاء ، بل وهبنا مع القضاء كل حكمة وفطنة ، لنميز بركات القضاء ، ونقدرها حق قدرها ، فنستمتع بها ونشكر الله عليها ، وإلا فما قيمة اللائى والجواهر في نظر غر جهول لا يعرف قدرها ؟ وفي إمكاننا أن

## بكل حكمة وفطنة

تتحقق شدة لزوم هاتين اللمبتين — «الحكمة والفطنة» ، متى ذكرنا أن بين الذين يكتب إليهم بولس ، قوماً هم عبيد وخدم (٥: ٦ — ٩) . ومع أنه من الجائز أن نفسر هاتين الكلمتين على اعتبار أنهما صفتان للاله المعطى ، كما ارتأى بعض المفسرين ، إلا أنهما نعمتان موهوبتان للانسان المعطى ، فالحكمة (فرونيزيس) هى القدرة التى بها ندرك حقيقة مقاصد الله المعلنه فى إنجيله الطاهر ، ونميز بركات القداء . والفطنة (صوفيا) هى الشعور الباطنى الذى به نتمتع بما تدركه الحكمة .

الحكمة لغةً ، هى العلم بحقائق الأشياء — وهى عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل الوسائل — وضدها الجهالة .

والفطنة هى الحدق والفهم . وقد تُفسر بجودة تهيو النفس لتصور ما يرد عليها من الغير — وتقابلها الغباوة .

فاذا كانت الحكمة هى العلم بحقائق الأشياء ، فالفطنة هى تذوق ثمره العلم .

وإذا كانت الحكمة هى الوصول إلى أفضل الغايات بأفضل الوسائل .

فالفطنة هى الحيلة والاتزان والتدبير فى استعمال هذه الوسائل .

الحكمة هى إحدى ملكات العقل والإدراك بها نحاط علماً بالأشياء .

والفطنة تتعلق بالفهم والتمييز ، بها نقارن بين الغث والسمين فننتخير

السمين ونوجهه أحسن اتجاه فى حياتنا .

إن الحكمة التى يعنىها الرسول فى هذا الباب ، تختلف عن الحكمة



## ٩ إذ عرفنا بسر

الكلامية التي وبخ السكور نشين عليها . هذه حكمة «أسرار» عملية ، مشبعة ، ومروية ، وتلك حكمة مباحكات سفسطية لا تشبع إلا لتجميع ولا تروى إلا لتعطش . هذه حكمة الجهلاء الحكماء (مت ١١: ٢٥) ، وتلك حكمة الحكماء الجهلاء (كولوسي ٢: ١٨) . إن خير سلاح نصرع به كبرياء المعرفة العقلية ، ليس الجهالة الفكرية ، بل الحكمة القلبية .

فنعمة الله تعزى القلب ، وتغذى العقل ، وتنير الضمير ، وتشحذ العزيمة ، وتقوى الإرادة .

ب — مشتعلات الحكمة والفطنة : « إذ عرفنا . . . »

في هذه الأعداد (٩ و ١٠) ، فصلَّ الرسول ما سبق فأجمله في العدد السابع ، فذكر « سر » القداء الذي كان مكتوماً منذ الدهور ، إلى أن جاء الوقت المعين لإذاعته ، ومن ثم أعلن لنا تجسد المسيح الذي سرَّ الآب أن « يجمع فيه كل شيء — ما في السموات وما على الأرض » .

إن كلمة « سر » كما وردت في العهد الجديد تحمل معنى غير الذي تحمله الآن . فهي بحسب الاستعمال الحاضر ، تعني الأشياء التي تعجز عن فهمها حتى بعدما نحاط علماً بها — مثال ذلك : « ميلاد المسيح من عذراء » ، و « اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح » ، « وكون الله ثلاثة أقانيم في إله واحد ، والهاً واحداً في ثلاثة أقانيم » ، لكن كلمة « سر » في هذا العدد ، تعني الخبر المكتوم في الصدر إلى أن يجيء وقت الإفصاح عنه ، ومن ثم يصبح العلم به في حيز الإمكان . فهي تعني « المجهول » الذي يصير معلوماً بإذاعته ، وإنه علا ،

### مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه

وكشفه ( رؤ ١: ٢٠ ، ١٧: ٧ ، متى ١٣: ١١ ) . وفي الغالب استقى بولس الرسول كلمة «سر» من مصادر يهودية كفر دانيال ومن الملاحظ أن البقية الباقية من السفر التاريخي القديم ، المعروف بسفر أخنوخ — وهو أحد الأسفار غير القانونية — يكثر فيه ورود كلمة «السر» الإلهي الذي أحيط به البشر علماً .

ومن المحتمل ، أن بعض الهيئات اليونانية التي كان لبعض أعضائها كنيسة أفسس علاقة بها ، قبل إيمانهم ، كانت تحتفظ «بأسرار» لها ، فلا تقضى بها إلا لأخصاء من تابعيها ، يكونون حازنين على اختبارات معينة ، ومن المحتمل أن بولس كان يخاطب أمثال هؤلاء القوم بلغتهم ، مظهر أنهم أن المسيحية ليست خالية من «الأسرار» ، لكنها عامرة بالأسرار الشريفة الراقية ، الإلهية ، التي أعلنت للبشر بتجسد «الكلمة» الحى .

أما هذا «السر» الإلهي ، الذي أعلن لنا بتجسد المسيح فهو سر مشيئة الله في الفداء وفي العناية ، إذ «قصد أن يجمع كل شيء في المسيح في ملء الأزمنة» . فموضوع الحكمة والفتنة إذاً هو معرفة مشيئة الله . ومن أوصاف هذه المشيئة — ١ — أنها صالحة ومرضية ، منعمة رحمة وسعادة وهناء للبشرية ، لذلك قال فيها الرسول : «حسب مسرة مشيئته» . وهي أيضاً مشيئة مستقلة منبعثة من قلب الله مباشرة ، غير خاضعة لمشورات ولا لمؤثرات خارجة عنه ، لأنه قصدها «في نفسه» ، أي «في فكره» ، وفي أعماق قلبه .

ويفضل بعض ثقات المفسرين أن يفسر كلمة «فيه» على اعتبار أن

## ١٠ لتدبير ملء الأزمنة

قصد الله تم في المسيح المتجسد والمصلوب ، والمقام ، والمجد ، الذي فيه يجتمع كل شيء ( أفسس ١١:١ ورومية ٨:٢٨ ، ٩:١١ ، ٢:١ ) .

عدد ١٠ | (٢) إن قصد هذه المشيئة — أوبالخرى ، مشيئة هذه

المشيئة — هو إن « يجمع الله كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض » . وقد عبر الرسول عن هذا القصد بكلمات أخرى إذ قال : « تدبير ملء الأزمنة » . إن أفضل تفسير لهذه العبارة الأخيرة ، هو ما جاء في ص ٣ : ٨-١١ من هذه الرسالة عينها : « لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى . وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور ، في الله خالق الجميع يسوع المسيح لكي يُعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة . حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا » « تدبير ملء الأزمنة » — هذه أول مرة نلتقي فيها بكلمة : « تدبير » في هذه الرسالة . وهي من مميزات كتابات بولس الرسول . وقد وردت خمس مرات في العهد الجديد : « لهذه الأمة مصالح بتدبيرك » ( أعمال ٢:٢٤ ) ، « لا تصنعوا تدبيراً للجسد » ( رومية ١٣:١٤ ) ، « لتدبير ملء الأزمنة » ( أفسس ١:١٠ ) ، « سمعتم بتدبير نعمة الله » ( أفسس ٣:٢ ) ، « حسب تدبير الله المعطى لي » ( كولوسي ١:٢٥ ) . والكلمة في معناها النهائي تنطوي على الحكمة ، والاقتصاد ، والعناية ، وبعد النظر . وقد استعملت ابتدائياً — في اليونانية

## ليجمع كل شيء

والعربية — للتدبير المنزلي . ثم صممت لتشير الى تدبير الكنيسة . لذلك وصفت بها طغمة خاصة من خدام الكنيسة — «الشيوخ المدبرون حسناً» ( ١ تي ٥: ١٧، ١ كو ١٢: ٢٨ ) .

ويعتقد الدكتور مواليه ، أنها تعني «وكالة» أو «توكيل» . أي أن يسوع المسيح هو الوكيل الأعلى لبית الله الذي هو كنيسته تعالى ، وقد وضعت في يديه مقاليد جميع شئون الكنيسة والكون . وفي ملء الأزمنة يكون كل شيء وكل شخص مركزاً فيه ، ويكون هو رأساً ورئيساً لكل ما في السموات وما على الأرض . والمستفاد من كلمة «ملء الأزمنة» . أن سياسة الله للكون في دائرة القداء وفي دائرة العناية — تسير على نظام تدريجي متناسق ، فلا تسكتمل إلا في عصور متعاقبة ، وأدوار متوالية : فالتجسد تم في ملء زمن معين ( غلاطية ٤: ٤ ) ، وكذلك استقر الروح القدس في الكنيسة في ملء زمن آخر معين ، وستتم الكرازة بالانجيل في ملء زمن آخر معين . ومن ثم ننتقل من ملء «أزمنة النعمة» تدريجياً الى ملء «أزمنة المجد» . وفي هذا إشارة ضمنية إلى ما جاء في سفر دانيال : « زمان و زمانين ونصف زمان ( دانيال ٧: ١٢ ) . أو بعبارة أخرى : أن الأب دبر أن يكون الابن سيداً ، ورأساً ، ومديراً ، ومديراً لكل شيء في عصور النعمة المتعاقبة ، التي ستنتوج وتختتم بعصر المجد . فالمجد هو النعمة في نضوجها وإثمارها ، والنعمة هي المجد في بدايته وازهاره . أما ماهية هذا التدبير فتدأ وضحها الرسول فيما

## في المسيح ما في السموات

يلي . والأزمنة المقصودة في هذه القرينة هي تلك المدة الممتدة بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني .

« ليجمع كل شيء في المسيح .. » هذه العبارة بدل لما قبلها، ومفسرة لها: « تدبير ملء الأزمنة ». « ليجمع » - هذه كلمة حسائية. فالجمع هو « ضم » أشياء متفرقة ، وربطها بعضها ببعض لتكون على نسق واحد، تحت رأس واحد - هذا هو القصد النهائي في الفداء : « أن يجمع الله كل شيء في المسيح ». فمع أن الفداء في فعله الابتدائي يقصد به خلاص المؤمنين، إلا أنه في معناه السكالي . وفي بلوغه ، يتناول جميع الأشياء - « ما في السماء وما على الأرض » ، فتتوحد كلها تحت سلطان ابن الإنسان المطلق . هذه هي النصره النهائية التي أوضحها الرسول في رسالة أخرى معاصرة لهذه الرسالة . « لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب المجد الله الآب » (فيلبي ٢ : ١١) . إن قوله : « كل شيء .. ما في السموات وما على الأرض » يعني طبقات مختلفة من الخلائق - من الملائكة المختارين (٢١ : ٥) إلى أبناء الله المؤمنين المتفرقين مذاهب وجماعات في أنحاء المعمورة، في كل عصر ومصر (يوحنا ١ : ٥٢) ، إلى جميع الخلائق الحية الناطقة، إلى الخلائق الغير الناطقة التي شاطرت الإنسان آلام السقوط ، لتشاطره شيئاً من حرية المجد ( رومية ٨ : ٢١) . فتخضع كلها تحت سلطان المسيح : « الذي قد مضى إلى السماء وملائكة (٥)

## وما على الأرض في ذاك ١١ الذي

وسلاطين وقوات مخضعة له» (١ بط ٣: ٢٢) ، «الذي هو رأس كل رئاسة وسلطان» (كولوسي ٢ : ١٠) .

ويعمل بعض المفسرين أمثال يوحنا الذهبي الفم ، وموليه ، إلى حصر هذه العبارة في المؤمنين من البشر ، وفي الملائكة المختارين . ولكن الترجمة العربية تؤيد ماذهب إليه فريق كبير من المفسرين كما أسلفنا — بدليل قول الرسول : «كل شيء» لا «كل شخص» . «وما في السموات وما على الأرض» ، لا «من في السموات ومن على الأرض» .

كما أن الشمس هي المركز الرئيسي للنظام الشمسي بأسره ، كذلك «يسوع المسيح» شمس البر هو الرأس الذي «فيه» يجتمع كل ما في السموات وما على الأرض (كو ١: ١٦) . «فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى سواء كان هروشا أم رياسات أم سيادات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق» .

ومن الملاحظه ، أن كلمة «المسيح» كما وردت في الأصل ، متصلة بأداة التعريف . فيراد بها إذاً — المسيح في وظيفته القدائية .

عدد ١١ و ١٢ | (٥) الحلقة الخامسة في سلسلة البركات الإلهية —

الميراث الإلهي . إلى هنا بلغ بولس قمة المعلنات السباوية التي شرع يفضي بها إلى من كتب لهم هذه الرسالة . وقد كان من المتوقع أن يختم مقدمة هذه الرسالة بالعدد السابق . لكن بولس رجل عملي ، لذلك هبط بقارئيه من

## فيه أيضاً نلنا نصيباً

جبال المعلنات السماوية ، إلى وادي الحياة العملية على الأرض . فصار لزاماً عليه ، أن يمس الصلة التاريخية — كدت أقول العقدة التاريخية — بين اليهود والأمم . فرسم الرسول في الأربعة أعداد التالية صورة بديعة للرجاء اليهودي الصحيح الذي تحقق في أيامه مبدئياً في المسيح . وفي هذا الرجاء المحقق ، التقى اليهودي بالأممي ، فأضحى كلاهما أمة واحدة مقدسة لله ، « وشعب اقتناء ليخبروا بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره المجيب » هذه هي البركة التي يحدثنا عنها الرسول في خمسة أوجه :

١ - ماهيتها : « الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً » . هذه هي الحلقة الخامسة في سلسلة البركات الإلهية التي جعلها بولس الرسول موضوع شكر لله تعالى - بركة الميراث الإلهي .

تختلف ماهية هذا الميراث ، باختلاف فهمنا العبارة التي استعمل بها هذا العدد . فإذا أخذنا بالترجمة الحالية القائلة : « الذي فيه أيضاً — في المسيح نلنا نصيباً » ، استطعنا أن نفهم أن جميع المؤمنين ممثلين في الكاتب والمكتوب إليهم ، صاروا ورثة في الملكوت الروحي . هذا يؤيده قول الرسول نفسه في رسالته إلى كورنثوس : « شاكرين الأب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور » ( كورنثوس ١ : ١٢ ) . ولكن ربما كان أقرب إلى الأصل أن ترجمها إلى : « الذي فيه صرنا نحن ميراثه ونصيبه » هذا يوافق الفكر الأساسي في اختيار الله الأمة اليهودية قديماً لتكون له : « شعب ميراث » ( تث ٤ : ٢٠ ، ٢٩ : ٩ ) . فقد قال موسى في الخطبة الخالدة التي فاه بها قبيل وفاته : « إن

## معينين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء

قسم الرب هو شعبه يعقوب جبل نصيبه « (تث ٣٢: ٩) وفي موضع آخر قال الله لإسرائيل: «تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب» (خروج ١٩: ٥) بل هذا هو المعنى الذي تغني به زكريا: «والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد ١٠ اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه» (زكريا ٢: ١٢ و ١٣). هذا هو الرجاء الذي رآه بولس محققاً في المسيح فتغني به أيضاً في العدد الثامن عشر من هذا الأصحاح. لسنا ندري أي البركتين أعظم: أن نكون ورثة الله في ملكوته (رومية ٨: ٢٧) أم أن نكون نحن ميراثاً لله في تدبير الفداء؟.

يلوح لنا أن ثانيتهما أعظم. لأنها تحمل دلالة عظمى على أن لنا قيمة في نظر الله جل شأنه، حتى يعتبرنا نصيباً له وميراثاً!!!  
فاسمى أيتها السموات وتعجبي أيتها الأرض!!!

— ب — الزمن الذي صرنا فيه أهلاً لهذه البركة: «معينين سابقاً» —  
إذا ليست هذه البركة بنت ساعتها، ولا هي فكرة طارئة. كما أنها ليست أجرة صرنا لها أهلاً بسبب صلاح أئبناه، ولا هي مكافأة على خير كان مرجواً منا. وإنما هي هبة ربت لنا «بتعيين سابق». (لمعرفة القصد من هاتين الكلمتين راجع تفسير غرة العدد الخامس).

— ج — الباعث الإلهي: «حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته». هذه بركة جاءتنا نتيجة تدبير إلهي محكم — «حسب قصد» — غير أن هذا التدبير المحكم ليس جهلياً، ولا هو تعسفي، وإنما هو نتيجة



## حسب رأى مشيئته . ١٢ لنكون لمدح مجده

«رأى» ، وحكمة ، ومشورة : «حسب رأى مشيئة الله» الصالحة المرضية الكاملة . فالله جل شأنه ، لم يتأثر في هذا التدبير المحكم بمؤثر خارجي ، ولم يكن هو فيه مخالفاً طبيعته القدسية المتعالية ، ولا مغتصباً حرية إرادة البشر . إن لمشيئته السماوية ، رأياً عالياً وحكمة رشيدة . فلئن غابت عنا هذه الحكمة ، إلا أننا نثق بها ونطمئن إلى أحكامها .

د - غاية هذه البركة : « لنكون لمدح مجده » . في العددين الخامس والسادس ، تكلم الرسول عن « مدح مجد نعمة الله » ، وهنا يحدثنا عن « مدح مجده » . فيليق بنا أن نوازن بين كلامه هنا وهناك لتبين أوجه الشبه وأوجه التباين في كلامه في هذين الموضعين :

عدد ١١ و ١٢

عدد ٦ و ٥

- (أ) الموضوع : « التبني » . . . . . « الميراث »
- (ب) الزمن : « سبق فعيّنا » . . . . . « معينين سابقاً »
- (ج) الوسيط : « يسوع المسيح » . . . . . « به »
- (د) الباعث : « حسب مسرة مشيئته » .. حسب قصد .. « رأى مشيئته »
- (هـ) الغاية : « لمدح مجد نعمته » . . . . . « لمدح مجده »

فالتشابه متوفر من حيث : الزمن ، والوسيط ، والباعث ، والغاية . ولا يوجد سوى وجه واحد للتباين : وهو أن الرسول تكلم في العددين الخامس والسادس عن التبني لكنه في العددين الحادي عشر والثاني عشر تكلم عن

## نحن الذين قد سبق رجاؤنا

إحدى ثمرات التبني — الميراث . وهناك فارق طفيف في الغاية : هناك تحدث الرسول عن «مدح مجد نعمة» الله، لكنه يحدثنا هنا عن «مدح مجده» تعالى : وعلّة هذا الفارق ترجع إلى وجهة نظر الرسول إلى طبيعة «الإنجيل» فتارة يدعو «بشارة (الإنجيل) نعمة الله» (أعمال ٢٠ : ٢٤) وطوراً يسميه : «إنجيل مجد الله» (١ تي ١ : ١١ ، ٢ كو ٤ : ٥) والمراد بمدح مجده، حمد جلاله تعالى .

(هـ) المتمتعون بهذه البركة : «نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح» هؤلاء هم المؤمنون من اليهود ، الذين كانوا سابقين للمؤمنين في رجاؤهم بالمسيح — ذلك الرجاء الذي ولدته في نفوسهم مواعيد الله الثمينة في العهد القديم ، وأذكت ناره في صدورهم تلك النبوات التاريخية التي فاه بها إشعياء وزكريا وملاخي وسائر أنبيائهم .

والظاهر أن نزعة بولس اليهودية، قد انتعشت في نفسه في هذه الآونة فأراد أن يبين للأمم ، أن يهوديته لم تكن عبثاً ، لأن رجاؤه في المسيح كان سابقاً لرجاء الأمم فيه . ولكن على رغم كون المؤمنين من اليهود، هم أصحاب الحق الأول في المسيح ، إلا أن الأمم أيضاً «شركاء في الجسد والميراث ونوال موعده في المسيح بالإنجيل» (٦ : ٣) . هذه هي الوكالة التي شعر بولس بأنه مؤتمن عليها بنوع خاص : «أن يبشرين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى» (٨ : ٢) . فالإنجيل قدم لليهود أولاً ثم للأمم . لكن الأولين صاروا آخرين ، والآخرين أوليين . هذا من جهة اليهود كأمة . أما الأفراد المؤمنين منهم ،

## في المسيح ١٣ الذي فيه أيضاً أنتم

أمثال بولس الرسول ، فقد ظلوا إلى النهاية أولين . وغير خاف أن الكنيسة الأولى ، كانت إلى أجل معين في القرن الأول ، يهودية الصبغة والمسحة . لأن الرسل يهود أصلاً ، ولأن الأغلبية الساحقة من المؤمنين الأولين كانت من اليهود .

ولا يغرب عن البال ، أنه على قدر الامتيازات تكون المسئوليات . فإذا كانت المزايا قد قدمت لليهودي أولاً ثم لليوناني ، فإن العقاب أيضاً منصب على رأس «اليهودي» أولاً ثم اليوناني «لأن ليس عند الله محاباة» . «لليهود أولاً» — أولاً فقط ، لا أولاً وآخر — فأسبقية اليهود منحصرة في الزمن ليس إلا . «ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر» .

عدد ١٣ | (٦) الحلقة السادسة في سلسلة البركات الإلهية — بركة

### الخلاص :

مع أن الرسول فخور بيهوديته ، التي خولته حق الأسبقية على الأمم ، في الرجاء بالمسيح ، إلا أنه حرص شديد الحرص ، على أن لا يغمط الأمم حقهم في المسيح . فما كاد يفرغ من كلامه عن المؤمنين من اليهود ، الذين «سبق رجاءهم في المسيح» ، حتى انتقل حالاً إلى الأممين الذين لهم أيضاً في المسيح رجاء حتى ، فسرطان ماتكلم عن «نحن» حتى انتقل إلى «أنتم أيضاً» إن في هذا استدراكاً بليغاً لما كان يمكن أن يقبدر إلى أذهان بعض اليهود ، فيحسبوا أنفسهم أصحاب الحق الأوحى في المسيح ، فيحتكروه

## اذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم

لأنفسهم . وفي هذا أيضاً خير تشجيع للأمم : مخافة أن يتوهموا أن لاحق لهم في المسيح ، فيحتقروا أنفسهم ويظلموها . فقال الرسول ، موجهاً الخطاب إلى المؤمنين من الأمم : «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم» إن الفرصة التي أتتحت للأمم ليسمعوا فيها كلمة الإنجيل ، أضحت لكثيرين منهم مصدر خير وبركة ، لأنها آلت إلى خلاصهم لذلك استحال لهم «كلمة الحق» إلى «إنجيل خلاصهم» . فهم بشروا أولاً ، ثم سمعوا ، فصدقوا ، فقبلوا ، ثم خلصوا ، فختموا

عبر الرسول عن البشارة التي سمعها الأمم ، بكلمتين — أولاهما : «كلمة الحق» ، وثانيتهما : «إنجيل خلاصكم» . فالأولى تعبر عن البشارة في جوهرها ، ومضمونها ، ومصدرها «كلمة الحق» . فهي تتضمن «الحق» وكل الحق ، ولا شيء إلا الحق ، وهي صادرة عن الإله الحق ، كما أنها تحدثنا عن المسيح الذي هو «الطريق» ، والحق ، والحياة» . وفي الغالب لقبها الرسول بـ «كلمة الحق» مقابل طقوس العهد القديم ، ورموزه ، وخرافات اليونان وآساطيرهم . فالعهد القديم الذي أؤمن اليهود عليه ، يتضمن رمز الحق ، وظلال الحق ، لكن العهد الجديد يتضمن جوهر الحق وقلب الحق . والكلمة الثانية «إنجيل خلاصكم» — تشير إلى البشارة في غايتها ، وثمرها ، ونتيجتها الفعالة — لأنها تعلن الخلاص وتقدمه للناس ، وهي أيضاً تؤدي بهم إلى الخلاص إذا هم صدقوا وآمنوا : «لست أستحي

## الذى فيه أيضاً

بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، (رومية ١: ١٦) والحقيقة المشتركة في هذين الإسمين، هي — أن هذا الحق الذى تتضمنه كلمة البشارة هو «الحق الخلاصى»، الذى ينبئنا بأن الله موجود، وأنه محب، وأنه تجسد فى المسيح لى يصلحنا لنفسه (١ كورنثوس ٥: ١٩). وقد وصف الرسول هذا الإنجيل بقوله «كلمة»، لأن الإنجيل يحمل رسالة مقولة ومسموعة وموعدة المقصد والمرمى. وقال فيه أيضاً: «إنجيل»، لأنه يحوى بشارة مفرحة. ولا شك فى أن بشرى الخلاص، هى أبهى خبر يزف إلى الإنسان الغارق فى لج الخطايا، سواء أسمع الإنسان رسالة الإنجيل بأذنه، أم قرأها بنظره، وتدبرها بفكره، فمن المحقق أن هذه الرسالة ليست من إلهجات الإنسان ولاهى وليدة تصوراته الداخلية، وإنما هى صادرة عن مصدر خارجى.

(٧) الحلقة السابعة فى سلسلة البركات الإلهية — ختم الروح

القدس: «الذى فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمجد مجده».

جميل أن خاتمة البركات الإلهية الموهوبة للمؤمنين، هى بركة ختم الروح القدس. فيليق بنا أن نتتبع فى سيرنا، لتأمل جمال هذه الماسة البديعة، مقلبين إياها على أوجهها الأربعة، لأن لكل وجه فيها جمالاً خاصاً:

— أ — المقصد من الختم — ب — وقت الختم — ج — طبيعة الختم — د — دلالة الختم.

## إِذَا آمَنْتُمْ

— ١ — المقصد من الختم . يُستعمل الختم عادة لأحد الأغراض الآتية ، أو لبعضها ، أو لجميعها معاً : — للملكية كما تعودت السلطات أن تدمغ الأشياء التابعة لها ، دليلاً على امتلاكها إياها . أو لتقرير صحة الشيء المختوم ، مثلما تختم الوثائق الرسمية دلالة على صحتها . أو لإذاعة الاسم أو الرسم الذي يحمله الختم مثلما تحمل قطع النقود صورة الملك . فصورة الملك تشهد بصحة قطعة النقود ، كما أن قطعة النقود تحمل صورة الملك وتذيعها بين الملا . أو لضمان حفظ الشيء وصيانتته من الأيدي التي قد تعبت به ، مثلما تختم أهراء الغلال بختم صاحبها ، أو مثلما تختم أبواب خزانة بها ودائع أو مضبوطات للإبقاء عليها وحفظها من العبث بها . وفي الغالب ختم المؤمنون لهذه الغايات الأربع . لأنهم ملك لله ( رؤيا ٢: ٣ ) ، ولأنهم أولاد الله بالحقيقة ( رومية ٨: ١٦ و ٥: ٥ ) ، ولأن الله افتداهم « ليخبروا بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره المعجيب ، وأن يحدثوا بمجد الله الذي أنقذهم من سلطان الظلمة ونقلهم إلى ملكوت ابن محبته » ( كولوسي ١: ١٢ و ١٣ ) ولأن القادى وعد بحفظهم من كل خطر وصيانتهم من كل ضرر ( يوحنا ١٠: ٢٨ و ٢٩ ) .

إن هذا الختم هو معمودية الروح القدس التي ينالها المؤمن ، وبها يحصل على يقين الخلاص والبهجة ، والنصرة والحرية في الخدمة ، والصلاة . فقوله : « ختم الروح » مرادف للقول : « معمودية الروح » و « حلول الروح » .

وهنا نقرر بكل وضوح وجللاء أن « ختم الروح » لا يشير إلى تلك

## ختمتم بروح

المواهب الروحية الخارقة التي منحها الله لبعض الناس ، في بعض الكنائس ، لبعض مناسبات — كوهبة التسليم بالألسن وما إليها . لكن الإشارة هنا منصرفة إلى النعم الروحية الداخلية العميقة التي جعلها الله حقاً لكل مؤمن متجدد في كل عصر وفي كل مصر — كنعمة المحبة ، والرجاء ، واليقين ، والبهجة ، والسلام ، والوداعة ، والطهارة وما إليها . قابل ماجاء في ١ كورنثوس ١٢: ٣١ ، ١٣: ١ و ٢ ، ١٤: ٢٢ بما ورد في ١ كورنثوس ١٣: ٨ يتضح لك أن المواهب الخارقة وهبت لأشخاص معينين في عصر معين وأنه قصد بهم أن تبطل يوماً ، بخلاف المواهب الروحية الباطنة فانها باقية ما بقي الله .

— ب — وقت الختم : « إذ آمنتم ختمتم » . يختم المؤمن حالما يؤمن . ومع أن المؤمن لا يشعر بالختم ولا يتحققه إلا بعد الإيمان ، إلا أن الله يختمه وقت الإيمان . فالإيمان فعل داخلي ، يوجه قلب المؤمن إلى الله ، والختم هو جواب الله على إيمان المؤمن ، فالختم ليس ثمرة من ثمرات الإيمان ، بل هو دلالة ، وعلامته ، وصحته . في العهد القديم أخذ إبراهيم علامة الختان ختماً لبر الإيمان ، وفي العهد الجديد ينال المؤمنون معمودية الروح علامة لبنوتهم لله .

— ج — طبيعة الختم : « ختمتم بروح الموعد القدوس » . إن نسبة الختم إلى الروح ، نسبة وصفية — أي أن الله الأب ختمنا بالروح القدس — « وأعطى عربون الروح في قلوبنا » ( ٢ كور ١: ٢٢ ) .

وصف الروح القدس في هذه العبارة بوصفين : أولهما : « روح

## الموعد القدوس

«الموعد» ، لأن الروح القدس حل في الكنيسة وفق الموعد . ففي العهد القديم كان الوعد بمجيئه موضوع نبوات الأنبياء ( إرميا ٣١ : ٣١ — ٣٤ ويوئيل ٢ : ٢٨ — ٣٠ وحزقيال ٣٦ : ٢٧ ) . وفي العهد الجديد وعد المسيح تلاميذه مرات بمجيء الروح القدس ، على اعتباراته وعد منه هو . وفي ظروف أخرى حدثهم عن مجيء الروح باعتبار كونه وعداً من الآب (يوحنا ١٤ : ١٥ — ٢١ و٢٦ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ٧ — ١٠ ، أعمال ١ : ٤ ) .

إن كلمة «موعد» ترجع بنا إلى الوعد الأول الذي وعد به الله ابراهيم رئيس العائلة اليهودية . وقد أبان الرسول بولس في رسالة أخرى ، الصلة السائدة بين الموعد الأول الذي وعد به الله ابراهيم ونسله ، وبين مواعده النهائي الذي شمل الأمم أيضاً إذ قال ، «وأما المواعيد فقيلت في ابراهيم وفي نسله ... لتصير بركة ابراهيم للأمم في المسيح يسوع ، لننال بالإيمان موعد الروح» (غلاطية ٣ : ١٦ و ١٤) . وفي هذا الصدد عينه يقول بطرس الرسول في خطابه الخمسيني : «لأن الموعد» — موعد الروح القدس — «هو لكم ولأولادكم ولكل الذين هم على بعد كل من يدعو الرب إلهنا» (أعمال ٢ : ٣٩) . والوصف الثاني الذي وصف به الروح ، هو : «القدوس» . وقد جاء هذا الوصف بعد الوصف الأول في الترتيب من باب التوكيد ، فهو الوصف الذي اختص به الأقنوم الثالث في اللاهوت ، متميزاً عن الروح البشرية الإنسانية ، وهو «قدوس» في طبيعته ، ومقدس في عمله .



## ١٤ الذى هو عربون ميراثنا

عدد ١٤ — د — فاعلية الختم : « الذى هو عربون ميراثنا لقاء المقتنى لمذبح مجده »

إن كلمة «عربون» مستعارة من لغة التجارة ، وهى فى اللغة الأصلية «أرّابون» — ولعلها فينيقية الأصل .

«العربون» فى عرف التجارة ، هو جزء من الثمن يُدفع مقدماً كضمان لصحة الصفقة ، على أمل أن يُدفع باقى الثمن بعد تسلم البضاعة . ويراد به هنا ، أن الله أعطى المؤمنين روحه القدوس كضمان لحقهم الأكمل فى ميراثهم العتيق فى المجد الأبدى . فالروح القدس الذى به ختم المؤمنون ، ليشهد لأرواحهم أنهم أولاد الله هو ذات الروح الذى يضمن لهم ميراثهم الأبدى بوصف كونهم أبناء الله . وفى هذا الصدد يقول بولس فى رسالة أخرى : «أخذتم روح التبني الذى به نصرخ يا أبأ الآب . الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله . فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رومية ٨ : ١٥ — ٢٧) . والحقيقة المشجعة هى أن الميراث محفوظ للورثة ، والورثة محفوظون للميراث (١ بطا : ٤ : ٥) . إن النعم الروحية المعطاة للمؤمنين ، نتيجة حلول الروح القدس فى قلوبهم كالفرح والمحبة والسلام والوداعة ، هى عربون المجد الذى يتمتع به المؤمنون فى الحياة العتيقة . فالنعمة هى المجد فى البذرة ، والمجد هو النعمة فى البلوغ .

## لفداء المقتنى

وهناك حقيقة أخرى مكملة لهذه — هي أن نعم الروح القدس، التي بها أُختم المؤمنون، ليست فقط عربون ميراث المؤمنين في الله، بل هي أيضاً عربون ميراث الله في المؤمنين، بدليل قول الرسول في تثمة هذا العدد: «لفداء المقتنى». إن هاتين الحقيقتين ليستا سوى وجهين لحقيقة واحدة شهد بها قديماً إرميا: «ليس كهذه نصيب يعقوب. لأنه» — الله — «مصور الجميع وإسرائيل قضيب ميراثه» (إرميا ١٠: ١٦).

إن قوله «لفداء المقتنى» — يراد به نوال الملك المكتسب بحق الشراء والفداء. وقد ورد الفعل الأصلي المشتقة منه كلمة: «مقتنى» في أعمال ٢٨: ٢٠ — في كلام بولس الرسول نفسه «... ارعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه». والفكر الذي تنطوي عليه العبارة «لفداء المقتنى» هو أن المؤمنين بالمسيح — من اليهود والأمم — هم شعب اقتناه الله واشتراه بدم الفادي، فأصبحوا ملكه، وخاصته، وميراثه. ومع أن الله — في الوقت الحاضر — لم يمتلككم تماماً، لكونهم عائشين في بيئة مفسدة، ومعرضين لهجمات الشيطان وسهامه الملتهبة، إلا أنهم مازالوا الله ومختومين له. غير أن الله تعالى، لا يستولي عليهم تماماً، إلا متى حررهم وفكهم من هذا العالم الشرير، وأتم فداء أجسادهم مثلما أنجز فداء أرواحهم — وذلك عند مجيء المسيح ثانية (ملاخي ٣: ١٢ و١ بطرس ٢: ٩).

ومع الملاحظ، أن بولس الرسول، عاد إلى استعمال ضمير المتكلم في قوله: «ميراثنا» بعد أن كان قد استعمل ضمير المخاطب: «سمعتكم»...

## لمدح مجده

«خلاصكم» .. «آمنتكم» .. «ختمتم» ، في العدد السابق .  
في ختام هذه الأنشودة البديعة كرر الرسول - للمرة الثالثة - ذلك القرار  
الجميل : «لمدح مجده» .

قديمًا أريد بنى إسرائيل أن يكونوا «لمدح مجد الله» ، كما قيل في  
إرميا ١٣ : ١١ «لأنه كما تلتصق المنطقة بحقوى الإنسان، هكذا ألصقت بنفسى  
كل بيت إسرائيل وكل بيت يهوذا يقول الرب ليكونوا لى شعبًا ، واسمًا ،  
وفخرًا ، ومجدًا» - لكنهم لم يسمعوا - على أن وجه العزاء هو أن ما فشل  
فيه إسرائيل العالمى سينجح فيه إسرائيل الروحى ليكون «لمدح مجد الله» .  
وما قصرت دونه الأمة ، سيفوز به الفرد .

## صلاة الرسول لأجل المؤمنين

١ : ١٥ - ٢ : ١٠

من الحمد ، والشكر ، والتمجيد ، انتقل الرسول إلى الصلاة ، والتضرع ،  
والسجود . وفي صلاته وسجوده ، رأى المسيح عالياً مرتفعاً ، ورأى المؤمنين  
مرفوعين فيه ومعه ، وفيه ومعه ممجدين .

من عادة الرسول ، أن يستهل رسائله بكلمة شكر ، وصلاة . وفي شكره  
يشير عادة إلى إيمان المكتوب إليهم ، ومراراً يقرن ذكر إيمانهم بحببتهم .  
وأحياناً يجمع تلك الفضائل الجليلة المكوّنة لمثلث النعمة ، ويقرنها معاً -  
«الإيمان ، الرجاء ، المحبة» .

فيقول في رومية : «أولا أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادي به في كل العالم » (رومية ١ : ٨).

وفي ٢ تسالونيكي : « ينبغي لنا أن نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الإخوة كما يحق لأن إيمانكم ينمو كثيراً. ومحبة كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد. ( ٢ تس ١ : ٣).

وفي فليمون : « أشكر إلهي كل حين ذا كراً إياك في صلواتي سامعاً بمحبتك والإيمان الذي نحو الرب يسوع وجميع القديسين » ( فليمون ٥ ).  
وفي ١ تسالونيكي : « نشكر الله كل حين من جهة جميعكم ذا كرين إياكم في صلواتنا منذ كرين بلا إنقطاع عمل إيمانكم وتمب محبتكم وصبر رجائكم، ( ١ تس ١ : ٣ ).

وفي كولوסי : « نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح كل حين مصلين لأجلكم إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع ومحبتكم لجميع القديسين من أجل الرجاء الموضوع لكم في السماوات ( كولوסי ١ : ٣ و ٤ ).

هذه هي الصلاة الأولى المدونة للرسول في هذه الرسالة. وعند ختام الأصحاح الثالث ( ٣ : ١٤ - ٢١ )، نلتقي بصلاته الثانية ومتى وصلنا إليها نتمين أوجه الشبه وأوجه الخلاف بينهما، ويكفي هنا في دراسة صلاته الأولى أن نلاحظ :  
أولا : محتويات هذه الصلاة ( ١ : ١٥ - ١٩ ).

( ١ ) المناسبة التي دعت الى هذه الصلاة ( ١ : ١٥ ).

( ٢ ) العنصران اللذان تتألف منهما هذه الصلاة ( ١ : ١٦ ).

( ٣ ) الذات العلية التي رفعت إليها هذه الصلاة ( ١ : ١٧ « ١ » ).

(٤) غاية هذه الصلاة (١ : ١٧ (ب) — ١٩)

— أ — الغاية الأولى — إعدادية تمهيدية وموصلة للغاية الثانية

(١) كي يعطيكم روح الحكمة ٠٠٠ (١ : ١٧ (ب)

(٢) مستنيرة عيون أذهانكم (١ : ١٨ (أ)

— ب — الغاية الثانية — نهائية ومكملة للغاية الأولى — «لتعلموا»

(١) ما هو رجاء دعوته (١ : ١٨ (ب)

(٢) ما هو غنى مجد ميراثه (١ : ١٨ (ج)

(٣) ما هي عظمة قدرته الفائقة : نحننا (١ : ١٩)

ثانيا : أساس هذه الصلاة (١ : ٢٠ — ٢ : ١٠)

هو عمل شدة قوة الله كما تجلي في مظهرين :

(١) المظهر الأول في صلته بالمسيح (١ : ٢٠ — ٢ : ٢٣) في أربع درجات :

(أ) الدرجة الأولى : في إقامته من الأموات (١ : ٢٠)

(ب) الدرجة الثانية : في إجلاسه عن يمين الله (١ : ٢١)

(ج) الدرجة الثالثة : في إخضاع كل شيء تحت قدميه (١ : ٢٢)

(د) الدرجة الرابعة : في جعله رأساً للكنيسة (١ : ٢٣)

(٢) المظهر الثاني (أ) في صلته بالموؤمن الفرد (٢ : ١ — ١٠)

(ب) في صلته بالأمم (٢ : ١ و ٢)

(ج) في صلته باليهود (٢ : ٣)

(د) في صلته بكليهما معاً في ثلاث درجات :

(٥)

## هـ لذلك أنا أيضاً

(١) الدرجة الأولى . في إقامة المؤمن روحياً مع المسيح (٢ : ٥)

(٢) الدرجة الثانية . في إصعاد روحياً مع المسيح (٢ : ٦)

(٣) الدرجة الثالثة : في إعداد له برنامجاً للسلوك (٢ : ٧ - ١٠)

صلاة الرسول بولس لأجل المكتوب إليهم (١ : ١٥ - ٢٣)

**عدد ١٥** . (١) المناسبة التي دعت إلى هذه الصلاة : (١ : ١٥)

« لذلك » - هذه الكلمة بمثابة حلقة اتصال بين الفصل السابق والفصل اللاحق . فهي ترجع بنا إلى قول الرسول للمكتوب إليهم : « إذ سمعتم كلمة الحق - إنجيل خلاصكم الذي فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » ... « لذلك أنا أيضاً » - باعتبار كونى واحداً من الذين يهتمهم أسركم ، ومن باب أولى ، أنا أفرح بتقديمكم في الحياة الروحية سيما لأنى بشيركم - « فإذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين » - فاض قلبي « بالشكر لله من أجلكم » - ولأنى أطلب لكم المزيد من كل خير روحى ، لم أكتف بالشكر . بل توأجت شكرى لأجلكم ، « بذكرى إياكم في صلواتى » لأنكم أنتم - وعلى الأخص الأعمى منكم - ثمرة خدمتى بينكم (١ : ٣ - ١٣) . من هذا نرى أن المناسبة التي دعت بولس إلى شكر الله والصلاة إليه من أجل المكتوب إليهم ، هي سماعه بشريتين ناضجتين جادت بهما شجرة حياتهم - الثمرة الأولى : تربطهم بمن فى السماء - وهى : « إيمانهم بالرب يسوع » . إن حرف الجر المترجم إلى العربية « ب » هو فى الأصل اليونانى

إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين

«فى». ويقول إليكوت فى تفسيره: إن الفرق بين الإيمان فى المسيح، وبين «الإيمان بالمسيح»، هو أن الإيمان فى المسيح يرتكز على المسيح ثم يوجهه إلى الآب — فالمسيح عماده. والإيمان بالمسيح موجهة إلى المسيح نفسه.

فالمسيح موضوعه. إن قول الرسول: «سمعت بإيمانكم» هو تعبير مجازى عن عمل إيمانهم. لأن الإيمان فى ذاته معنوى، خفى، باطنى لا يرى، ولا يُسمع، ولا يُلمس. لكن ثماره هى التى تُرى. إن كلام الرسول هنا يماثله قول كاتب سفر الأعمال: «... الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح».

استنتج بعضهم من القول: «سمعت بإيمانكم» أن الرسول لم يكن قد رأى المكتوب إليهم بعد، وأن معرفته بهم كانت معرفة سماعية. لكن هذه العبارة لا تفرض هذا المعنى بالضرورة، لأن الرسول كتب مثل هذه العبارة إلى فليمون الذى لم يكن فقط معروفاً لديه بالذات، بل كان ابناً روحياً له (فليمون ١٩و٥).

أما الثمرة الثانية التى بلغت بولس، فهى: «محبتهم نحو جميع القديسين» — هذه هى الرابطة التى تربطهم بمن فى الأرض. إن محبتهم لجميع القديسين هى وليدة إيمانهم المشترك بالمسيح الواحد، الذى أحبهم وبذل نفسه لأجلهم. وهى تختلف عن محبتهم لجميع الناس، فى أن أولاهما هى محبة الإعزاز والألفة والمصاحبة، لكن الثانية هى محبة المسالمة، والمحاسنة والمجاملة.

## ١٦ لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم

عدد ١٦ | (٢) العنصران اللذان تتألف منهما صلاة الرسول (١٦:١).

تتألف صلاة الرسول لأجل المكتوب إليهم من عنصرين :

— ١ — أولهما : الشكر المستمر : « لا أزال شاكراً لأجلكم »  
هذه الكلمات القليلة تنم عن قلب الرسول الطيب، الذي يجد موضوعاً للشكر في كل شخص، مهما يكن ضعيفاً، وعن عينه الصافية التي ترى جمالاً في كل شخص مهما يكن قبيحاً دميماً. ذو القلب الخبيث يتجسس على أخلاق الناس، عليه يعثر على هفوة، ليتهمهم في صلاحهم ويتشكك في إخلاصهم، وذو العين الشريفة يحوّل وجهه عن الشمس المشرقة ليفتش عن كفة غيم، ويتناسى أزهار الربيع اليانعة ليفتش عن أوراق الخريف الصفراء... أما بولس فقد كان قلبه ونظره من طراز آخر. لأن المكتوب إليهم الذين كانوا موضوع شكره، لم يكونوا « قديسين » بالمعنى الكامل المفهوم من هذه الكلمة، بل كانوا محاطين بضعفات كثيرة، وربما كانت ضعفاتهم أكثر بكثير من صلاحهم. فظلمات الأوهام الوثنية مازالت عالقة بهم، وجانب غير يسير من بقايا خفايا الخزي لم يزل يحفّ بهم. ولكن على الرغم من ذلك، كتب إليهم الرسول قائلاً : « لا أزال شاكراً لأجلكم ». ويكفي المرء أن يلتقي نظرة عاجلة على ما جاء في الآيات المذكورة بعد، ليتبين حقيقة حال المكتوب إليهم ( ٤ : ٢٢ و ٢٥ و ٢٨ و ٢٩ و ٣١ و ٥ : ٣ - ٦ ) .

— ب — ثانيهما : الذكر المتوالي : « لا أزال ... ذاكراً إياكم في



## في صلواتي ١٧ كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح

صلواتي . وما يسترعى الالتفات أن الرسول بولس يقرن الصلاة بالشكر في مقدمات كل رسائله — ماعدا رسالتي غلاطية وكورنثوس الأولى، لأنهما مفعمتان تعنيفاً (انظر رومية ٨ : ١، فيلبي ٣ : ١، كولوسي ١ : ٣، ١ تسالونيكي ١ : ٢، ٢ : ١٣، ٢ تسالونيكي ١ : ٣، ٢ : ١٣، فليمون ٤) .

جميل بكل منا، أن يقتدى بالرسول في صلواته وتشكراته، فهي خير مثال للصلاة الفعالة، والشكر الجميل .

**عدد ١٧ (٣) الذات العملية التي رفع إليها الرسول صلاته: (١٧: ١)**  
هذا وصف مزدوج للاله الحي :

— أ — جانبه الأول : « إله ربنا يسوع المسيح »

— ب — جانبه الثاني : « أبو المجد »

— أ — الجانب الأول : « إله ربنا يسوع المسيح » . هذا الوصف مؤيد لقول المسيح على الصليب : « إلهي إلهي لماذا تركتني » (متى ٢٧ : ٤٦)، ومطابق لقوله بعد القيامة : « ... إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » (يوحنا ١٧ : ٢٠) . ويتضح لنا من هذه الأقوال مجتمعة معاً، إن الأب هو إله الابن المتجسد باعتبار كونه فادياً جاء أرضنا لموت من أجل خطايانا، وليقوم لأجل تبريرنا . فالرسول خاطب الأب بهذه الصفة بمناسبة كلامه — في الأعداد التالية — عن موت انتقادي وقيامته . لأنه بديهي أن الإله لا يموت وبالتالي لا يقوم . لكن المسيح مات وقام ، باعتبار كونه الفادي المتجسد .

## أبو المجد

ولئلا يتطرق إلى ذهن أحد، أى خاطر ينتقص من جلال لاهوت المسيح ، بسبب هذه العبارة، أردفها الرسول بقوله: «ربنا يسوع المسيح». هذا دليل آخر على أن لاهوت المسيح غير منفصل عن ناسوته .

«إله ربنا يسوع المسيح» ! تنطوى هذه العبارة على معنى آخر — هو أن الإله الذى صلى إليه بولس ، وإياه نحن نعبد ، هو الإله الذى أظهر لنا وأعلن لنا فى شخص ربنا يسوع المسيح . من أجل ذلك قال فيه بولس الرسول :إليه «ربنا يسوع المسيح» . هذا مؤيد لقول المسيح «لذى رآنى فقد رأى الآب» ( يوحنا ١٤ : ٩ ) .

ب — الجانب الثانى من هذا الوصف : «أبو المجد» . أن إلهنا ليس فقط «إلهاً مجيداً» بل هو «أبو المجد» — أى أنه هو نبع المجد، ومالك المجد . ورب المجد ، وواهب المجد . فكل ما فى الأرض أو فى السماء من مجد ، ليس سوى شناعة من نور مجده : «ربنا يسوع المسيح رب المجد» (يعقوب ٢ : ١) . ولا شك أن فى مشاركة المسيح للآب فى هذا الوصف الجليل ، دليلاً على أن المسيح إله بغير نزاع .

«إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد» — ألا يتبين لنا من خلال هذه الكلمات أن المسيح هو «الشكىنا» الحقيقى الذى فيه ظهر مجد الله وجلاله ، بأفضل مما ظهر فى «نار الشكىنا» الرمزية فى العهد القديم ؟ !  
إن وصف الرسول بولس لله بالقول : «أبو المجد» يذكرنا بأوصاف

## روح الحكمة والإعلان

أخرى شبيهة له : «أبو الرأفة» (٢ كو ١: ٣) ، «إله المجد» (أعمال ٢: ٢) ، «رب المجد» (١ كو ٢: ٨) .

(٤) الغاية التي يرمى إليها بولس في صلاته : (١٧: ١ — ١٩)

في هذه الأعداد الثلاثة تتجلى لنا غايتان كان يرمى إليها بولس الرسول في صلاته — ١ — الغاية الأولى إعدادية — ب — والغاية الثانية نهائية: الغاية الأولى ممهدة للثانية ، ومعدة لها . والغاية الثانية مكملّة للأولى ومتممة لها

— ١ — الغاية الأولى مؤلفة من جانبين — الأول منشئ ومُسبب

للجانب الثاني ، والثاني ثمرة ونتيجة للأول

الجانب الأول ظاهر في قوله : « كي يعطيكم .. روح الحكمة والإعلان في معرفته » . والجانب الثاني يبين في قوله : « مستنيرة عيون أذهانكم »

(١) الجانب الأول في الغاية الأولى : « كي يعطيكم .. روح الحكمة

والإعلان في معرفته » تذكرنا هذه الكلمات بوعد المسيح لتلاميذه : « فكم بالحري الأب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه » (لوقا ١١: ١٣) .

هذا هو الروح القدس بعينه — لا مجرد قوة منه ، ولا أي تأثير منه ، بل هو الروح نفسه — «روح الحكمة والإعلان» . لم يكتف الرسول بأن

طلب لهم الحكمة التي يهبها الروح — كما فعل سليمان — بل طلب لهم

الروح الذي يهب الحكمة — حسب وعد رب سليمان . لم يقنع الرسول

بالثمر ، مادام في إمكانه أن يحصل على أصل الثمر . ولم يقف عند حد

## في معرفته

طلب كأس ماء من نبع ، مادام في إمكانه أن يصل إلى النبع نفسه . حقاً إنه لرسول عظيم ، فهو عظيم في كتاباته ، عظيم في طلباته . لأنه لم يطلب للمكتوب إليهم بركات الجسد ، مع علمه بمسيس حاجتهم إلى الماديات ، بل طلب لهم بركات الروح — لا بل روح كل البركات ، الذي منه تنحدر كل حكمة ، ويهبط كل إعلان ، كما وعد المسيح تلاميذه قائلاً : «أما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي ، فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا ١٤: ٢٦).

«روح الحكمة والإعلان» — إن «روح الحكمة» يهب المؤمنين ذوقاً شامولاً ليميزوا به الأمور المتخالفة في الحقائق المعلنة لهم. و«روح الإعلان» يكشف لهم القناع عما خفي عنهم من أسرار ملكوت السموات : «إنه بإعلان عرفني بالسر» (٣: ٣). إن «روح الحكمة والإعلان» هو روح واحد، له عمل مزدوج بالنسبة لحاجة المؤمنين — فهو يمنحهم الحكمة ليتفهموا ما عندهم من معلنات، ويفتح أمامهم باباً جديداً لمعلنات جديدة، ليزدادوا تقدماً من نور إلى نور ، ومن مجد إلى مجد . فالحكمة تكشف المعلنات، والمعلنات تغذي الحكمة .

إن مجال عمل «روح الحكمة والإعلان» قد بينه الرسول في قوله : «في معرفته — أي في معرفة الله ، معرفة شخصية اختبارية . هذه المعرفة ذات درجات متعاقبة — إحداها فوق الأخرى . فإذا ما بلغ الإنسان أول درجة

## ١٨ مستنيرة عيون أذهانكم

منها ، أعلن له الله درجة أرقى منها ، وهكذا دواليك حتى يبلغ الإنسان «قياس قامة ملء المسيح» . بهذه المعرفة تبدأ بذرة الحياة الأبدية في قلب المؤمن : «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧ : ٣) ، وبها أيضاً تنمو شجرة الحياة الأبدية في جنة قلب الإنسان : «نامين في معرفة الله» (كولوسي ١ : ١٠)

**عدد ١٨ (٢) الجانب الثاني في الغاية الأولى : «مستنيرة عيون أذهانكم»** . هذه حالة ناتجة عن تمتع المؤمنين «بروح الحكمة والإعلان في معرفة الله» . «مستنيرة عيون أذهانكم» — هذه هي الإنارة الروحية الباطنة التي تصل إلى القلب عن طريق «عيون الأذهان» الروحية ، مثلما تصل معرفة المرئيات الحسية إلى الذهن الطبيعي ، عن طريق «عيون الأجساد» . لقد شبه الرسول «الأذهان» بأجساد ذات «عيون» ترى المرئيات الروحية ، مثلما ترى عيون الأجساد المرئيات الحسية . وكما أن العيون الجسدية يلزمها نور طبيعي ترى به المرئيات ، كذلك تحتاج «عيون الأذهان» إلى نور «روح الحكمة والإعلان» لتستنير به في معرفة الحق الإلهي بل في معرفة الإله الحي الحقيقي .

من هذا يتبين لنا أن الإنارة الإلهية ليست مجرد علم طبيعي ، وإنما هي معرفة باطنية تصل إلى العقل فتصير علماء ، ثم تهبط منه إلى القلب والعاطفة فتضحي إحساساً حياً ، ثم تصل منه إلى الإرادة فتصبح قوة فعالة في حياة

## لتعلموا ما هو

الإنسان المتجدد. فلنتنبه إلى عيون أذهاننا ، ولنحرص على أن تكون بسيطة على الدوام : سراج الجسد هو العين ، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيتراً . وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً . فإن كان النور الذي فيك ظلاماً ، فالظلام كم يكون» (متى ٦: ٢٢ و ٢٣) .

— ب — الغاية الثانية — الغاية القصوى والسكالية في صلاة بولس :

« لتعلموا ... » . هذه هي الغاية القصوى التي كان يرمى إليها الرسول في صلاته ، وهي تمتير الغاية النهائية . أما الغاية الأولى الإعدادية ، فإنما هي وسيلة لهذه الغاية . فالمؤمنون يعطون روح الحكمة والإعلان لتستنير عيون أذهانهم . وما استنارة عيون أذهانهم إلا وسيلة بها يعرفون . ومع أنهم عرفوا هذه الأشياء أو جلتها منذ إيمانهم ، إلا أن الرسول طلب لهم المزيد من المعرفة الاختبارية . فهو لا يطلب لهم معرفة جديدة في نوعها ، بل درجة جديدة من هذه المعرفة .

ذكر الرسول ثلاث حقائق ، كموضوع لهذه المعرفة : الأولى تتناول الماضي . والثانية تشير إلى المستقبل . والثالثة تنصب على الحاضر . فهذه المعرفة المثلثة تلم بكل تاريخ القداء :

(١) الحقيقة الأولى — تتناول الماضي : « لتعلموا ما هو رجاء دعوته » .

لم يقل الرسول : « ما هو رجاء دعوتنا » أي « دعوة الله لنا » ، بل قصد ما هو أعم — « رجاء دعوته » . إن نسبة « دعوته » إلى « دعوتنا » ، كنسبة الكل

## رجاء دعوته

إلى أحد أجزائه . فالدعوة المقصودة هنا ، هي «دعوة الله» بأوسع معانيها ، وأقصى حدودها الغير المحدودة . وهي تتضمن كل البرنامج القداى الذى دبره الله للمؤمنين كمجموع . وهي تتم عن قصد الله فى حياة كل مؤمن بالذات ، كما قال بولس فى رسالة أخرى : «أسمى نحو الغرض لأجل جمالة دعوة الله العليا» (فيلبى ٣: ١٤) . والفرق بين كلام بولس فى رسالة فيلبى ، وكلامه فى هذه الرسالة ، هو أنه فى رسالة فيلبى تكلم عن «جعل دعوة الله» . وهنا تكلم عن «رجاء دعوة الله» . إن «رجاء دعوة الله» ، هو ذلك الأمل اليقيني الذى تولده هذه الدعوة فى قلب المؤمن . وهو بلا شك رجاء وطيد ، لأنه مبني على إرادة الله ، وشرفه ، وصدق مواعيده ، لا على مجرد آماني البشر وأشواقهم : «أمين هو الله الذى به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١ كورنثوس ١: ٩) . ومن المحقق أن الله الذى دعانا إلى جمالته العليا ، يمنحنا أيضاً قدرة نبلغ بها أعجابه هذه الجمالة التى دعانا إليها ، ورتبها لنا . فهو يعدنا بما أعدّه لنا . ويُعدنا لما وعدنا به . «أمين هو الذى يدعوكم الذى سيفعل أيضاً» (١ تسالونيكي ٥: ٢٤) .

هذه هي الدعوة الفعالة التى تنجز ماتعد لأنها «تعمل فى البشر أن يريدوا وأن يعملوا من أجل المسرة» (فيلبى ٢: ١٤) .

أما الرجاء الذى تولده هذه الدعوة الإلهية ، فى قلب الإنسان ، فقد وُصف فى الكتاب بعدة أوصاف : «الرجاء المبارك» (تيطس ٢: ١٣) ، «رجاء قيامة الأموات» (أعمال ٢٣: ٦) ، «رجاء بالله» (أعمال ٢٤: ١٥) ،

## وما هو غنى مجد ميراثه

«الرجاء المخلص»، «الرجاء الغير المنظور» (رومية ٨: ٢٤)، «الرجاء الحى» (١ بطرس ١: ٣)، «الرجاء الموضوع لنا فى السموات» (كولوسى ١: ٥)، «رجاء المجد» (كولوسى ١: ٢٧)، «رجاء الخلاص» (أفسس ١: ٨).

فما أجد هذه الحقيقة، وما أوسع مداها. فإذا كانت الدعوة ترجع بنا إلى قصد الله فى الماضى، فإن رجاءها يمتد بنا إلى وقت «استعلان أبناء الله» عند «ظهور ربنا يسوع المسيح» (رومية ٨: ١٩، ١ يوحنا ٣: ٢٢).

(٢) الحقيقة الثانية — تشير إلى المستقبل: «وما هو غنى مجد ميراثه

فى القديسين». غالباً لم يقصد الرسول فى قوله هذا، ميراث القديسين فى الله — مع أن هذا أمر هام (رومية ٨: ١٧). لكنه يرمى إلى ما هو أهم —

ميراث الله فى القديسين. وأى شيء فى القديسين يستحق أن يكون ميراثاً لله؟! أمام جلال هذه الحقائق وسموها، يضع المفسر قلمه جانباً، ويجلس صامتاً، مأخوذاً بجلال هذه الحقائق، متعجباً من سموها، وفى تعجبه يعجب وفى إعجابه يشكر، وفى شكره يتمبداً! هذه هى الحقيقة التى أعلنت للأمة الإسرائيلية قديماً: «إن قسم الرب هو شعبه يعقوب جبل نصيبه» (تث ٣٢: ١٠ و ٩) «وأنتم قد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لى تكونوا له شعب ميراث كما فى هذا اليوم»، (تث ٤: ٢٠) «هم شعبك وميراثك الذى أخرجته بقوتك العظيمة وبذراعك الرفيعة» (تث ٩: ٢٩)، «خلص شعبك وبارك ميراثك» (مزمور ٢٨: ٩)، «من خلف المرضعات أتى به ليرعى يعقوب شعبه واسرائيل ميراثه» (مزمور ٧٨: ٧١). «فالآن إن



## في القديسين . ١٩ وما هي

معمّم صوتي ، وحفظتم عهدي ، تكونون لي خاصة » (خروج ١٩: ٥) .  
 إن كلمة : « ميراثه » كما وردت في العهد الجديد باليونانية ، وفي العهد  
 القديم بالعبرانية ، لا تعني أكثر من كلمة « نصيب » على اعتبار أن المؤمنين هم  
 « خاصة الله » . أما مجد ميراث الله في القديسين فهو تلك القداسة المجيدة ،  
 الناضجة ، المكتملة ، التي يستمتع بها المؤمنون عند استعلان يسوع المسيح .  
 ولعل هذا ما أراده الرسول بقوله : « حرية مجد أولاد الله » (رومية ٨: ١١)  
 إذ يكونون حينئذ : « قديسين ، وبلا لوم قدامه في المحبة » .

أما غنى هذا المجد ، فهو الكمال ، والمملوء ، والوفرة ، التي يفيض بها هذا المجد  
 تذكرنا كلمة ، « غنى مجد » كما جاءت في هذا العدد ، بتلك الكلمة التي  
 وردت في العدد السابع — « غنى نعمته » . وما الفرق بين النعمة والمجد ،  
 سوى أن النعمة هي المجد في البزرة ، والمجد هو النعمة في البلوغ .

« غنى مجد ميراثه في القديسين » — هذه العبارة تعني بكلمة أوضح :  
 غنى مجد ميراث الله كما سيظهر ويتجلى أخيراً في القديسين . أو كما قال  
 الأسقف موليه — إنها تعني : « غنى مجد إسرائيل الجديد في كنعان الجديد  
 كما سيتجلى أخيراً في القديسين » .

عدد ١٩ | (٣) الحقيقة الثالثة — تنصب على الحاضر : « وما هي

عظمة قدرته الفائقة نجوتنا نحن المؤمنين » . جميل بالرسول أنه طلب لأجل  
 المكتوب إليهم ، أن يعرفوا « دعوة الله » ، و « غنى مجد ميراث الله »

## عظمة قدرته الفائقة نحونا

و «عظمة قدرة الله الفائقة» . ولكن أجل منه ، إنه أرادهم أن يعرفوا كل هذه الأشياء في صلتها بنا نحن المؤمنين . فإذا كانت هذه كلها عظيمة في ذاتها ، فإن عظمتها في نظرنا متى عرفناها في صلتها بنا . وبما أن الرسول قد أشار في العبارة السابقة إلى « مجد ميراث الله في القديسين » في المستقبل العتيد ، فمن الطبيعي أن يحدثنا عن عظمة قدرة الله الفائقة التي تعمل في قلوبنا في الزمن الحاضر ، لتعدنا لذلك « المجد العتيد » .

« عظمة قدرته الفائقة » — ثلاث كلمات تسند إحداها الأخرى ، كما تتساند الأحجار في البنيان المرصوص ، فيشد بعضها بعضاً . إن قدرة الله فائقة ، لأنها خارقة لكل النواميس الطبيعية ، فهي تتعدى كل التقديرات البشرية ، وتتعدى كل العوامل المنظورة ، لأنها تعمل في الدائرة الروحية الغير المنظورة فهي لذلك عظيمة — فائقة في العظمة . لذلك اضطر الرسول أن يضيف كلمة إلى كلمة ، لعل في تراكم هذه الكلمات وتجميعها ما يعبر عما يحيش في قلبه الكبير من عظمة قدرة الله الفائقة نحونا ، التي لم يعرف منها هو سوى « البعض » ( ١ كو ١٣ : ٩ ) ، ويريدهم أن يعرفوا منها درجة تلو درجة إلى أن تغمرهم هذه المعرفة ، وتملك عليهم مشاعرهم ، وتوجههم في حياتهم العملية أحسن توجيه

ومما يظهر عظمة شدة قوة الله الفائقة ، أنها قوة مختبرة ، فقد ظهر عملها في من هو أعظم منّا ، بل في من لا تجوز مقارنتنا به — ربنا يسوع المسيح — إذا أقامه الله من الأموات ، وأجلسه عن يمين العظمة في السماويات فوق كل

## نحن المؤمنين حسب عمل

رياسة ، وسلطان ، وقوة ، وسيادة ، وكل اسم .. وأخضع كل شيء تحت قدميه . وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة ... . هذا هو «المقياس المدرج» الذي به تقاس قوة الله، التي تفوق كل قياس. وقد لاحظ الدكتور روبنسون أن كلمة «قوة» التي وردت في هذا العدد ، قصرت في العهد الجديد على التعبير عن القوة الإلهية ، ولم يعبر بها قط عن القوة البشرية، كذلك الأمر في كلمتي «عمل» .. «وعمله» ، فإن بولس لم يستعملها إلا في التعبير عن عمل الله .

إن ماعملته هذه القوة الإلهية في المسيح ، إن هو إلا قياس لما عمله في الحال ، وستعمله في الاستقبال ، في الكنيسة التي هي جسد المسيح. لأن ما يعمل بالرأس هو عربون ، ومثال ، ونموذج ، علة ، وحجة ، لما يعمل بالجسد . ما أعظم القدرة المجيدة التي تسلمت المسيح جريحاً ، مصلوباً ، مماتاً ، ومدفوناً في القبر المظلم المختوم ، فأقامته من الأموات ، وأجلسته عن يمين العظمة وأخضعت كل شيء تحت قدميه ... وإياه جعلت رأساً فوق كل شيء ١١ إن هذه القوة بعينها ، هي التي وجهها الله نحونا نحن المؤمنين «فأحيانا بهامع المسيح ، وأقامنا معه ، وألصقنا به في السماويات» . لأن الشرف الذي يحظى به الرأس هو نصيب الجسد أيضاً . فكما اشركنا معه في آلامه ومحنه ، نشرك معه في قيامه ورفعته .

إذا أضفنا إلى هذا الفصل ما جاء في فيلبي ٢ : ٦ — ١١ وكولوسي ١ : ١٤ — ١٩ تكونت لدينا فكرة واضحة جلية عن عقيدة بولس الرسول في

## شدة قوته

لاهوت المسيح ، وهى بلا شك عقيدة المسيحية بأسرها . فى هذه الثلاثة  
الفصول سألقة الذكر ، تكلم الرسول عن جوهر لاهوت المسيح ، وبنوته الأزلية ،  
ويده العاملة فى الخلق ، وسيادته على الأكوان ، وتطوعه للتجسد والهووان ،  
وموته الكفارى ، وقيامته المجيدة ، وصعوده ، وجلوسه عن يمين العظمة فى  
الأعلى ، ورياسته على الكنيسة ، وإيداع روحه القدس فى كنيسة التى  
اقتناها بدمه الثمين .

ذكر الرسول فى هذه الأعداد ، أربع كلمات رئيسية ، هى فى حقيقتها  
أربع درجات فى سلم رفعة المسيح : « أقامه » ، « أجلسه » ، « أخضع » ،  
« جعل » . وكل درجة منها ممهدة لما بعدها ، ومتوالية لما قبلها . فالدرجة  
الأولى : « أقامه » — تشير إلى خروج المسيح من القبر ناقضاً أوجاع الموت ،  
كاسراً شوكته ، ظافراً بقوات الجحيم . والدرجة الثانية : « أجلسه » — تشير  
إلى صعود المسيح ، وجلوسه على عرش الملك والعظمة ، بعدما صنع بنفسه  
تطهيراً لخطايانا . والدرجة الثالثة : « أخضع كل شىء تحت قدميه » — تشير  
إلى سلطان سيادته ، وسيادة سلطانه ، باعتبار كونه مسيح الله الملك الذى  
تقلد سلطان ملكه بآلام صليبه ، لا بأسنّة حرا به . فأعطى السيادة والحكم  
على كل سلطة فى العالم الخارجى — فوق جميع الأعادى . والدرجة الرابعة :  
« إياه جعل رأساً » — تشير إلى رياسته على الكنيسة التى هى ملكوته الغير  
المنظور الجامع كل المؤمنين .

## ٢٠. الذي عمله في المسيح إذ أقامه

أعداد ٢٠ | في هذا العدد ذكرت درجتان في سلم رفعة المسيح :  
 الأولى قيامة المسيح من الأموات : «إذ أقامه من الأموات». إن قيامة  
 المسيح هي الحجر المركزي في صرح البشارة المسيحية، وهي الامتياز الخاص  
 الذي بذرت به المسيحية سائر الأديان ، وهي سر نصرتنا على الحياة والموت ،  
 وهي حجة يقيننا بالخلود ، وهي برهان قبول ذبيحة المسيح الكفارية .  
 إن قيامة المسيح حقيقة تاريخية ثابتة ، لن ينال البطل منها مهما تأللت  
 عليها قواته ، لأن سحابة عظمى من شهود الحق مكثفة إياها . فالحياة السامية  
 الفائقة التي قضاهما المسيح على الأرض . كان يجب أن تتوج بنصرته الفائقة  
 على الموت . إن معجزة حياته هي حجة معجزة قيامته ، إذ فيه وحده تمت  
 هذه الحقيقة : «علو في الحياة وفي المات» ! الموت ختام لكل حياة خاطئة ، لأن  
 «أجرة الخطية هي موت» . لكن الحياة الوحيدة التي لم تصل الخطية إلى ناحية  
 من نواحيها هي حياة رب الحياة ، لأن الموت لم يستطع إلى النيل منها سبيلاً .  
 وأقوال المسيح مؤيدة لقيامته . أليس هو القائل «لي سلطان أن أضعها  
 ولي سلطان أن آخذها . هذه الوصية قبلتها من أبي» ؟ (يو ١٠ : ١٧) «انقضوا  
 هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» ؟ (يو ٢ : ١٩) .

ناهيك عن شهادة القبر الفارغ الذي ختمه الأعداء . فختموا شهادته .  
 وظهور المسيح لتلاميذه في خلال الأربعين يوماً التالية لقيامته ، وإحجام  
 التلاميذ ، الذي استحال بعد قيامة سيدهم إقداماً ، ويأسهم الذي انقلب بأساً ،  
 (٧)

## من الأموات

وإبدال السبت اليهودى بالأحد المسيحى ، وقيام الكنيسة المسيحية برسلها الإثنى عشر . كل هذه سجابة شهود مؤيدة لحقيقة القيامة .

هذه هي الحقيقة التاريخية التى جعل منها الرسول قوة روحية فى حياة المؤمن الفرد ، وفى حياة الكنيسة كجموع . فثما أقيم الرأس ، أقيم معه الجسد وكما أن الرأس حى كذلك جسده أيضاً حى : « فإن كنتم قد قتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . إهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله . متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ نظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد » ( كولوسى ٣ : ١-٣ ) .

« إذ أقامه من الأموات » — هذا هو عمل شدة قوة الله معلناً نصرته المسيح على الموت ، وتحرره من عقاب الخطية ، وكمال عمله القدائى .

ولا يبرح عن أذهانتنا أنه وإن كانت قيامة المسيح تُعزى هنا ، وفى بعض مواضع أخرى ، إلى عمل قوة الله الأب ، إلا أنها تُعزى أيضاً إلى قوة المسيح نفسه : « لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها » ( يوحنا ١٠ : ١٧ و ١٨ ) .

« انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه » ( يوحنا ٢ : ١٩ ) . فحينما يراد التعبير عن رضى الله الأب عن ذبيحة المسيح الكفارية ، تنسب قيامة القادى إلى عمل قوة الأب . وفيما إذا قصد التعبير عن قوة المسيح الإلهية وقطوعه للموت القدائى حراً مختاراً ، عزيت قيامته إلى عمل قوته الخاصة باعتبار كونه رب الموت والحياة . وإذا ما قصد التعبير عن نصيب الروح القدس فى عمل القداء ، نسبت إليه قيامة المسيح ( روم ٤ : ١ ، ١ بطر ٣ : ١٨ ، روم ٨ : ١١ )

## وأجلسه عن يمينه في السماويات

الدرجة الثانية : جلوس المسيح على عرش الملك والعظمة

«وأجلسه عن يمينه في السماويات». هذه العبارة تفترض صعود المسيح الذي تكلم عنه الرسل والبشرون مراراً وتكراراً (مرقس ١٦: ١٩، لوقا ٢٤: ٥١، أعمال ٢: ١ و ٩ و ٢٣: ٢ و ١٩: ٣ و ٢٠: ٥ و ٣١: ٧ و ٥٥: ٧، رومية ٨: ٣٤، ١ كو ١٥: ٢٥، فيلبي ٢: ٩، بطرس ٢: ٢٢، رؤيا ٢١: ٣ و ٦: ٥)

«عن يمينه» — هذه عبارة مجازية لا تشير إلى مكان معين ، بل إلى حالة ممتازة رفيعة . وهي تعني جلوس المسيح في عرش الله (رؤيا ٢١: ٣) لا مجرد قربه من العرش ولا تقدمه أمام العرش . كان المسيح قبل التجسد « عند الآب » ( يوا ١: ١ ) ، « وفي حضن الآب » ( يوا ١: ١٨ ) ، وبعد أن أكمل عملية الفداء ، عاد إلى مقامه الأول ، فاستوى على العرش . فقد تمثل الخلائق أمام عرش الله لكن المسيح ليس واحداً منها ، ولذلك فهو على العرش ليحكم ، ويدين ( عبرانيين ١: ١٣ ، زكريا ٦: ١٣ ، مزمور ١١٠: ٤ ) .

« والجلوس عن اليمين » يرمز أيضاً إلى مقام الشرف والاقتدار، والعظمة والإجلال ، وهو يشير أيضاً إلى ارتياح المسيح بعد إتمامه عملية الفداء : « وأما هذا فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله » (عب ١٠: ١٢) . بعد أن أتم الخالق عملية الخلق ، استراح فاستوى على العرش ، كذلك بعد أن أكمل القادى عمل الفداء ، استراح فاستوى على العرش . أما مقر عرش المسيح ، فقد بينه الرسول في قوله : « في السماويات » . ولقد سبقنا فشرحنا هذه العبارة في العدد الثالث من هذا الأصحاح حيث

## ٢١ فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة

وردت لأول مرة : وهي الدائرة السماوية التي فيها يُظهر مجده وسيادته ، وملسكه . وهي مقام ، ومكان فيه يحل المسيح بجسده المقام المجد . لأن وجود جسد يفترض وجود مكان يحل فيه هذا الجسد ، ولو أننا نعجز عن إدراك كنهه وسبر غوره .

**عدد ٢١** مقياس سمو عرش المسيح «فوق كل رياسة ، وسلطان ، وقوة وسيادة، واسم» . أمامنا خمس كلمات متجمع بعضها فوق بعض ، بفضل غنى أسلوب الرسول الخصب ، لتعطينا فكرة — ولو ضئيلة — عن مقياس سمو عرش المسيح ، وسيادته المطلقة ، وهي تضم بين دفتيها كل حكومات البشر وسيادتهم ، وكل درجات الملائكة الأخيار وسلطتهم ، وكل سيادات الملائكة الأشرار وإماراتهم — سواء فيها المعلوم والمجهول ، ما يخطر لبالنا نحن البشر وما لا يخطر لنا ببال . فعرش المسيح فوق كل هذه الرياسات يمراحل تتعدى كل حصر وتتحدى كل قياس . ومتى ذكرنا أن طائفة الغنوسيين التي كانت معاصرة لبولس الرسول ، خلعت على الملائكة سلطاناً ليس لهم ، وأوصت الناس بعبادتهم من دون الله ، جاز لنا أن نعتقد أن الرسول أضاف هذه الخمس الكلمات بعضها إلى بعض ليسحق بها عقيدة الغنوسيين ، ويطعن بها في الصميم .

ويقول كاندلش : إن الكلمتين الأوليين : «رياسة وسلطان» تشيران إلى ذوات حية عاقلة من طغمة الملائكة ، أمثال تلك التي ورد ذكرها في



## وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط

دانيال ١٣:١٠ و ٢٠ و ٢١ ، تثنيه ٨:٣٢ — حسب نص الترجمة السبعينية .  
وأن الكلمة : « قوة » تشير إلى السلطة المنظمة كما في جيش مستوفى النظم .  
وأن كلمة : « سيادة » تعنى القوة المعنوية التى تحفّ بهذه الجيوش ، وبها  
تبسط سلطانها ونفوذها .

استنتج بعض مفسرى القرون الوسطى ، من هذه الآية مضافاً إليها  
ما جاء فى كولوسى ١:١٦ ، أن للملائكة تسع درجات متفاوتة . وارتأى  
البعض الآخر أن للملائكة ثلاث رتب رئيسية . فى كل رتبة منها ثلاث  
درجات متفاوتة . على أن هذه الأقوال — كدنا نقول الأقاويل — لا تعدى  
حدود الحدس والتخمين .

يلوح لنا أن بولس أراد أن يتحدى الأجيال ، بسلطان المسيح المطلق ،  
فقال : « فوق كل . . . وكل اسم يسمى ، ليس فى هذا الدهر فقط بل فى  
المستقبل أيضاً » . إن كلامه هنا يذكرنا بقوله فى فيلبى : « لذلك رفّعه الله  
أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لى تبحّثوا باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء  
ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح  
هو رب لمجد الله الأب » ( فيلبى ٢: ٩ — ١١ ) . ويراد بـ « كل اسم » هنا ، كل  
ذات ، أو لقب ، أو مقام ، أو شرف ، أو سلطان . ولسكى يؤكّد الرسول أن رفعة  
المسيح أبدية خالدة ، قال : « ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً » .  
فما أعجب هذه الرفعة المجيدة التى امتاز بها الناصرى الذى ولد فقيراً  
وعاش فقيراً ، ومات فى زمرة الفقراء ، بل مات كما يموت المجرمون ، معلقاً

## بل في المستقبل أيضاً ٢٢. وأخضع كل شيء تحت قدميه

على صليب العار والهوان !!! إن هذه الإعلانات الجليلة السامية تبهر عيوننا بوهج ضيائها فتكاد تصبح كعينى بولس وقت تجديده « إذ كان مفتوح العينين لا يبصر أحداً » (أعمال ٩: ٧). فعرش المسيح متعال جداً فوق كل سلطان، حقيقةً كان أم غير حقيقى، صالحاً كان أم طالحاً، كائناتى الحال أم سوف يكون فى الاستقبال.

### عدد ٢٢ الدرجة الثالثة : إخضاع كل شيء تحت قدمى

المسيح : « وأخضع كل شيء تحت قدميه » وهكذا تم لفادى البشرية، ذلك النصيب الأكمل الذى أراده الله للإنسان الكامل ، فقصر دونه الإنسان الساقط . وهذا يتضح جلياً من ربط ثلاث آيات معاً ربطاً متماسكاً كـثلاث حلقات فى سلسلة واحدة : الآية الأولى : « وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها » (تكوين ١: ٢٨) . الآية الثانية : « فمن هو الإنسان ... جعلت كل شيء تحت قدميه » (مزمور ٨: ٤ و ٦) . الآية الثالثة : « على أننا لسنا نرى السكل بعد خضوعاً له . ولكن يسوع الذى وضع قليلاً — أى إلى حين — عن الملائكة نراه مكلاً بالمجد والكرامة » (عبرانيين ٢: ٦ — ٩) .

فما فشل فيه آدم الأول ، فاز به آدم الثانى — المسيح . ولكي يبين الرسول مبلغ خضوع كل شيء وكل شخص تحت سلطان المسيح المطلق، عبّر عنه تعبيراً قوياً، بقوله : « تحت قدميه » — هذا هو خضوع الإذلال والتعبد.

## وإياه جعل رأساً فوق كل شيء

فاذا لم يكن المسيح إلهاً ، لست أدري لمن غير الله يخضع كل شيء وكل شخص هذا الخضوع التام !!

«وأخضع كل شيء تحت قدميه» — بهذه العبارة يكتمل وصف رفعة المسيح وملكه ، على مثال ما وصفه به بولس في اكو ١٥ : ٢٥ — ٢٨ ، إذ أبان الرسول سيادة المسيح على الخطية والموت ، مثلاً أبان في العدد السابق سيادته على جميع الخلائق الحية العاقلة ، في السماويات فهي إذاتكون حلقة اتصال بين سيادة المسيح على الخلائق الحية الموصوفة في العبارات السابقة ، وبين رياسته على الكنيسة ، كما هي موصوفة في العبارات اللاحقة .

**الدرجة الرابعة : جعل المسيح رأساً... للكنيسة : وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة .** قدم الرسول كلمة «إياه» على كلمة «جعل» على سبيل التوكيد — فهي تعني : إياه وحده دون سواه . وبهذه العبارة انقوية كالسهم ، أبان أن فادينا المسيح المقام الممجّد ، المتسلط على كل الكائنات المنظورة والغير المنظورة ، والسائد على كل قوات الدهر الحاضر والدهور الآتية ، قد أعطاه الله للكنيسة رأساً حياً محيياً ، فما أجلّ مقام الكنيسة في نظر الله . وما أعظم قدرها عنده !! فالكنيسة هي جسد المسيح وكل مجدنا له الرأس ، يكون للجسد نصيب وفير منه . فصيرورة المسيح رأساً فوق كل شيء يعود بالنفع الجزيل على الكنيسة لأنها تشاطره هذا المجد الرفيع . لأن هذا الكائن الحى الرفيع الشأن المتسلط على الكون بأسره ، هو رأس الكنيسة . هذا أول مرة تلتقى فيها بكلمة : «كنيسة» في هذه الرسالة ، وفيما بعد

## للكنيسة

نلتقى بها ثمان مرات أخرى (٣: ١٠ و ٢١، ٥: ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٢) ومعناها الحرفي «مدعو من» العالم الساقط إلى اتحاد حيوى مع المسيح الممجد. وقد أشار إليها الرسول ضمناً في كلمة «دعوته» (١: ١٨). وهى تعنى الجماعة المسيحية، وتقابلها فى العبرية الكلمة المترجمة «الجامعة»، فهى الجماعة الروحية التى آلت إليها المجتمع اليهودى. فلا عجب إذا سُمى مجمع اليهود فى الوقت الحاضر بـ «الكنيس».

«الكنيسة» هى «العروس امرأة الحمل» التى رآها يوحنا (رؤيا ٢١: ٩) هى الجماعة التى دعاها الله، فبرّرها ومجّدها (رومية ٨: ٣٠)، هى «كنيسة الأبرار» التى حدثنا عنها كاتب الرسالة إلى العبرانيين (عب ١٢: ٢٣)، هى «الجنس المختار، والكهنوت الملوكى، والأمة المقدسة»، وشعب الاقتناء كما علمنا عنها بطرس الرسول (١ بطرس ٢: ٩). هى جسد المسيح السرّى. فالمسيح هو مصدر حياتها، وعلة كيانها، وأصل وجدانها. هو ملكها، ومحبها محبة الإنسان لجسده هو الموحى إليها بإرادته، المجرى فيها، وبها، وبواسطتها سلطان قدرته وقدرة سلطته. تمتاز صلته بها عن صلته بسائر المخلوقات، بهذه الرابطة الحيوية القوية التى عبّر عنها هو بقوله: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان». فالأغصان تستمد عصارة حياتها من الكرمة، والكرمة تجود بثمارها بواسطة الأغصان. وغير خاف أن مقام الرأس بالنسبة إلى الجسد فى هذه القرينة يختلف عنه فى الكورنثوس ١٢: ١٢. هناك تكلم الرسول عن الرأس باعتبار كونه أحد

## ٢٣ التي هي جسده ملء

أعضاء الجسد، وهنا تكلم عنه باعتبار كونه سيداً لجسد وحياة الجسد بل كل الجسد. هذا يوافق قوله في ١ كور ١٢: ١٢ «لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد» كذلك المسيح أيضاً. فكأن الكرمة تعني الجذع والأغصان معاً، كذلك المسيح هو الرأس والجسد معاً، لأنه هو الكل في الكل.

## | عدد ٢٣ | مقام الكنيسة بالنسبة إلى المسيح ومقام المسيح

بالنسبة إلى الكون بأسره : استعملت كلمة: «التي» في غرة هذا العدد لتدل على أن ما بعدها حجة لما قبلها. فهي بمثابة قوله «لأنها هي» أي أن المسيح صار رأساً فوق كل شيء للكنيسة لأنها هي جسده. ملء الذي يملأ الكل في الكل.

أوضح الرسول مقام الكنيسة بالنسبة إلى المسيح في كلمتين :

أولاهما : «جسده» - وهي تصف الصلة الحية المكنية التي تربط الكنيسة بالمسيح. فالجسد مرتبط ارتباطاً حياً بالرأس، ويعتمد منه حياته وإرادته، ويخضع لكل إشارة منه، وهو موضوع محبته.

والكلمة الثانية : «ملء» - هي بدل من الكلمة الأولى «جسد»

وهي تصف الوظيفة الحية التي تقوم بها الكنيسة في نسبتها إلى المسيح. إن كلمة «ملء» من مميزات رسائل بولس التي كتبها في السجن، سيما رسالته إلى كولوسي، ورسالته هذه وهي قد تفيد: (١) الفاعلية أي المائلة،

## الذي علا الكل

أو المتمة ، على اعتبار أن الجسم متمم للرأس وبه يعبر الرأس عن ميوله ، ويحقق آماله ، وينفذ رغائبه ، ويجري سلطانه . فكما أن الأغصان متمة للكرمة على اعتبار أنها تحمل ثمار الكرمة ، كذلك يعتبر الجسد متمم للرأس باعتبار كونه منفذاً لإرادته ، وبه يسير ويتحرك على الأرض ، وهو شريك آماله وآلامه . هذا يذكرنا بقول الرسول في رسالة معاصرة لهذه « أ كمل نقائص شداوند المسيح » ( كو ١: ٢٤ ) . فمع أن المسيح تحمل كل الآلام ، تامة غير ناقصة في شيء ، فقال « قد أ كمل » إلا أن بولس باعتبار كونه أحد أعضاء جسد المسيح ، له — بل عليه — أن يشاطر الرأس آلامه . فقال « أ كمل نقائص شداوند المسيح في جسدي » . وفي هذا يقول يوحنا الذهبي الفم : « كما أن ملء الرأس هو الجسد ، كذلك ملء الجسد هو الرأس »

وقد تفيد الكلمة « ملء » : (٢) « المفعولية » أي أن الكنيسة مملوءة من المسيح وقد وردت بهذا المعنى في مرقس ١٦: ٤٣ في قوله « اثنتى عشرة قفة مملوءة » ( أنظر أيضا مرقس ٨ : ٢٠ ) ، وفي ١ كو ١٠ : ٢٦ « لأن للرب الأرض وملاها » وفي كولوسي ١ : ١٩ « لأن فيه — في المسيح — سر أن يحل كل الملء » ( أنظر أيضا كولوسي ٢ : ٩ ) « فإنه فيه » — في المسيح — « يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » . فكما أن ملء اللاهوت حل في المسيح المتجسد ، كذلك ملء المسيح حل في الكنيسة التي هي جسده . على أن ملء اللاهوت حل في المسيح بغير حد ولا قياس ، لكن ملء المسيح يحل في

## في الكل

الكنيسة على قدر اتساعها وقابليتها . « افخر فاك فأملأه » .

هذا المعنى الثانى مطابق لبقية الآية التى تظهر مقام المسيح بالنسبة إلى الكون بأسره : « الذى » — أى المسيح « يملأ الكل فى الكل » . فليس المسيح مالئاً الكنيسة وحدها ، لكنه أيضاً يملأ كل الكون فى كل زمان ، وفى كل مكان ، بكل شيء ، إذ هو الكل فى الكل .  
فالكون من دونه « خرب وخال ، وعلى وجه غمره ظلمة » (تلك ١: ٢) .

## الأصحاح الثاني

في نهاية الأصحاح الماضي، رأينا المسيح ملكاً مقاماً رفوعاً، ممجداً، متسلطاً على كل القوات الملائكية وغير الملائكية، في السماويات، مائتاً كنيسة بحياته وشخصه، منفذاً بها مشيئته، ومعلنناً بواسطتها جلال مجد نعمته، ومائتاً كل الكون بجلال حضرته، وسلطان قوته. فهو مركز الدائرة في الكون بأسره «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته». هو علة «كل ما هو حق، وجميل، وطاهر، ومسر» في الكون. هو حياة الكل وكل الحياة!

على أن رسول الأمم، لم يكتف بتبليان المجد الذي ناله المسيح رأسنا ورئيسنا الأعلى، بل أظهر أن المجد الذي تسكل به «الرأس» هو عين المجد الذي صار من نصيب «الجسد» — والقياس مع الفارق — لأن الجسد يشاطر الرأس آلامه وآماله. وما جسد المسيح إلا جماعة المؤمنين المفديين في كل أمة، وفي كل جيل. فكما أقيم المسيح بعد أن مات عن الخطية، كذلك أقمنا نحن أيضاً معه بعد أن كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا، وكما أجلس المسيح على عرش المجد، كذلك أجلسنا نحن أيضاً معه في سماويات. فعمل شدة قوة الله الذي عمله في المسيح، قد عمله أيضاً، في المؤمنين به من اليهود — وبولس الرسول واحد منهم — ومن الأمم، هؤلاء عم المعنثيون بقوله: «... وأنتم». هذه هي عظمة قدرة الله الفائقة التي يريد هم الرسول أن يعرفوها (١: ١٩).

فلنستقبل هذا الفصل الجديد بروح الخشوع والتعبد. لأن الرسول لم



يكتب هذه الحقائق بقلم جاف ، كما لو كان محاضراً ، بل كتبها بمحلول من ذوب قلبه ، لأنه في كتابته كان متعبداً ، ومخبراً بحقائق جليلة سامية ، تمس المؤمن في تاريخه الماضي ، وحالته الحاضرة ، وحياته العتيدة .

في الأصحاح الأول تكلم الرسول عن دعوة الله العليا التي قصدها بالكنيسة ، وعن الأجداد العلوية التي رُفِعَ إليها رأس الكنيسة — فكان بذلك متكلماً عن عمل شدة قوة الله في علوه . وفي هذا الأصحاح الثاني رغب الرسول إلى المؤمنين أن يلقوا نظرةً إلى « النقرة » التي منها أخذوا ، بل إلى المقبرة التي منها أُقيموا ورفعوا — فكان بهذا متكلماً عن عمل شدة قوة الله في عمقه . لذا وجه الخطاب أولاً إلى الأمم بقوله : « إذ كنتم أمواتاً . ولئلا يلتبس الأمر على الأمم فيظنوا أنهم هم الموتى دون سواهم ، أزال الرسول عنهم هذا اللبس ، فقرر أن اليهود ، بلا استثناء — بما فيهم الرسول نفسه — يشاطرون الأمم هذا الماضي المظلم ، فقال في بدء العدد الثالث . . . نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا . . . وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين » — أي الأمم — « أيضاً » . إن هذا الاستدراك شبيه بذلك الذي مررنا به في العدد الثالث عشر من الأصحاح الأول . ولكنها يختلفان في هذا : في الأصحاح الأول تكلم الرسول عما نال اليهود من بركات في المسيح ( ١ : ١١ ) . ولئلا يظن الأمم أن اليهود هم وحدهم أصحاب هذه المزايا ، أزاح عنهم هذا الظن بقوله : « الذي فيه أنتم أيضاً » — أيها الأمم — « . . . إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » . لكنه في الأصحاح الثاني تكلم عن « المقبرة » المظلمة التي أقيم منها الأمم ، ولئلا يتوهموا أن الرسول أراد أن

يذكرهم دون سواهم بماضيهم المظلم ، أزال عنهم هذا الوهم بقوله في العدد الثالث : « الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم » — أى لستم أنتم وحدكم أصحاب الماضي التemis الغير المشرف ، بل نحن أيضاً « كنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين » .

ومن الملاحظ أن الرسول — من فرط المعلنات المسلمة له — كثيراً ما عرج في سياق كلامه على بعض العبارات ليزيد المعنى إيضاحاً .

وما قصد بولس بتوجيه التفات الأمم واليهود معاً ، إلى حالتهم الطبيعية الساقطة ، إلا ليرفع أنظارهم إلى أمجاد الحالة الراقية التي رفعتهم إليها النعمة الإلهية . فيحق لنا أن نلقب هذا الفصل بـ « معجزة النعمة » — أو « من الطبيعة إلى النعمة » — أو « ما كنا عليه بالطبيعة ، وما صرنا عليه بالنعمة »

وعلة العلة في هذا الفارق العظيم الذي بين ماضينا ومستقبلنا — « الله » (٤:٢) أما قصده في كل هذا ، فهو إظهار « غنى نعمته الفائت باللفظ علينا في المسيح يسوع » (٧:٢) . هذا ملتقى الأصحاح الأول ، بالأصحاح الثاني من هذه الرسالة : في العدد السادس من الأصحاح الأول ، نجد القول : « لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب » . وفي العدد السابع من الأصحاح الثاني ، نجد القول : « ليظهر غنى نعمته الفائت باللفظ علينا في المسيح يسوع » . وكل قول منها موآز للآخر ومكمل له ، ومفسر .

هذا الأصحاح يماشى الأصحاح الأول من سفر التكوين — هذا يتكلم عن الخليقة الثانية وذاك عن الخليقة الأولى .

## معجزة النعمة (١: ٢ - ١٠)

أولاً: ما كنا عليه بالطبيعة - ١: ٢ - ٣

- (١) ماضينا - ١: ٢ - الأمم وخدمهم  
 (٢) مسلكنا - ٢: ٢ - ٣ (أ) - اليهود والأمم معاً  
 (٣) استحقاقنا الطبيعي - ٢: ٢ (ب) - اليهود وخدمهم

ثانياً: ماضينا إليه بالنعمة ٤: ٢ - ١٠

- (١) أساس عمل إله النعمة - ٤: ٢ و ٥ (ب)  
 — أ — غنى رحمة الله - ٤: ٢ (أ)  
 — ب — عظمة محبة الله - ٤: ٢ (ب)  
 — ج — مجانية نعمة الله - ٥: ٢ (ب)  
 (٢) ماهية عمل إله النعمة - ٥: ٢ (أ) «أحيانا»  
 (٣) قوة عمل إله النعمة ٦: ٢

- أ — أقامنا - ٦: ٢ (أ)  
 — ب — أجلسنا - ٦: ٢ (ب)  
 (٤) غرض إله النعمة من عمل نعمته - ٧: ٢  
 — أ — وقت إظهار غرضه - ٧: ٢ (أ)  
 — ب — حقيقة غرضه - ٧: ٢ (ب)  
 (٥) أسلوب عمل إله النعمة - ٨: ٢ - ١٠  
 — أ — علة خلاصنا «النعمة» ٨: ٢ (أ)  
 — ب — وسيلة خلاصنا «الإيمان» ٨: ٢ (ب)  
 — ج — غاية خلاصنا - تمجيد الله وحده - ٩: ٢  
 — د — ثمر خلاصنا - أعمال صالحة معدة - ١٠: ٢

اليهود والأمم معاً

هذه تسبيحة النعمة، أنشأها رسول النعمة - مطلعها: «أنتم» (عدد ١)،  
 وقلبها النابض: «الله» (عدد ٤)، وقرارها المتكرر: «بالنعمة أنتم مخلصون»

## ١ وأنتم إذ كنتم أمواتاً

(عدد ٨ و ٥) وختامها: «لأعمال صالحة... نسلك فيها». فلنترنم بها، ونحن على ركبنا جاثون، لأننا إن ارتكبنا شراً فلا عُذر، وإن أتينا خيراً فلا فخر أولاً: ما كنا عليه بالطبيعة ٢ : ١ - ٣

**عدد ١** (١) ماضينا - (٢ : ١) . « وأنتم إذ كنتم أمواتاً

بالذنوب والخطايا ». هذا تعبير مجمل، يصف الغير المؤمنين في:

١ - حالتهم الطبيعية: «أمواتاً»: إن الموت المقصود هنا هو الموت الروحي، الذي هو بُعد النفس عن الله. وكما أن الموت الجسدي ينشأ عن انقطاع كل صلة بين الجسد وبين أسباب الحياة الطبيعية المحيطة به - كالهواء وما إليه، كذلك يقع الموت الروحي عند انقطاع الصلة بين النفس وبين الإله الحي الذي هو مصدر حياتها، وعلة كيانها. يؤيد هذا، وصف آخر وصف به الرسول الغير المؤمنين: «إذ هم مظلومو الفكر ومتجنبون عن حياة الله» - هذه هي البيئة الروحية، فتمت انقطعت كل صلة تربطهم بها، أمسوا أمواتاً فعلاً وحقاً.

ب - علة موتهم: « بالذنوب والخطايا ». هذا هو الداء الدفين

الذي تغلغل في البشرية، فأبعدها عن الله الذي هو مصدر الحياة والنور فماتت البشرية بهذا الداء العياء. وإذا كانت الخطيئة علة موت الإنسان، فهي أيضاً المقبرة التي يطسوى فيها، ولذلك فهو أيضاً ميت في «الذنوب والخطايا». قد يجوز أن نميز بين الذنوب والخطايا،

## بالذنوب والخطايا . ٢ التي سلكتم فيها

فنقول: إن الذنوب هي الاعتداء على شريعة أو هي كسر حاجز والاصطدام به ، والخطايا هي القصور أو التقصير في عدم إصابة المرمى . ويقول بعضهم : إن الأولى تشير إلى خطايا الترك ، وأن الثانية تعني خطايا الفعل . ويقول البعض الآخر : إن الأولى تشير إلى الخطايا الفعلية التي يرتكبها الإنسان متعمداً مختاراً ، وأن الثانية تعني الخطايا الأصلية الموروثة من آدم الأول . ويعتقد سواهم : أن الذنوب هي ما يرتكب ضد الإنسان . وأن الخطايا هي ما يرتكب ضد الله تعالى . ويقول آخرون : إن الذنوب تشير إلى الفعل الظاهرة ، الخطايا تتناول النيات الخفية التي في القلب . ومع ميلنا إلى الأخذ بالرأي السابق للأخير ، إلا أنه ليس من السهل أن نحكم بأفضلية أحدها .

**عدد ٢ (٢) .** سلكنا — (٢: ٢ — ٣ (١) ) . « التي سلكتم »

هذه حالة شاذة غريبة ، لأننا لم نكن بالطبيعة أمواتاً جامدين بغير حركة ، مثلما يكون عادة موتى الأجساد ، بل كنا أمواتاً متحركين : « سالكين » . فليست « الذنوب والخطايا » مجرد مقبرة يتوارى فيها موتى النفوس والأرواح ، وإنما هي « بيئة » حية ، أدبية ، « فيها يوجد الخطاة ، ويحيون ، ويتحركون » ، ويسلكون . إن مسألة السلوك غاية في الأهمية ، وهي ذات اعتبار خاص لدى أئمة اليهود الذين سبقوا بولس والذين عاصروه . فقد استهل سفر المزامير بالكلام عن السلوك : « طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار » . ولليهود سفر جليل مختص بأداب السلوك

## قبلا حسب

يُعرف بـ « كتاب الهاثا »  $\text{הַאֲתָהָ}$  ، وجاء فيه :  
 « قبل ستموط الإنسان ، كان الله علة حياة نفوس البشر ، ومشتبهى  
 أرواحهم ، وغاية آمالهم . لكن بعد السقوط ، أضحت الخطايا أمنية  
 نفوسهم ، ومطمح أرواحهم ، ومشتبهى آمالهم » .  
 إن كلمة « قبلا » تصف المكتوب اليهم في حالتهم قبل إيمانهم بالمسيح  
 و « السلوك في الذنوب والخطايا » — يعنى : سلباً : سير الإنسان في هذه  
 الحياة ، بعيداً عن مصدر الإرشاد الإلهي ، وهو غير شاعر بالحب الإلهي  
 وغير مُلب للنداء السماوي . وإيجاباً : هو السير حسب اتجاهات روح العالم  
 وإيحاءات الشيطان ومشيدات الجسد . هذا هو العدو المثلث الذي يستأمر  
 بأفكار الإنسان الغير المتجدد ، ويستهو به لذاته ، ويخضعه لنفوذه وسلطته :  
 العالم ، والشيطان ، والجسد — هذا هو مثلث الشر ، والفساد ، والدمار .  
 فالعالم حوالينا ، والشيطان علينا ، والجسد داخلنا . العالم عصر ، والشيطان  
 روح ، والجسد مبدأ .

١- « العالم » — ( كوزموس ) — لا يراد به هذا الكون  
 المنظور ، بما فيه من أفلاك ، وجبال ووديان ، وبحار وأنهار — فكلها من  
 صنع الإله الحكيم ، وهي تحدثنا دوماً بمجده وجلاله ( مز ١٩ : ١-٦ ) ولا  
 الناس الذين في العالم . لأن هؤلاء « أحبهم الله » ( يوحنا ٣ : ١٦ ) . ولا  
 يقصد به الوظائف ، والصنائع ، والحرف ، التي يحترفها الناس في العالم ،  
 لأن المسيح نفسه كان نجاراً . وإنما يراد بـ « العالم » — مظاهر الحياة

## دهر هذا العالم

الجذابة الخلابية ، التي تسلب اللب، وتستهوئ القلب: «شهوة الجسد، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم » (١ يوحنا ٢: ١٦) .

«دهر هذا العالم » — هذا نموذج من غنى أسلوب الرسول . فربما كانت إحدى هاتين الكلمتين كافية للإفصاح عما في فكره ، لكنه أضاف كلمة إلى أخرى ليجعل غنى المبنى متمشياً مع غنى المعنى . ويستفاد مما جاء في بعض أسفار الرابينين ، أن كلمة « دهر هذا العالم » تعني العصر الحاضر السابق لمجيء مسيحا ، تقابلها كلمة « لدهر الآتي » و «العالم الآتي» ، التي تشير إلى العصر اللاحق لمجيء مسيحا ، ومما جاء في كتب الرابينين من هذا القبيل : « أن الإله العلي قد أعطى «العالم الحاضر» لكثيرين ، وأما العالم العتيق فقليلين » (قابل اسدرا ٨: ١ و ٩ مع متى ١٢: ٣٢) . فالدهر هو روح العصر الذي يلهم الإنسان بالساعة الحاضرة البائدة عن الحياة الأبدية الخالدة . ويصرفه بالمنظور عن غير المنظور . ويبيعه مجد بركة باقية ، بلذة أكلة زاهية (عب ١٢: ١٦) . هذا ما أراده بولس بقوله : « لأن هيئة هذا العالم تزول » (١ كور ٧: ٣١) ، « ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر » (٢ تي ٤: ١٠) . بل هذا ما قصد يوحنا بالقول « والعالم يمضي وشهوته » (١ يوحنا ٢: ١٧) . هذا هو « الدهر » الذي يطلب إلينا الرسول « أن لا نشاكله ، بل أن نتغير عن شكلنا بتجديد أذهاننا ، لنختبر ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢: ٢) .

الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى « دهر » يجوز أن تُترجم أيضاً

## حسب رئيس

إلى «أسلوب» أو «نمط» أو «مسلك» ، فتقرأ العبارة كلها هكذا : « التي سلكتم فيها قبلاً حسب مسلك هذا العالم . هذا هو المسلك الذي ينافي إرادة الله ، ويكون غالباً مقاوماً لها (أطلب يوحنا ٨ : ٢٣ و ٩ : ٣٩ و ١٢ : ٢٥ و ٣١ و ١٣ : ١ و ١٦ : ١١ و ١٨ : ٣٦ ، ١ كو ١ : ٢٠ و ٣ : ١٩ و ٧ : ٣١ و ١ يو ٢ : ١٧) . غير أن موقف المؤمن الحقيقي إزاء العالم ، واضح في قوله : « قد صلب العالم لي وأنا للعالم » (غلا ٦ : ١٤) .

إن كلمة « سلوك » هي إحدى الكلمات الاستعارية المميزة لأسلوب بولس الرسول . وهو يشير بها هنا إلى الحياة التي يكون حب الذات قائدها ، وروح الشيطان مرشدها ، وأسلوب العالم الملتوى رائدها ، بدلاً من أن يكون الله هادياً وعضدها . وقد استعمل الرسول هذه الاستعارة سبع مرات في هذه الرسالة ( ٢ : ٢ و ١٠ : ٤ و ١ : ١٧ و ٥ : ٢ و ٨ و ١٥ ) . وليس بغريب أن يكثر الرسول من ترديد هذه الكلمة فهو الذي يعتبر الديانة « طريقاً » سواء أ كانت يهودية أم مسيحية (أعمال ٢٤ : ١٤) . ولعل لوقا استعارها منه للتعبير عن فكرته في الديانة المسيحية .

ب- الشيطان : « حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية » . ذكرت هاتان العبارتان وصفاً للشيطان — (١) أولاهما تصفه في مقامه ، ومكانه : « رئيس سلطان الهواء » . هذا مكان أعلى من « العالم » حيث يعيش الإنسان ( عدد ٢ ) ، وأدنى من « السماويات » حيث « أجلس المسيح ، وأجلس معه المؤمنون » ( عدد ٦ )



## سلطان الهواء

ولعله تعبير عبري استعاره بولس من مصادر يهودية . والظاهر أن العالم بعد السقوط ، صار هدفاً لهجمات إبليس . ولكن لما جاء المسيح ليفتدي المؤمنين من هذا العالم الشرير « رأى الشيطان نازلاً مثل البرق من السماء » ( لوقا ١٠ : ١٨ ) .

إن « سلطان الهواء » هو نفسه « سلطان الظلمة » المقاوم والمضاد للملكوت المسيح — ملكوت النور، والحق ، والمحبة . في هذا يقول بولس في رسالة أخرى « شاكرين الآب ... الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » ( كولوسي ١ : ١٣ ) . هذا يؤكد قول المسيح للتلاميذ عليه : « هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » ( لوقا ٢١ : ٥٣ ) .

« رئيس سلطان الهواء » أو « أمير سلطنة الهواء » . هذا دليل على أن الشيطان ليس مجرد تأثير أو قوة ، بل هو ذات وشخصية . إلا أنها شخصية ساقطة شقية — على خلاف جبرائيل « الواقف أمام الله » ، فإنه شخصية صالحة تقية . ومع أننا لا نعلم الشيء الكثير عن حقيقة شخصية الشيطان، إلا أننا نفهم من الكتاب المقدس، أنه محدود في كيانه، ومقيد في سلطانه . فلا يمكنه أن يجرب إنساناً إلا بإسماح من الله تعالى (أيوب ١ : ١١ ر ٢ : ٥) ، كما أنه لا يجرب شخصاً إلا بالقدر الذي يسمح به الله (أيوب ١ : ١٢ و ٢ : ٦) . ولكنه رئيس ، فمن الضروري أن يكون تحت إمرته جنوداً يأمرون بأمره ، ويخضعون لنصحه ، وينفذون تعليماته . ومع أن « سلطان » الهواء ، الذي يرأسه الشيطان، ليس بسلطان مشروع بل جائر ، تعسفي ، اعتباطي ،

## الروح الذى يعمل الآن

عدوانى ، إلا أنه موجود بسماع من الله — ولكن إلى حين — حتى تخضع جميع الأعداء لسلطان المسيح الحق ، ويسجد الكل ضد موطن قدميه . ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بإعلان كلمة البشارة وإعلانها حتى تعم المسكونة كما تغطى المياه أرض البحر .

«رئيس سلطان الهواء» — هذا يذكرنا بقول المسيح فى مثل الزارع : «... وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فانداس وأكلته طيور السماء» — وفى الأصل — «طيور الجو أو الهواء» . وفى تفسير هذا

المثل قال المخلص : «والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتى إبليس وينزع السكبة من قلوبهم» (لوقا ٨ : ١٢ و ١٣) . وقد لاحظ بعض المفسرين أن هذا التعبير : «رئيس سلطان الهواء» ورد مراراً فى كتابات المعاصرين لبولس من كتاب اليهود والإغريق ، ولكن هذا لا يدل بالضرورة على أن بولس اقتبس من أحدهم (راجع أعمال ١٨ : ٢٦ ، متى ١٢ : ١٦ ، أفسس ١٢ : ٦) (٢) العبارة الثانية : «الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية» —

هذه تصف الشيطان فى سلطته — أى أن الشيطان هو رئيس «الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية» . وقد استعملت كلمة «روح» اسمًا لنوع ، كقولنا : «حديد» ، و «شوك» — فهى لاتعنى المفرد لكنها اسم جمع تركّزت فيه كل الوجدات ، فهى تصف طبيعة سلطان الهواء — إنه «روح غير منظور» لا «جسد هيوالى» — وهى بالتالى تصف طبيعة الشيطان الذى هو رئيس سلطان الهواء ، ورئيس هذا الروح .

## في أبناء المعصية

إذا كان الروح النجس الشرير ، يعمل الآن في أبناء المعصية ، فلا نفشل . لأن الرسول صرح في الأصحاح الأول مرتين ( ١١: ١ و ٢٠ ) بأن روح الله القدوس يعمل أيضاً ، بل قد عمل حقاً ، وأظهر عمله في المسيح ، وسيظهر عمله على توالى الأيام في أبناء الله العتيدين أن يرثوا الخلاص . فليست النصرة النهائية للظلام ، بل للنور ، ولا هي للباطل بل للحق ، ولا هي لأبناء المعصية بل لابن محبته .

إن قوله : « أبناء المعصية » ، تعبير عبري ، ورد أيضاً في العدد السادس من الأصحاح الخامس في هذه الرسالة : « يأتي غضب الله على أبناء المعصية » . ويقابله قول الرسول : « أبناء نور » و « أبناء نهار » ( ١ تس ٥: ٥ ) ويمثله قول المسيح : « أبناء هذا الدهر » ( لوقا ١٦: ٨ و ٢٠ : ٣٤ ) . إن « أبناء المعصية » هم الأشخاص الموسومون بعصيان الله ومقاومة إرادته لدرجة يحسب فيها العصيان ميزة خاصة لهم ، وطابعاً لا صقاً بهم ، وشيعة لاحقة بهم ، وداء متغلغلاً في دمه — كل هذا بسبب حالتهم الطبيعية من جهة ، وبفعل روح العصيان فيهم من الجهة الأخرى . لأن الشيطان هو « المعاند » — كما يدل على ذلك معنى الأصل العبري : « شطّـن » . فعمله متفق وطبيعته ، ومشتق من صفاته ، لأن العصيان من أظهر هذه الصفات . وسواء أكان العصيان كامناً بين ضلوعهم ، أم ظاهراً في أفعالهم وتصرفاتهم ، فهو سيأوهم المميز لهم . إن علة هذا العصيان هي اكتفاء الإنسان بإرادته النفسانية الشريرة ، ورفضه إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة . وأساس هذا الرضى هو عدم الإيمان ،

### ٣ الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً

وأساس عدم الإيمان هو البعد عن الله أو الارتداد عنه — كما قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « أنظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قاب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي » (عب ٣ : ١٢) .  
ويقول الدكتور كندلش — إن قول الرسول : « أبناء المعصية » هو تعبير مركز يصف قوماً في قبضة المعصية ، بل في مخالفتها حتى أضحو ملكاً لها وأبناءً بمجديتها .

**عدد ٣ | اليهود يشاطرون الأمم مسلكهم وماضيهم —**

**ج — العدد الثالث : « الجسد » . « الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً**

بينهم في شهوات جسدنا » . تسكلم بولس في العدد السابق عن ماضي الأمم ومسلكهم . واثلاً يظن الأمم أن الرسول قصد أن يخصهم بذلك الماضي التعيس ، وهذا المسلك الشائن ، عرج على اليهود ، فادمجهم مع الأمم في مسلكهم وماضيهم . ولأن الرسول بولس يهودي ، أورد عبارته في صيغة المتكلم ، فقال : « الذين نحن أيضاً » واثلاً يتوهم الأمم أن الرسول يقصد فريقاً معيناً دون آخر ، أجل الكل ، فقال : « ... نحن جميعاً » ، واثلاً يتطرق إلى ذهن الأمم أي خاطر من جهة فضل أسبقية اليهود عليهم في المجد والكرامة ، أبان لهم الكاتب أن لليهود أيضاً ميزة الأسبقية عليهم في العصيان والتمرد ، فقال : « تصرفنا قبلاً » . فإحسّم الرسول وما أعدله !! أليس هو القائل في رسالة أخرى : « أما الذين هم من أهل التعذب ولا يطاوعون

## بينهم في شهوات جسدنا

لنلحق بل يطاوعون للأنف فسخط ، وغضب . شدة ، وضيق على كل نفس  
إنسان يفعل الشر — اليهودي أولاً ثم اليوناني . ومجد ، وكرامة ، وسلام  
لكل من يفعل الصلاح — اليهودي أولاً ثم اليوناني ؟ (رومية ٢: ٩ — ١١) .  
فلا يعادل ضياء النور الساطع ، إلا قتام ظله . ولا يوازي عظمة  
الامتيازات ، قدر ثقل مسئولياتها . فاليهودي شريك الأمتي في :

— أ — التصرف السابق في شهوات الجسد — ب — اطاعة مشيئات الجسد  
والأفكار — ج — كونه ابن الغضب بالطبيعة . وكل هذه الثلاثة الأوصاف  
منسوبة على الجسد الذي هو عدونا الثالث

— أ — إن « شهوات الجسد » بحصر اللفظ ، تعني الخطايا الحيوانية المذمومة  
— ب — و « مشيئات » . الأفكار » تعني الخطايا الفكرية الناشئة عن  
الكبرياء العقلية نظير الانتفاخ العلمي ، وحب السلطة ، وطلب الجاه  
والشهرة ، اللواتي هن بعض أخوات محبة الذات .

ومن الملاحظ ، أن بولس ، حين كان يتكلم عن نفسه بالذات في هذا  
العدد الثالث وصف الخطية في منابها الداخلية ، لكنه لما تكلم عن خطايا  
الآخرين (عدد ٢) وصف الخطية في مظاهرها الخارجية التي تبدو في الحياة  
بالتصرف والسلوك .

— ج — « أبناء الغضب » — لئلا يتبقى في قلب اليهود أثر من الفخر بحسبهم  
على اعتبار أنهم « أولاد إبراهيم » ، انتزع الرسول من قلوبهم كل أسباب  
الافتخار بميلادهم الطبيعي ، لأنهم بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين — أي

## عاملين مشيئات الجسد والآفكار

أنهم في ميلادهم الطبيعي يستوون والغير المؤمنين من الوثنيين . فليست العلة في البيئة المحيطة بهم ، ولا في مرافقهم وظروفهم الخارجية ، ولا في الزمان العائش فيه ، بل فيهمهم . لأنهم بالطبيعة أبناء الغضب . نعم أن الله تبنى الأمة الإسرائيلىة ، ولكن على أساس الإيمان ، لا على أساس حياتهم الطبيعية ، ولا بناء على استحقاقهم ، كورثة جسديين لإبراهيم . لأن بولس نفسه يقول في رسالة أخرى : « كما آمن إبراهيم فحسب له (الإيمان) برآءة . فاعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان ، أولئك هم بنو إبراهيم » (غلاطية ٣ : ٦ و ٧) . فإذا كان بعض اليهود يظنون أنهم يمتازون عن الأمم بكونهم أبناء إبراهيم بميلادهم الطبيعي ، فقد هدم بولس صرح تفاخرهم هذا ، وأبان لهم أن لا وجه لفخرهم لأنهم بحكم ميلادهم الطبيعي ، هم « أبناء الغضب » كسائر الناس ، فإن لم يولدوا ثانية ميلاداً روحياً من الأعلى ، فلا سبيل إلى تمتعهم برضى الله .

« وكنا بالطبيعة أبناء الغضب » — تنطوي هذه العبارة على إشارة ضمنية إلى الخطية الأصلية التي يولد بها كل إنسان غير متجدد ، وبسببها يدخل في عداد أبناء الغضب . وليس من الضروري أن تبرز خطية الإنسان إلى حين الفعل ، حتى تجب عليه غضب الله . إذ يكفي بقاؤها كامنة في طبيعته لإثارة غضب الإله الذي « عيناه أظهر من أن تنظر الشر » (حبقوق ١ : ١٣) . فالأسد الرابض في قفص من حديد ، ليس حملاً لكنه أسد عاجز عن إيقاع الأذى . وكذلك الخطية الكامنة في طبيعتنا إنما هي خطية حقيقية حتى

## وكنا بالطبيعة أبناء الغضب

في الأوقات التي لا تجد فيها مجالاً للظهور، فالخطية الأصلية هي خطية عامة . يولد فيها كل إنسان ، لا على سبيل المصادفة ، ولا من قبيل الخطأ العائر ، بل بحكم ناموس عام لا يتخطاه زرع بشر ولا يتحداه . وبحكم هذا الناموس العام المشترك أوضحت الخطية طبيعة أصلية في الإنسان ، وأوضحت طبيعته البشرية خطية أصلية فيه . فكل ما يصدر عن هذه الطبيعة ليس سوى خطأ في خطأ . وأن أقدس أعمالها فساد في فساد — حتى الصلاة التي نرفعها بحسب مكرهة لدى الله . فبحكمها وبموجب نوااميسها وأنظمتها تصبح كل أعمال الإنسان الطبيعية التي تصدر عنه عفواً ، خاطئة ، بل خطية متمثلة في صورة أعمال ، وتصبح الخطية حالة طبيعية ، أصيلة فيه . بهذه الطبيعة الخاطئة ، وهذه الخطية الطبيعية الأصلية ، يولد الإنسان ، وفيها ينمو ، وفيها يسلك ، فيستعذب مرارتها ، وبها يصبر له المرحلوا والخلو مرأى ، ما لم تتداركه النعمة الإلهية فتخلق منه انساناً جديداً .

يقول الدكتور ارمتاج روبنسون — إن كلمة: «بالطبيعة» تصف البشر كما هم في ذاتهم وفي حالتهم الأصلية من غير أن تتداخل في أمرهم قوة خارجية عنهم أو تتدراكمهم نعمة أرفع منهم . مثال ذلك قول بولس : «لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة — أي بدون إعلان إلهي خارج عنهم — ما هو في الناموس . فهو لاء إذ ليس لهم الناموس ، هم ناموس لأنفسهم» (رو ٢: ١٤) .

أما قول الرسول : «أبناء الغضب» فهو على مثال قوله في عدد سابق

## كالباقيين أيضاً ع الله

«أبناء المعصية» وهو يصف الواقعين تحت الغضب طبعاً واستحقاقاً فأبناء المعصية لا يمكن إلا أن يكونوا «أبناء الغضب» كما قال الرسول نفسه: «.. بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية فلا تكونوا شركاءهم لأنكم كنتم ظلمة. وأما الآن فنور في الرب».

فالغضب المقصود هنا هو غضب الله في الحال وفي يوم الدين. و«أبناء الغضب» هم موضوع هذا الغضب ومقضى عليهم به، وإياه يستحقون سواء أكانوا يهوداً أم أمميين، «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم... وأما الذين من أهل التحزب، ولا يطاوعون للحق، بل يطاوعون للآثم، فسخطو غضب... على كل نفس إنسان يفعل الشر، اليهودي أولاً ثم اليوناني» (رومية ١: ١٨ و ٢: ٥ و ٨).

هذا ما بينه الرسول، إن الأمم واليهود، على السواء، هم أبناء الغضب بالطبيعة إذا ما تركوا على حالهم الطبيعية التي فيها ولدوا ونشأوا، ونموا ما لم تنتشلهم النعمة الإلهية الخاصة.

### عدد ٤ و ٥ | ثانياً: ما صرنا إليه بالنعمة (٤: ٣-١٠)

من السحب المتكاثفة التي تلبدت في جوار الأعداد الماضية المفصحة بالكلام عن خطايا اليهود والأمم، انتقل بنا الرسول إلى جو صاف تضيء فيه أنوار النعمة الإلهية، وتشرق وتلشع فيه أشعة شمس إله النعمة. فما أحلى هذه الكلمة العظيمة التي يستهل بها هذا العدد الرابع: «الله» أما أشبه هذا الاستهلال



## الذى هو غنى

بمطلع الرسالة إلى العبرانيين : « الله ... ١١ » . وهل من كلمة يمتليء بها الفهم المعبر عن سرور القلب وبهجته ، مثل هذه الكلمة الجليلة الممتازة : « الله » ؟ كما تشرق الشمس بأشعتها النورانية فتشرق كبداية اليوم إلى ليل حالك ونهار مشرق ، كذلك تدخل الله بنعمته في تاريخ المؤمنين ففصل بين ماض مليء بالسيئات والمعاصي ، وبين حاضر غمرته النعمة المجانية . تأمل هذه القائمة السوداء : « أمواتا بالذنوب والخطايا » ... « دهر هذا العالم » ... « رئيس سلطان الهواء » ... « أبناء المعصية » ... « أبناء الغضب » ... وكأن نفس الرسول شعرت بانقباض إذ أطالت التحديق في هذا الجو الخائق ، وسرعان ما شعرت بحرية مجيدة وتنفس الصعداء حالما انتقل بولس إلى هذا العدد الرابع فتنسجت نفسه نسيم الحرية والمجد ، وطربت لدى سمعها عذب نعم هذه الكلمات : « الله » ... « غنى في الرحمة » ... « محبته الكثيرة » ... « أحيانا » ... « المسيح » ، « النعمة » ، « مخلصون » ، « أقامنا » ... « أجلسنا » ... « السماويات » . ولا شك أن السرور أخذ من نفس الرسول كل مأخذ عندما وصل إلى هذه العبارة المركزية التي تصلح قراراً لأنشودته الجميلة : « غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح » ١١

— ١ — غنى رحمة الله ( ٢: ٤ ) ( ١ ) . هذه صفحة مجيدة في سفر الخليقة

الجديدة . فيها يتجلى البون الشاسع بين حالين : حال طبيعية كان عليها المؤمنون قبل إيمانهم ، وحال أخرى أوصلتهم إليها النعمة الإلهية . ما أشبهها بأول صفحة يستهل بها كتاب الخليقة الأولى في غرة سفر التكوين : « كانت

## في الرحمة

الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة — هذا هو جانبها المظلم  
 » .. وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله ليكون نور فكان نور ..  
 وفصل الله بين النور والظلمة — هذا جانبها المنير . فما أقرب الشبه بين  
 الصفحتين — صفحة الكون المخلوق بكلمة الله المقولة، وصفحة الإنسان  
 الجديد المخلوق في المسيح كلمة الله المتجسد .

وفي هذا العدد الرابع وما بعده ، عاد الرسول إلى إتمام العبارة التي استهل  
 بها هذا الأصحاح : « وأنتم إذ كنتم أمواتاً .... الله الذي هو غنى في الرحمة ...  
 أحيانا مع المسيح » . وإذا كان الرسول قد أظهر في الأعداد السابقة سواد  
 الخطية وفسادها ، فاذلك إلا ليظهر في الأعداد اللاحقة جمال النعمة وأمجادها  
 ومثلما كثرت الخطية ، ازدادت النعمة جداً . وأى وصف يعبر عن وفرة النعمة  
 أبلغ من قول الرسول . « الله الذي هو غنى في الرحمة » من أجل « محبته  
 الكثيرة » ... « ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته » .

هذه تعبيرات جليلة متجتمعة بعضها على بعض كما تتجمع أمواج البحر  
 الخضم فوق بعضها البعض : « غنى الرحمة » « كثرة المحبة » ، « غنى النعمة » .  
 لو اقتصر الرسول على استعمال إحدى هذه الثلاث الكلمات وحدها ، لكان  
 فيها الكفاية للتعبير عن جلال النعمة وجمالها . لكنه نظم حبات هذا العقد  
 الثلاثي الثمين ، بعد أن أحاط كلامها بإطار مرصع ليزيدها جمالاً على  
 جمال ، فأرانا الرحمة في غناها بل في غنى الله ، والمحبة في كثرتها ووفرتها ،  
 والنعمة في فيضها ، فقال : « غنى في الرحمة ، من أجل محبته الكثيرة » ،

## من أجل

ليظهر «غنى نعمته». فالرحمة وحدها كافية. والمحبة وحدها مقتدرة. والنعمة وحدها فعالة. فما بالك إذا اجتمعت ثلاثتها معاً كما اجتمع الثلاثة الملائكة قديماً في ضيافة إبراهيم عند بلوطات ممرا (تكوين ١٨: ٢) أفكم بالحري إذا اجتمعت لها ثلاثة أوصاف جامعة؟ في ختام الأصحاح الثالث عشر من الرسالة الأولى إلى كورنثوس ذكر الرسول ثلاث فضائل: «الإيمان، والرجاء، والمحبة» ثم وازن بين بعضها البعض فرجحت لديه كفة الأخيرة، فقال «وأعظمهن المحبة» لكنه لو أراد أن يوازن بين هذه الثلاث الفضائل التي نحن بصددتها: «الرحمة» و«المحبة» و«النعمة»، أترى كان يجد سبيلاً إلى المفاضلة بينها؟ وهل من مفاضلة بين أشعة الشمس الواحدة؟ أليست كلها منبعثة من نبع واحد هو المحبة؟ فالرحمة هي المحبة مترفقة، والنعمة هي المحبة متدققة.

ب- عظمة محبة الله (٢: ٤) (ب): غنى رحمته، ووفرة محبته،

وغنى نعمته — لقد تجلت هذه كلها بصورة واضحة في سفر الفداء. فإذ أرى قدرة الإله المبدع منقوشة على لوحات سفر الخلق، بحروف صخرية حجرية، وإذا تبينا حكمة الله مرتسمة على صفحات سفر العناية، بحروف من نور ونار، فأنا نالهمس رحمته تعالى مطبوعة على صفحات سفر الفداء بحروف من دم. نعم قد يتأخّر لبعض الناس أن يروا آثار خطوات الله موجودة في سفر الخلق، وأن يتبينوا آيات يديه مطبوعة على سفر العناية، إلا أنهم يحسون بنبضات قلبه المحب متى تصفحوا سفر الفداء. إن لغة محبته سهلة المأخذ لدى الأطفال، بل هي سرغامض لا يفهمه إلا الأطفال! ألم يقل فادينا المجيد: «أحمدك أيها

## محبة الكثير

الآب رب السماء والأرض ، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال ؟

« الله الذي هو غنى في الرحمة » . إن إلهنا غنى في القدرة، والعظمة ، والجلال ، والحكمة . فهو غير محدود في ذاته وفي صفاته ، لكن الرسول يتحدثنا بنوع خاص عن غنى الله في الرحمة ، فأيد بذلك قول إشعياء : « ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره ، وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران » (إشعياء ٥٥ : ٧) ، وقول مرثا اسرائيل الحلو : « الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة » (مزمور ١٠٢ : ٨) .

« الله الذي هو غنى في الرحمة » — في الأصحاح الأول، عرفنا الرسول إن علة اختيارنا للتبني هي مسرة مشيئة الله، لكنه في هذا الأصحاح الثاني أظهر أن علة خلاصنا هي « محبة الله المتفاضلة » . على أنها علة ثانوية. لكن العلة الأساسية هي الله نفسه ، بدليل قول الرسول : « الله الذي هو غنى في الرحمة » فنحن مدينون كثيراً لرحمة الله، ومحبته، ونعمته. لكن ديننا لإله الرحمة، والمحبة، والنعمة ، أجل وأكبر . فالرحمة لم تخلصنا ، لكن الله الذي هو غنى في الرحمة ، هو الذي خلصنا، وأحيانا بعد أن كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا . ف وراء التبني ، الاختيار . و وراء الاختيار ، مسرة المشيئة الإلهية . و وراء المشيئة الإلهية ، النعمة المجانية . و وراء النعمة المجانية ، المحبة الإلهية . و وراء المحبة الإلهية . الله المحب

إن محبة الله الموصوفة هنا ، ليست محبة العامة لجميع الناس المعبر عنها

## التي أحبنا بها . ٥ ونحن

بإحسانه ولطفه ( تيطس ٣ : ٤ ) ، وإنما هي عاطفته القلبية التي اختص بها أبناء المؤمنين به ، الذين هم إسرائيل الروحي المختار « إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب . بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر » ( تث ٧ : ٦ - ٨ ) . لقد أحبنا لأنه أراد ، وأراد لأنه أحب . فهو لا يعرف علة خارجة عن نفسه ، ولا مجرد كآسوى ذاته ، فهو الكائن بذاته ، الذي يكون بذاته . وبهذا الاسم عرف لإسرائيل قديماً : אלהים אלהינו . هذا هو المثلث الرئيسي الذي يقوم عليه صرح التعاليم الإنجيلية — ضلعه الأول : رحمة الله الواسعة . والثاني : محبته المتفاضلة . والثالث : نعمته المجانية . وكلها تشير إلى حقيقة واحدة أساسية — هي أن الله يسرّ بالعطاء . لأن الإحسان من طبعه ، وهو لا ينتظر من البشر إلا أن يقبلوا عطاياه بروح الشكر . وهو يسرّ بالعطاء أضعاف سرورنا نحن بالأخذ . فالإحسان من صفاته ، والبذل من ميزاته . ( تكلم الرسول عن إحدى نواحي غنى الله في ١ : ١٨ ، فاطلب تفسيرها على صفحة ٩٢ ) .

**عدد ٥** — ج — ماهية عمل نعمة الله : « ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح » . عبر الرسول عن الحجر الأساسي في بناء عمل النعمة (٩)

## أموات بالخطايا

بكلمتين متماثلتين — إحداهما : « الحياة » ، والثانية : « الخلاص » . وقد استعملت كل منهما في مناسبة خاصة فأولاهما : « الحياة » استعملت على اعتبار أننا كنا أمواتاً . والثانية : « الخلاص » استعملت على اعتبار أننا كنا قبل إيماننا بالمسيح هالكين . وقد أبان الرسول في هذا العدد ثلاث حقائق — الأولى خاصة بالعامل الأول في خلاصنا : « ونحن أموات بالخطايا أحياناً . . . » ، والثانية خاصة بالقياس الأعلى لخلاصنا : « . . . مع المسيح » والثالثة تتعلق بالعلة الثانوية في خلاصنا : « بالنعمة أنتم مخلصون » في نور الحقيقة الأولى نعلم أن الخلاص من عمل الله أولاً وآخرآ لأننا نحن البشر لم نفكر في هذا الخلاص ، ولم نطلبه ، ولم نسع إليه ، لأن « الله خلصنا ونحن أموات بالذنوب والخطايا » . والحقيقة الثانية ترى أن قياس خلاصنا هو التمتع بالحياة الجديدة مع المسيح « . . . أحياناً مع المسيح » . والحقيقة الثالثة تظهر لنا أن هذا الخلاص مجاني لأننا نلناه بالنعمة لا على سبيل الأجرة : « بالنعمة مخلصون » . وجدير بالملاحظة أن كلمة « مخلصون » قد وردت في خاتمة هذا العدد بالصيغة الحالية التي تفيد الاستمرار المتجدد ، على اعتبار أن الخلاص عملية مستمرة تتم على خطوات متتالية ، ولو أنها تبدأ في لحظة ( ١ كو ١٥ : ٢ ، ٢ كو ١٥ : ٢ ) . هذا هو الخلاص الذي يعتبر في بدايته تبريراً ، وفي مجراه تقديساً ، وفي كماله تمجيذاً . فنحن إذاً متبررون بالنعمة ، ومقدسون بالنعمة ، وممجدون بالنعمة : إن ديننا للنعمة التي أوصلتنا إلى منطقة الخلاص لا يزيد

## أحيانا مع

عن ديننا للنعمة التي تحفظنا الآن لتوصلنا إلى ديار المجد .  
عجيبة حقاً هذه المحبة السامية التي وجهها الله إلينا . وبها أحيانا ونحن  
أموات بسبب خطايانا . وأعجب منها . أن هذه المحبة لم تقف بنا عند حد الحياة  
المجردة ، لكنها رفعتنا وسمت بنا إلى الحياة في أسمى مراتبها ، وأرفع درجاتها  
إلى حياة المسيح نفسه «أحيانا مع المسيح» . إنه لشرف عظيم لنا ، أن يحيينا  
الله بواسطة المسيح ، أو في المسيح ، ولكن أن يحيينا مع المسيح - هذه نعمة  
ممتازة تشتمل على الملائكة أن تتطلع عليها !!

هذا اختبار يحصل عليه المؤمن عند الولادة الجديدة التي هي انتقال من  
الموت إلى الحياة . ومع أن المؤمن يكون في هذه الحياة عائشاً على هذه الأرض  
إلا أنه يكون شرعاً وحقاً ، حياً مع المسيح في السماء : «لأنكم قدمتم وحياتكم  
مسترة مع المسيح في الله» . على أن كمال هذه الحال ، لا يتحقق إلا عند  
التمجيد : «ومتى أظهر المسيح حياتنا ، فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» .  
في هذا تعتبر قيامة المسيح من الأموات أساساً ، ورمزاً ، وقياساً ، لقيامتنا  
الروحية : «إن كنتم قد قمتم مع المسيح» (كو ٣: ١-٣ ، ١١: ٢-١٥) .  
فاذا كان موت المسيح قد أعتقنا من الموت الذي هو أجرة الخطية ،  
فإن قيامة المسيح قد أدخلتنا إلى جدة الحياة التي يسودها الفرح ، والرجاء  
والنصرة . إذا لم تكن حياتنا الأولى التي كنا نحياها قبل إيماننا بالمسيح ، سوى  
الموت بعينه (رومية ٤: ٦-١١ ، متى ١٦: ٢٤-٢٦ ، يوحنا ١٢: ٢٣-٢٦) .  
إن كلمة : «مع» تعني اتحادنا الحي بالمسيح ، باعتبار كوننا أعضاء في

## المسيح . بالنعمة أنتم

جسده الروحي ، وهي تعين صلتنا الشرعية به باعتبار كونه ضامن عهدنا وولينا . فبموته قد متنا معه ، وبقيامته قمنا معه . هذا يؤكد قول المسيح لتلاميذه في خطابه الوداعي : « إني أنا حي فأنتم ستحيون » (يوحنا ١٤: ١٩) . استعمل الرسول كلمة « مخلصون » بصيغة الفعل التام المتواصل لتفيد الاستمرار المتجدد لا بالصيغة الحالية ( كما في ١ كو ١٨: ١ ، ٢: ١٥ ، ٢: ٢ ، ٢ كو ١٥: ٢ ، أعمال ٢: ٤٧ ) : « الذين يخلصون » ، ولا بصيغة الماضي التام كما لو كان الخلاص فعلاً تم من جانب الله وحده دفعة واحدة كما في رومية ٨: ٤ — « خلاصنا » . فالخلاص عملية كملت لكنها تتم على درجات متتابة حتى تكمل في المجد . كصورة تم التقاطها في لحظة لكنها تستغرق وقتاً حتى يظهر جمالها . هذا هو الخلاص الذي يعتبر عند التبرير بذرة ، وفي التقديس شجرة ، وفي التمجيد ثمرة ناضجة ( ١ بطرس ٥: ١ ، رومية ١٣: ١١ ) .

أما الوسطة الثانوية لهذا الخلاص فهي النعمة . أوضحنا معنى هذه الكلمة في تفسير العدد الثاني من الأصحاح الأول . وجدير بالملاحظة ، أن الله ما كان يريد أن يخلصنا بالنعمة لو كان في الإمكان أن نخلص أنفسنا بقوتنا أو مجهودنا الذاتي . أما عجزنا عن تخلص أنفسنا ، فظاهر من حالنا التي كنا عليها : « أمواتا بالذنوب والخطايا » ، ومن الحال التي صرنا إليها : أحيانا مع المسيح . فالحياة أصلية فينا ، لكنها مستمدة من نبع « حياة المسيح »

« بالنعمة أنتم مخلصون » — مرتين كرر الرسول هذه العبارة العذبة



## مخلصون. ٦ واقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات

المرّة الأولى في هذا العدد ، والثانية في العدد الثامن ، بعد أن أضاف إليها كلمة: « بالإيمان » ليبين أن الإيمان ليس عملاً تأتيه من جانبنا فنصير به مستحقين الخلاص كأجرة ، وإنما هو بمثابة اليد المفتوحة التي تقبل عطايا الله . وأني لميت أن يفتح يده ! فإذا نحن مدينون للنعمة بالإيمان الذي هو اليد المفتوحة التي تقبل من المسيح هبة الخلاص . ولعل بولس كرر هذه العبارة ليجعل منها قراراً عذباً لأنشودة الخلاص المجاني . هذه هي الأنشودة التي مطلعها: « لست مستحقاً » ، وختامها: « مستحق أنت . . . » أن تأخذ الغنى والمجد والكرامة والقدرة ، وقلبك النابض « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » !

وهل من فضل لتسوّل يمد يده ليقبل نعمة مقدمة إليه من 'محسن كريم' ؟

## عدد ٦ | (٣) قوة عمل إله النعمة (٦: ٢)

(١) « أقامنا » . . . (ب) « أجلسنا »

إن الحياة التي وهبنا الله إياها بالنعمة ليست مجرد حياة هزيلة ضعيفة غرضها على هذه الدنيا ، لكنها حياة تتمتع بها مع المسيح يسوع في السماويات . فهي معه واليه . إنه لجليّ واضح أن كلمة: « أقامنا » ترجع بنا إلى قيامة المسيح من الأموات . وكلمة: « وأجلسنا معه » ترفع أفكارنا إلى صعود المسيح . فنحن إذاً شركاؤه في القيامة والصعود باعتبار كونه رؤسنا ورؤسنا ،

## في المسيح يسوع . ٧ ليظهر في الدهور الآتية

وفادينا، ووليناء، ونائبنا. لأجلنا مات وقام وعاش، وفيه متنا نحن وقنا ونعيش، فأرواحنا عائشة معه في السماويات ظافرة منتصرة، وأجسادنا تمشي على وجه هذه الدنيا، المملطح بالدماء والدموع .

في العدد الثاني رأينا المؤمنين في ماضيه سالكا «حسب دهر هذا العالم» .  
والآن نراه جالسا متربعا على عرش المسيح في الأعلى .

هذه حالة ، وإن تكن مستقبلية في تمامها، إلا أنها حاضرة في فعلها .  
فهى تعيين موقف المؤمن كظافر منتصر فوق رئيس سلطان هـواء ،  
الروح الذى يعمل الآن في أبناء المعصية .

إن قوله «في المسيح» يبين أن قيامة المسيح وصعوده وتمجيده ، لها  
صلة حية بكنيسته على الأرض، إذ هى عربون ا وحجة ، وضمنان ،  
وأساس قيامة الكنيسة ، صعودها ، وتمجيدها .

( قابل هذا بما جاء في لوقا ١٠ : ١٨ و ١٩ ) .

لقد أوضحنا معنى كلمة : «في السماويات» في سياق تفسير العدد الثالث .  
من الأصحاح الأول فاطلبها في موضعها على صفحة ٣٧

**عدد ٧ (٤) قصد الله من عمل نعمته، ووقت إعلان هذا القصد.**

«ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائت» .

( ١ ) قصد الله من عمل نعمته : «ليظهر ... غنى نعمته الفائت» . لقد

أحيانا الله وقدسنا ، لا لأننا نستحق شيئا من هذا ، ولا لأننا قننا من جانبنا

## غنى نعمته الفائقة

بمجهود في هذا السبيل ، بل لإظهار غنى نعمته المجانية . وكما أن الرسول في الأصحاح الأول ، أن الله اختارنا «لمدح مجد نعمته» (١: ٦) ، أظهر أيضاً في الأصحاح الثاني ، أن الله خلصنا وأحيانا «ليظهر غنى نعمته الفائقة باللطف علينا» .

(ب) وقت إعلان هذا القصد : «في الدهور الآتية» . يراد بـ «الدهور الآتية» العصور والحقب المتعاقبة التي تشهد تقدم ملكوت المسيح ورفع لوائه . لا في هذا الدهر فقط بل في الأجيال العتيدة : «الآن وإلى كل الدهور» . وليس من شك في أن «ملك الدهور وحده» هو العليم بما تتضمنه هذه العبارة من معانٍ دفيئة ، يستترجلها وراء حجب المستقبل الكثيفة . فمع أن الباعث لإله النعمة على عمل نعمته ، هو لطفه علينا ، إلا أن عمل نعمته ليس مقصوراً علينا . لكنه ذات صلة وثيقة بملائكة ، ورؤساء في الدهور الآتية . وليس هو وقفاً على عصر معين لكنه يمتد إلى الدهور الآتية . هذا دليل على أنه عمل حي ، فعال ، دائم . وهل نستحق نحن البشر الساقطين أن نكون موضوع إعجاب الملائكة وتعجبهم «عند استعمالنا أبناء الله» (رومية ٨: ١٩) ؟

حقاً إن السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه ، وأن «أمور الله غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته» لكن جلال نعمته الفائقة ، لا يرى ظاهراً جلياً إلا في أشخاص المقدين الذين كانوا عمياناً فاستنيروا ، وظلاماً فأناروا . هذه هي «اللوحة الحية» المتحركة التي يُستعرض عليها جلال نعمة الله الفائقة باللطف علينا . بقدر ما تعتبر هذه الحقيقة معظمة لله ، ومظاهرة جلال نعمته ، نراها في

## باللطف علينا في المسيح يسوع

الوقت نفسه ، مظهره ضعة الإنسان وحقارته ، ومذكرة إياه على الدوام « بالذُّقْرة » التي منها أخذ ، والصخرة التي منها اقتُطِع . وكأن الله يقول باستمرار للبشر « ليس من أجلكم وحدكم قد عملت هذا بل من أجل اسمي الذي دعى عليكم ولأجل مجدى » .... « وكرامتى لأعطيها لآخر » .

(ج) صلة هذا القصد بالإنسان : « باللطف علينا » . الكلمة الأصلية المترجمة « لطف » تعنى حرفياً « التأهب لإغاثة الملهوف » . وقد استعملت وصفاً لنعمة الله المترفقة بنا نحن الجهال ، السريعة الخطى إلى المغفرة والصفح . وردت في لوقا ٦: ٣٥ وصفاً لجودة الله « المنعم على غير الشاكرين والأشرار » وجاءت في رومية ٢: ٤ مقترنة « بإمهال الله وطول أناته » ، وفي رومية ١١: ٢٢ مضادة لشدة الله وصرامته . وفي تيطس ٣: ٤ مرتبطة باحسان الله ولطفه .

يراد بقوله : « في المسيح يسوع » أن المسيح كان بحياته ، وأعماله ، وكلماته ، ومماته ، خير مترجم لنا عن لطف الله نحونا . هذا فضل شهدت به الأعداء : « هذا يقبل خطاة ويأكل كل معهم » (لوقا ١٥: ١) ، « أنظروا كيف كان يحبه » (يوحنا ١١: ٣٦) . نعم إن لطف الله نحو البشر ظهر في الطبيعة ، وما أعده الله فيها للإنسان من أسباب التمتع ، إلا أن الطبيعة مشوبة بشيء غير قليل من الأمور القاسية التي لا نفهم لها قصداً خيراً — كالزلازل والبراكين . وظهر لطف الله أيضاً على لوحة العناية الإلهية التي تُلم بكل شاردة وواردة في حياة الإنسان ، لكننا كثيراً ما نرى على لوحة العناية أعمالاً تقف دونها حيارى —

## ٨ لأنكم بالنعمة مخلصون

كآلام الطفولة البريئة ، والمجاعات . لكننا نرى في حياة المسيح وموته عنا لطفاً لا تشوبه قسوة ، ومحبة لا يتطرق إليها ظل من الفتور أو التقاضى ، وتقانياً لا يعرف الوهن إليه باباً .

(٥) أسلوب عمل إله النعمة (٨:٢-١٠)

**عدد ٨** | ١ - علة خلاصنا - النعمة : « لأنكم بالنعمة

مخلصون بالإيمان . وذلك ليس منكم هو عطية الله » . هذا تقرير وتوكيد وتوضيح لما ذكره الرسول عرضاً في العدد الخامس . فأوضح هنا عقيدة الخلاص بالنعمة إيضاحاً ليس بعده من مزيد . ولئن كان قد سبق فكتب عن هذه الحقيقة بجلاء في رسالتي رومية وفيلبي ( رومية ٣: ٢٧ و ٤: ٢٥ ، في ٢: ٣ - ٩ ) إلا أن كتابته عنهما في هذا العدد ، أجلي وأوضح . فقد أبان بجلاء لا يأتيه الشك من إحدى نواحيه ، إن عملية الخلاص كلها من عمل النعمة وحدها . فهي تبدأ بالنعمة ، وتسير بالنعمة ، وتنتج بالنعمة . فقد شاءت المسرة الإلهية أن لا تترك مجالا للإنسان في عملية الفداء ، لكي يعود كل المجد على الله وحده ، كيلا يفتخر أمامه جسد ما . هذه الحقيقة قررها المسيح حين قال على الصليب : « قد اكمل » ، فالولية السماوية أعدت من جانب الله ، وما على الإنسان إلا أن يقبل الدعوة ، ويتمتع بأفخر أطايب الولية - هذا القبول يعبر عنه بالإيمان . لذلك يقول الرسول : « بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان » . فالنعمة هي العامل الأساسي ، والإيمان هو العامل الثانوي

## بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله

— ب — وسيلة قبولنا الخلاص : الإيمان . لئلا يخطر ببال أحد أن  
للإنسان فضلاً في إيمانه، فيتخذ منه أداة للفخر ويبني على أساسه صرحاً للبر  
الذاتى ، عمل الرسول على هدم هذا الصرح من أساسه فقال . « وذلك —  
أى الإيمان — ليس منكم . هو عطية الله » . وهل من فضل لمتسول يمد يده  
ليقبل العطية التى يجود بها عليه محسن كريم؟ ومع ذلك ، فإذا جاز للمتسول  
أن يفخر بيده الممدودة لتناول الإحسان ، فلا يجوز قطعاً للإنسان مفتدى  
بالدم الكريم ، أن يفخر بإيمانه ، لأن « الإيمان ليس منه . هو عطية الله » .  
ويمكننا أن نتحقق ذلك جيداً ، متى ذكرنا أن الخلاص مقدم للإيمان وهو  
ميت بالذنوب والخطايا ، وآتى لميت أن يحرك يداً أو أن يظهر استعداداً  
وقابلية؟! على إتمام إرادته الصالحة : « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا . .  
من أجل المسرة » ( اطلب ٢ كو ٤: ١٣ ، فيلبي ٢: ١٣ ) . ولعل الإيمان عنصر  
من العناصر المكمل للتوبة الحقيقية التى تقوم بتغيير فكر الإنسان فيرفض  
إرادته الذاتية ويعتق إرادة الله من جهته ( أعمال ٥ : ٣١ ، ٢ : ٢٥ ) .  
يعتقد بعض المفسرين — وبينهم كلن — أن كلمة : « وذلك » تعود  
على كل الجملة التى يبدأ هذا العدد : « لأنكم بالنعمة مخلصون » ، لا على  
كلمة : « الإيمان » وحدها . والظاهر أن وضع العبارة فى اللغة الأصلية يحيز لنا  
أن نحسبها وصفاً للإيمان أو للخلاص . وعلى كل ، فجوهر المعنى فى كلا الحالين  
واحد ( قارن هذا بما جاء فى رومية ٢٧: ٣ و ٢٨: ٤ ، ١٤ : ١٦ ) .

## ٩ ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد . ١٠ لأننا نحن عمله

**عدد ٩** — ج — غاية خلاصنا — تمجيد الله وحده « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » . هذا صدى الصوت القوي الذي رفعه بولس عالياً في العدد السابق ، وهو قرار الأنشودة التي تغنى بها الرسول في رسالتي رومية ( ص ٤ ) وغلاطية ( ص ٣ ) ، فأبان الرسول في هذا العدد ، أن الإيمان الخلاص ، أو الخلاص بما فيه الإيمان ، ليس ثمرة مجهود بشري ، ولا هو أجرة على عمل أتاه الإنسان أو سيأتيه ، وإلا كان سبباً للفتخر ، وداعياً للارتكان على عكاز الاستحقاق الذاتي — بذلك تبطل النعمة ، لأن الإنسان لم يعد بعد في حاجة إليها ، فتعكس الآية ويتمجد الإنسان ، وينسى إله النعم والخيرات . من أجل ذلك أراد الرسول أن ينتزع هذا الوهم إنتزاعاً ، فبين حقيقة الحال ، إذ قال : « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » ( قابل هذا بما جاء في رومية ٣: ٢٧ ، ١ كو ١: ٢٩ ، ٤ ، غلاطية ٦: ١٤ وفيلبي ٣: ٣ ) . وفي هذه الأقوال مجتمعة معاً ، تتجلى لناغيرة الرسول المتقدمة على مجد الله ، وجلال نعمته ، كيلا يرتفع رأس في حضرة الله ، ولكي تكون أنشودة كل إنسان مكونة من مقطعين — أحدهما « لست مستحقاً » وثانيهما : « مستحق أنت » .

**عدد ١٠** — د — ثم خلاصنا أو القصيدة الإلهية المجيدة :

« لأننا نحن عمله .... لأعمال صالحة معدة »

« لأننا نحن عمله » — وفي اللغة الأصلية « قصيدته » — « مخلوقين في

## مخلوقين في المسيح يسوع لأعماله الصالحة

المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسير فيها »

هذه حجة قوية ، قصد الرسول أن يدعم بها حقيقة الخلاص بالنعمة ، مبيناً بها أن لا فضل للإنسان في الأعمال الصالحة التي تصدر عنه ، لأن الإنسان مدين لله بكيانه الروحي المطلق . وما دام أصل الشجرة ديناً ، فكل ثمارها ديون مركبة . فالإله المتعم قد خلقنا خليفة جديدة ، وأهلنا بحكمة وقوة لكي نعرف إرادته الصالحة وننفذها في حياتنا ، وفق برنامج معين قصده الله بنا . فإذا ما أقمنا برنامجاً مرسوماً لنا ، فلا فضل لنا ولا فخر ، لأننا لم نرسمه لأنفسنا ، لكنه مخلوق لنا ونحن له مخلوقون ، ولولا حرصنا على ما للإنسان من حرية إرادة لقلنا أننا لم نرده لأنفسنا لكن الله أرادنا لنا وأرادنا له ، قبل أن يكون لنا كيان أو إرادة . هذه هي الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدها لكي نسير فيها ، إذا لم تكن لنا يد في إعداد هذا الطريق ولا في تمهيد ، ولا فخر لنا في هذه الأعمال الصالحة ، لأنها تصدر عن طبيعتنا المتجددة عفواً واختياراً ، لا قهراً واضطراً . فكما أن التنفس عمل طبيعي تأتيه الرئتان السليمتان ، وكما أن الهضم عمل طبيعي تقوم به المعدة السليمة ، كذلك تعتبر هذه الأعمال الصالحة من مستلزمات الطبيعة المتجددة « المخلوقة في الله حسب البر وقداسة الحق » . فإذا كنا نحسب يوماً أننا أتينا هذه الأعمال لله ، فإننا قد أتيناها أيضاً بالله ومن الله . فإذا ذكرنا « أعمالنا » فلا تنس « عمله » الذي هو « نحن وأعمالنا » .



## قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها

ويهمنا أن نذكر أننا وإن كنالم نخلص بسبب هذه الأعمال الصالحة ،  
إلا أننا قد خلصنا لها ، فهي ليست علة خلاصنا ، لكنها ثمرة خلاصنا .

وجميل بنا أن نلاحظ أن الكلمة التي تُرجمت من الأصل اليوناني إلى :  
« عمله » ، قد تُترجم حرفياً إلى : « قصيدته » — شعره . هذه  
حقيقة ممتازة تدعو إلى شكر الله وحمده . لأنها تعلمنا ضمناً ، إننا تعبّر جميل  
عن إرادته الصالحة ، وأفكاره الجميلة ، وتصوراته القدسية — لأننا  
« قصيدته » . فإذا كانت ملائكة السماء قد ترنمت وقت الخليقة الأولى ،  
فإن الله نفسه قد فرح مترنماً عندما خلقنا الخليقة الجديدة « فيا لعمق غنى  
الله ، وحكمته وعلمه ! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء  
لأنه من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً . أو من سبق فأعطاه ليكافأ  
لأن منه وبه وله كل الأشياء . له المجد إلى الأبد . آمين » .

هذه ثالث مرة وردت فيها العبارة : « في المسيح يسوع » في خلال  
الخمسة الأعداد الفائتة . فالله قد أقامنا وأحيانا « في المسيح يسوع » ، ليظهر  
غنى نعمته الفائق بالالطف علينا « في المسيح يسوع » ، لأننا نحن عمله  
مخلوقين « في المسيح يسوع » .

## بين عهدين

أو

## دخول الأمم إلى ملكوت النعمة

(١٢ — ١١:٣)

جدير بنا ، وقد قطعنا مرحلةً كهذه في ميدان هذه الرسالة ، أن نستوقف أنفسنا قليلاً لنُلقي نظرةً عاجلةً على ما مرَّ بنا ، لنتبين الخيط المنطقي الدقيق الذي يربط ما مضى منها بما يأتي .

في منتصف الأصحاح الأول ، رأينا بولس الرسول ساجداً مصلياً لأجل المكتوب اليهم ، كي يعطيهم الله «روح الحكمة والإعلان في معرفته . ليعلموا ماهو رجاء دعوته وماهو غنى مجده ميراثه في القديسين . وماهى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين» — تلك القدرة التى تجلت في إقامة المسيح من الأموات وفي إقامة المؤمنين معه ، ورفعهم ، وإجلالهم معه في السماويات . لأن قيامة الرأس عربون وضمان ، وحجة لقيامة الجسد ، إذ لا يمكن فصل الجسد عن رأسه الحي .

وكان من نتائج هذه الرفعة وهذا السمو ، أن الرسول أَمَاط اللثام عن أفعال المؤمنين ، فأرانا إياهم في غرة الأصحاح الثانى مرتفعين فوق « دهر هذا العالم » ، متحررين من سلطة « رئيس سلطان الهواء » ، متسلطين على « مشيئات الجسد والأفكار » . لأنهم « في السماويات » مقيمون . ولو أن

## أذكروا أنكم

أجسادهم تمشي على هذه الأرض الدنيا . وفوق ذلك ، فقد أصبحوا جميعاً متمتعين بوحداية مقدسة أزالت ما بينهم من فوارق .  
غير أن الرسول أراد أن يذكر المكتوب إليهم بحالهم الأولى الوضيعة ، كي يجعل نصب أعينهم مجد الله الذي تجلى في نعمته المجانية التي أغدقها بكل حكمة وفطنة على اليهود والأمم على السواء .

ومع أن المفاضلة غير جائزة في باب النعمة ، لأن النعمة شملت اليهودي والأممي ، وكلاهما ميت بالذنوب والخطايا — ولا مفاضلة بين درجات الموت — إلا أن اليهودي قد خص بزايا إجتماعية ودينية كان الأممي محروماً منها . فمن هذه الوجهة يعتبر دين النعمة على الأممي أثقل منه على اليهودي .  
لذلك قصد الرسول: أولاً — أن يذكر الأميين بمعدنهم الأصلية الذي أخذوا منه ، وبالصخرة الأولى التي منها نقروا — في ماضيهم (١١:٢ و ١٢) . ثانياً —

أن يحيطهم علماء بالسلام الذي هم فيه مقيمون — في حاضرهم (١٣:٢ — ١٨) .  
ثالثاً — أن يجعل نصب أعينهم الغاية الحميدة التي أعدهم الله لها — في مستقبلهم (١٩:٢ — ٢٢) . فماضيهم ، ظاهر في قوله : « قبلاً » .  
وحاضرهم ، يتبين في كلمة « الآن » . ومستقبلهم ، واضح في كلمة « ينمو » .

**عدد ١١ و ١٢ | أولاً : الرسول يذكر الأمم بمعدنهم الأصلية**

الذي منه 'جبلوا' — في الماضي (١١:٢ و ١٢)  
« لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً . . . والآن » ١١ من ذكر ماضيه

## أثم الأمم

المظلم ، شكر الله على حاضره النير . هذا هو الدرس الذي أراد الرسول أن يطبعه على قلوب قارئيه من الأمم . فمن المحقق أن ضياء صفحة النعمة اللامع ، يزداد تألقاً ولعناً إذا ما انعكس على سواد صفحة الذنوب والمعاصي . وبضدها تتبين الأشياء .

ومن المسلم به ، أننا نحن الأميين العائشين في القرن العشرين ، لا نستطيع أن نقدر الحرمان العظيم الذي كان واقعاً على الأمم قديماً ، فقد كانوا في نظر اليهود من سقط المتاع ، المزدري والغير الموجود . فما كان اليهودي ليأكل طعامه إذا وقع عليه ظل إنسان أُمِّي . وقد ذكر بولس نفسه — وهو رسول الأمم — أن اليهود كانوا متمتعين بمزايا حجة لا يمتهان بها : « . . . لهم التبني ، والمجد ، والعهد ، والاشترac ، والعبادة ، والمواعيد . ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين » . لكن هذه المعركة الحامية التي ظلت نيرانها مستعرة بين اليهود والأمم بسبب الامتيازات المتمتع بها الأولون والمحروم منها الآخرون ، قد خمدت نيرانها . لأن كل هذه القرون المتعاقبة قد كسرت حدة الخلافات الكثيرة التي كانت قائمة بين اليهود والأمم . ولقد كانت حرب المفاضلة بين اليهود والأمم على أشدها في منتصف القرن الأول للميلاد ، فيها كانت كفة اليهود راجحة لدرجة جبن أمامها بطرس الرسول ، الذي كان متصفاً بالشجاعة والإقدام ، فاضطر بولس الرسول « أن يقاومه مواجهة لأنه كان ملوماً . لأنه قبلما أتى قوم من عندي يعقوب كان بطرس يأكل مع الأمم . ولكن لما أتوا كان

## قبلاً في الجسد

يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان . وراى معه باقى اليهود أيضاً حتى أن برنابا أيضاً انتقاد إلى ربائهم » (غلاطية ١: ١٠-١٣) . فلا غرابة إذا كان الأمميون يحسبون مساواتهم باليهود نعمة ممتازة ، يذكرونها فيشكرون الله عليها . وكان بولس الرسول يعلم ذلك حق العلم سيما وأن الأمم كانوا قد ظفروا بهذه المزايا حديثاً ، لذلك أراد أن يذكرهم بماضيهم القريب ، فقال لهم : « اذكروا ... » . وقد ذكر الرسول في هذين العديدين ( ١١ و ١٢ ) بضع مزايا كان الأمميون محرومين منها — واحدة جسدية — ميزية الختان ( عدد ١١ ) . وواحدة إجتماعية ظاهرة ، في قوله : « بدون مسيح » . « أجنبيين عن رعوية إسرائيل » . واربعاً روحية ظاهرة ، في قوله : « غرباء عن عهد الموعد » . « لا رجاء لهم » . « وبلا إله . في العالم » .

إن ذكر الماضي الوضيع ، يرفع الإنسان إلى حصن الشكر المنيع . حسناً قال إرميا قديماً : « أردد هذا في قلبي . من أجل ذلك أرجو . أنه من إحسانات الرب أننا لم نفن لأنمراحه لا تزول . هي جديدة في كل صباح . كثيرة أمانتك . نصيبى هو الرب قالت نفسى . من أجل ذلك أرجو » حسناً قيل عن أحد كبار أهل الغرب العصاميين أنه بعد أن رفعه ملىكه إلى مرتبة الأشراف ، كان يحتفظ في غرفة إستقباله ، أيام عزه وغناه ، بتلك المنطقة التى كان يتمنطق بها في أيام بؤسه وبلواه .

فألك كرى تنفع من يريد أن ينتفع ، وهى أيضاً ترفع من يبنى أن يسمو بها ويرتفع .

المدعوين غرلة من المدعو ختانا مصنوعاً باليد في الجسد. ١٢ انكم

**عدد ١١** - الميزة الأولى - الميزة الجسدية - التي كان الأمميون

محرومين منها، وكان لليهود ديفتخرون - الختان. يلوح لنا أن الرسول - وقد أضحى الآن رسول الأمم - لا يعتقد أن في هذه العلامة الجسدية ما يميز جماعة عن جماعة أخرى في ملكوت النعمة. لذلك استعمل لهجة تهكمية لاذعة إذ قال: «المدعوين غرلة من المدعو ختانا، مصنوعاً باليد في الجسد» - فهي إذاً ميزة عرضية، جسدية، إسمية، لا هي جوهرية، ولا روحية، ولا حقيقية بدليل تكرار كلمة «في الجسد» مرتين في هذا العدد. هذا مؤيد لكلام الرسول في رومية ٢: ٢٨ و ٢٩ «لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانا. بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه» - وفي الأصل «يهوديته» - «ليس من الناس بل من الله». فالميزة الحقيقية هي الميلاد الثاني الذي تبده يد الله في القلب، بخلاف الختان الذي تجريه يد إنسان في الجسد. فالختان إذاً ليس سوى ميزة في عرف اليهودي لا في عرف الحقيقة والواقع: «المدعوين غرلة من المدعو ختانا» - يؤيد هذا قول التلمود. إن الفريسيين كانوا يلقبون أنفسهم «بالتختان» والأمميين بـ «الغرلة».

**عدد ١٢** خلاصة المزايا الحقيقية التي نالها الأمميون. «إنكم

كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح» بعد أن فرغ الرسول من الكلام

## كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح

عن الختان الذي كان يحسبه اليهود ميزة عظيمة يتفاخرون بها على الأمم — ولم يكن الرسول نفسه يشاطرهم هذا الرأي اعتقاداً منه أن الختان علامة جسدية ليست ذات بال ولا خطر في ملكوت الله الروحي — انتقل إلى الكلام عن المزايا الحقيقية التي كان الأمميون محرومين منها قبل إتيانهم إلى المسيح . وقد أجمل هذه المزايا في كلمتين : « بدون مسيح » . فأجاد الرسول كل الإجادة إذ جمع كل المزايا الاجتماعية والروحية التي كان الأمميون محرومين منها ، في هذه العبارة الموجزة ، الجامعة ، المانعة : « بدون مسيح » . هذا بحر خضم من المزايا مركز في فطرة . بل قصيدة خالدة مجملة في شطرة .

« بدون مسيح » — وماذا يتبقى بعد هذا ؟ لقد يعيش إنسان بغير عينين ، وقد يسلك الأعمى بغير عكاز ، وقد يحيا الجسد بغير قلب — أما أن يكون إنسان « بدون مسيح » ، فهذا جحيم مقيم ! قد تعيش أمة بغير حكام ، وقد يحكم حكام بغير برلمان ، وقد ينمقد برلمان بغير دستور — أما أن تكون أمة « بدون مسيح » ، فهذا فناء وإعدام ! قد يسافر مسافر في قلب الصحراء بغير جرة ، وقد يحمل جرة على ظهره بغير ماء ، أما أن يكون الإنسان مسافراً في برية هذا الوجود « بدون مسيح » فهذا انتحار محقق ! قد يستغنى سكان الغبراء عن نور الشمس في النهار . وقد لا يحتاجون إلى ضوء القمر في الليل ، وقد يعيشون طوال أعوامهم من غير أن يروا ربيعاً في الحياة فيجمدوا في الشتاء ، ويذوبوا في الصيف ، ويفنوا في الخريف ، لكن أن يكون الإنسان « بدون مسيح » فهذا هو الموت الزؤام !

## أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء

«بدون مسيح» — هذه خلاصة المزايا الحقيقية التي كان الأمميون محرومين منها — ومنها تتفرع سائر المزايا — اجتماعية كانت أم روحية : فالمسيح هو منبع كل المزايا الاجتماعية، ومصدر كل البركات الروحية .

(ب) **المزية الاجتماعية** : «أجنبيين عن رعوية إسرائيل» — الكلمة المترجمة «أجنبيين» يجوز أن تترجم حرفياً إلى «مبعدين»، وهي ذات الكلمة المترجمة «متجنبون» في ١٨: ٤ . إن قوله : «عن رعوية إسرائيل» يرسم أمامنا صورة جماعة منتظمة تحت لواء ملك عظيم قد منحهم حقوقاً اجتماعية ومزايا مدنية باعتبار كونهم رعاياه . كذلك كانت الأمة الإسرائيلية قديماً حين كان الرب إلهاً لها وملكاً ومشيراً وحامياً . ولعل الرسول نظر إلى الأمة الإسرائيلية باعتبار كونها رعية «لمسيا» الملك ، بدليل قوله : «أجنبيين عن رعوية إسرائيل» ، كنعيب، وشرح، ونتيجة لقوله : «بدون مسيح» .

إننا مدينون للوقا الطبيب كاتب سفر الأعمال بحوار دارين بولس وأمير، يلتقي ضوءاً على كلمة : «رعوية» — نجاء الأمير وقال له قل لي . أنت روماني . فقال نعم : فأجاب الأمير أما أنا فمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية . فقال بولس أما أنا فقد ولدت فيها» (أعمال ٢٢ : ٢٧ و ٢٨) . فالأمميون كانوا أجنبيين عن رعوية إسرائيل لأنهم لم يولدوا فيها ولم يكن لهم سبيل إلى اقتنائها وهم أمميون . ولعل أقرب كلمة إليها في عصرنا الحاضر، هي : «حرية المدينة» أو «تقدير الوطن» .

(ج) **أولى المزايا الروحية** : «وغرباء عن عهد الموعد» . الموعد



## عن عهد الموعد

واحد لكن عهوده كثيرة . هو وعد الله لإبراهيم : تتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تكوين ١٢: ٣ ، ٢٢: ١٨) . لكن العهود التي قطعها الله مع شعبه بمناسبة هذا الموعد ، كثيرة العدد . فمنها : عهده مع إبراهيم ، وموسى ، ولاوى وداود ، ويشوع . وجدير بالملاحظة ، أن « الموعد » لم يكن مقصوراً على الأمة الاسرائيلية ، لكنه تناول « جميع قبائل الأرض » . وما كان بنو اسرائيل سوى أداة إيصال بركة الله إلى « جميع قبائل الأرض » . لذلك حسب الأمم في نظر الرسول « مبعدة عن رعية اسرائيل » ، « وغرباء عن عهد الموعد » على اعتبار أنهم كانوا أصحاب حق طبيعي فيه — حسب الموعد ، لكنهم أبعدوا عنه لكونهم « بدون مسيح » . وفي هذا يقول الرسول « فإن كنتم للمسيح ، فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة » (غلاطية ٣: ٢٩) . فهو موعد الخلاص ، والتبرير ، والتبني ، بالإيمان بالمسيح يسوع — هذه أولى المزايا الروحية التي كان الأمميون محرومين منها ، بسبب بعدهم عن المسيح .

(د) المزية الروحية الثانية : « لارجاء لكم » — إن خير مفسر لهذه العبارة هو ما قاله الرسول نفسه في اتس ٤: ١٣ « ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقيين الذين لا رجاء لهم » . فالرجاء المقصود هنا ، هو رجاء الخلود . نعم عند الأمم تصورات وانتظارات في الخلود ، قد تكون أوهاماً وقد تكون آمالاً لأنها ليست مبنية على أساس يقيني ثابت ، بخلاف الرجاء الوطيد الذي أبدعته حياة المسيح ، وموته ، وقيامته ، في قلوب المؤمنين به . وأن من تتاح له فرصة الاطلاع على مؤلفات الرومان واليونان ،

## لا رجاء لكم

في العصور الأولى ، يتحقق جلياً مقدار الغموض والإيهام اللذين كانا مسئولين على عقولهم من جهة حقيقة الخلود . ويقول المؤرخون أنه في أثان حكم إسكندر الأكبر ، كان هذا القول مأثوراً ومتداولاً على ألسنة حكماء اليونان ، والسواد الأعظم فيهم : « الخير الأعظم : أن لا يولد الإنسان قط ، والخير الذي يليه : أن يموت حالاً » .

قد تكون كلمة : « لا رجاء لهم » غير مقصورة على رجاء الخلود ، بل تتناول الحياة كلها وتصف نظرة الإنسان إلى الحياة بأسرها . لأن انعدام الرجاء في مابعد الموت ، ينعدم معه كل رجاء في الحياة . يتبين لنا ذلك ، متى ذكرنا أن أقوال شعراء الرومان واليونان ، وفلاسفتهم ، في أيام بولس الرسول ، كانت منصبة على أمجاد الماضي ومنسحبة على عظمة القرون السالفة . فكانوا يحسبون أن عصرهم الذهبي قد مضى وانقضى . لذلك ملوا الحاضر وأصبحوا بغير رجاء من جهة المستقبل . لأنه كان مظلماً أمام عقولهم المظلمة . بخلاف كتابات شعراء اليهود وأنبيائهم فإنها كانت منصرفة كلها إلى التغنى بالأمجاد العتيدة ، وتوقع استعمال أبناء الله ، وانتظار المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله ، والاشتياق إلى مجيء « مسيا » بمجده ظافراً منصوراً .

( هـ ) المزية الروحية الثالثة : « بلا إله » . لقد عبد الوثنيون آلهة كثيرة وخضعوا لأرباب عديدين ، لكنهم كانوا يجهلون الإله الواحد الحي الحقيقي الذي يطلب تخصيص القلب كله له ، وإلا فهو بعيد عن القلب كلية . إن إله

## وبلا إله

اليهود هو إله الأمم (رومية ٣: ٢٩) . لكن هذه الحقيقة لم تكن قد أعلنت للأمم بعد : لأنهم كانوا بغير مسيح . فكانوا بغير إنجيل . فمع أن « معرفة الله كانت ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم » ( رومية ١: ١٩ ) ، إلا أنهم « لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم » ( رومية ١: ٢٨ ) . ولعل العلة الرئيسية في كونهم « بلا إله » هي أنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد — من الإنجيل — أن إله اليهود هو هو إله الأمم

ولكونهم « بلا إله » يسيطر على عقولهم ، ويتسلط على قلوبهم ، صارت عقولهم مرتعاً للأفكار الدنسة ، وأمست قلوبهم بؤرة لكل شر وفساد . « ففعلوا ما لا يليق بمؤمنين من كل إثم وزنا وشروطمع وخبث ، مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكرراً وسوءاً . نمامين مفترين ، مبغضين لله ، ثالبيين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين . بلا فهم ولا عهد ولا خنوا ولا رضى ولا رحمة » .

الكلمة الأصلية المترجمة « إله » وردت هنا نكرة ، وهى المرة الوحيدة التى وردت فيها بهذه الصيغة فى العهد الجديد ، ومنها اشتقت الكلمة الشائعة التى تعنى « ملحد » أو « كافر » . ومن الغريب أن المسيحيين الأولين كانوا يضطهدون من الوثنيين بحجة كونهم ملحدين وكفرة . مع أنهم هم الكفرة . فكأنما الإنسان يتبرع لغيره بالتهمة اللاصقة به هو دون سواه ! !

كان الأمميون محرومين من كل هذه المزايا لأنهم كانوا « بدون المسيح » فحرمانهم من المسيح يترتب عليه حرمانهم من كل ميزة ، وصلاح ، ونعمة .

## في العالم

لأنهم « بدون مسيح » ، أصبحوا « أجنيبين عن الرعية الملكية »  
 ولأنهم « بدون مسيح » ، أضلوا « غرباء عن عهد الموعد »  
 ولأنهم « بدون مسيح » ، أمسوا « بلا رجاء »  
 ولأنهم كانوا « بدون مسيح » ، باتوا « بلا إله » (\*)  
 ولأنهم كانوا « بدون مسيح » تركوا « في العالم »  
 فالمسيح هو مصدر الحياة الوطنية الصحيحة ، وهو مصدر الحياة الروحية  
 الراقية ، وهو منبع الرجاء الوطيد ، وهو معان لنا حقيقة الله ، لأنه هو « الطريق  
 والحق والحياة » . فما من أحد يأتي إلى الآب إلا به .  
 ختام المأساة : « في العالم » . إن هذه العبارة ، وإن كانت غير قاتمة بذاتها

(\*) يقول يوستينيان « الشهيد » إن المسيحيين الأولين كانوا يضطهدون بحجة  
 كونهم كافرين بالآلهة المتعددة  $\alpha\theta\epsilon\omicron\iota$  فكان هو يذكر المضطهدين بأن سقراط  
 أعدم بحجة كونه كافرا بالله الحي  $\alpha\theta\epsilon\omicron\varsigma$  . وفي مناسبة تاريخية مشهورة ، ارتدت  
 سهام هذه التهمة إلى صدور الذين تبرعوا بها لسواهم ، ذلك أنه لما حانت ساعة  
 إعدام الشهيد بوليكار بوس فاشده الحاكم هذه الكلمات المأثورة : « أقسم بعظمة  
 الامبراطور وتب . وقل : مالي والملحدون ( يعني المسيحيين ) فليسقطوا ! »  
 أما بوليكار بوس فقد أجابه إلى ما طلب ولكن بمعنى غير الذي قصد . لأنه التفت  
 إلى جماعة الوثنيين — لا المسيحيين — ثم رفع يديه نحوهم وهتف بلهجة قاطعة :  
 « مالي والملحدون ( يعني الوثنيين ) فليسقطوا ! » او لقد أصاب بوليكار بوس كبدا  
 الحقيقة لأن الملحدون حقاً هم الوثنيون الذين بلا إله .

## ١٣ ولكن الآن

بل مرتبطة بسابقاتها ، إلا أنها تعبير إيجابي مركز اختتمت به كل العبارات السلبية السابقة. فإذا كانت كلمة: « بدون مسيح » أساساً لكل الحرمان الذي أصاب الأمم ، فإن كلمة « في العالم » قياس لكل نواحي حياتهم . فرعويتهم ... في العالم ... ورجاؤهم ... في العالم ، وإلههم ... في العالم . ومعبودهم ... في العالم . وهل تعلوا المياه عن المستوى الذي منه تنحدر ؟ هم من العالم — وفي العالم —

تعالى العالم !!

« في العالم » — على عكس قوله : « في المسيح » . من الطبيعي إن من كان بدون مسيح ، يصبح مطروداً من العالم و « بلا إله » . لأن هذا « العالم » قد وضع في الشرير ، وكل ما فيه مضاد للمسيح ، لأن إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين بحجاب المادة الكثيف .

**عدد ١٣ | ثانياً: الرسول ينبه الأمم إلى السلام الذي هم فيه مقيمون**

في حاضرهم (٢: ١٣ — ١٨) .

جميل بالمرء أن يذكر ماضيه فلا تبرح عن باله الصخرة التي منها قطع : لكن انصراف الفكر إلى الماضي وحده ، يجعل المرء منقطعاً عن مستقبله وحاضره ، متعسراً على ما فات إن كان جيلاً مقبولاً ، فزعاً منه إن كان قبيحاً مردولاً ، فليس من الحكمة أن يقضى الإنسان أعز أوقات حاضره ليذرف الدموع السخينة على الماء المفقود بالأمس . لأن ماضى قد انقضى وفات . وأمام الإنسان حاضره ، وما هو آت آت . لذلك بعد أن فرغ الرسول

## في المسيح يسوع

من تذكير الأمم بماضيهم التمس، وجهه أبصارهم وبصارهم إلى حاضرهم المقدس فقال : « . ولكن الآن » . وكما أن شقاوتهم الغابرة حلت بهم لكونهم « بدون مسيح » ، كذلك سعادتهم الحاضرة أحاطت بهم لكونهم « في المسيح » . فالبون العظيم الكائن بين الهاوية والسماء يميّنه موقف الإنسان من المسيح — أهو « بدون مسيح » أم « في المسيح » . « لذلك اذكروا أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنيبين .. في العالم ... لكن الآن في المسيح ... صرتم قريبين » .

يعتبر هذا العدد خير مفسر لما جاء في إشعياء ١٩:٥٧ « .. سلام سلام للبعيد (الأمم) ، وللقريب (اليهودي) قال الرب وسأشفيه » . وفيه أجل الرسول حقيقة السلام الذي صنعه المسيح بين الأمم واليهودي ، ثم بينهما معا وبين الله تعالى . وفي الأعداد التالية (٢: ١٤ — ١٨) فصل الرسول ما أجمله في هذا العدد . فكأن هذا العدد هو المحور الذي عليه يدور هذا الفصل ، وهو بمثابة مقدمة له . وفيه أبان الرسول ثلاثة أمور .

— ١ — الامتياز الحالي الذي يتمتع به الأمم : « ولكن الآن ... »

صرتم قريبين — هذا هو السلام الذي تم بينهم وبين اليهود ، ثم بينهم واليهود معا وبين الله كان الأمميون بعيدين عن المزايا اليهودية حساً ومعنى —

تفصلهم عن بعضهم البعض فوارق وفواصل عدة ، بعضها : جغرافي — لأن اليهود كانوا يركزون كل شيء في اليهودية ، ويركزون كل اليهودية في أورشليم وكان الأمميون — إلى عصر الرسول — بعيدين جغرافياً عن أورشليم ،

## أنتم الذين كنتم قبلاً

و بعض تلك الفواصل معنوى، روحى. فالأعميون كانوا يختلفون عن اليهود فى نوع تفكيرهم، وفى طقوس عبادتهم، وفى نظرتهم الى الحياة بوجه عام سواء أكان فى جانبها الشخصى أم الاجتماعى أم الدينى وفوق ذلك، كان الأعميون أجانبين عن الله فى حقيقة حالهم، وفى خطاياهم التى أقاموها فاصلاً بينهم وبين إلههم وفى أفكارهم الجمعاء وقلوبهم الغبية (رومية ١: ٢١)، فحق إذاً لبولس أن يقول لهم: «ولكن الآن أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين». لأنهم كانوا بعيدين عن اليهود، بعيدين عن أنفسهم الحقيقية الشريفة (لوقا ١٥: ١٧)، بعيدين عن الله.

— ب — مقامهم الحالى: «الآن فى المسيح يسوع». أما مقامهم السابق فقد بيّنه الرسول فى عبارتين سالفتين تبعد كلتا هاتين هذه بعد الهاوية عن السماء. وقد وردت إحداهما فى غرة العدد السابق: «بدون مسيح»: وثانيتهما فى خاتمته: «فى العالم». فالعامل الأساسى فى هذا المقام الممتاز هو المسيح نفسه الذى أجرى سلاماً بين اليهود والأمم، ثم بينها كليهما وبين الله. هذا مقام حى، بل صلة حيوية، كملك التى تجمع بين الشجرة وأغصانها، وهى أيضاً صلة نامية. لأن كل حى نام، فهى بالتالى صلة باقية. هذه صلتهم الجديدة بعد أن كانوا زيتونة برية، فطعموا فى الكرم الحقيقية، فصاروا رعية لحمل لواء «مسيح» الملك الحقيقى.

— ج — أساس مقامهم الحالى: «بدم المسيح». إذا كان المسيح هو

## بعيدين صرتم قريبين

العامل الأساسي في توحيد الأمم واليهود معاً ، وفي مصالحتها كليهما مع الله ، فإن الدم هو الوسيلة التي بها أجرى المسيح هذه المصالحة بجانبها . ويقول بعض العارفين بدخائل اللغة الأصلية : إن كلمة « بدم المسيح » يجوز أن تترجم إلى : « في دم المسيح » . في دم المسيح تمحى الفوارق التي تفصل بين الناس وبين بعضهم البعض . وفي دم المسيح تغسل الخطايا التي تقف حائلاً بين الله والناس . منذ المصور الأولى التي نشأت فيها البشرية على الأرض ، كانت معاهدات الصلح تعقد وتختتم بالدم . فالدم كان ختم الكل محالفة تتم بين إنسان وإنسان ، وأساساً لكل مصالحة تجرى بين الله والناس « هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به .. والمسكن أيضاً وجميع آية الخدمة رشها كذلك بالدم وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم ، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة » . فهذه المصالحة بين الله والناس هو عهد دم . وعهد التحالف بين فرد وفرد أو بين أمة وأمة هو عهد دم . قديماً كان هذا دم حملان وكباش ، ولكن في ملء الزمان ، جاء المسيح وقدم نفسه ذبيحة عنا نحن الخطاة ، فأدخلنا بدمه إلى عهد جديد . من ثم قال لتلاميذه وقت العشاء الأخير : « هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي » . ومع أن موته كان يُحسب في حينه علامة ضعف من جانب المسيح المصلوب ، إلا أن قيامته قد بدت كل شيء في نصرته ، فأراقت نوراً خالداً على صليبه ، وجعلت من صليبه أرفع أريكة لأرفع عليك ، فصار دم الصليب دم المصالحة . فكأن المسيح إذ مد ذراعيه على الصليب ، صالح أقاليم الأرض بأقاليمها ، وضم سكان الأرض إلى قلب



## بدم المسيح. ١٤ لأنه

رب الأرض والسماء . فكأن جسد المسيح المصلوب صار تلك «السلم» التي ربطت الأرض بالسماء .

هذا هو العهد الجديد الذي لم ينسخ العهد القديم بل أيده ووسع أفقه وجعله يضم القريبين والبعيدين معاً ، بهذا اكتسب اليهود كثيراً من غير أن يخسروا شيئاً ، إذ اكتسبوا إخوة آخرين وضموا إلى حظيرتهم رعية أخرى لم تكن أصلاً في حظيرتهم ، وفي المسيح صارت لهم الأمم ميراثاً وأقاصى الأرض ملكاً . بهذا أيضاً اكتسب الأمم الشيء الكثير من غير أن يخسروا شيئاً إذ أصبحوا ضمن العائلة الواحدة المقدسة ، وأضحوا في عداد بنى الله وبناتوا أحجاراً في الهيكل الإلهي الواحد ، وأمسوا مطعمين في الكرم الحقيقية بعد أن كانوا زيتونة برية ، وصار لهم حق الدخول إلى الأقداس المجيدة ليتمتعوا بالشركة القدسية مع الله .

عدد ١٤ — ١٨ | ثالثاً . سلامنا والمسيح (٢: ١٤ — ١٨)

في هذا الفصل فصل الرسول ما أجمله في العدد السابق في ثلاث حقائق : الحقيقة الأولى . السلام كعملية أجراها المسيح (٢: ١٤ أ)

«لأنه هو سلامنا» . النبرة في هذه العبارة واقعة على الكلمة الوسطى : «هو» ويجوز أن تترجم حرفياً إلى : «هو بنفسه» أو «هو» هو لا سواه . قديماً تنبأ عنه إشعياء فلقبه بـ «رئيس السلام» (إشعياء ٩: ١٥) . وفي يوم ميلاده هبطت على الأرض بشرى السلام : «المجد لله في الأعالي وعلى

## هو سلامنا

الأرض السلام وبالناس المسرة . وقبيل صلبه رأينا فيه واهب السلام ومعطيه لتلاميذه ومريديه: سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم . لكن بولس يحدثنا عنه في هذا العدد أنه «هو سلامنا» . فشخصيته، وذاته، وطبيعته كلها سلام ، وهو بنفسه رابطة السلام بين الناس والناس ، وبين الله والناس ، وشخصه الحى المجيد هو ضمان سلامنا، بل جوهر سلامنا، فالسلام مشتق منه ومنبعث ، مثلما تنبعث أشعة الشمس من كلف الشمس إنبعاثاً طبيعياً . وهو أيضاً «سلامنا» لأننا لا نتمتع بالسلام ، إلا إذا كنّا فيه .

إن كلمة: «سلامنا» تشير إلى الوئام والانسجام بين العنصرين الرئيسيين اللذين تتألف منها كنيسة المسيح : «حيث ليس يهودى ولا يونانى . . .» (غلاطية ٣: ٢٨ ، كولوسى ٣: ١١) ، ثم إلى السلام الشامل الذى تم بين رب السماء وساكنى الأرض : لكن المعنى الأول هو المقصور على كلمة «الاثنين» فى هذا العدد

الحقيقة الثانية . المسيح صانع سلامنا (١٤: ٢ ب — ١٦) تتألف هذه

الحقيقة الثانية من عنصرين رئيسيين : العنصر الأول : ماهية السلام الذى أجراه المسيح — وهذه عبر عنها الرسول بكلمتين رئيسيتين، وبكلمة تفصيلية . أما الكلمتان الرئيسيتان فقد وردتا بصيغة الماضى : «جعل» و «نقض» — أولاهما تفيد البناء ، والثانية تفيد الهدم . فكل بناء حقيقى لا يخلو من هدم ، وكل هدم حقيقى هو خطوة إلى البناء . وأما الكلمة التفصيلية فقد وردت بصيغة اسم الفاعل : «مبطلا» — وهى نتيجة طبيعية لما سبق

## الذى جعل

والعنصر الثانى : غاية السلام الذى أجراه المسيح : «لكى يخلق ... صانعاً ويصالح ... قاتلاً»

العنصر الأول . ماهية السلام الذى أجراه المسيح معبر عنها بعاملين :

(أ) عامل البناء فى عملية السلام : «الذى جعل الاثنين واحداً» . يراد

بـ «الاثنين» اليهود والأمم اللذين جعلهما المسيح «واحداً» : فهو لم يجعل اليهودى أممياً ولا الأممى يهودياً ، بل أنسى اليهودى يهوديته ، وأنسى الأممى

أمميته ، وصار الاثنين يذكران أنهما مسيحيان قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ، ويقول العارفون بأصول اللغة الأصلية : إن كلمتى : «الاثنين»

«واحداً» وردتا بصيغة ، لا مذكرة ولا مؤنثة ، ويعتقد الدكتور مونيود

أنهما تعنيان نظامين أو هيئتين باعتبار أن المسيح جعل من هاتين الهيئتين المختلفتين - اليهود والأمم - هيئة واحدة ، واتحاداً واحداً ، ونظاماً واحداً

وكتلة حية واحدة ، وكلمة : «واحداً» تعنى أيضاً «جوهراً واحداً» لأنها هى ذات

الكلمة التى استعملها المسيح فى قوله : «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠) .

لسنا ندري هل وجدت بين العوامل الطبيعية مادة تظهر معدنين

متباينين فتصيف منهما معدناً واحداً . لكننا نعلم علم اليقين أن المسيح قد

استطاع بدمه الثمين أن يصوغ من اليهود والأمم - اللذين لا يقبلان تمازجاً

بطبيعتها - معدناً واحداً صافياً ، إذا معنت النظر فيه ألفتته عنصراً واحداً .

(ب) عامل الهدم فى عملية السلام : «ونقض حائط السياج المتوسط» .

لكى نفهم المراد من هذه العبارة ، يجب أن نرجع بأفكارنا الى الحالة التى كان

## الاثنين واحداً

عليها الهيكل وقت كتابة هذه الرسالة. فمن المسلم به، أن هيرودس الأكبر أضاف إلى الهيكل قطعة فسيحة من الأرض كانت مؤلفة من دار متداخلة في دار، حتى تصل إلى القدس، ومنه إلى قدس الأقداس. وكانت كل دار تزيد في درجة «القدسية» عن الدار الخارجة عنها، حتى تنتهي إلى قدس الأقداس — الذي لا يُسمح بدخوله إلا للرئيس الكهنة وحده، مرة واحدة في السنة. وأما القدس فكان يسمح للكهنة بدخوله يومياً ليحرق البخور على مذبح المحرقة وقت تقديم ذبيحتي الصباح والمساء. وكانت تُقدم هاتان الذبيحتان في دار الكهنة على مذبح المحرقة. وخارج هذه الدار، داران أخريان: إحداهما — وهي الملاصقة لدار الكهنة مباشرة — تسمى «دار بني إسرائيل»، والثانية — وهي خارج الأولى شرقاً — تسمى «دار النساء». كل هذه الأماكن — قدس الأقداس، والقدس، ودار الكهنة، ودار بني إسرائيل، ودار النساء — كانت مقامة على مستوى عالٍ جداً ومعنى — ينتهي في عدة مواضع منه إلى خمس درجات تؤدي إلى أبواب مفتوحة في جدار مرتفع، تتصل به منصة ضيقة تشرف على دار خارجية فسيحة. وهذه الدار الخارجية كانت مخصصة للأمميين الذين يريدون أن يجتلبوا محاسن أفعالهم على اليهود، أو أن يقدموا ذبائح وتقدمات لإله إسرائيل — ولكن لم يكن مسموحاً لهم بحال، أن يتخطوا هذا الحائط الذي كان يفصل هذه الدار عن الهيكل. وكل من تحدثه نفسه باقتحام ذلك الحائط يقع تحت طائلة الإعدام. ومبالغة في التحوط، لمنع الأمم من أن يمسوا الجدار المرتفع ذات الأبواب،

## ونقض حائط السياج

أقام اليهود حائط سياج منحوتاً من حجر ، مطوّقاً أبديّة الهيكل ، يبلغ ارتفاعه نحو خمسة أقدام . هذا هو الحد الفاصل الذي كان قائماً بين الأمم واليهود ، كما حدثنا عنه يوسيفوس في «سفر الآثار» . هذا هو حائط السياج المتوسط الذي قصده بولس في هذا العدد. ويقول علماء الآثار إن جماعة من المستكشفين في فلسطين ، رفعوا الردم أخيراً عن أحد الأعمدة ، وقد كان مقاماً فوق ذلك السياج المتوسط — وهو محفوظ الآن في الاستانة — منقوشة عليه هذه الكلمات باللغة اليونانية :

« لا يجوز لإنسان ما ، من أمة أجنبية ، أن يتخطى هذا السياج ويمتاز منه إلى الهيكل . وكل من يجسر على اقتراف هذا الذنب ، ويُقبض عليه ، يكون هو الجاني على نفسه » .

ويقول كاتب سفر « الأعمال » إن يهود أورشليم ثارت ثائرتهم على بولس الرسول لأنهم ظنوه أخذ تروفيموس الأفسسي وأدخله إلى الهيكل مجتازاً به حائط السياج المتوسط (أعمال ٢١ : ٢٨ — ٣٠) .

إن « حائط السياج المتوسط » لم يكر موجوداً في الهيكل فقط ، بل كان قائماً في قلوب اليهود ، فمنع دخول الأمم إليها — هذا هو الحائط المعنوي الذي يفوق في سمكه ذلك الحائط الحجري . وكل من مرة يكون فيه اللحم أفسسي من الحجر !! ومع أن « حائط السياج المتوسط » هذا ، كان لم يزل بعد قائماً بأعمدته المنقوشة ، حتى كتابة هذه الرسالة ، إلا أن المعنى الذي يرمز إليه ، كان قد زال منذ أن انشق حجاب الهيكل ، والمسيح معاق على الصليب . فمع أن الخجارة

## المتوسط . ١٥ أى العداوة

المادية كانت قائمة وقتئذ ، إلا أن معناها الجوهرى كان قد زال . وبعد كتابة هذه الرسالة بقليل ، تهدم الجدار فعلاً ، ولم يبق فيه حجر على حجر . فزال الرمز والمرموز إليه كلاهما .

أما المعنى المراد من « نقض حائط السياج المتوسط » فقد زاده بولس وضوحاً وجلاءً في العدد التالى — الذى يعتبر جملة تفسيرية لهذا العدد ولسابقه عدد ١٥ جملة تفسيرية : ( ٢ : ١١٥ ) « أى العداوة . مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض » . يحدثنا الرسول فى هذه العبارة عن أمرين : أولهما : ما أبطله المسيح : « ناموس الوصايا »

ثانيهما : أداة إبطاله : « بجسده »

١ - ما أبطله المسيح : « ناموس الوصايا » . إن المسيح ، إذ نقض حائط السياج المتوسط بين الأمم واليهود ، استأصل العداوة التى كانت متأصلة بينهما . ولقد أبطل المسيح هذه العداوة إذ أبطل العلة الأساسية لها ، لأنه إنما يعالج الداء من أساسه ، وينزع الآشواك من جذعها . فالعلة الدفينة لهذا الداء هى : « ناموس الوصايا فى فرائض » . فلكى يزيل المسيح تلك العداوة المتأصلة ، أبطل علتها المستعصية : « مبطلاً ناموس الوصايا فى فرائض » فما هو هذا الناموس الذى أبطله المسيح ؟ أهو الناموس الطبقى ؟ أم هو الناموس الأدبى ؟ أم هو كلاهما معاً ؟ .

يلوح لى أن الناموس المقصود أكثر من سواه فى هذه القرينة ، هو

## مبطلاً بجسده ناموس الوصايا

الناموس الطقسي . لأن وصاياه مفرغة في قالب أوامر ونواهٍ مفروضة فرضاً : « لا تمس ولا تذق ولا تجس التي هي جميعها للقضاء في الاستعمال » ( كولو سي ٢ : ٢١ و ٢٢ ) . هذه هي الفرائض التي أقام منها اليهود سوراً منيعاً ربيعاً ، كانوا يشرفون من قته على الأمم ، فينظرون اليهم نظرة كلها زراية واحتقار فاليهود كانوا يتورعون عن أن يمسوا شيئاً في الأسواق العامة ، متى علموا أن يداً أممية مسسته قبلهم ، لئلا يتنجسوا . وكانوا يأنفون من أن يأكلوا على مائدة واحدة مع شخص أممي ، لئلا يتلوثوا . فجعلوا من هذه الفرائض الطقسية حصناً منيعاً تحصنوا وراءه ضد الأمم . وما القوا صل القائمة في عصرنا الحاضر بين البرهميين والهندوكيين سوى بعض الفواصل التي أقامها اليهود من هذه الفرائض ، حائلاً بينهم وبين الأمم . ومن الغريب أن تلك الفرائض وضعت قديماً على اليهود لتقييمهم شر الاختلاط بالأمم ، فأقام اليهود منها تمثالاً عبوده !

غير أن « ناموس الوصايا » قديعني أيضاً الناموس الأدبي إذا نظر إليه كواسطة لنوال الخلاص أو كشرط أساسي للتمتع بالسلام مع الله . هذا يؤيد قول الرسول في رسالة رومية ( ٧ : ١ — ٦ ، ٨ : ٢ — ٤ ) « ... لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت . لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد ، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » .

## في فرائض لكي يخلق الإثنيين

فالمسيح أبطل الناموس الطقسي برفعه أثقاله عن الإنسان وتحريره إياه من كل مطالبه . وقد أبطل الناموس الأدبي بتغييره موقف المؤمن بالنسبة إليه ، إذ غير موقف المؤمن بالنسبة إلى الله . فبدل أن كان المؤمن مطالباً بإطاعة الناموس والخضوع له لكي يتمتع برضوان الله وغفرانه وسلامه ، أصبح متمتعاً بسلام الله الذي اشتراه له المسيح بدماءه ، فأصبح ينظر إلى الناموس لا كأنه أداة خلاصه ، بل مظهر من مظاهر إرادة الله المعلنة للبشر . قبلاً كان الإنسان مطالباً بالعمل بموجب الناموس ليتمتع بسلام الله ، والآن أصبح متمتعاً بسلام الله ، فهو لذلك يحترم الناموس ، لأنه مجلي فكر الله الذي أحبه واقتداه . قبلاً كان يعمل بالناموس ليخلص ، واليوم صار يعمل وفق الناموس لأنه نال الخلاص . قبلاً كان الناموس عليه سيداً جباراً عتياً . واليوم صار له خادماً وفياً . قبلاً كان يخضع لناموس الوصايا ، واليوم صار يعمل بناموس المحبة . « ما جاء المسيح لينقض بل ليكمل » . لكنه إذا كمل الناموس الغاء . قل زوالاً إذا ما قيل تم .

— ب — أداة إبطاله : « بجسده » . هذا تعبير آخر لقوله : « جسم بشرية » ( كولوسي ٢ : ٢٢ ) أو « شبه جسد الخطية » ( رومية ٨ : ٣ ) وكلها تشير إلى تجسد المسيح ، وموته الذي قاساه في جسده على الصليب . فلو لا تجسد المسيح لما أتبع رب الحياة أن يموت عن البشر . تجسد المسيح هو أداة تجسده ، واتضاعه ، وافتقاره ، وموته عنا على الصليب . فهو « جسم » القداء الذي به صنع لنا سلاماً مع الله ، هو السلم التي ربطت الأرض بالسماء



## في نفسه إنساناً واحداً

هو أداة البناء وهو أداة الهدم التي بها أ بطل ناموس الوصايا في فرائض . فالمسيح بصليبه صنع سلاماً ، وبصليبه ألغى أحكام الناموس ، « لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد ، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا » هذا يوافق قول الرسول في كولو سي ١ : ١٩ - ٢٢ « لأنه فيه سرٌّ أن يحل كل الملاءم . وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته . . . وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت » فالمسيح بجسده أوجد أداة اتصال بين اليهود والأمم ، وبدم صليبه مزجهما معاً ، وصالهما مع السماء .

**العنصر الثاني : غاية السلام الذي أجراه المسيح :** « لكي يخلق صانعاً . . . ويصالح قاتلاً » . عبر الرسول عن هذه الغاية بفعلين — كل منهما متبوع باسم فاعل موضح له ومفسر : فالفعل الأول « يخلق » متبوع باسم الفاعل : « صانعاً » . والفعل الثاني : « يصالح » متبوع باسم الفاعل : « قاتلاً » أولهما . « يخلق » يرينا أن المسيح بموته قد أتحد في نفسه اليهود والأمم وكون منهما إنساناً واحداً جديداً — هذه خطوة أولية ابتدائية تمهيدية للخطوة الثانية المبينة في الفعل الثاني : « يصالح » بعد أن خلق المسيح من اليهود والأمم إنساناً واحداً جديداً ، صالح هذا الإنسان الجديد مع الله . فالخطوة الأولى هي إجراء السلام بين طرفي الأرض المتباعدين —

## جديداً صانعاً سلاماً

اليهود والأمم. والخطوة الثانية هي إجراء السلام بين سكان الأرض باعتبارهم إنساناً واحداً، وبين الله. هذه هي المصالحة المزدوجة التي أجراها المسيح بدم صليبه—فهو إذ خلق من اليهود والأمم إنساناً واحداً، قد صنع سلاماً. وإذا صالح الإثنين في جسد واحد مع الله، قد قتل العداوة بالصليب. في مصالحة اليهود مع الأمم قد خلق المسيح «إنساناً واحداً جديداً» هذه هي الإنسانية الجديدة الموحدة المكونة من وحدات حية متحدة هي الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق، لا مجال فيها للخلاف الذي توجده الجنسية، ولا للعداء الذي يسببه اللون، ولا للمشاحنة التي يولدها المذهب، لكنها إنسانية واحدة حية جديدة—كجسد واحد كل عضو فيه للآخر نصير. لأنه يحيا ويتحرك معه بالروح الواحد.

في رسالته الثانية إلى كورنثوس، ذكر الرسول أن المؤمن الفرد هو خليفة جديدة في المسيح (١ كو ٥ : ١٧). وفي هذا العدد أبان أن جماعة المؤمنين المتصالحين والمتحدين معاً في المسيح، هم أيضاً خليفة جديدة باعتبار كونهم إنساناً واحداً جديداً في المسيح.

ورد هذا التعبير «إنساناً واحداً جديداً» مرة واحدة غير هذه في هذه الرسالة (٤ : ٢٤).

كما أننا بالجسد إنسان واحد عتيق في آدم، كذلك نحن بالروح إنسان واحد جديد في المسيح.

## ١٦ ويصالح الاثنين

**عدد ١٦** | الغاية الثانية : « ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصلب قاتلاً العداوة به ». هذه هي الغاية الثانية والقصوى في برنامج الفداء — مصالحة الأرض بالسما. وبها تم استرداد هذه البقعة السوداء المسماة بالأرض التي استلبها الشيطان من التاج السماوى، فرُدَّت إلى مركزها في تاج السماء .

الكلمة الأصلية المترجمة : « يصالح » وردت كما هي ، مرة واحدة في غير هذا الموضع : « وأن يصالح به الكل لنفسه » ( كولوسى ١ : ٢٠ و ٢١ ) لكن صيغة مجانسة لها وردت في عدة مواضع ( رومية ٥ : ١٠ ، ١ كو ٢ : ١١ ، ٢ كو ٥ : ١٨ و ١٩ و ٢٠ ) . والفكرة الرئيسية المنطوية عليها هذه الكلمة ، هي أن شخصاً سامياً رفيعاً ضحى أكبر تضحية في سبيل رده جماعة متعمدة عليه ، لتكون مقبولة لديه . فالله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه إذ قدم نفسه في المسيح فدية لهذه المصالحة ( ٢ كو ٥ : ١٩ ) . والمسيح صالحاً مع الله إذ قدم ذاته فدية لهذه المصالحة ، لأن لا مصالحة بغير فدية « وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة »  
أنبأنا الرسول في هذا العدد عن أربعة أمور :

( ١ ) معنى المصالحة : « ويصالح ... » . ان المصالحة التي أجراها المسيح بين الأرض والسماء تتضمن التكفير والتبرير . لأن عدالة السماء تطالب بمعاقبة الأرض على سيئاتها التي اقترفتها في الماضي — وهذا تم بالتكفير . وهي أيضاً تنتظر من الأرض أن تكون في حالة بارة تؤهلها

## في جسد واحد

للشركة مع السماء — وهذا تمّ بالتبرير . على أنه لا يفهم من هذا أن الله جلّ جلاله ، كان حاقداً على البشر ، معادياً لهم ، متحفظاً للانتقام منهم ، لكن المراد بهذا أن الله غير راض عن البشر ، ماداموا عمعائشين في خطاياهم ، وأنه حاجب وجهه عنهم ماداموا راضين بآثامهم . فإن كثروا الصلاة لا يسمع ، وإن عرضوا عليه طلباتهم ، أعرض هو عنها وعنهم . لكن قلبه من جهتهم لم يتغير لأنه هو الذي در الفداء : « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » .

(٢) الفريقان اللذان تمت بينهما المصالحة : « ويصالح الاثنين

في جسد واحد مع الله » . فالفرق الأول بين في قوله : « الاثنين » أي اليهود والأمم معاً ، بعد أن صار امتحدين معاً ومكوّنين إنساناً واحداً جديداً فبعد أن كان اليهود والأمم فريقين متنازعين ، أصبحا واحداً في المسيح . غير أن اتحادهما هذا ليس غاية نهائية ، وإنما هو وسيلة لغاية — أن يتصالح كلاهما مع الله . فبعد أن وفق المسيح بينهما أدمجهما معاً في « جسد واحد » فجعلهما شخصاً واحداً وصالحهما مع السماء . إن قوله « جسد واحد » يقابل قوله « روح واحد » في عدد ١٨ — ومعناه : « هيئة واحدة » . ولعله أراد كنيسة المسيح المجيدة . ويقول بعضهم إنه أراد جسد المسيح الذي صلب فيه .

(٣) أداة المصالحة : « .. بالصليب » . هذه هي المرة الوحيدة التي

ذكرت فيها كلمة « صليب » . يحصر اللفظ في هذه الرسالة . والمراد به « الصليب » تقديم المسيح نفسه ذبيحة كفارية لإجراء المصالحة بين الأرض والسماء . إن ما قاماه المسيح على الصليب من آلام لا توصف ، وتعبيرات لا تنسى ، وموت

## مع الله بالصليب

مبين ، يدل على أن المصالحة ليست من الهبات الهيئتين ، لكنهما من أدق المهام وأشقها ، لأنه يتحتم على المصالح أن يقوم بكل ما تتطلبه المصالحة من نفقة . وما أعظم تكاليف نفقة هذه المصالحة العظمى التي هي أعظم المصالحات ! « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » . قالذباثح . كانت منذ القديم نمنا المصالحة « أجمعوا إلى اتقيائي القاطعين عهدى على ذبيحة » .

قد يجد الانسان الطبيعي صعوبة في الاعتقاد بأن الصليب أداة المصالحة فيقول مثلاً : وما الدعى لكل هذه التضحية الكريمة ، متى كان في الإمكان أن يجري الله هذه المصالحة بغير هذه الآلام المبرحة التي تحمها المسيح ؟ أما كانت تكفى كلمة واحدة من فم الله صاحب الشأن الأعلى ، وهذه الكلمة تم المصالحة ! وجواباً على هذا نقول : لو كانت كلمة واحدة أو كلمات عدة تكفى لإجراء المصالحة ، لما أقدم الله على تضحية ابن محبته . لأن الله مدبر حكيم ، لا يسمح بالإسراف والتبذير في تدبير القديس .

من السهل على الإنسان الغارق في بحر الخطايا والآثام أن يتكلم باستخفاف عن الخطية وغفرانها . مثله مثل والد المستقيم ، يرى ابنه يرتكب الشر والموبقات فلا يبالي . لكن الوالد المقدس السريرة ، النقي السيرة ، لا يسمع بخطايا ابنه إلا وعينه دامعة وقلبه دائم . لأن خطية ابنه تكون له بمثابة صليب يقاسى عليه مر العذاب . فكم بالحري يكون موقف الله الكلى القداسة ، تجاه البشر ، وهو لهم بمثابة الأب الذى يتألم بخطايا أولاده ! فكيف به إذا كان

## قاتلاً العداوة

عليهم قاضياً عادلاً مكلفاً بتنفيذ أحكام شريعته القائلة : « إن النفس التي تخطيء هي تموت » ؟

فالصليب — بل المصلوب — هو أداة المصالحة بين الأرض والسماء .  
أليس من عوامل شكرنا لله أن نكون نحن المخطئين ، فيقوم هو وبواجب التكفير ؟ أن يكون لنا الغنم ، وأن يكون عليه الغرم ؟ فأين القلوب الشاكرة ، وأين الألسنة التي تكف عن الاعتراض والاستجواب وتنصرف إلى الحمد والشكر والتمجيد ؟

(٤) أساس المصالحة : « قاتلاً العداوة به » إن عمل المصالحة يفترض

وجود عداوة بين الفريقين اللذين تمت بينهما المصالحة . ومالم يقتل هذا العداوة لا تصلح المصالحة ولا تقوم لها قائمة . إن مثل من يحاول أن يجري مصالحة من غير قتل العداوة ، كمثل من يحاول أن يعالج مريضاً من غير أن يصل إلى علة الداء ، أو كمن يريد أن يقيم بيتاً على غير أساس ، أو على أساس واهٍ .

إن « العداوة المقصودة هنا هي تلك التي تحدث عنها الرسول في العدد الخامس عشر . وهي ذات سهمين — أولهما له اتجاه أفقي — بين اليهود والامم والثاني له اتجاه علوي — بين الله والناس ( رومية ٥ : ١٠ ، كولوسي ٢ : ١٤ )

ولعل بالرسول استعمال كلمة : « قاتلاً » بدلاً من كلمة : « ماحياً » أو « مزيلاً » أو « رافعاً » ، لأن أداة المصالحة هي الصليب ، وفي الصليب قتل وإعدام . فالذي قُتل فعلاً على الصليب ليس المسيح ، بل الخطية والعداوة . كأن زعيم الخطاة عندما أراد أن يقتل المسيح بالصليب ، قتل نفسه وهو

## به . ١٧ فجاء وبشركم بسلام

لا يدري . فالسهم الذي أُرْسِه في صدر المسيح قد انخلع منه وارتد إلى قلبه ، فأصاب منه مقتلاً ، وبذلك أضحي القليل قاتلاً ، والقاتل قتيلاً ١١  
فكلمة « به » تشير إلى الصليب ، أو بالحري إلى الصليب الذي به تم فداءنا بموت المسيح الكفاري عنا .

وهنا نقرر بكل وضوح أن لا مكان للعداء في قلب الله من جهة البشر ، لأن الله محب ، بل الله محبة ، ولكن هذا العداء متمكن من أفكار البشر من جهة الله بسبب خطاياهم وجهالتهم « وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة » ( كولوسي ١: ٢١ ) فالجهل ينشئ عداوة ، والاعتداء يولد عداء .

أما شعور الله من جهة الخطاة ، فيجوز أن نعبر عنه بكلمة : « عدم رضاه عنهم » أو « تحويل وجهه عنهم » ، ماداموا هم مصرين على التماذي في المعاصي .  
ثالثاً : ثمرة ثان شهيتهان جادت بهما المصالحة : ( ١٧.٢ و ١٨ )

١ - أولاهما : بشرى السلام ( ١٧: ٢ )

ب - والثانية : فتح طريق تقدمنا إلى الله ( ١٨: ٢ )

عدد ١٧ | ١ - الثمرة الأولى : بشرى السلام : « فجاء

وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين » . في هذا العدد ، جمع بولس بين نبوتين وردتا ضمن نبوات إشعياء ، وحالك منهنما نسيجاً واحداً لخيمة السلام —  
ألم يكن هو في صناعته خيامياً النبوة الأولى وردت في إشعياء ٥٧: ١٩ « خالقاً

## أنتم البعيدين والقريبين . ١٨ لأن

ثمر الشفتين . سلام سلام للبعيد وللقريب . قال الرب وسأشفيه . ووردت الثانية في إشعياء ٥٢: ٧ « ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير ، المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك » . والظاهر أن الرسول استقى كلمة « بشركم » من كلمات النبوة الأولى — حسب ما وردت في الترجمة السبعينية (١) حامل البشرى : « فجاء » - المسيح — « وبشركم » . إذ مجيء المسيح للبشرى ، لا يشير إلى مجيئه عند التجسد ، ولا إلى مدة كرازته على الأرض قبل الصلب ، بل يشير إلى بشرى المسيح المقام ، والمرفوع ، والممجّد ، التي قام بها بشخصه (يو ١٩: ٢٠ و ٢٠) وبواسطة روحه الأقدس العامل في رسالته وأتباعه (٢ كو ٥: ٢٠ ، أعمال ١٠: ٣٦ ، أعمال ٣: ٣٦) .

(٢) موضوع البشرى : « السلام » : وهو يعنى هنا ، الوثائق الداخلى الذى أقيم بين عنصرى كنيسة الأولى — اليهود والأمم ، وهو يشير أيضاً إلى المصالحة التى تمت بين الله والبشر بدم المصلوب .

(٣) أصحاب البشرى « أنتم البعيدين والقريبين » أما « القريبون » فهم « الاسرائيليون الذين لهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد » (رو ٩: ٤ و ٥) . وأما « البعيدون » فهم « الأمميون الذين كانوا قبلاً أجنبيين عن رعوية امرا ئيل » (أفسس ٣: ١٢ و ١٣) . وقد ابتدأ الرسول « بالبعيدين » لأن المكتوب إليهم أمميون .

عدد ١٨ — ب — الثمرة الثانية : فتح طريق تقدمنا إلى الله



## به لنا كليتنا

«لأن به لنا كليتنا قدوماً في روح واحد». ترتسم أمامنا في هذا العدد، صورة شخصين كانا قاصدين قصرًا ملكيًا، ثم ضرب عدوا الخير بينهما بسهم من العداوة والشقاق، فتناحرا، وتنابذا، حتى أوصدا دونهما باب القصر الملكي. وإذا بسيد كريم لقيهما فألقاهما على هذه الحال، فتجنن عليهما، وضجى بأعز ما عنده في سبيل مصالحتهما، فسار وإياهما إلى ذلك القصر الملكي، وإذا وجد الباب موصدًا دونهما بسبب عدم استحقاقهما، مس ذلك الباب بيده المذمومة بدم تضحيته، فانفتح الباب من تلقاء ذاته، فأدخلهما — واضعاً يد كل منهما في يداخيه — إلى حضرة الملك العظيم، فقبلهما وجعلهما من أبناء ذلك القصر (١) فريقا المصالحة «كليتنا... الآب» — هما اليهود والأمم. وقد تمثلهما الرسول في شخصين، فقال «كليتنا». إن ذلك النزاع القديم الذي كان قائماً بين اليهود والأمم، قد دُمج بالصليب فأبحت كل آثاره. في البداية كان اليهودي والأممي أخوين، ثم فرق بينهما عدو الخير والسلام فجعلهما عدوين، وأخيراً جاء رب السلام فألف بين قلوبهما وجعلهما أخوين كما كانا بل أفضل، إذ خلق منهما «جسداً واحداً، وإنساناً واحداً».

هذا من جانب. ومن الجانب الآخر، نرى اليهود والأمم مكوتين معاً فريقاً واحداً متعاضداً مع الله. فكان باب التقدم إلى الله موصداً دون وجوه اليهود والأمم على السواء: «لأن الجميع زاغوا وفسدوا معاً». «فأغلق الكتاب على الكل تحت الخطية».

قبل المصالحة كان اليهودي عدو الأممي، وكان كلاهما عدواً لله

## قدوماً في

ولكن بعد أن تمت المصالحة ، وضع اليهودي يده في يد الأممي ، وأصبح كلاهما في عداد بني الله ، أي دخل إلى حضرة أبيه بغير استئذان . هذا حق مجيد لا يتمتع به اليهود والأمم ككتلة بل كأفراد . هذه هي حرية إمتياز أولاد الله ، وإمتياز حريةهم : «أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (يوحنا ١٠: ٩) . هذا هو القدوم الذي ذكره الرسول في قوله : «لأن به لنا كلنا قدوماً... إلى الآب» .

(٢) فاعلية المصالحة : « قدوماً » — يستفاد من هذه الكلمة ، كما وردت في الأصل ، أن المؤمنين — من الأمم واليهود — لم يتمتعوا بحرية التقدم إلى الله إلا بوساطة شفيع كريم ، قدمهم إلى الآب ، وأن هذه الحرية لا تقوم إلا بدوام فعل ووساطة هذا الشفيع العظيم « الذي هو حي في كل حين ليشفع فينا » .

وقد وردت هذه الكلمة عينها : «قدوماً» — في الأصل — مرتين آخرين في العهد الجديد (أفسس ١٢: ٣ ، رومية ٥: ٢) .

(٣) وسيط المصالحة : « به » . . . في روح واحد . إن ضمير الهاء « الغائب » في « به » يشير إلى المسيح « الحاضر » في كل مكان وكل زمان ، الذي به تمت مصالحة اليهود والأمم ، وأقيم السلام بين اليهود والأمم من جانب ، والله من الجانب الآخر . واقدأتم المسيح هذه المصالحة بصليبه . وبعد صموده أرسل روحه القدوس إلى كنيسة ليستقر فيها ويبشر بهذا السلام بواسطة رسله القديسين . هذا هو الروح القدس المقصود بقول الرسول : « في روح واحد »

## روح واحد

ومن الملاحظ ، أن العبارة : « في روح واحد » جاءت مقابلة لقول الرسول : « في جسد واحد » (عدد ١٦) . وهذا الجسد الواحد الذي هو كنيسة المسيح الواحدة مقسم حياة بالروح القدس الواحد ، لأن المسيح وجدنا كلنا عظاماً مبعثرة كنتلك التي رأها حزقيال ، فنفخ فينا من روحه . فلبس الروح عظامنا فتقاربنا من بعضنا البعض ، وصرنا كلنا جسداً روحياً واحداً ( ٢ كو ١٣ : ١٤ ، ١ بط ٢ : ١ ، يهوذا ٢٠ و ٢١ ) . وقد جاءت كلمة « واحد » بعد « روح » مقابلة لكلمة « كلينا » . فاداً قد صار الفريقان ذاتاً واحدة ، وإنساناً واحداً .

(٤) مآل المصالحة : « إلى الآب » . مع أن لتقريب اليهودى من الأسمى مكاناً ممتازاً في برنامج الفداء ، إلا أن تقارب اليهودى من الأسمى يعتبر عملاً ابتدائياً بالقياس إلى تقرب الناس من الله — هذا هو المآل النهائي للمصالحة : « إلى الآب » .

إن هذه الكلمة القدسية الجليلة « الآب » تصف صلة الله ، الأقنوم الأول في اللاهوت ، بالمسيح الابن — الأقنوم الثانى في اللاهوت . لاحظ أن الثالوث الأقدس ذكر في هذا العدد : — « به » — الأقنوم الثانى . روح « واحد » — الأقنوم الثالث . « الآب » الأقنوم الأول .

فما أجل هذه الصلة القدسية وما أعمقها . فقد تاهت عنها كل تخيلات أساطير الأقدمين ، وقصرت عنها حكمة المتقدمين والمتأخرين . إذ كانوا ينظرون إلى الله نظرة المتهم المجرم إلى قاض عادل . واقفله بالمرصاد وعلى فمه النطق بالإعدام . أو كمهندس عظيم خلق آلة السكون ، ثم تركها واستوى

## الى الآب . ١٩ . فلستم إذا

على عرشه ليراقب سيرها عن كذب . إلى أن جاء المسيح ، فكشف لنا نحن الأطفال عن هذا السر الدفين الذي ظل مخفياً عن الحكماء والفهماء نعم عرف اليهود قديماً شيئاً عن هذه النسبة الجليلة في كتابات الزابورى إلا أنهم عرفوا الله أباً للأمة كمجموع . ولكن المسيح وحده هو الذى أعلمنى أنا الإنسان النرابى الساقط إنى ابن لهذا الإله الأعظم .

غير أن بنوة المسيح لله غير بنوة البشر له تعالى ، بدليل قوله : «أبى وأبيكم» (يو ١٢:٢٠) ، وكان فى إمكانه أن يقول «أبيننا» ، لو كانت هذه البنوة واحدة . فهى تختلف عنها فى النوع وفى الرتبة .

ولكن مالتا من نصيب فى هذه النسبة الجليلة ، يكفيننا ويفضل عنا ،

ويزيد !!

رابعاً: التألف الذى تم بين اليهود والأمم (١٩٠٢-٢٢)

**عدد ١٩** — ١ — ما كانوا عليه بالطبيعة : « فلستم إذا بعد غرباء ونزلاً » عاد الرسول إلى استعارته المدنية ، فاستعمل تعبيراً مفهوماً لدى عقلية اليونان المستوطنين أفسس وغيرها من سائر البلدان اليونانية « فالغرباء » هم الأجانب عمومًا الذى يحشون بالديار ويقطنونها فيتمتعون ببعض « امتيازاتها » لكنهم يظلون مطبوعين بطابع الاغتراب . « والنزل » هم الغرباء الرحل المؤقتون الذين يتنقلون بين هنا وهناك من حين إلى حين . فالغرباء والنزل كانوا يتمتعون ببعض المزايا الوطنية — ولكن على سبيل « السماح والنعمة » ،

## بعد غرباء ونزلاً

لا بحسان أنها حق . فالسكن كان ممنوحاً لهم ، لكن حق الرعاية كان ممنوعاً عنهم ، فكانوا منه محرومين .

هذا هو الموقف الطبيعي الذي كان يجب أن يكون عليه الأمميون — ومنهم الأفسسيون — الذين اعتنقوا المسيحية ، إذ كانوا بالنسبة إلى اليهود غرباء ونزلاً ، لكن النعمة خولتهم حق امتياز الرعاية فأصبحوا متمتعين بكامل حقوق الرعاية المسيحية مع كونهم غرباء ، وأضحوا من أهل البيت على رغم كونهم نزلاً ، وأمسوا من أصل الكرامة حال كونهم أغصاناً غريبة طعمت فيها .

— ب — ما صاروا إليه بالنعمة : « بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله » . إن كلمة « قديسين » تصف شعب الله القديم الذي أقرزه الله وخصه لذاته وعبادته . ولما أسست المسيحية احتلت المكانة التي كانت للشعب اليهودي في برنامج الفداء . وعلى هذا الاعتبار — كما يقول الأسقف ليمنفوت — قد آلت إليها كل الحقوق والامتيازات الروحية التي كانت من حق الشعب اليهودي . لأن الكنيسة المسيحية — كما يصفها بطرس الرسول — « جنس مختار ، وكهنوت ملوكي ، أمة مقدسة ، شعب اقتناء » ( ١ بطرس ٢: ٩ ) . فكل الذين دخلوا الكنيسة في عهد النعمة أضحوا « قديسين » بالدعوة ، والتكريس ، والتقديس . فالأمميون الذين انضموا إلى زمرة اليهود المتنصرين ، أصبحوا متساوين مع القديسين في كل شيء لأنهم لا ينقصون عنهم في شيء . وقد خلع عليهم الرسول — في هذا العدد وفي الأعداد التي

## بل رعية مع القديسين

تليه — خمسة أوصاف تعبر عن متانة اتحادهم مع المؤمنين الذين سبقوهم من أصل يهودي :

- (١) رعية واحدة : « رعية مع القديسين » . (٢) عائلة واحدة : « أهل بيت الله » (عدد ١٩) . (٣) بناء واحد : « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » (عدد ٢٠) . (٤) هيكل واحد : « الذى فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدسًا للرب » (عدد ٢١) . (٥) مسكن واحد : « مبنيون معاً مسكنًا لله فى الروح » (عدد ٢١) .
- غير خاف ، أن الثالوث الأقدس ذكر بوضوح وجلالة فى هذه الأوصاف التى هى استعارات ومجازات متجمعة ومتراكمة فوق بعضها البعض ، مما ينم عن بصيرة الرسول النيرة ، وروحه المحلقة بحرية فى سماء الوحي ، وعقله الخصب الذى تراحم فيه المعانى فيلبسها من الاستعارات والكنائيات أجل الحلل وأبهىها . فالأقنوم الأول : الله الآب — ذكر فى عدد ١٩ : « وأهل بيت الله » . والأقنوم الثانى : الله الابن — ذكر فى عدد ٢٠ — « ويسوع المسيح نفسه » . والأقنوم الثالث : الروح القدس — ذكر فى عدد ٢٢ — « مسكنًا لله فى الروح » .

إن كلام الرسول فى هذا الفصل الموجز (٢ : ١٩ — ٢٢) مرتبط ببعضه ببعض ارتباط الحلقات المكيئة ، فى سلسلة متينة . فعباراته كدرجات متصاعدة فى سلم واحدة . فالكلام فى عدد ١٩ تناول « فكرة » البيت المعنوى . وطبيعى

## وأهل بيت الله

أن الكلام عن البيت، يرجع بالفكر إلى الكلام عن «بناء» البيت — هذا ما عالجته الرسول في عدد ٢٠. وطبيعى أيضاً أن الكلام عن البيت المبنى، يؤدي إلى الكلام عن «الهيكل» الذى هو أقدم بيت — هذا ما أوضحه الرسول في عدد ٢١. ومنطقي أن الكلام عن الهيكل، ينتقل بالفكر إلى «المسكن» الذى هو «قدس» الهيكل — هذا ما بينه الرسول في عدد ٢٢ (١). الوصف الأول — رعية واحدة. «رعية مع القديسين».

من الملاحظ أن بولس الرسول استعمل التشبيهات سائلة الذكر، بحسب الصور المختلفة التى ارتسمت فى ذهنه عن حقيقة كنيسة المسيح. وبحسب وصف الكنيسة، يكون وصف المؤمنين الداخلين إلى أحضانها. فقال عن المؤمنين أنهم «رعية واحدة»، باعتبار كون الكنيسة ملكوتاً روحياً، والمسيح ملكه. وقال عنهم أنهم «أهل بيت واحد» باعتبار كون الكنيسة عائلة واحدة، والمسيح ربها. وقال أنهم «بناء واحد» على اعتبار أن الكنيسة بيت مبنى، والمسيح نفسه حجر الزاوية. وقال إنهم «مسكن واحد» باعتبار كون الكنيسة هيكل الله الحى، والمسيح كاهنه الأعلى وربّه.

«٢» الوصف الثانى — عائلة واحدة : «أهل بيت الله» :

إنه لمشجع حقاً أن الأسمى الذى كان غريباً ونزيراً حسب الطبيعة مستحقاً الطرد فى أى وقت، والحرمان من كل الحقوق، يصبح ابناً فى بيت الله. متمتعاً بكامل حقوق البنوة، هاتئناً، ناعم البال.

## ٢٠ مبنيين على أساس الرسل والأنبياء

إعداد ٢٠ | (٣) الوصف الثالث — بناء واحد : « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » .

إن كلام الرسول في العدد السابق عن « البيت » يرجع بالفسر إلى بناء هذا البيت . فالعدد السابق يتناول الكلام عن أهل البيت ، وهذا العدد يتناول الكلام عن البيت ذاته . فقال الرسول عن الأمم أنهم مبنيون على الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية . فأبان لنا في هذا العدد ثلاث حقائق :

أ — أحجار البناء : « مبنيين » — أعني المؤمنين من الأمم ، ومن اليهود الذين سبقوهم إلى الإيمان بالمسيح . هؤلاء هم الأحجار الحية في هذا البناء . إن كلمة « مبنيين » تعين حالة استقرت وتمت في الماضي يوماً ما ، بيد القادى المجيد . على أن الرسول أوضح أن المؤمنين من الأمم واليهود ليسوا أول أحجار في البناء ، لكنهم مبنيون على أساس قائم .

ب — أساس البناء : « على أساس الرسل والأنبياء » . إن الرسل والأنبياء المعنيين هنا ، هم رسل العهد الجديد وأنبياءؤه . أما « الرسل » فهم الاثنا عشر المعروفون . وأما « الأنبياء » فهم الذين وإن كانوا لم يشاطروا الرسل وظيفتهم الفريدة إلا أنهم استنبروا وألهموا بطريق مباشر فأنبأوا بالمستقبل حيناً (أعمال ١١ : ٢٨) ، ونادوا بحقائق روحية راسخة (أعمال ١٥ : ١ كو ١٤) ، لأنهم كانوا مكافئين ببلاغ الحقائق التي أودعوا إياها — أمثالهم وذو سبيل (أعمال ١٥ : ٣٢) .



## ويسوع المسيح نفسه

ويجدر بنا أن نلاحظ أن «الرسول والأنبياء» معتبرون أساس البناء لا في أشخاصهم بل بالنظر إلى التعاليم والمبادئ التي وضعوها بالهام الروح، وبها صار للامم حق الدخول إلى ملكوت النعمة، والتمتع بالنعم والمزايا التي يتمتع بها اليهود في رسالة سابقة، استعمل الرسول استعارة البناء والاساس، حيث قال: «فانه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح» (١ كو ٣: ١١) ولكن كلام الرسول في رسالة كورنثوس الأولى يختلف عنه في رسالة أفسس. في أولاهما تكلم عن الرسول باعتبار كونهم بنائين، لكنه تكلم عنهم في أفسس باعتبار كونهم أحجاراً حية في أساس البناء. في أولاهما — المسيح حجر الزاوية، وفي الثانية — المسيح أساس البناء — ج — حجر الزاوية. «ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية».

إذا اعتبرنا الكنيسة جسداً حياً، فإن المسيح هو رأس هذا الجسد وبالتالي هو العنصر الرئيسي في الجسد، لأن الرأس متم للجسد. وإذا اعتبرنا الكنيسة بناءً حياً، فإن المسيح هو حجر الزاوية في هذا البناء، وهو بالتالي الركن الركين في هذا البناء. ولعل بولس عندما استعمل هذه الاستعارة، كان يردد في ذهنه الكلمات الواردة في إشعياء ٢٨: ١٦ «لذلك هكذا يقول السيد الرب: ها أنذا أؤسس في صهيون حجراً — حجر امتحان حجر زاوية، كريماً أساساً مؤسساً» هذا يذكرنا بكلام المسيح لبطرس: «وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيتي» (متى ١٦: ١٨).

الكلمة المترجمة هنا «حجر الزاوية»، هي في الأصل كلمة واحدة. وهي

## حجر الزاوية ٢١ الذي فيه

تعني الحجر الرئيسي الذي يوضع فوق الأساس ليربط جدارين معاً في بناء واحد. أليس لنا أن نستنتج من هذا، أن المسيح باعتبار كونه حجر الزاوية في بناء الكنيسة، قد ربط اليهود والأمم معاً في هذا البناء المعنوي، فحفظ البناء كله من التفكك والانحيار؟

وجدير بالملاحظة: أن وضع حجر الزاوية في البناء لم يكن مألوفاً لدى اليونان بقدر ما كان معروفاً ومألوفاً لدى الشرقيين سيما العبرانيين. وقد اكتشف السر هنري ليارد في حفريات نينوى بعض أحجار ضخمة، منحوتة على شكل زوايا قائمة، كانت مستعملة قديماً لربط جدارين متجاورين في بناء واحد، مما دلَّ على أن أهل نينوى كانوا يضعون «أحجار الزاوية» في أبنيتهم. إن كلمة «نفسه» الواردة بعد اسم المخلص المجيد، ثم «عما لقادينا العظيم من مجد وجلال بمتازين. لا يشاطره إياهما الرسل والأنبياء. فإذا كانت مهمة الأنبياء، إذاعة الحق الإلهي، فإن المسيح هو أساس هذا الحق بل هو الحق نفسه.

**عدد ٢١ | (٤) الوصف الرابع - هيكل واحد: «الذي في كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدسًا في الرب».**

يحدثنا الرسول في هذا العدد عن أربعة أمور: أولاً: تعاون عناصر البناء في النمو: «كل البناء مركباً معاً». ثانياً: عنصر النمو في هذا التعاون: «ينمو» ثالثاً: الغاية التي يبلغها هذا النمو: «ينمو هيكلًا مقدسًا» رابعاً: العامل الحي في هذا النمو: «في الرب».

## كل البناء

**أولاً : تعاون عناصر البناء في النمو:** «الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو». مما لا جدال فيه، أن بولس الرسول، وهو يكتب هذا العدد، كان واضحاً نصب عينيه هيكل أرطاميس الذي كان منقحرة أفسس في هاتيك العصور. أفلا يجوز لنا أن نعتقد أن الرسول أراد أن يوجد مقارنة بين هيكل أرطاميس — الذي هو منقحرة، حسب الظاهر، ومعركة في الواقع — وبين الهيكل العظيم الذي أقامه المسيح على الأرض بنشره مبادئ ملكوته في المعمور؟ فكلاهما هيكل، وكلاهما هيكل ذو بناء، وكلاهما هيكل عظيم. إلى هنا تنتهي أوجه الشبه بين الهيكلين، وتبتدىء أوجه الخلاف. فلئن اقترب الهيكلان حيناً إلا أنهما يتباعدان إلى الأبد تباعد الظلام عن النور، والجحيم عن النعيم. فهيكلاهما أرطاميس بناء مادي، لكن هيكل المسيح بناء روحي. هيكل أرطاميس بناء ميت لأنه مقام من أحجار جامدة ميتة، لكن هيكل المسيح بناء حي نام لأنه مقام من أحجار حية معنوية. هيكل أرطاميس هيكل نجس كانت ترتكب فيه الموبقات باسم العبادة، لكن هيكل المسيح مقدس تسمو فيه النفس فوق الدنابا. هيكل أرطاميس كان مكرساً لـ «ديانا» آلهة الصيد لكن هيكل المسيح مكرس للفادي المجيد.

**ثانياً : عنصر النمو في هذا التعاون:** هذا التعاون عملية نامية: «ينمو». غير خاف أن بولس، اليهودي الأصل والثقافة، لا يمكن أن يخط كلمة عن هيكل ما، من غير أن يحضر في ذهنه هيكل سليمان. والمستفاد من قوله: «كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا»، إن الرسول — وقت كتابة هذه العبارة —

## مركباً معاً ينمو هيكلًا

كان متفكراً بالأروقة الكثيرة المتنوعة، التي تركّب منها هيكل سليمان، فقد كان كل رواق منها متوجّحاً بقبة، وكانت كل القباب متصلة معاً ومتناسكة، لتكوّن هيكلًا واحدًا رئيسيًا. فالأبنية كثيرة ومتنوعة، لكنها متعاونة كلها ومتساندة في تأليف هيكل واحد. وبما أن هيكل سليمان لم يكن بناء ساعته بل كان مرتباً ومنظماً وفق تصميم خاص، لدرجة لم يُسمع فيها صوت وقت بنائه، لذلك كان من السهل على من يراقب بناء الهيكل، أن يرى كل بنائه تاهياً يوماً فيوماً، ومتقارباً عند سقفه نحو سائر الأبنية، لتكوّن كلها مجتمعاً واحدًا رئيسياً ينتهي إلى قبة الهيكل الرئيسية التي كانت مفخرة فن البناء في تلك العصور.

إن تألف الأروقة الكثيرة المتضمنة في الهيكل لتكوّن هيكلًا واحدًا، لهو رمز إلى تألف الأجناس المختلفة التي تتألف منها كنيسة المسيح — لا فرق بين يري وسكيثي، عبدو حر، يهودي ويوناني، بل الجميع يؤلفون هيئة واحدة. هذا رأى بعض المفسرين ومضى قول الرسول: «كل البناء» — أي كل العناصر أو الأروقة التي تتألف منها الهيكل. ويرى البعض الآخر — وبينهم دكتورار متاج روفسون — أن بولس الرسول نظر إلى البناء نظرتة إلى جسم حي نام مدة عملية بنائه، وإن كل حجر فيه يقوم بقسط من هذا النمو. ونميل نحن إلى ترجيح الرأي الثاني كما يتبين من معنى كلمة «هيكل» فيما يلي:

ثالثاً: الغاية التي يبلغها هذا النمو: «ينمو هيكلًا مقدسًا». في اللغة اليونانية كلمتان تعنيان «هيكلًا» — الأولى: «ناؤس». والثانية:

## مقدساً في الرب

«هيرون». فالكلمة الأولى: «ناؤس» — المستعملة في هذا العدد — تعني، بحصر اللفظ، ذلك البناء المقدس المكون من «القدس وقدس الأقداس» والكلمة الثانية: «هيرون» تعني الهيكل بكل أروقته الخارجية التي اجتمع فيها كل الشعب للعبادة. ويلاحظ هذا الفرق في المعنى المراد من الكلمتين في كتابات يوسيفوس المؤرخ اليهودي، وفي رسائل كتبة العهد الجديد. فالهيكل كما تدل عليه الكلمة الثانية — هو المكان الذي وقف فيه القريسي والعشارُ مصلين، وهو المكان الذي طالما علم فيه ربنا وفادينا، ومنه طرد التجار. لكن الهيكل — كما تدل عليه الكلمة الأولى — هو المكان الذي ظهر فيه الملاك لكريا الكاهن، وهو المسكن الذي انشق حجابه وقت الصلب. وبين هذا المكان وبين المذبح، قتل زكريا بن برخيا.

رابعاً: العامل الحي في هذا النمو: «في الرب». هذه أول مرة استعمل فيها الرسول هذه العبارة الجليلة في هذه الرسالة. ومن الملاحظ أن بولس — حينما يريد وصف الصلة العلوية الفائقة الكائنة بين المسيح والمؤمنين — التي على أساسها يقبلون أمام الله — يعبر عنها بقوله: «في المسيح». ولكنه عندما يريد أن يصف نتائج هذه الصلة التي تظهر في الحياة العملية، يعبر عنها بقوله: «في الرب». قارن بين قوله: «مخلوقين في المسيح يسوع» (أفسس ٢: ١٠) وقوله: «تقوّوا في الرب» (أفسس ٦: ١٠). «في المسيح» — نحن في السماء — من حيث المركز والمقام. «في الرب» — نحن في هذه الحياة — من حيث التصرف والسلوك.

## ٢٢ الذى فيه أنتم أيضاً مبنون معاً

أورد بولس هذه العبارة القدسية «فى الرب» ، ليبين لنا أن الرب هو العامل الحى الفعال فى هذه الوجدانية . وأنه هو سر النمو والتقديس .

عدد ٢٢ / ( ٥ ) الوصف الخامس — مسكن واحد : « الذى فيه أنتم أيضاً مبنون معاً مسكناً لله فى الروح » .

فى هذا العدد ذكر الثلاث الاقدس بجلاء ووضوح : « فيه » — فى المسيح الاقنوم الثانى . « الله » — الاقنوم الاول . « فى الروح » — الاقنوم الثالث .

١ — أساس البناء وروحه : « الذى فيه » — فى المسيح — « أنتم أيضاً » — أيها الأمم باعتباركم شركاء اليهود فى تدبير الفداء وفى عهد النعمة — فأصبحتم وإياهم رعية واحدة

٢ — التآلف بين عناصر البناء : « مبنون معاً » . هذه العبارة تنم عن عملية حالية مستمرة ، ومتجددة فى كل آونة يقبل فيها أعضاء أحياء إلى كنيسة المسيح . لأن قبولهم يكون بمثابة إضافة أحجار حية إلى البناء النامى القائم . وكلمة « معاً » تشير إلى التعاون المتبادل ، والتساند السان بين عناصر البناء الواحد

٣ — غاية البناء المتألفة عناصره : « مسكن الله » . الكلمة اليونانية

المترجمة : « مسكن » لم ترد فى العهد الجديد سوى مرة أخرى ( رؤيا ١٨ : ٢ ) وهى تعنى بالذات « البناء الدائم المقيم » . فالإشارة فيها منصرفة إلى اعتبار الكنيسة مسكن الله الدائم . ولا شك أن هذه الفكرة ستتم كمالياً فى الكنيسة الممجدة بعد أن تتحقق جزئياً فى الكنيسة المجاهدة على الأرض . وغاية

## مسكننا لله في الروح

الغايات من هذا البناء، أن ينمو مسكننا «لله»، الذي إليه مآب الجميع، ليكون «هو الكل في الكل» (١ كو ١٥: ٢٨).

د- واسطة تألف عناصر هذا البناء: «في الروح». إن الروح القدس هو العامل في إحياء عناصر البناء، وفي إبلاغ كل عنصر غايته المثلى التي وُضع لها، ووضعت هي له. هذه إشارة أخرى واضحة إلى عمل الروح القدس في الكنيسة.

بمراجعة الأعداد القليلة، التي مرت بنا، يتضح لنا أن عناصر البناء مؤسسة على المسيح، تنمو هيكلًا مقدسًا لله، بواسطة الروح القدس. إن قوله: «في الروح»، الذي به يختتم هذا الأصحاح، يعتبر عبارة وصفية للهيكل الجديد المقدس. فليس هو بالهيكل المادي المبني من لبن، وأحجار، ورمال. لكنه هيكل روحي، قوامه «أحجار» حية من نساء ورجال (١ بطرس ٢: ٥). ولعل هذه العبارة تنطوي على إشارة ضمنية إلى نبوة المسيح، التي تخطت عقول من وقعت على سمعهم لأول مرة: «انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيّمه». فلنفسرها أعداؤه وحسبوها منصبة على الهيكل المادي الذهبي الزاهب، إلا أن تلاميذه الروحيين يفهمون مغزاها الحقيقي. فهيكل سليمان عثت به عوامل الهدم والفناء، لكن هذا الهيكل الروحي باق ما بقي رب الأرض والسما.

## الأصحاح الثالث

كشف الرسول في الاصحاحين السابقين عن جانب من أبعاد الفداء المسيحى العجيب، الذى أعدّه الله لبني البشر - يهوداً وأُمّيين على السواء، خالقاً منهم «الساكنوا واحداً جديداً»، ليبنى منهم «بناءً مركباً ينمو هيكلًا مقدسًا في الرب»، ليكون منهم «مسكنًا لله في الروح».

إلى هنا رأينا كلام الرسول عمومياً، لا يحمل إشارة إلى شخصه ولا إلى عمله، سوى في قوله: «لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم... لا أزال شاكرًا لأجلكم ذاكرًا إياكم في صلواتي» (١: ١٥ و ١٦). فلم يذكر شيئاً عن وظيفته الخاصة باعتبار كونه «النائم المختار» لحمل رسالة الخلاص إلى الأمم، ولا عن آلامه التى تحملها في هذا السبيل من سجن وتعذيب وتشريد. والظاهر أن الموضوع الهام الذى كان يشغل فكره، كان أرفع من أن يحتل إشارات شخصية. ولكن ما كاد الرسول يصل إلى كلمة «الأمم» التى ينتتم بها أول عدد في هذا الأصحاح، حتى رأى لزماً عليه أن يعرج بإشارة شخصية إلى وظيفته، وعمله، ووسائله التى أوّمن عليها (١). وقد لذّ له الحديث وغاب، حتى امتدّ به الكلام إلى نهاية العدد الثالث عشر،

(١) يرى بعض المفسرين في تنقل الرسول من موضوع إلى موضوع آخر قبل إتمام الموضوع الأول، دليلاً على أنه لم يكن يكتب بخطه بل كان يلقى رسالته إملاءً.



وبعد أن فرغ من هذه الإشارة الشخصية ، استأنف حديثه الذي به استهل هذا الأصحاح : « بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم (عدد ١) . . . (١) » بسبب هذا أحنى ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح « (عدد ١٤) . وهكذا اختتم الرسول هذا القسم التعليمي من رسالته بصلاة لأجل المكتوب إليهم (١٤: ٣ - ٢١) ، مثلما بدأه أيضاً بصلاة (١٥: ١ - ٢٣) فصلاة بولس في كل من هذين الموضعين . عماد هذا القسم من رسالته ، لدرجة يعتبر فيها ما بينهما حلقة اتصال بين الصلاة الأولى ، والثانية - كأن هذا القسم كله صلاة واحدة متصلة الحلقات .

ينقسم هذا الأصحاح إلى قسمين رئيسيين :

أولاً : بولس وإنجيل الأمم - أو بولس رسول الأمم (١: ٣ - ١٣)  
ثانياً : بولس والمكتوب إليهم من الأمم - أو بولس متضرعاً  
لأجل الأمم (١٤: ٣ - ٢١)

أولاً بولس وإنجيل الأمم (١: ٣ - ١٣)

من خلال كلمات هذا الفصل ، تتجلى لنا صور مختلفة للرسول بولس - كل صورة منها تنم عن ناحية خاصة من نواحي حياته المتعددة الجوانب ،

(١) يعتقد جماعة من المفسرين ، أن الرسول بعد أن قطع سياق كلامه في نهاية العدد الأول ، عاد فاستأنف في العدد الثامن . ويظن آخرون أنه استأنفه في العدد الثالث عشر ، يقول قوم آخرون إنه وصله بيده الأصحاح الرابع . ولكننا نرجح الرأي القائل بأنه استأنف الكلام في العدد الرابع عشر سبباً وأن الرسول كرر في بدء ذلك العدد نفس العبارة التي استهل بها العدد الأول « بسبب هذا » . . .

فترى في الطليعة : « بولس الأسير » (عدد ١)، ثم « بولس الإناء المختار » (عدد ٢) و « بولس الخبير بالأسرار » (عدد ٣ و ٤) « بولس الرسول » (عدد ٥ و ٦) و « بولس الخادم الأمين » (عدد ٧) و « بولس أصغر جميع القديسين » (عدد ٨) و « بولس البشير » (عدد ٨) و « بولس حامل النور » (عدد ٩) و « بولس رجل الشدائد » (عدد ١٣) و « بولس رجل الصلاة » (عدد ١٤) .

ولكى نلمّ بعض الإلمام بكلام الرسول في هذا الفصل ، يجمل بنا أن ندرسه دراسة تحليلية. إن موضوعه الرئيسى هو : « بولس وسر إنجيل الأمم » . والكلام فيه منقسم إلى أربعة أقسام ، مسبوقة بكلمة تمهيدية ( عدد ١ ) ومختتمة بكلمة ختامية ( عدد ١٣ ) ، ومن محاسن الاتفاق أن موضوع الكلام في المقدمة وفي الخاتمة يكاد يكون واحداً — فالمقدمة ترينا بولس في الأسر ، والخاتمة تحدثنا عن بولس في الشدائد — والأسر والشدائد من مصدر واحد .

كلمة تمهيدية مجملة : بولس سجين إنجيل الأمم (١:٣)

أولاً : اتصال هذا « السر » ببولس (٢:٣ — ٥) :

(١) عن طريق الإيهاب (٢:٣)

(٢) عن طريق الإعلان (٣:٣ و ٤)

(٣) وقت إعلان هذا السر (٥:٣)

ثانياً : موضوع هذا « السر » (٦:٣)

## ١ بسبب هذا

ثالثاً موقف بولس إزاء هذا «السر» (٧: ٣ — ٩) :

(١) خادم له (٧: ٣)

(٢) مبشر به (٨: ٣)

(٣) حامل مصباحه (٩: ٣)

رابعاً: الغاية القصوى من إعلان هذا «السر» (١٠: ٣ — ١٢)

« لكي يعرف عند الرؤساء والسلطين » :

(١) بحكمة الله الممنوعة (١: ٣)

(٢) بقصد الدهور (١١: ٣)

(٣) بسلام الله (١٢: ٣)

كلمة ختامية مجملة : بولس في شدائد إنجيل الأمم (١٣: ٣)

عدد ١ كلمة تمهيدية مجملة — بولس سجين إنجيل الأمم

يصلي لأجل الأمم « بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح . . »

— ١ — علة صلاته : « بسبب هذا » — خط الرسول هذه العبارة ،

ولكنه قبل أن يتمها، عرّج في كلامه على ذلك «السر» العجيب الذي ظل مستوراً عن الناس حتى جاء ملء الزمان فتجسد المسيح، وعاش، ومات، وقام. ومن مكان عليائه في المجد، أشرف على شاول الطرسوسي مضطهد الكنيسة فأخضعه لإرادته، ثم أشرق عليه بنوره العجيب وكشف له عن ذلك السر العظيم: وهو أن إله اليهود، هو هو إله الأمم أيضاً، وأن إنجيل الأمة الإسرائيلية

## أنا بولس

المختارة هو بالذات إنجيل الأمم: «فلا يهودى ولا يونانى . لا عبد ولا حر .. لأن الجميع واحد فى المسيح يسوع». «فالأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل». هذا هو السر الذى أفضى به بولس إلى قارئيه فى الأصحاحين اللذين مررنا بهما فى هذه الرسالة — من اختيار ، وتبني ، وتقديس ، وتمجيد، إلى مصالحة تمت بين الناس والناس، ثم بين الله والناس، إلى تلك الوحدة النبوية المجيدة التى تؤلف من اليهود والأمم على السواء مسكناً مقدساً لله ، فى الروح ، بالمسيح .

«بسبب هذا» الإعلان المجيد، أراد بولس أن يضع القلم عن يمينه ورق الكتابة عن يساره، ليحنى ركبتيه لدى أبى ربنا يسوع المسيح، مصلياً لأجل المكتوب إليهم، «ليدخل المسيح بالإيمان فى قلوبهم لكي يمتلئوا إلى كل ملء الله». ولكنه قبل أن يلقى القلم جانباً أراد أن يسرّ إلى المكتوب إليهم بكلمة عن الحق المخشول له، والسلطان الذى تقلده فى مناداته بالإنجيل للأمم — كأن هذا الحق كان موضوع جدل ومناقشة ومناقشة بين أعداء الرسول ، الذين هم أعداء الإنجيل الأمم — ولعلمهم من اليهود الذين ضاقت أفكارهم وقلوبهم عن أن تسع الأمم معهم فى حيز الإنجيل الواحد، حاسبين عن خطأ وجهل ، أن «يهوه» هو إله الإسرائيليين وحدهم ، مثلما كانت آلهة الوثنيين مقصورة عليهم هم دون سواهم . وقد فاتهم أن «يهوه» هو «رب واحد للجميع لكل من يؤمن» ، «لأنه لا فرق». إذ «ليس عند الله محاباة» — ب — رجل الصلاة ، وأسير الإنجيل ، هو المؤمن على السر :

## أسير المسيح

« أنا بولس أسير المسيح يسوع ». تسكلم بولس عن نفسه في هذا المقام بلهجة التوكيد : « أنا بولس » ، لكنه توكيد المتواضع ، الشاعر بنعمة الله عليه ، لا توكيد الفخور المعجب بذاته . وإذا كان بولس فخوراً بشيء في هذا المجال ، فهو إنما يفخر بالسجن ، والسلاسل ، والقيود التي تحملها في سبيل الإنجيل ، بل يفخر بكونه « أسير المسيح يسوع » . أو ليس أسير المسيح أشرف من أسير الخطايا ؟ وأرفع شأنًا من أسير الذات ؟ وأسمى مقامًا من أسير أحد ملوك العالم ؟ بل أليس أسير المسيح خيراً من أمير مقاطعة وأرفع قدراً من زعيم دولة ؟ إلا أن السجن في سبيل المسيح ، أفضل من الجلوس على أفخر العروش . والاستعباد له هو نعم الحرية ، والسلاسل الحديدية التي تُغَلَّ بها الأيدي والأرجل في سبيله ، لهي أحلى من أغلى الحلوى التي تزين أجمل المعاصم .

« بولس أسير المسيح يسوع » — هذه عبارة ترسم أمامنا صورة رجل نحيل الجسم ، مرتد ملابس بسيطة ، ويده اليسرى مغلولة بسلسلة من أحد طرفيها — وطرفها الثاني مطوّق بمنعصم أحد الجنود الرومان القائمين على حراسته . وغير خاف أن بولس صار أسير محبة المسيح قبل أن يلج أبواب السجن المادي لأجل المسيح . ولعله أصبح أسير القادى منذ تلك اللحظة التي قال فيها : « يارب ماذا تريد أن أفعل » ؟ ( أعمال ٩: ٦ ) . وقد ظل طوال حياته أسير حب المسيح سواء أكان في السجون أم خارج السجون . أليس هو القائل : « إن محبة المسيح تحضرنا » ( ٢كو ٥: ١٢ ) ؟ ألم يقل ( ١٣ )

## يسوع لا جلّسكم

قبل ختام حياته: «إني حامل في جسد سمات الرب يسوع» (غلاطية ٦: ١٧)؟  
كان كثيرون في أيام بولس أسرى في قصر قيصر ، لكن بولس أسير  
المسيح يسوع (أعمال ١١: ٢٣). فهو لم يفقد حرّيته نتيجة تعديده على شريعة  
أو وصية ، بل نتيجة إطاعته وصية المسيح القائلة: «إذهبوا إلى العالم أجمع»  
«أسير المسيح يسوع» — نلاحظ أن الرسول ، في هذه العبارة، قدّم  
وظيفة المسيح كمعاد: «المسيح» على اسمه الإنساني «يسوع». والظاهر أن  
كراسة بولس بأن القادي هو «مسيح» الأمم، لا «مسيح» اليهود وحدهم،  
قد أثارت حفيظة اليهود عليه ، فعملوا على ضربه في غياهب السجون.

—ج— توضّحات بولس لأجل المسكتوب إليهم: «لأجلكم أيها  
الأمم». إننا مدينون الموقفاً الطيب بحادث دونه في سفر الأعمال (٢١: ٢٦-٣٠)  
يلقى ضوءاً ساطعاً على قول بولس: «أسير... لأجلكم أيها الأمم». «  
حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد وتطهر معهم ودخل الهيكل... فرآه  
اليهود الذين من آسيا في الهيكل فأهاجوا كل الجمع صارخين يا أيها الرجال  
الإسرائيليون أعيّنوا. هذا هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان ضدّا  
للشعب والناموس وهذا الموضع حتى أدخل يوفانيين أيضاً إلى الهيكل ودّس  
هذا الموضع المقدس. لأنهم كانوا قد رأوا معه في المدينة تروفيمس الأفسسيّ  
فكانوا يظنون أن بولس أدخله إلى الهيكل. فهاجت المدينة كلها وتراكض  
الشعب وأمسكوا بولس وجرّوه خارج الهيكل وللوقت أغلقت الأبواب». «  
هذا ضرب من ضروب العذابات التي تحملها بولس من أيدي اليهود قصاصاً

## أيها الأمم ٢ إن كنتم

وتأديبآله على تلك «الجريمة التي لا تغتفر» — تبشير الأمم بالإنجيل! فكان هذا الاختبار عربوناً للآلام مبرحة، عاناها رسول الأمم لأجل الأمم، وقد اختتمت هذه الآلام بسجنه الأخير في روما حيث قضى شهيد الحق والواجب، في سبيل إبلاغ الأمم رسالة الحق والخلص. ومن المعلوم أن قضية تبشير الأمم قد اجتازت أزمة حادة موصوفة في أعمال ص ١٥. أطلب أيضاً أعمال ٢٢: ٢١ و ٢٢. هذا هو «سر إنجيل الأمم». فكيف سلمت مفاتيحه لبولس؟ هداما يعرفنا عنه الرسول في العدد التالي: أنه تقلد المفاتيح لا نتيجة مجهود من عنده، بل هبة إلهية مجانية — «مجاناً أخذتم. مجاناً أعطوا»

**عدد ٢ | (١) بولس تقلد مفاتيح هذا السر، بتدبير من نعمة الله**  
 المعطاة له بالأيهاب: «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم»  
 — معرفة المسكتوب إليهم برسالة بولس إلى الأمم: «إن كنتم» — استعملت «إن» هذا للتعليل لا للشك، فهي يقينية لا شرطية، مع أنها أفرغت في قالب الشرط شكلاً. ومعناها: «مادمت قد سمعتم حقاً بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم». والظاهر أن الرسول التجأ إلى هذا الأسلوب في التوكيد، تلطفاً منه، واتضاعاً، وتودداً نحو المسكتوب إليهم الذين تربطهم به روابط البنوة المقدسة في الرب. وقد لا تخلو هذه العبارة من التهكم اللاذع المؤسس على شدة الثقة وقوة اليقين. أو قل إنه يقين أفرغ في صيغة فرض (٤ : ٢١). وإن من يقرأ أعمال ١٩ : ١٠ و ٢٦، لا يمكن أن يخالجه شيء من

## قد سمعتم بتدبير نعمة الله

الشك في أن بولس كان معروفاً لدى أهل أفسس ، وأن رسالته لم تكن موضوع شك عندهم ، إلا إذا احتاج النهار إلى دليل ، فمن المحقق أن «رسالته» إلى الأمم لم تكن بعد سرّاً مخفياً ، بل صارت هي نفسها بشارة ذاع خبرها وشاع ، وملاً الأسماع ، وقت كتابة هذه الرسالة . ويقول الدكتور كاندليش إن بولس ، بقوله : «إن كنتم قد سمعتم» قد وجه الخطاب إلى فريق معين من غير أهل أفسس ممن لم يسمعوا يقيناً برسالته إلى الأمم ، سيما وأن هذه الرسالة غير متمصورة على كنيسة أفسس ، لكنها رسالة دورية بعث بها إلى كنائس أخرى . مع العلم بأن كثيرين من آسيا ومن أماكن أخرى مجاورة لها ، تشككوا كثيراً في رسالة بولس إلى الأمم بنوع خاص ، وفي رسوليته بنوع عام ، بل كانوا يستحون بقيوده .

ب - النعمة الجزينة التي وهبها بولس ، والقصد منها : « بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم » . إن كلمة «تدبير» تصور لنا رب بيت مدبر حكيم ، يوزع بركاته السخية على كل واحد من أفراد بيته ، بتدبير محكم ، ونظام دقيق ، يضمن كفاية البركات للجميع ، فيأخذ كل منهم نصيبه الحق . وهو يجود بنعم وفيرة على بعض الأفراد لكي يوزعوها هم على غيرهم . هذه الكلمة من مميزات كتابات الرسول . وهي تعني «التوكيل» ، أو «التوزيع» أو «تسليم الوديعة» (أنظر ١ كو ٤: ١ و ٢ ، ٩: ١٧ ، كولوسي ١: ٢٥ ، ١ بطرس ١: ١٠) . هذا هو «التدبير» الإلهي المحكم الذي عوَّجه وُهب بولس نعمة



## المعطاة لي لأجلكم

جزيلة ، هي نعمة الكرازة للأمم ، لا مجرد النعمة الخلاصية . فالإنسان ، بعد أن ينال النعمة المخلصة له ، يوهب درجة أرقى في مراتب النعمة لتخليص غيره . هذه هي النعمة التي قال عنها بولس في رومية ١ : ٥ « الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم » ، وفي عددى ٢ و ٨ من هذا الأصحاح الذي نحن بصدده الآن : « الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته ، لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى » .

هذه هي النعمة التي حصل عليها بولس « إذ مرَّ الله الذي أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته ، أن يعلن ابنه فيه ليبشر به بين الأمم » ( غلاطية ١ : ١٦ ) . غير أنه ليس من الضروري أن يمضى وقت ما ، بين نوال النعمة المخلصة للكارز ، والنعمة التي تعينه على تخليص غيره — وإن شئت قل : بين نعمة البشارة ، ونعمة التبشير . لأن بولس نال النعمة الخلاصية ، وأحيط علماً بتدبير الله القدأى ، وتلقا نعمة حمل بشارة الخلاص إلى الأمم ، في وقت واحد . فكأن كل هذه الثلاثة الأدوار المجيدة قد تمت له في آن واحد ، حين التقى به المسيح في طريق دمشق . ولكن النعمة المقصودة في هذا العدد بالذات ، هي نعمة تبشير الآخرين . وكل إنسان ينال الدرجة الأولى في النعمة لا يمكنه أن يقف عند هذا الحد ، لأننا خلصنا لنخلص ، وبشرنا لنبشر . فبولس لم يوهب هذه النعمة لكي ينضمَّ بها ، ولا لكي يتمتع بها تمتعاً ذاتياً ، وإن يكن هذا التمتع روحياً ، لكنه وُهبها لأجل

### ٣ أنه باعلان عرفنى بالسر

الأمم « فهي إذاً ليست له وإنما هي لهم : «لأجلكم» — هذا أسى مجالى  
التنعم بالنعمة ، لأن «المروى هو أيضاً يروى» .

عدد ٣ | (٢) بولس تقلد هذا السر — عن طريق الاعلان :  
« إنه باعلان عرفنى بالسر » .

الكلمتان الرئيسيتان فى هذا العدد هما «إعلان» و «سر» . وحتى  
نعرف معنى أولاهما ، ينبغى أن نعرف معنى ثانيتهما . لقد مررت بنا هاتان  
الكلمتان فى العدد التاسع من الإصحاح الأول ، حيث قال الرسول عن الله :  
« إذا عرفنا بسر مشيئة » : « فالمعرفة » و « الإعلان » هما من مصدر واحد .  
فليرجع القارىء إلى صفحة ٦١ من هذا الكتاب ، ليعرف المعنى الأساسى  
لهاتين الكلمتين .

« إنه باعلان عرفنى بالسر » — أراد الرسول ، بهذه العبارة ، أن يفهم  
المكتوب إليهم ، أن وديعة إنجيل الأمم لم تنته إليه نتيجة بحث على قام هو به ،  
ولا هي من مبتكراته الخاصة التى أوحى إليه بها غيره نفسانية ، ولا هي نتيجة  
اكتشاف اجتهدى قام به هو من عندياته ، ولا هي تقليد أو رسالة  
تقلدها من سلفائه أو رؤسائه ، وإنما هي إعلان خارجى عنه ، خصه الله به ،  
وافتقده به فى مراحه ، فى وقت كان بولس لا هياً عنه ، بل معرضاً عنه ،  
بل معارضاً له .

غالباً جداً أفضى الله إلى بولس بهذا « السر » مجتلاً ، حين عرفه بحقيقة

ذاته وصفاته يوم تجديده (أعمال ١٧: ٢٦ و ١٨) . ثم كشف له عن مخبئات هذا السر، السكامة بين ثناياه فعرّفه ببعض مشتملاته وتفصيلاته أثناء الثلاثة الأعوام التي قضاها بولس في العربية، باحثاً، دارساً، متفكراً، متعبداً، كما يقول هو في موضع آخر : «لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته . أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم ، للوقت لم أستشر لهما ولا دماً . ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدت أيضاً إلى أورشليم (غلاطية ١: ١٥ - ١٨) . هذا مطابق لاختبار نبي قديم : «قبلا صورتك في البطن عرفتك . وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبياً للشعوب» (إرميا ١: ٥) فرسالة الإنجيل ، وسلطة تقلدها ، وطريقة المناداة بها ، نوات كلها على بولس عن طريق الإعلان المباشر .

إن طبيعة الرسالة بما فيها من جلال ممتاز ، وطبيعة الرسول الذي كان زعيم شيعة اليهود الفريسيين المتعصبين فأصبح رسول الأمم ، وطبيعة المرسل إليهم - الأمميين ، كل هذا يجعل الإعلان الإلهي المباشر لازماً شديداً للزوم . لأن الأشياء العادية تتطلب وسائل عادية مثلها ، لكن الأشياء الخارقة للطبيعة تتطلب وسائل من وراء الطبيعة نظيرها . وهل من المستبعد على الإله العلي الذي استخدم وسيلة ممتازة في إقناع بطرس بالإقلاع عن أفكاره الطبيعية المتكئة منه والمتأصلة فيه (أعمال ١٠) ، أن يستخدم مثل هذه الوسيلة أو أبلغ منها ، لا لتزاع جذور التعصب الفكري من ذهن بولس نحو الأمم، وزرع

## فُكْتُبْتُ بِالْإِيجَازِ. ٤ الَّذِي بِحَسَبِهِ

أَشْجَارُ الْمُوْدَةِ وَالصِّفَاءِ وَالتَّسَامُحِ عَوْضًا عَنْهَا ١٢ أَمَّا عَنْ كَوْنِ الرَّسُولِ بُولُسَ مُسْتَوْدَعًا لِسِرِّ الْإِعْلَانِ الْإِلَهِيِّ ، فَهَذَا ظَاهِرٌ مِنْ تَرْدِيدِهِ كَلِمَةً : « إِعْلَانٌ » بَيْنَ ثَنَائِهَا رِسَائِلُهُ وَكِتَابَاتِهِ ( رُومِيَّة ١٦ : ٢٥ ، غَلَاطِيَّة ٢ : ٢ . وَأَمَّا عَنْ كَوْنِهِ مُهَيِّطًا لِهَذَا الْإِعْلَانِ ، فَهَذَا وَاضِحٌ مِنْ ٢ كُورِنْثُوس ١٢ : ١ و ٧ ، غَلَاطِيَّة ١ : ١٦ )  
 — أ — مَوْجِزُ هَذَا السِّرِّ : « كَمَا سَبَقْتُ فُكْتُبْتُ بِالْإِيجَازِ ». يُشِيرُ الرَّسُولُ

فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِلَى مَا مَرَّ بِهِ ، فِي الْأَصْحَاحَيْنِ السَّابِقَيْنِ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ .  
 فَالرَّسُولُ لَمْ يَفْصَلْ هَذَا السِّرَّ تَفْصِيلًا وَلَكِنَّهُ ذَكَرَهُ مَوْجِزًا . وَأَيُّ لُغَةٍ الْبَشَرُ أَنْ تَحِيطَ بِمَا فِي هَذَا السِّرِّ الْجَلِيلِ ، مِنْ عَرْضٍ ، وَطُولٍ ، وَعُمُقٍ ، وَعُلُوٍّ !  
 فَهِيَمَا أَطَالَ الرَّسُولُ فِي شَرْحِهِ وَأَطْنَبَ ، لَا يَكُونُ فِي إِطْنَابِهِ إِلَّا مَوْجِزًا ، وَمِمَّا أَسَهَبَ فِي تَفْسِيرِهِ ، فَلَا يَكُنْ فِي إِسْهَابِهِ إِلَّا قَاصِرًا أَوْ مُقْصِرًا . إِنْ قَوْلُهُ :  
 « كَمَا سَبَقْتُ فُكْتُبْتُ » مُرَادِفٌ لِقَوْلِنَا : « كَمَا ذَكَرْتُ آنَفًا »

**عَدَد ٤ | ب — طَبِيعَةُ كَلَامِ الرَّسُولِ تَشْهَدُ لِسَمُوِّ مَصْدَرِهِ :**

وَتَوْثِيْقُ رِسَالَتِهِ : « الَّذِي بِحَسَبِهِ حِينَمَا تَقْرَأُونَهُ تَقْدُرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ » . قَالَ الْمَسِيحُ : « بِكَلَامِكَ تُتَبَرَّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ » . وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : « ... الْأَعْمَالُ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ لَا اكْمَلُهَا . هَذِهِ الْأَعْمَالُ بَعِيْنَهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي ... فَتَشَوُّوا الْكُتُبَ ... وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي » . وَقَالَ أَيْضًا : « مِنْ عَمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ » . عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ تُعْتَبَرُ كَلِمَاتُ الرَّسُولِ خَيْرَ شَاهِدٍ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ . وَمَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقْدَمْ لِلْمَكْتُوبِ إِلَيْهِمْ شَرْحًا

## حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي

والياً لبرنامج الفداء الذي أعده الله للمقدين بما فيهم الأمم ، بل اجتزاً  
 بخلاصة موجزة منه ، إلا أن القليل ينم عن الكثير . فكما أن تحليل قطرة  
 من مياه البحر يكشف عن ذات العناصر التي يتركب منها البحر كله ، كذلك  
 كلمات الرسول التي كتبها بالإيجاز ، عن النصيب العظيم الذي جعله الله للأمم  
 في برنامج الفداء ، تتضمن جوهر الفداء بالذات . فيحق للمكتوب إليهم أن  
 يجعلوا من هذا القليل الموجز خير دليل على المطول المعجز : « الذي منه تقدرون  
 أن تفهموا درايتي بسر المسيح » . إن الفهم المراد هنا ، هو فهم التمييز . « والسر »  
 المقصود ، هو الذي حدثنا عنه الرسول في العدد الثالث من هذا الأصحاح .  
 ولا يغرب عن البناء أن الرسول لم يرغب في الاستشهاد بأهل أفسس لدرايته  
 بسر المسيح ، حباً بهذه الشهادة في ذاتها ، ولا طمعاً في المجد الذاتي الذي  
 يناله من هذه الشهادة ، لكنه كان ينبغي من وراء ذلك ، إبلاغ رسالته إلى  
 قلوبهم . فخيرهم هم لاخيرهم هو ، كان مطلبه الأسمى . فهو لم يرغب إلى  
 المكتوب إليهم ، أن يشهدوا له ، بمقدار ما أرادهم أن يحكموا لأنفسهم . ولم ينتظر  
 منهم أن يؤخذوا بسمو مداركه ، وإنما أرادهم أن يمتنعوا بصدق رسالته ، وسلطانها  
 الإلهي ، ومبلغ فهمها — لأن رسالته لا تنفعهم إلا بمقدار اقتناعهم بسمو  
 مصدرها ، وأني لهم أن يعرفوا « سر المسيح » إلا من شخص ذي خبرة  
 ودراية ؟ فالبصيرة الروحية النافذة — لا المعرفة العقلية المكتسبة —  
 هي المقصودة بقوله : « درايتي بسر المسيح » . فليس هذا كلام الفخور  
 بنفسه ومؤهلاته ، بل كلام الشاعر بضعفه وقدرته المسيح .

## سر المسيح . ه الذي في

إن «سر المسيح» مرتبط تمام الارتباط بعمله (١٤: ٢) وبمجده (١٠: ١).  
فجوهر خلاصه هو: «المسيح فيكم رجاء المجد» (كولوسي ١: ٢٧) وموضوعه  
هو: «المسيح المعلن». إن سر أعظم كذا، هو تحقيق بأن يدعى «سر المسيح»  
أو «المسيح السر». فلا يمكن أن يكون من مبتكرات بولس، ولا من  
ثمرات خياله. لأن سمو السر شاهد لسمو مصدره. فكما أن قوة انحدار المياه  
تشهد لعلو منبعها، كذلك عمق هذا السر وسموه يشهدان له بأنه صادر من  
أعماق قلب الإله السامي بسلطانه، والسخرى بنعمته، والغنى بمحبته.

يقول بعض المفسرين: إن كلمة «تقرأونه» تعني التلاوة بصوت مسموع  
كما من منبر الكنيسة مثلاً. ولسنا نجد في القرينة ما يؤيد أو يفند هذا الرأي.

**عدد ٥ (٣) وقت إعلان هذا السر . ووسيلة إعلانه**

هذا العدد يقسم نفسه إلى قسمين متقابلين، تفصل بينهما كلمة «كما».  
فهما شبيهان بكفتي ميزان، وكلمة «كما» شبيهة «بقصبة الميزان»:  
— أ — الزمن: «في أجيال أخر» ... «الآن»

ب — درجة الوحي { .. «قد أعلن بالروح»  
والإعلان { «لم يعرف به» ..

.. «لرسالة القديسين

ج — مهبط الوحي: «بنو البشر» .. «وأنبياؤه» ..

— أ — المقابلة الأولى تحدثنا عن الزمن الذي فيه أعلن هذا السر.

## أجيال آخر لم يعرف به بنو البشر

الآن، مقابل «الأجيال الآخر» التي كان فيها هذا السر مكتوماً ومختوماً. وقد أراد به «الأجيال الآخر» الأزمنة السابقة لعصر الإنجيل، حين كان اليهود يعتقدون أن «يهود» هو إلههم هم دون سواهم، وأن لا نصيب للأمم معهم في التبني والمهود والمواعيد، لأن «سر» إنجيل الأمم كان مكتوماً عنهم.

ب - المقابلة الثانية ترينا أن هذا «السر» قد «أعلن» لبولس وغيره من الرسل «بالروح» القدس، مع أن نبي البشر لم «يعرف» قوابله في «الأجيال الآخر». فالبشر قديماً لم يستطيعوا بتقديرهم الفكرية، ولا باستنتاجاتهم العقلية، ولا بتصوراتهم الخيالية، أن يكتشفوا هذا السر ولا أن يكشفوه. وأني للعقل البشري أن يصل إلى كنهه معلّات «الروح» وكما أنه يستحيل على الطفل الرضيع أن يفهم العلوم الجامعية العويصة، كذلك تعذر على العقول البشرية الغير الناضجة أن تفهم هذا السر، لا لأنها لم تقوَ على فهمه أو كشفه فحسب، بل لأن وقت إعلان هذا السر لم يكن قد حل بعد، لأن «ملء الزمان» لم يكن قد حان، ولأن «الروح» لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد. ألا يستفاد من قوله: «كما قد أعلن» إن كلمة «كما» تشير إلى الدرجة الممتازة التي أعلن بها هذا «السر» في العهد الجديد. مقابل تلك الدرجة الجزئية الضئيلة الشبيهة بالأشعة المتكسرة، التي أعلن بها هذا «السر» لفئة قليلة ضئيلة من أبطال العهد القديم، الذين كانوا بالنسبة للشعب، مثل قمم الجبال الشاهقة بالنسبة لحصباء الوادي؟ «السر» ليس بمجدد لكن إعلانه هو الأمر الجديد. كان في الماضي «مكتوماً» فأصبح الآن معلناً.

## كما قد أعلن الآن لرسلة القديسين

— ج — المقابلة الثالثة تصف الفارق العظيم بين من خفي عنهم هذا السر : « بنو البشر » وبين من أعلن لهم بالروح : « رسالة القديسين وأنبيائه بالروح ». إن كلمة « بنو البشر » تضم بين دفتيها جميع أهل « الأجيال الأخر » من يهود وأُمَميين . ومن المحتمل أن بعضاً من المستنيرين أمثال إشعياء وسمعان الشيخ قد رأوا بصيصاً من ضوء هذه المعلنات ( أعمال ١٣ : ٤٧ ، رومية ٨ : ١٥ — ١٢ ، إشعياء ٥٦ : ٦ و ٧ ) . ولكن أنى لضوء الفجر أن يواجه ضياء الشمس !! ( ١ بطرس ١ : ١٠ — ١٢ ) .

أما الذين شرفهم الله بهذا الاعلان المجيد ، فقد وصفهم الرسول بقوله : « رسالة القديسين وأنبيائه بالروح » . هذه العبارة تنم عن حقيقتين — أولاهما : مهبط الوحي : « رسالة القديسين وأنبيائه » — هؤلاء هم رسل العهد الجديد وأنبيأؤه ( ٤ : ١١ ) — وبولس أحدهم بل على رأس القائمة مع أنه رضى تواضعاً منه أن يضع نفسه في ذيلها ( ١ كورنثوس ٩ : ١٥ ) . وإذا كان بولس أحد هؤلاء الرسل والأنبياء ، أفلا يلام على كونه تبرع لنفسه ولهم بكلمة : « قديسين » فكيف يتفق هذا مع ما هو مشهور عنه من الوداعة والتواضع ! إن هذا اللبس لا يلبث أن يزول من أذهاننا متى ذكرنا المعنى الخاص الذي تنطوي عليه كلمة : « قديسين » . فهي لا تصف حالة كالية منزّهة عن كل شر وشبه شر ، لكنها تعني التخصص والفرز ، والتكريس . فهم هؤلاء الرسل والأنبياء هم قديسون لأنهم أفرزوا لله في الروح وبالروح . فهم إذاً مقدسون في مقامهم ووظيفتهم ودعوتهم . وفي الوقت نفسه هم مقدسون بالدم



## وأنبيائه بالروح . ٦ إن الأمم

الذين ، ومتقدسون في الروح القدس ، وهم أنقياء بسبب كلام المسيح ، الذي هو كلمة الله الحي الباقي إلى الأبد . ولا تنس أن أهل أفسس وصفوا بهذه الكلمة : « قديسين » نسبة لدعوتهم العليا في السماويات في المسيح يسوع . وأن اليهود سموهم « شعباً مقدساً » نسبة لكونهم شعباً مقتنى من الرب وللرب . الحقيقة الثمانية : واسطة الوحي : « بالروح » . هذا هو الروح القدس الذي ألهم الأنبياء والرسل فيه هم مقدسون ، وبه هم مأمونون . وكلمة : « بالروح » يجوز أن تترجم حرفياً إلى : « في الروح » . لأن هذه المعلنات جاءتهم وهم « في دائرة الروح » . قد نعتبر كلمة : « بالروح » وصفاً لكلمة « أعلن » — أي أن الروح هو واسطة الإعلان . وأن نعتبرها وصفاً لقوله : « لرسلة القديسين وأنبيائه » فتكون وصفاً لحالة الرسل القديسين والأنبياء حينما تلقوا المعلنات الإلهية ، بخلاف بني البشر — أو بني آدم — الذين كانوا على حالتهم الطبيعية فيخفيت عنهم هذه المعلنات العميقة السامية . قال بنغال تعليقا على كلمة : « أعلن » : أن الإذاعة بالإعلان هي سر الإذاعة بالكراسة .

**عدد ٦** ثانياً : موضوع هذا السر : « إن الأمم شركاء »

هذه هي خلاصة « السر » الذي أعلن لبولس ، بل جوهر السر : إن الأمم شركاء اليهود في بركات الإنجيل . وقد أوضح الرسول في هذا العدد ثلاثة أمور : — ١ — بركات هذا السر — ب — العامل الأساسي فيها — ج — العلة الثانوية فيها .

## شركاء في الميراث

— ١ — بركات هذا السر : « الميراث ، والجسد ، ونوال موعده » —  
هذه إذاً شركة مثلثة يتساوى فيها الأُمم واليهودى على السواء (١) شركة في  
الميراث. « شركاء في الميراث ». (٢) شركة العضوية في الجسد الواحد :  
« والجسد ». (٣) شركة التمتع بروح الموعد القدوس : « ونوال موعده  
في المسيح بالإنجيل ».

فالجانب الأول : « شركة الميراث » يعين نصيب الأمم مع اليهود في  
الله الآب (رو ٨ : ١٧ ، غل ٣ : ٢٩ ، ٤ : ٧) . والجانب الثانى . « شركة  
العضوية في الجسد الواحد » يبين نصيب الأمم مع اليهود فى الابن الذى هو  
رأس هذا الجسد الغير المنظور (٢ : ١٥ — ٢٢) . والجانب الثالث : شركة التمتع  
« بنوال موعده » القدوس ، يقرر نصيب الأمم مع اليهود فى الروح القدس ، الذى  
هو « روح الموعد القدوس » (أعمال ١ : ١٤) . فإذاً هذه الشركة المثلثة الجوانب

تمتصن النصيب المشترك الذى للأمم واليهود على السواء ، فى الإله الواحد المثلث  
الأقانيم . فهم شركاء فى الميراث الواحد الذى لهم من الآب ، وفى الجسد الواحد  
الذى رأسه المسيح ، وفى شركة الروح القدس الواحد (١ : ٢ ، ١٢ : ٤ ، عب ٦ : ٤) .  
فما أجل هذا السر وما أعجده ! قبلاً كان اليهود ينظرون إلى الأمم —  
وباليتهم ينظرون بغير أنفة وترفع — نظرتهم إلى سقط المتاع ، المزدري والغير  
الموجود ، نظرة كلها ذراية ، فيحتقرونها . وكانوا ينظرون إلى الله نظرة تنم عن  
قلوب ضيقة فيحتكرونها لأنفسهم — فيظنون أنهم وحدهم ورثة مجده ،  
ومنهم وحدهم تتألف الأمة المختارة فلا يختلطون بأحد ولا يمزجون ولهم

### والجسد ونوال موعده

وخدم شركة موعده . كل هذا كان قبل إعلان هذا السر المجيد الذي به صار الأمم ورثة مع اليهود في الله ، فأصبحوا وإياهم أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع (غلاطية ٣: ٢٦ ، رومية ٨: ١٧) . وقد أضحوا وإياهم أعضاء متآلفين في جسد المسيح الذي هو كنيسة الغير المنظورة (١٦: ٢) . فبالنسبة لهذا الجسد الواحد، هم مساهمون . وبالنسبة لبعضهم البعض هم متحدون متآلفون - هذا هو المعنى الحرفي لقوله : «شركاء في الجسد» . وبالتالي صاروا وإياهم شركاء في نوال موعداً روحاً، وروح الموعد، الذي يأخذهم للمسيح ويعطيهم سوية ، «قاسماً لكل واحد بحفرده نصيباً كما يشاء» (١ كورنثوس ١٢: ١١) . هذا حق في الحال لا في المستقبل .

ب- العامل الأساسي في نوالها : «في المسيح» - هذا هو العامل الأساسي في تمتع الأمم مع اليهود بهذه البركات المشتركة : اتحادهم وإياهم في المسيح . بل هذا مقامهم، وامتيازهم ، ومجدهم . في المسيح صاروا أبناء الله فأضحوا شركاء مع بعضهم البعض في الميراث المقدس الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل . في المسيح صاروا أغصاناً في الكرمة الواحدة وأعضاء أحياء في الجسد الواحد . في المسيح صار لهم حق نوال الروح والامتلاء بالروح ، لأن الروح هو رسول المسيح إلى كنيسة بعد صعوده، وهو معزياً بها بعد اقترافه عنها بجسده المنظور .

ج- الوسيلة الثانوية : «بالإنجيل» . فالإنجيل هو الوسيلة التي بها نفذ التدبير الإلهي في فداء الأمم واليهود سواء بسواء ، وبواسطته أظهر

## في المسيح بالإنجيل . ٧ الذي صرت

وأعلن بالكراسة والبشارة . بالإنجيل تسلم بولس هذا الإعلان، وبالإنجيل أعلن بولس هذا السر للأمم . وفي الإنجيل ولد لهم (أكو ٤: ١٥، رو ١٠: ٨-١٥، ٢٥: ١٦) .

هذا من جهة الله ، وأما من جهة البشر ، فما عليهم إلا قبول الإنجيل بالإيمان . وفي قبولهم إياه يقبلون كل البركات التي تصحبها .  
يعتقد الدكتور موفات أن هذه الشركة المثلثة منحصرة كلها في الجانب الأخير — الموعد . فترجم هذا العدد على هذه الصورة : إن الأمم لهم شركة الميراث ، وشركة الزمالة ، وشركة المساهمة — في الموعد . أي أن الأمم وارثون مع اليهود ، وشركاء لليهود ، ومساهمون مع اليهود في الموعد الواحد . ولكننا لا نستطيع الأخذ بهذا الرأي لأن فيه إخفاء لكلمة «الجسد» ، وإنما أوردناه لمجرد تبيان الأشياء بأضدادها . ولعل هذا المترجم ارتأى هذا الرأي لأن الرسول خلق في هذا العدد كلمتين لم تستعمل قط من قبل . كأنه وجد أن بردة الكلمات اليونانية الموجودة في وقته ليست بكافية ليخلصها على هذا الحق خلعا ، فخلق له كلمتين خلقاً !

ثالثاً : موقف بولس إزاء إنجيل الأمم (٣: ٧-٩)

عدد ٧ | (١) بولس خادم لإنجيل الأمم (٣: ٧)

إن كلام الرسول هنا مواز لكلامه في كورنثوس ١: ٢٤-٢٩ حيث قال : «... الإنجيل الذي سمعته... الذي صرت أنا بولس خادماً له...» .

## أنا خادماً له

« الكنيسة التي صرتُ أنا خادماً لها حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم... »  
« الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل في بقوة »  
تسكلم الرسول في هذا العدد عن ثلاث حقائق متتابعة — الحقيقة  
الأولى: تؤدي بنا إلى الثانية، والثانية تصل بنا إلى الثالثة لكن الثالثة قياس  
لثانية، والثانية قياس للأولى . في الحقيقة الأولى أُرانا الرسول صلته بهذا  
الإنجيل : « الذي صرتُ أنا له خادماً » . وفي الحقيقة الثانية حدثنا  
عن قياس كفايته لهذه الخدمة : « حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي » .  
وفي الحقيقة الثالثة أبان لنا كفاية قياس النعمة المعطاة له : « حسب فعل  
قوة الله » . ويقول الأسقف موليه — استناداً إلى دلالة الكلام في اللغة  
الأصلية — إن العبارة « حسب فعل قوته » لا تصف ما قبلها ، بل  
تتخطاه وتعود إلى قول الرسول : « خادماً له » أي أن الرسول صار خادماً  
للإنجيل بمؤهلين — أولهما: نعمة الله الموهوبة له . وثانيهما: قوة الله  
العملية فيه — فهو إذاً خادم بحق الدعوة الإلهية، ومؤيد بفعل قوة الله . فنعمة  
الله تعين سمو خدمته ، وقوة الله تعين اقتدار خدمته . وربما كان أقرب إلى  
المنطق أن نأخذ بالرأي الأول المتفق والترجمة العربية ، على اعتبار أن نعمة  
الله هي أساس دعوة بولس للخدمة، وأن فعل قوة الله هو قياس نصيبه من النعمة .  
الحقيقة الأولى: صلة بولس بالإنجيل : « الذي صرتُ أنا خادماً له » .  
إن كلمة : « الذي » تعود على آخر كلمة في العدد السابق : « الإنجيل » . ولا شك

## حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي

في أن كلمة «صرت» تمّ عن تاريخ جليل حافل بالحوادث والعبر، هو تاريخ انتقال الرسول من ملكوت الظلمة إلى ملكوت ابن محبة الله، فأضحى الطرسوسى شاول، بولس الرسول. وأمسى عدو الأمم المدود، صديقهم الودود وصار مضطهد ربّ الإنجيل خادماً للإنجيل. وقد يلد لنا أن نعرف أن الكلمة المترجمة «خادماً» هي في الأصل «دياً» كونيوس» ومعناها الحرفي «شماشاً» وهي تفيد أمرين — أولهما : خدمة النشاط افعال ، والثاني : التبعية، فبولس خادم نشيط للإنجيل قاسى في سبيله أضعاف مائتة أى شخص آخر في سبيل عمل كرس له كل مواهبه وقواه . فما نشاط رجل المال في سبيل المال سوى بعض نشاط بولس الرسول في خدمة الإنجيل . وهو أيضاً يدين للإنجيل بحق التبعية، فهو له خادم وعبد. لأن كل ما لبولس، للإنجيل (روا: ١٥)، فلا عجب إذا كان كل ما للإنجيل من نعم وبركات، لبولس .

إذا كان بولس الرسول قد خلع على نفسه وظيفة «شماس» فهل علم شمامستنا أنهم رسل ؟ إننا نعني بالرسولية ما فيها من خدمة وتضحية وأمانة، لا ما فيها من مجد وجلال وزعامة !

الحقيقة الثانية. قياس كفاية بولس للخدمة: «حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي» . إن النعمة التي أتت بولس للخدمة، هي التي خلصته أولاً . وأن «موهبة النعمة» المشار إليها هنا، تتضمن تقليد رسالة الإنجيل، وتعضيده في تبليغها، وإلهامه بنور الحق الإلهي . فخدمة بولس كانت من حيث سعة مداها، وعمور سالتها، وعمق تأثيرها، من عمل «موهبة نعمة الله المعطاة له»

## حسب فعل قوته . ٨ الى

لا عن استحقاق ولا عن جدارة ، بل لأن النعمة أرادت . وهل من إرادة  
للنعمة سوى النعمة ؟ !

الحقيقة الثالثة : كفاية قياس النعمة الموهوبة لبولس : « حسب فعل  
قوته » إن هذه العبارة الأخيرة مثيلات في غير هذا الموضع : « حسب عمل  
شدّة قوته » ( ١٩ : ١ ) ، « حسب عمل استطاعته » ( فيلبي ٣ : ٢١ ) ، « حسب  
عمله الذي يعمل فيّ بقوة » ( كورنثوس ١ : ٢٩ ) . فالرسول يصف بها اختبار  
فعل قوة الله في حياته وفي خدمته . إن نعمة الله جزيلة وموهبة نعمته جزيلة  
كنعمته ، ولكن لا سبيل إلى إيصال موهبة نعمة الله ، إلى بولس ، إلا عن  
طريق فعل قوة الله في بولس . فقوة الله خصّصت لبولس موهبة نعمة الله بقوتها  
الفعالة ، وفعلها القوى في حياته . إذا فعل قوة الله في حياة بولس وخدمته ،  
هو قياس نصيبه من موهبة نعمة الله المعطاة له . إن موهبة نعمة الله أغدقت  
عليه بسخاء جزيل ، وقوة الله عملت في حياته باقتدار جليل . يقول يوحنا  
الذهبي النعم : « لم تكن موهبة النعمة بكافية ، لو لم يخصصها لفعل القوة .

عدد ٨ ( ٢ ) بولس مبشر بالإنجيل ( ٨ : ٣ )

في هذا العدد ، ذكر الرسول أربع حقائق : — أ — مقامه : « أنا  
أصغر جميع القديسين » — ب — مؤهلاته : « لي أعطيت هذه النعمة »  
— ج — مهمته : « أن أبشر بين الأمم » — د — رسالته : « غنى المسيح  
الذي لا يُستقصى » .

## أنا أصغر جميع القديسين

— ا — مقامه : «أنا أصغر جميع القديسين» . هذه العبارة متممة لما قبلها . في بدء العدد السابق صدرت من الرسول إشارة عن نفسه إذ قال «الذي صرت أنا...» . ثم بكلمة «أنا» مر الكرام على غير عادته . لأن بولس الكريم على غيره ، يخيّل على نفسه — إلا باللقاب التحقير والمذلة ، فلم يسمه إلا أن يعود إلى «أنا» ليعطيها حقها الواجب ، فعلقها على الصليب ليرفع المسيح على عرش القلب والحياة ، فأبلى كل من يداخله في نفسه شك من جهة وداعة بولس وتواضعه ، وإلى كل من أساء فهم كلام بولس عندما سمعه يتحدث عن نعمة الله التي أوحى إليه بالسراً الذي خفي عن غيره إلى هؤلاء ومن على شاكلتهم نسوق الحديث راجين منهم أن يقرأوا الكلمات الآتية بامعان : «أنا أصغر جميع القديسين» — مع العلم أن كلمة «قديسى» لا تعنى تلك الطغمة الخاصة التي رفعتها بعض السلطات البشرية إلى مراتب الأملاك ، وسمت بها إلى ما فوق الأفلاك ، ولكنها تضم بين جوانبها أضعف المؤمنين بالمسيح ، وأحقّهم شأنًا ، وأدناهم مقامًا ، ممن تساورهم الهواجس أحيانًا ، وتعصف بهم الضغفات ألوانًا . ومع كلّ ، فإن بولس ، أصغر جميع هؤلاء الأصاغر — ولكن في عيني نفسه فقط ! لا في نظر الله ولا في عيون المنصفين من البشر . وغير خاف أن الرجل الأعمى الذي قال عن نفسه : «لست مستحقاً» (لوقا ٦: ٧) . وقال فيه المنصفون من البشر : «إنه مستحق» (لوقا ٧: ٤) قال فيه المسيح ربّ المجد : «لم أجد ولا في إسرائيل إيمانًا بمقدار هذا» (لوقا ٧: ٩)



## أعطيت هذه النعمة

وجدير بالملاحظة أن الكلمة اليونانية المترجمة «أصغر» تعني حرفياً :  
«أصغر الأصغرين» — فلا مجال فيها لمزيد من التواضع .

ثلاث مرات وضع بولس تقديراً لنفسه بالنسبة إلى الآخرين — وفي كل مرة كان ينقص تقديره نفسه عن المرة السابقة لها ، مما يدل على أن بولس كان متصاعداً صعوداً متوالياً على سلم النعمة . وكلاهما مما الإنسان في درجات النعمة والقداسة ، هبطت نفسه في عينيه ، فأضحت لأشياء .

في المرة الأولى — عام ٥٩ م قال : «إني أصغر الرسل» (١كو ١٥: ٩)

وفي الثانية — عام ٦٤ م قال : «أنا أصغر جميع القديسين» (أفسس ٣: ٧)

وفي الثالثة — عام ٦٥ م قال «أنا أول الخطاة» (١ تي ١: ١٥)

من هذا نرى أن تلك الذات الأنانية النفسانية المعبر عنها بكلمة «أنا» كانت تصغر في عينيه تدريجاً . في البداية قابلها بالرسل ، فإذا هي أصغر منهم . ثم قابلها بالقديسين ، فإذا هي أحقر منهم . أخيراً لم يجد بداً من مقابلتها بالخطاة فإذا هي في مقدمتهم ! ! طوباك يا بولس لأنك كلما صغرت في عيني نفسك عظمت في نظري — ولكن ماذا يهمك من نظري نحن الخطاة ! فأنت عظيم في نظر الملائكة . ولكن ماذا يعنيك من الملائكة وهم خدام للعتيدين أن يرثوا الخلاص ؟ لا بل أنت عظيم في نظر الله وكفى بالله شهيداً ! ! ليس من الضروري أن تكون هذه العبارات الثلاث : «أصغر الرسل» ، و«أصغر جميع القديسين» و«أول الخطاة» معبرة عن ثلاث درجات متتابعة

## أن أبشر بين الأمم

قد ارتقاها بواس في سلم الوداعة ، فقد تكون ثلاثة تعبيرات متفاوتة لحقيقة واحدة .

تعود يوحنا الذهبي الثم أن يقول « يارب اجعل نفسي على التواضع واحفظها في هذا المستوى دواما » .

— ب — مؤهلاته : « لى . . أعطيت هذه النعمة » . هذا تأكيد لما جاء في العدد الثاني من هذا الأصحاح . حسناً طلق على بواس لقب : « رسول النعمة » . فبالنعمة نال الخلاص ( ١ تي ١ : ١٤ ) ، وبالنعمة دُعي للخدمة ( غلاطية ١ : ١٥ ) ، وبالنعمة بلغ ما هو عليه ( ١ كو ١٥ : ١٠ ) وبالنعمة تأهب للكراسة وقام بها ( أفسس ٨ : ٣ ) ، وبالنعمة « جاهد وتعب » ( ١ كو ١٥ : ١١ ) — ج — مهمته : « أن أبشر بين الأمم » . جميل بالرسول أن يفخر بكونه « مبشراً » . فهلاً علم « المبشرون » أنهم رسل حاملون البشري الطيبة المفرحة ! « فما أجمل على الجبال قدمي المبشر » — ولكن على شرط أن يكون المبشر مرتقياً ، وعائشاً ، وسالكاً على جبال القداسة والشركة مع الله ، فمن شواهد الجبال يأتيه العون .

إذا كان المنفرون الذين ينفخون في بوق النزاع والشقاق ، يرفعون عيونهم إلى الجبال الأرضية الشاهقة ، فما أحرى بالمبشرين بغنى المسيح الذي لا يستقصى ، أن يرفعوا عيونهم إلى الجبال السماوية لينتظروا العون من رب البشارة . وإذا كان المنادون بأشياء تافهة ذاهبة ، لا يستحون ببضاعتهم ، فأجمل بحاملي غنى المسيح الذي لا يستقصى ، أن يفتخروا بهذه الكنوز التي تصغر

## بغنى المسيح الذى

دونها أفخر كنوز الذهب .

إن كلمة « أبشر » تعنى حمل الخبر المفرح وإذاعته . أليس المستفاد ضمناً من هذا ، أن العالم فى حزن عميق ، بسبب ظلام الخطية ، وجروحها الدامية ، وطعناتها المميتة ! هذه هى الحال التى كان عليها الأمميون قبل أن تصلهم رسالة الإنجيل ، فكانوا واليهود سواء بسواء فى الحالة الروحية .

— د — رسالته — أو — موضوع بشارته : « غنى المسيح الذى لا يستقصى » . ما أغناك يابولس وأنت حامل غنى المسيح الذى لا يستقصى ! بل ما أقوالك لأنك قدرت أن تحمل « غنى المسيح الذى لا يستقصى » ! أشبه الرسول فى هذا الموقف ، بشخص كان يبحث عن لآلىء ثمينة ، وبعد الجهد الجهد ، اهتدى إلى كنز عظيم مليء بالآلىء الدرية ، والجواهر الكريمة . فما كاد يرى جانباً من هذا الكنز حتى تفتحت أمامه جوانب عدة رأى فيها أكداساً من الجواهر ، وأهراء من الآلىء ، فبهر من فرط جمالها وضيائها ، وأخذ من وفرة عددها وفيض غناها ، فخرج منادياً لكل من لاقاه : « غنى لا يستقصى » ! « غنى لا يستقصى » . بل ما أشبهه بعالم مستكشف مضى إلى بلاد بعيدة باحثاً ومنقباً عن مناجم . فما كاد يكتشف أول منجم حتى ظهرت له من ورائه مناجم غنية بمعادنها ، لاحصر لها ولا عدد ، فكف عن الاستكشاف لأنه وجد فى تلك البلاد الغنية كنوزاً لا تستقصى . يفنى الزمان ، وكنوزها لا تفنى ، ويتقدم الجديدان وهى لا تزال جديدة فى كل صباح ، ثم عاد يهتف بملء فيه : « غنى لا يستقصى ! غنى لا يستقصى » !

## لا يستقصي ٩ وأنير الجميع في ماهو شركة السر

غنى لا غنى لعرشه لأنه يغنى الجميع من غير أن ينقص منه شيء . ولا حصر لطول رده فالسنوات تقضى وهو باق ، وتبلى الليالي وهو جديد . ولا نهاية لعمقه الذى لا يسبر له غور لأنه متأصل فى أزلية الله . ولا غاية لعلوه لأنه يجرى من تحت عرش الله . فهيهات لبشر أو لملاك أن يعرف « ماهو العرض والطول والعمق والعلو » .

المعنى الحرفى للكلمة اليونانية المترجمة « لا يستقصي » هو « لا يمكن أن يتمنى له ثمر » — وبالتالى لا يمكن أن يسبر له غور . ولم ترد هذه الكلمة فى العهد الجديد سوى مرة أخرى غير هذه — « ما أبعد طريقه عن الاستقصاء » . ( رومية ١١: ٣٣ ) . وقد وردت ثلاث مرات فى الترجمة السبعينية — الترجمة اليونانية للعهد القديم — أيوب ٩: ٥ ، ٩: ١٠ ، ٢٤: ٣٤ . فترجمت فى الأولى ، وفى الثانية : « لا تفحص » ، وفى الثالثة « بدون فحص » .

« غنى المسيح الذى لا يستقصى » — هذه خلاصة الإنجيل ، بل تبعه الفيض الذى لا ينضب له معين . فلا خلاص بغير إنجيل ، ولا إنجيل بغير مسيح ، ولا مسيح بغير غنى لا يستقصى . إن المسيح غنى فى وداعته ، غنى فى قدرة فعاله ، غنى فى حكمة أقواله ، لكنه فوق الكل غنى فى محبته المضحية .

**عدد ٩ (٣) بولس حامل مصباح الإنجيل : (٩: ٣)**

يرسم أمامنا هذا العدد صورة قوم يحاولون السير فى مسالك متعرجة يكتشفها ظلام دامس ، فيتخبطون فى ظلامها ، وإذا بشخص حكيم قد أشفق

## المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع يسوع المسيح

عليهم فسلط نوراً كشافاً قوياً، فبدد الظلمات وأنار الطريق، وأوضح السبيل للبصائر والأبصار. أما القوم المتخبطون، فهم «الجميع» — أى كل البشر يهوداً كانوا أم أعميين. وأما السبيل الذى لم يكن واضحاً أمامهم فهو «سر» المقصد الأزلى فى افتداء الأمم. وأما النور الكشاف الذى أضاء السبيل، فهو نور الإنجيل. وأما حامل النور فهو بولس الرسول.

وردت كلمة «ينير» مرة أخرى فى العهد الجديد «...» وأنار الحياة والخلود بالإنجيل» (٢تى ١: ١٠). وهى تعنى أن الحق الذى كان غامضاً فى ضوء فجر نبوات العهد القديم، أضجى ساطعاً فى نور شمس الإنجيل. ومن المحتمل أن بولس استعمل هذه الكلمة فى هذه الرسالة بمعناها المتداول عند الأمم وقت كتابة الرسالة — أى كشف «السر» للمؤمنين من أعضاء جمعياتهم (أطلب تفسير ١ : ٩ و ١٨). إن كلمة «شركة» تعنى «تدير». (أطلب تفسير العدد الثانى من هذا لأصحاح).

إن الله قصداً أزلياً فى خلق الجميع. لكن هذا المقصد ظل «سراً» مكنوناً فى فكره تعالى، ومخفى عن أفكار البشر والملائكة، مدة أجيال طويلة. وفى ملء الزمان كشف الله عن هذا السر لأنبيائه ورساله القديسين فأوضح للجميع، أن الله الذى خلق جميع الخلائق والكائنات فى المسيح، لم يخلقهم عبثاً، ولكنه خالقهم لقصد سام شريف، إذ فداهم بالمسيح، ليحضرهم كاملين فى المسيح، وليبلغهم إلى قياس قامة ملء المسيح. هذه هى الحكمة التى خفيت ثم أعلنت بالإنجيل.

## ١٠ لكي يعرف

رابعاً . الغاية القصوى من إعلان هذا السر ( ٣ : ١٠ - ١٣ )

**عدد ١٠ | (١) لكي يعرف عند الرؤساء والسلاطين بحكمة الله**

المتنوعة. تحدث الرسول في العدد السابق عن إطلاق نور الإنجيل الكشاف أمام عيون جميع البشر من يهود وأمميين، لكي يستنيروا في معرفة قصد الله الأزلي الذي ظل مستوراً عن البشر مدة أجيال طويلة، فأعلن لهم في ملء الزمان . وبما أن البشر وحدهم ليسوا كل الخلائق العاقلة، ولكنهم يؤلفون مع الملائكة، كتلة الخلائق العاقلة، فلم يكن في إمكان الرسول أن يتغاضى عن نصيب هذه الطغمة الممتازة من نور الإنجيل الكاشف . هذا موضوع الكلام في هذا العدد .

قال بطرس الرسول ( ١ بط ١ : ١٢ ) : إن فداء البشر هو موضوع أشواق الملائكة، وإن سر هذا الفداء هو الهدف الذي يوجهون إليه جُلِّ محاولاتهم في سبيل استكشافه . لأن الشيء الذي يستحق أن يكون موضوع تفكير الله، حقيق بأن يكون موضوع تفكير الملائكة ومشتهمي آمالهم . وإذا كان الله قد أراد أن ينير جميع البشر في ما هو شركة السر المكتوم، قد أراد أيضاً — تفضلاً منه — أن يعرف الملائكة بحكمته المتنوعة التي ظهرت في تدبير هذا السر، وفي إخفائه، وفي إعلانه . أبان الرسول في هذا العدد أربع حقائق :

— ١ — وقت كشف هذا السر : « الآن » — أي في « ملء الزمان » ،

الذي هو عصر الإنجيل .

## الآن عند الرؤساء والسلطين

ب- لمن يُذاع هذا السر : « عند الرؤساء والسلطين في السماويات ». ورد ما يماثل هذه العبارة في ١: ٢١ من هذه الرسالة. وهي تعني الملائكة المتشوقين إلى معرفة أسرار القداء (١ بط ١: ١٢) ، ومتلهفين إلى كشف الغوامض، كما رآهم سيمًا في الرؤيا الأخيرة من سفر دانيال. فلئن كانوا أوسع معرفة واطلاعا من بني الإنسان ، إلا أنهم محدودون في هذه المعرفة، فلا يتصل بعلمهم إلا ما يسمح لهم الله به. ومن الطبيعي أن يهتم الملائكة بمعرفة « أسرار » القداء، لأنها تعلن لهم الحكمة الإلهية التي ربت كل شيء في وقته ، وفي محله اللائق به . فلا خطأ ولا إسراف. ومن المحتمل أن الملائكة يبنغون الاطلاع على « أسرار » فداء البشرية لأنها تنير أمامهم السبيل فيما يجهلون من معاملات الله لهم. لأن إله البشر هو إله الملائكة. فتي ظهرت حكمته في إحدى نواحي سياسته ، كانت هذه حجة دامغة على حكمته الممتازة في كل أعماله. أما مقام الملائكة ومكانهم ، فقد عبر عنهما الرسول بقوله: « في السماويات ». قد أوضحنا المراد من هذه العبارة في تفسير ١: ٣ فليطلبها القارئ هناك .

ج- أداة إذاعة هذا السر للملائكة: « الكنيسة ». هذه مره ثانية وردت فيها هذه الكلمة في رسالة أفسس، وفيما بعد نلتقي بها في نهاية هذا الأصحاح ، وستواجهنا ست مرات آخر في مختتم الأصحاح الخامس. ومن الملاحظ أن بولس لم يستعمل هذه الكلمة في رسالة أفسس للدلالة على جماعة محلية — مع أنه استعملها مرتين من أربع مرات في كورنثوسى —

## في السماويات بواسطة الكنيسة

لكنه أراد بها هذا الكنيسة الغير المنظورة الجامعة لكل المؤمنين في كل أمة وفي كل جيل .

عندما يتم عمل نعمة الله في الكنيسة ، ويلبس المفديون حُلل البر والبهاء والمجد ، التي حاكمتها لهم النعمة ، ووشَّتها بدم الفادي الكريم ، وطرزتها بأشعة أنوار مجد الأب العظيم ، وجملتها بضياء قداسة روح الله القدوس — عندما يتم كل هذا ويذكر الجميع ما كانوا عليه من حقار ، ودنس ، وصغار ، عندئذ كيدوى في الفضاء صوت جامع ، مترنماً بمجد الله الذي يستحق كل إكرام وسجود . لأنه صنع من التراب تبراً ، ومن الفحم ماساً ، ومن الأشواك ورداً وريحاناً ، فيعرف الملائكة ، بواسطة هذا الاستعراض الجليل الذي فيه استعلن أولاد الله ، أن كل أعمال الله بحكمة قد صنعت .

مع أن الجمال الإلهي الذي زان به الله كل مؤمن ، يظهر شعاعاً من أنوار مجد نعمة الله ، إلا أن جمال كل فرد على حدة ، غير كافٍ في ذاته لأنه إنما يكشف جانباً ضئيلاً من هذا المجد . كذلك شأن كل كنيسة أو طائفة إذا أخذت على حدة ، فإنها غير كافية لإظهار هذا المجد كله . فمن الضروري لإظهار كمال هذا المجد الإلهي ، أن يتجمع كل المؤمنين معاً ، في كل عصر ومصر ، لكي يترنوا بأنشودة واحدة على أوتار كثيرة متباينة ، لكنها مجتمعة لتكوّن نعمة واحدة : « مستحق أنت أن تأخذ المجد والكرامة » .

— د — موضوع هذا الكشف أو الاعلان : « بحكمة الله المتنوعة » .

إن الكلمة اليونانية المترجمة في العربية إلى « متنوعة » تقال وصفاً للألوان



## بحكمة الله المتنوعة

الجميلة المتجمعة في باقة زهر ، أو في قطعة من «الشبكة» المطرزة والموشاة بألوان كثيرة . ولعل بولس كان خبيراً بهذا الفن الجميل لأنه كان في صناعته «خਿਆماً». والكلمة تعني حرفياً «الكثيرة الألوان»، حال كونها حكمة واحدة. ما أشبهها بالنور، بل ما أشبه النور بها! فهو جامع في ذاته السبعة الألوان التي يتكون منها قوس قزح. هي حكمة متنوعة، لأنها توحد الوسايل المتباينة والمتشابهة، التي يستخدمها الله في تنفيذ مقاصده، وهي متمشية مع حالات البشر وحاجاتهم المتنوعة . فهي تظهر في المنح وفي المنع . في الإعلان وفي الإخفاء، في إجراء عدالة الله وفي إظهار رحمته . فما أحكامها في التوفيق بين تعطفات الرحمة ، ومطالب العدالة ، وفي الجمع بين الأثمين واليهود في تدبير القداء العجيب الذي يأت فيه الحكمة بأسمى معانيها ( ١ كو ١ : ٢٤ و ٣٠ ) .

لم ترد هذه الكلمة: «المتنوعة» في العهد الجديد سوى هذه المرة . لكن كلمة أخرى تحمل ظلاً من معناها ، وردت في رسالة بطرس الرسول الأولى «نعمة الله المتنوعة» ( ١ بط ٤ : ١٠ ) . وهو يريد النعمة في مظاهرها المتنوعة — النعمة المخلصة ، والمعلمة ، والمعزية ، والمقوية ، والمسندة ( تيطس ٢ : ١١ — ١٣ ، ٢ كو ١٢ : ٩ ) .

مأحلى ما قاله غريغوري نازينازي في هذه «الحكمة المتنوعة»: «قبل التجسد، استطاعت الملائكة أن ترى حكمة الله في مظهر واحد بسيط، لكنهم بعد التجسد قد رأوها في مظاهرها المتنوعة — إذا خلقت من الموت حياة، وصاغت من الهوان مجداً ، وضفرت من إكليل الشوك والعار ، تاج مجد

## ١١ حسب قصد الدهور الذي صنعه

وفخار . يالها من حكمة متنوعة ، صادرة عن غنى عظيم لا يستقصى ، فصاغت من جهالة الكرازة حكمة جليلة خالدة .

**عدد ١١ (٢) لكي يعرف عند الرؤساء . . . بقصد الدهور**

إن قوله : « قصد الدهور » تعبير عبري في صيغته ، يراد به « القصد الدهري » أو « القصد الأزلي » ، على مثال القول : « صخر الدهور » الذي هو « الصخر الدهري » أو « الصخر الأبدي » (إشعيا ٢٦ : ٤) . « قصد الدهور » هو القصد الأزلي الذي لم يكن ارتجالاً ولا وليد ساعة ولا مؤقتاً لكنه مدبر منذ الأزل بتدبير محكم ، يمتد إلى الأبد ، لأنه مظهر إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة . ولعل الرسول أراد أن يبين في هذا العدد أن حكمة الله المتنوعة الألوان ، ليست « متلونة » طبق الظروف الطارئة والأحوال المفاجئة ، كما لو كانت بلا قصد معين ، لكنها تعمل وفق قصد معين منذ الأزل ، فتلاحظه المشيئة الإلهية ، وتحف به القدرة الإلهية حتى ينفذ بحذافيره . ومتى جاء الوقت المعين ، سوف تظهر كنيسة الأبكار المفديين ، لجمهور الملائكة أمجاداً فداءً العجيب الذي دبره الله بتجسد المسيح ، وحياته ، وموته على عود الصليب . هذا هو المسيح ربنا ومخلصنا الذي كان معروفاً في أيام جسده . فككنيسة المفديين هي مظهر مشيئة الله وفيها تتحقق مقاصده الأزلية . هذه هي الكنيسة في مجدها وجلالها لا في ضعفها وإمخالها . فلا صفحة الخلق وما تجلى فيها من قدرة وجلال وإبداع ، ولا صفحة العناية وما تعلنه من أسرار الحكمة الإلهية ،

## في المسيح يسوع ربنا . ١٢ الذي به لنا جراءة

بكافية لإظهار حكمة الله المتنوعة . ولكن صفة الفداء وحدها ، التي تتمجلى فيها كنيسة المقدسين عند استعلان أبناء الله ، هي التي تكشف للرؤساء في الأرض وفي السماء ، عن سر الفداء العجيب الذي دبره الله في المسيح ونفذه بالمسيح . لأن محبة الله قد تجلت بأسمى مظاهرها « في المسيح يسوع ربنا » ( رومية ٨: ٣٩ ) إن قول الرسول : « الذي صنعه في المسيح » قد يشير إلى تكوين هذا القصد منذ الأزل في شخص المسيح ، بمعنى أن كل المقاصد الإلهية المتعلقة بالخلق والفداء — سيما الفداء — قد دبرها الله في المسيح : فيه خلق الكل وفيه فدى الكل . وقد يشير أيضاً إلى تحقيقه في شخص المسيح وفي جسده الروحي الذي هو كنيسته المجيدة ، المفتداة والمقدسة بالدم الثمين . وقد تكون الإشارة منصبة على الأمرين كليهما — أي على تكوين القصد الإلهي منذ الأزل ، وتنفيذه وتحقيقه على ممر الأجيال . ويميل الدكتور كاندلش إلى الرأي الثاني ، بحجة أن الرسول أورد في هذه المناسبة اسم فادينا كاملاً « المسيح يسوع ربنا » . ونعتقد نحن — مع سائر المفسرين — أن المعنى الأول هو المقصود .

**عدد ١٢ | (٣) لكي يعرف عند الرؤساء ... بدالتنا نحن البنين**

ردد الرسول في هذا العدد ما سبق فقرره في ٢: ١٨ ، كي يبين أن دالتنا نحن البنين — يهوداً كنساً أم أممين — هي موضوع إعجاب الملائكة وتعجبهم ليس في الدهر الآتي فقط بل في هذا الزمان . لأن هذه نعمة حالية يحظى بها المؤمنون في الحاضر . وقد ذكر الرسول هنا ثلاث حقائق عن هذه الدالة :

## وقدوم بايمانه

الحقيقة الأولى — مظاهر الدالة التي لنا نحن المؤمنين : « جراءة وقدوم ». إن « الجراءة » المقصودة هنا هي جراءة التسكك عند ما نظهر أمام الله في الصلاة ونملاً أفواهنا حبججاً ، إذ نفضي إليه بكل ما يخالجنا من مخاوف وأشواق ، ونعترف له بما وقعنا فيه من زلات ، ونخاطبه بما تكنه صدورنا من لواعج وطلبات ، من غير حاجة إلى وسطاء وشفعاء ، لأن المسيح هو شفيعنا الأوحيد ومحامينا الأكمل . ويراد بـ « القدوم » حرية المثل بين يديه في كل ساعة ولحظة ، من غير داعٍ إلى استئذان ، ولا حاجة إلى انتظار ظهور صولجان الملك ، كما كانت تعمل رعية ملوك الأوثان (أستير ٣: ٢) ، ولا لزوم للتقدمات والمحركات التي كان يقدمها رؤساء الكهنة قبل مثل الشعب في حضرة الله (كولوسي ٢ : ١٥ ، عبرانيين ١٠ : ٣٥ ، ١ يوحنا ٢ : ٢٨ ، عبرانيين ٤ : ١٦) .

الحقيقة الثانية : طبيعة هذه الدالة : « عن ثقة » . إن « الجراءة » التي تحدث عنها بولس هنا ، ليست جراءة المجترىء الوقح الذي لا يعبأ بشيء ولا يبال بتقدير الموقف . وأن « القدوم » الذي وصفه ليس قدوم المقتحم المتصلف العايت بكل شخص ، وإنما هي جراءة الواثق ، وقدوم المطمئن . هي جراءة الأبناء الواثقين من محبة أبيهم ، فيدنون منه وفي قلوبهم يقين ، وعلى عيونهم ملامح الرجاء الوطيد ، وحواليهم جو سلام وأمن ، مفعم بالثقة المتبادلة (رومية ٨ : ٣٨) . إن موضوع هذه الثقة هو المسيح نفسه ، لا الإيمان به .

الحقيقة الثالثة أساس هذه الدالة : « بايمانه » — هذا تعبير يوناني قديم يُراد به « الإيمان بالمسيح » أو « الإيمان في المسيح » . وقد وردت هذه

## عن ثقة . ١٣ لذلك أطلب

الصيغة عينها في مرقس ١١ : ٢٢ «ليكن لكم إيمان بالله» - وترجمتها الحرفية: «ليكن لكم إيمان الله» أي «الإيمان الذي في الله». وقد يكون القصد منها الإيمان الذي يولده المسيح، وينشئه، ويربيه في قلوبنا من جهته. فهو إيمان المسيح لأنه نتيجة عمله في حياتنا (اطلب رومية ٣ : ٢٢ ، غلاطية ٢ : ١٦ و ٢٠ ، فيلبي ٣ : ٩ ، كولوسي ٢ : ١٢). فنحن إذاً لمج باب ملكوت المسيح بالإيمان بالمسيح، ثم «نحيا ونتحرك» ونتقدم في هذا الملكوت بالإيمان بالمسيح. وغالباً تعني هذه العبارة : الإيمان الذي موضوعه المسيح، وغايته المسيح. فالمسيح هو موضوع إيماننا، وهو غايته، وهو نفسه موضوع الثقة التي تكلم عنها الرسول في العبارة السابقة. لأن الثقة الحقيقية التي تولد الجراءة والقدوم لا تقوى بنظرنا إلى أنفسنا، ولا بالتأمل في اختباراتنا الماضية، ولا بالتفكير في مؤهلاتنا الحاضرة. ولكننا ننمو وتزايد وتتقوى، بالنظر إلى يسوع وحده.

**عدد ١٣** | كلمة ختامية مجملّة — بولس في شذائد إنجيل الأمم (٣ : ١٣)

في رسالة معاصرة لهذه (كولوسي ١ : ٢٤) قال بولس لقارئي: «... الآن أفرح في آلامي لأجليكم...». فإذا كانت آلام بولس لأجل رعيته تنشئ في قلبه فرحاً، فمن الواجب أن تنشئ في قلوبهم رجاء وفخراً. وردت كلمة «أطلب» في الأصل بصيغة قوية بمعنى «أتوسل». وهي الصيغة التي تستعمل أحياناً في الصلاة لله. فلا غرابة إذاً ما لوضع الترجمة الانجليزية المنقحة إلى حسابها صلاة موجهة إلى الله لاطلباً مقدماً إلى المكتوب

## أَنْ لَا تَكُونُوا فِي شِدَائِدِي لِأَجْلِكُمْ

إليهم . كأنهم أرادوا أن يفهموا كلام الرسول على هذه الصورة : لذلك أطلب من الله أن لا أكل في شِدَائِدِي لِأَجْلِكُمْ . لكن ختام الآية : « آتى هي مجدكم » مضافاً إليه غرة هذا الاصحاح ، يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الكلمة « أطلب » لا تحمل صلاة مرفوعة إلى الله ، بل تتضمن رجاء مقدماً إلى المكتوب إليهم فهي من نوع قوله في رومية ١٢ : ١ « أطلب إليكم أيها الأخوة » .

أما « السكل » المشار إليه في قوله : « أَنْ لَا تَكُونُوا » فهو وليد الفشل والملل من فرط الآلام وطولها بسبب عدم معرفة القصد منها . وقد وردت هذه الكلمة عينها في لوقا ١٨ : ١ « وَلَا يُعْلَى » وفي ٢ كور ٤ : ١٦ « لذلك لا تفشل » .

كان المكتوب إليهم معرضين لهذا السكل ، لخدائة إيمانهم ، من جهة . ومن جهة أخرى لعدم معرفتهم غاية هذه الآلام وتغافلهم عن دلالتها . هذا ما أراد الرسول أن ينبههم إليه بقوله لهم : « شِدَائِدِي آتى هي مجدكم » . فبدلاً من أن تخرّض فيهم عوامل الفشل ، ينبغي أن تولد فيهم بواعث الشكر والفخر ، لأنها تاج كليهم ومجد فخارهم . فالأشياء الزهيدة تنال بأسهل الطرق وأهون الوسائل . لكن الأشياء الثمينة لا تنال إلا باقتحام الأهوال وركوب متن الأخطار . ولا بد للشهد من إبر النحل . فالاسفننج موجود بكثرة على سطح الماء . لكن من طلب اللآلئ عليه أن يغوص في أعماق اللجج . وبما أن انجيلهم كلف حامله كل هذه المتاعب والمشاق ، فإن في هذا برهاناً جلياً على أنه إنجيل كريم ، وعلى أنهم هم قوم لهم قيمة في نظر الله ، لدرجة استحقاقها

## التي هي مجدكم

كل هذه التوضيحات والآلام . وكم من ألم يبعث في النفس خيراً أمل ، فيقتل فيها شر ملل .

يعتبر الفصل الذي مرّ بنا في هذا الأصحاح ، شرحاً وإيضاحاً لموقف الرسول ؛ لنسبة للمكتوب إليهم ، كما أجمله في قوله : « أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم » ( ١ : ٣ ) . لكنه في سبيل إيضاح هذه الحقيقة أفضى إلينا ببيان عظيم وبلاغ خطير ، عن فاسفة التاريخ المقدس ، فكشف لنا عن سر الدهور « الذي في أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسالة القديسين وأنبياؤه بالروح » .

في المرحلة التي مرت بنا من هذه الرسالة ، رأينا عمل المسيح في مصالحته لليهود بالأمم ، وضمهم معاً في عهد الفداء . وها قد شرع الرسول يستعرض معاملة الله للبشرية جمعاء ، معلناً أن قصد الله ، واحد في كل أجيال الدهور ، وأن هذا القصد مدرسة جليلة يتعلم فيها الجميع — حتى ملائكة السماء .

## صلاة بولس الثانية لأجل المكتوب إليهم

حلول المسيح في القلب وبعض نتائجه : القوة والإدراك وكال الملء

( ٣ : ١٤ — ٢١ )

مرتين في هذه الرسالة رأينا بولس الرسول مصلياً لأجل المكتوب إليهم : المرة الأولى في ١ : ١٦ — ٢٣ ، والثانية في ختام هذا الأصحاح ، وبها يباغ الرسول ذروة هذه الرسالة فيختم القسم التعليمي منها ، ليستهل القسم

## ١٤ بسبب

العمل، بقوله « فأطلب اليكم أنا الأسير ». في الصلاة الأولى طلب بولس لأجل المكتوب اليهم أن يعطوا معرفة وحكمة. وفي الصلاة الثانية طلب لأجلهم قوة وإدراكاً وملاءة كاملاً. في قلب كل صلاة منها، طلب رئيسي: — في الأولى «روح الحكمة» (١٧:١)، وفي الثانية «قوة الروح» (١٦:٣) : في الأولى طلب الرسول لأجلهم «معرفة الله»، وفي الثانية طلب «معرفة المسيح». الفكرة الرئيسية في الصلاة الأولى هي: «نحن في المسيح»، وفي الصلاة الثانية: «المسيح فينا». قياس الطلبات التي طلبها بولس في الصلاة الأولى هو: «حسب عمل شدة قوة الله» (١٢:١)، وقياس الطلبات المتضمنة في الصلاة الثانية هو: «بحسب غنى مجد الله»... «أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا» (٣:١٦ و ٢٠).  
يحمل بنا في المقابلة بين هاتين الطلبتين، أن نذكر أوجه الشبه الرباعية في كل منهما:

- (أ) الصلاة في كل منهما موجهة إلى الله الأب: «أبو المجد» (١٧:١)، «أبني ربنا يسوع المسيح» (٣:١٤). (ب) تتضمن كل منهما طلباً بنوال عطية الروح القدس: «... كي يعطيكم... روح الحكمة والإعلان في معرفته» (١٧:١)، «لكي يعطيكم أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن» (٣:١٧). (ج) دائرة عمل الروح في كل منهما واحدة: فهي في الصلاة الأولى «عيون الأذهان» (١:١٨) وفي الصلاة الثانية: «الإنسان الباطن» (٣:١٦). (د) الغاية القصوى في كل منها تكاد تكون متشابهة:



## هذا

فهي في الصلاة الأولى : «لتمملوا ما هو رجاء دعوتكم» (١٨:١) ، وفي الصلاة الثانية: «حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين... وتعرفوا» (١٨:٣) فالمعرفة والقوة مرتبطين تمام الارتباط في هاتين الطلبتين فالصلاة لأجل «معرفة القوة المقتدرة» (١٩:١) تتطور فتصبح صلاة لأجل «نوال القوة المقتدرة» (١٦:٣) ، فتُسمى وسيلة يصبح الإنسان بها قادراً على أن يعرف (١٩:٣). فالمعرفة تساعد على القوة والقوة تعين على المعرفة

تتضمن رسائل بولس التي كتبت أثناء سجنه في رومه : فيلبي وكولوسي، وأفسس، أربع صلوات رئيسية رفعها الرسول لأجل المكتوب إليهم: الصلاة الأولى نجدها في الأصحاح الأول عن رسالة فيلبي، والصلاة الثانية في الأصحاح الأول من رسالة كولوسي، والصلاة الثالثة في الأصحاح الأول من رسالة أفسس، والصلاة الأخيرة هي التي نحن بصددتها الآن

وموضوع الصلاة الأولى ( فيلبي ٩:١ - ١١ ) : المحبة الفطنة المميزة .

وموضوع الصلاة الثانية ( كولوسي ٩:١ - ١٢ ) : السلوك النّير .

وموضوع الصلاة الثالثة (أفسس ١٥:١ - ٢٣) : الانارة الروحية .

وموضوع الصلاة التي نحن بصددتها (أفسس ١٤:٣ - ٢١) : الملء الإلهي .

حسناً قال الدكتور الكساندر مكلارن في هذا الصدد : لم يرتق بولس في كتاباته إلى الذروة التي بلغها في صلواته . وهو لم يبلغ في كل صلواته تلك الذروة التي بلغها في هذه الصلاة المؤلفة من طلبات متدرجة .

فلا جدال في أن هذه الصلوات الأربع ، من أهم الصلوات التي رفعت

## أُحْنِ

إلى عرش النعمة على عمر الدهور . وإذا جازت المفاضلة بينها، فإن أعظمهن هي الأخيرة، لأنها تتضمن الشيء الكثير من محتويات سابقاتها. ولأن موضوعها هو الثروة العليا التي يمكن أن يبلغها أفضل مصلي . أفليس بكاف للمصلي أن يعلم إلى قياس ملء الله . وحلول المسيح في قلبه ، وتأيد قوة الروح القدس له في الإنسان الباطن ؟ ! إن مقام هذه الصلاة بالقياس إلى رسائل بولس ، كمقام صلاة المسيح المدونة في يوحنا ١٧ ، بالقياس إلى البشائر الأربع . تنقسم هذه الصلاة في مبناها — أمامناها فلا يقبل التقسيم والتجزئة إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

## أولاً : مقدمة الصلاة (١٤:٣ و ١٥)

- (١) موقف المصلي — نفسياً : « بسبب هذا » (١٤:٣ أ)
  - (٢) موقف المصلي — جسدياً : « أُحْنِ ركبتي » (١٤:٣ ب)
  - (٣) المصلي إليه في نسبته إلى المسيح : (١٤:٣ ج)
  - (٤) المصلي إليه في نسبته إلى عشائر السموات والأرض : (١٥:٣)
- ثانياً : غرض الصلاة : « لكي يمتلئوا إلى كل ملء الله » (١٦:٣ — ١٩)

## (١) طلبات إعدادية لهذا الغرض : (١٦:٣ — ١٩ أ)

## — أ — القوة الإعدادية لهذا الغرض (١٦:٣ و ١٧)

- (١) تأييدهم بالقوة بروحه في الإنسان الباطن (١٦:٣)
- (٢) حلول المسيح بالإيمان في قلوبهم (١٧:٣)

ب- المعرفة الإعدادية لهذا الغرض : (١٨: ٣ و ١٩)

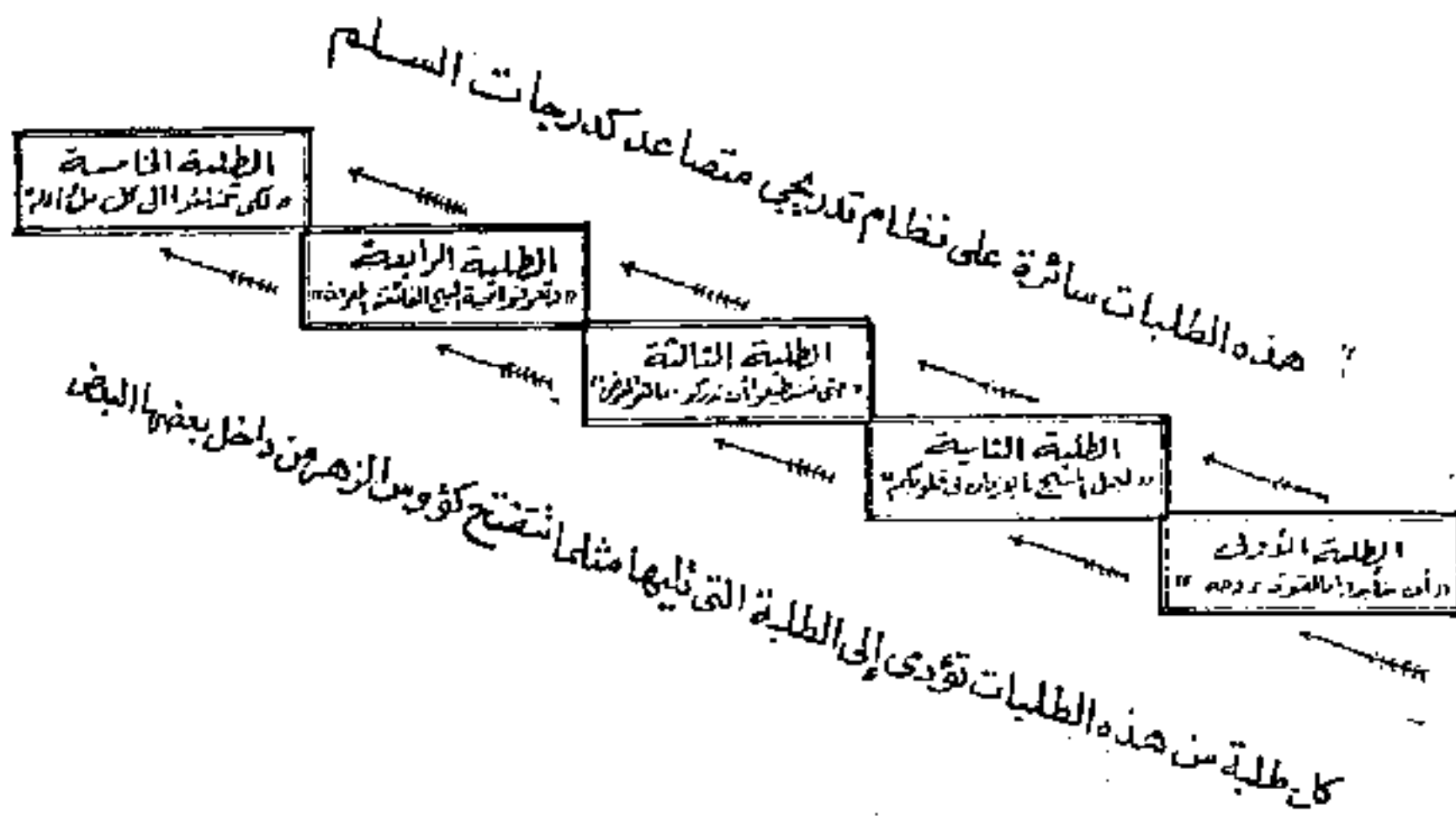
(١) «حتى تستطيعوا أن تدركوا .. ماهو العرض ...» (١٨: ٣)

(٢) «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة» : (٣ : ١٩)

(٣) تحقيق هذا الغرض : (٣ : ١٩ ب و ج)

(١) حقيقة هذا الغرض : «.. لكي تمتلئوا» (٣ : ١٩ ب)

(ب) قياس هذا الغرض : «... إلى كل ملء الله» (٣ : ١٩ ج)



ثالثاً : نشيد التمجيد (٣ : ٢٠ و ٢١)

أ- موضوع تمجيدنا - «المسيح ..»

ب- أساس ثقتنا في تمجيدنا - «هو القادر» (٣ : ٢٠)

ج- علة تمجيدنا لله - اظهار مجده في كنيسته، وفي رأسها الأعلى

د- مدى تمجيدنا له «إلى جميع أجيال دهر الدهور» (٣ : ٢١)

## لدى أبى

## أولاً : مقدمة الصلاة (١٤:٣ و ١٥)

**عدد ١٤ | (١) موقف المصلى — تقسيماً : « بسبب هذا » (عدد ١٤ أ)**

« بسبب هذا » : تعرفنا هاتان الكلمتان عن موقف بولس الرسول إزاء المكتوب إليهم . وهما ترجعان بنا إلى كلمتين مثلها وردتا في غرة هذا الأصحاح : « بسبب هذا » . فمما هو هذا الشيء الذى أشار إليه بولس بقوله : « هذا » ؟ يتضح لنا « هذا » الأمر ، متى رجعنا إلى الأصحاح السابق ، وذكّرنا الموضوع الذى كان يشغل ذهن الرسول هنالك — ألا وهو نعمة الله المتفاضلة على الأمم ، « الذين كانوا قبلاً أجنبيين عن ربوبية إسرائيل ، وغرباء عن عهد الموعد ، لا رجاء لهم ، وبلا إله فى العالم . ولكن الآن فى المسيح يسوع ، صاروا قوحيين بدمه الثمين » .

« بسبب هذه النعمة التى أجزلها الله على الأمم ، جاعلاً براس أداة صالحة لبلاغها إليهم عن طريق الكرازة بالإنجيل للأمم — أو بالإنجيل للأمم ، صار لزاماً على بولس أن يخفى ركبتيه أمام الله ، طالباً منه أن يعلا الأمم بمعرفة هذا السر الذى كان مخفى فأعلنه ، وأن يتأيّدوا بالقوة بالروح فى الإنسان الباطن ، حتى يمتلئوا إلى كل ملء الله .

**(٢) موقف المصلى — جسدياً : « أحنى ركبتي » (عدد ١٤ ب)**

يمكننا أن نقدر رهبة هذه العبارة وجلالها ، متى ذكرنا أنباء نادرة الورد فى العهد الجديد . فالظاهر أن القيام للصلاة كان « الموقف » المألوف فى ذلك

## ربنا يسوع

العصر ، بدليل قول المسيح : « ومتى صليت فلا تكن كالمرائين . فانهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجمع » (متى ٦: ٥) ، وقول البشير « أما اللهي صلي فوقف » ... « وأما المشار فوقف » (لوقا ١٨: ١١ و ١٣) . ولكن الركوع كان يلجأ إليه للتعبير عن التأثير العميق في مواقف دقيقة خطيرة ، كما فعل مخلصنا في بستان جشيان حيث « انفصل عن التلاميذ نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى » . وكذلك فعل بولس عند توديعه قسوس الكنيسة التي وجهت إليها هذه الرسالة ، حين « جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى » (أعمال ٢٠: ٣٦) . وبمقابلة ماجاء في لوقا ٢٢: ٤١ « جثا على ركبتيه وصلى » بما جاء في مرقس ١٤: ٣٥ « وخر على الأرض وكان يصلي » وما جاء في متى ٢٦: ٣٩ « ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي » ، جاز لنا أن نستنتج أن جبهة الساجد كانت تلامس الأرض في الصلاة ، دليلاً على التخشع التام . ويقول المؤرخون إن الكنيسة الأولى منعت السجود على هذه الصورة في يوم الرب بحجة أن يوم الرب يوم فرح وبهجة ، فمن المناسب أن يتمتع فيه بالتدلل . ويلوح لنا ، أن بولس اختار السجود « موقفاً » له في صلاته هنا ، لخطورة الموضوع الذي جعله هدفاً لصلاته . ولعله تحصن بما جاء في إشعياء ٤٥: ٢٣ ، فاقبسه في رومية ١٤: ١١ ، وفيلبي ٢: ١٠ ، وصلى بوجهه هنا : « بذاتي أقسمت خرج من فمي الصدق كلمة لا ترجع . إنه لي تجثو كل ركبة ويخاف كل لسان » . ومع أن حالة المصلي الجسدية لا تدل بالضرورة على حالته الروحية ، إلا

## المسيح ١ الذي منه تسمى كل عشيرة

ان الجسد والروح ليسا عدوين متنازعين، لكنهما صديقان متلازمان وأخوان متآخيان، فما يؤثر في أحدهما يكون له أكبر الأثر في أخيه

(٣) المصلى اليه في نسبته إلى المسيح: «لدى أبى ربنا يسوع المسيح» —

هذا تعبير يراد به إظهار صلة الله الأب بالمسيح في عهد الفداء، وبالتالى صلته بنا نحن المؤمنين في هذا العهد المقدس. فالمسيح موصوف هنا، باعتبار كونه وسيطنا وشفيعنا.

**عدد ١٥ | (٤) المصلى اليه في نسبته الى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض: (١٥: ٣)**

الكلمة اليونانية المترجمة «عشيرة» (باتريا) في هذا العدد، هي من ذات الأصل المشتقة منه كلمة «اب» (باتر) الواردة في العدد السابق، وهي مجاسة لها في اللفظ، ويجوز أن ترجم كل العبارة حرفياً إلى: «لدى الأب الذي منه تسمى كل أبوة في السموات وعلى الأرض»، أو «المشتقة منه كل أبوة في السموات وعلى الأرض». فالمستفاد من هذا، أن الأبوة الإلهية هي النموذج الأساسى والمثل الأعلى لكل أبوة في السموات وعلى الأرض. فليس بكاف أن الأبوة الإلهية اتحدت كل المؤمنين معاً وصاغت منها أخوة واحدة، لكنهم اتحدت عشر السموات بعشائر الأرض وصاغت منهم عشيرة واحدة. كل هذا تم في المسيح، كما قال بولس في موضع سابق «لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما

## في السموات وعلى الأرض. ١٦ لكي

عل الأرض في ذلك — المسيح» (١: ١٠، كولوسي ١: ٢٠)  
 ويجمل بنا هنا أن نذكر المواضع التي ذكر فيها الرسول «أبوة الله»  
 في رسالة أفسس. فقد أشار الرسول إلى أبوة الله سبع مرات آخر في هذه  
 الرسالة: «سلام من الله أبينا وربنا يسوع المسيح» (١: ٢)، «مبارك الله  
 أبو ربنا يسوع المسيح» (١: ٣)، «أبو المجد» (١: ١٧)، «في روح واحد  
 إلى الآب» (٢: ١٨)، «إله وآب واحد» (٤: ٦)، «في اسم ربنا يسوع  
 المسيح الله الآب» (٥: ٢٠)، «محبة بايمان من الله الآب» (٦: ٢٣)  
 لأبوة حقيقية خارج المسيحية، لأن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي  
 أعلنت للبشر أبوة الله بصورة قاطعة صريحة: فلا غرابة إذا كانت أجل  
 صلاة في المسيحية، هي تلك التي مطلعها: «أبانا الذي في السموات»  
 ثانياً: غرض الصلاة (٣: ١٦-١٩) ... «لكي تمتثلوا»

**عدد ١٦** (١) طلبات اعدادية لهذا الغرض (٣: ١٦-١٩)

— أ — القوة الاعدادية لهذا الغرض (٣ و ١٦ و ١٧)

(١) تأييدهم بالقوة بروحه في الإنسان الباطن (٣: ١٦)

يحدثنا الرسول في هذا العدد عن خمس حقائق: — أ — مصدر القوة:

«لكي يعطيكم» — ب — قياس القوة: «بحسب غنى مجده» — ج —

عمل القوة: «أن تتأيدوا» — د — معدن القوة: «بالقوة بروحه» — هـ —

دائرة فعل القوة: «في الإنسان الباطن».

## يعطيكم بحسب غنى مجده

أ — مصدر القوة : « لكى يعطيكم » — يستفاد من هذه العبارة، أن القوة الروحية صادرة « من فوق من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران ». فهى ليست نتيجة انفعال بشرى، ولا هى وليدة إيجاء نفسانى ذاتى . وإنما هى هبة من الله وعطية جزيلة منه تعالى . حقاً قال المسيح فى هذا الصدد : « فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الأب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه »

ب — قياس القوة : « بحسب غنى مجده » — إن « مجد الله » هو

مظهر جلال ذاته وكمالاته، و« غنى مجده » هو ذلك المجد فى أكمل صورته وأجل مظاهره، وأجلها، وأرفعها، وقد أشار بولس إلى « غنى » هذا المجد فى رسالة أخرى معاصرة لهذه، حين قال : « فيملاً إلهى كل احتياجكم بحسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع » (فيلبى ٤: ١٩) .

قد يتاح لنا أن نعرف شيئاً عن معنى « المجد » متى قابلناه بالنعمة . فالنعمة هى المجد فى البزرة ، والمجد هو النعمة فى البلوغ . فالله الذى هو غنى فى النعمة ، غنى أيضاً فى المجد . وإذا كنا غير قادرين على أن نحيط علماً بغنى نعمته ، فكم بالحرى يكون إعجابنا بغنى المجد !! هذا هو قياس العطايا التى طلبها بولس لأجل المكتوب إليهم . فما أحكمه حين يكتب . وما أحكمه حين يصلى . فقد بلغ فى طلبته هذه أقصى المراد من قول الكتاب : « فخر فاك فأملأه » . لأنه لم يطلب لهم مجرد ملء ، بل طلبه لهم فى أعلى قياس « بحسب غنى مجد الله » .



## أن تتأيدوا بالقوة بروحه

— ج — عمل القوة : « أن تتأيدوا » . الكلمة اليونانية المترجمة « تتأيدوا » تعني القوة والنشاط والثبات (لوقا ١: ٨٠، ٢: ٤٠، أكو ١٦: ١٣) فقد طلب بولس لأجل المكتوب إليهم أن يمتلئوا قوة وشجاعة كيلا يخافوا ولا يتهيّبوا الاختبارات الروحية الراقية التي تهيّبها الطبيعة البشرية عادة، سيما عند حلول الإله القدوس في القلب ، وسكنه فيه على الدوام، وتسلمه على جميع حواس الإنسان .

— د — معدن القوة : « بالقوة بروحه » . إن القوة المقصودة هنا، هي القوة الروحية التي هي وليدة حلول روح الله القدوس في القلب : « ولكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم » (أعمال ١: ٨) . إن للروح القدس مقاماً فريداً في هذه الرسالة . فتأيدوه لنا في الإنسان الباطن يجعل حلول المسيح في قلوبنا مستديماً . فهو « قاعقام » المسيح في القلب . ففي رسالة رومية ٨: ٩ يقول بولس : « إن كان روح الله ساكناً فيكم » ، بينما نسمعه يقول في العدد التالي : « إن كان المسيح فيكم » ! فالروح (عدد ٩) حالة محل المسيح (عدد ١٠) (راجع أقوال المسيح في يوحنا ١٤: ١٦ و ١٨ و ٢١ و ٢٣ ، ١٦: ٧ ، ١٧: ١١) . فمع أن المسيح يقول لتلاميذه إنه « ليس بعد معهم في العالم » ، وأنه « خير لهم أن ينطلق » إلا أنه قال في موضع آخر « إنه يأتى إليهم » في شخص روحه القدوس الذي سيحل في قلوبهم ، ويأخذهم إليه ويخبرهم . وفي الرسائل السبع التي يستهل بها سفر الرؤيا، نسمع صوت المسيح في نبرات صوت الروح للكنائس

## في الانسان الباطن ١٧ ليحل

— ه — دائرة فعل القوة : « في الانسان الباطن » . الكلمة المترجمة « في » تعنى : « في أعماق » كأن فعل الروح يتخلل كل الأركان في أعماق الانسان الباطن . ويراد بـ « الانسان الباطن » ، الطبيعة الإلهية الجديدة التي تخلق في المؤمن بعد التجديد ( رومية ٧: ٢٢ ، ٢ كو ٤: ١٦ ) ، ومع أن المراد بـ « الانسان الباطن » بوجه عام ، الانسان الروحي الغير المنظور ، إلا أنها تعنى — في رسائل بولس بنوع خاص — الانسان الجديد .

**عدد ١٧ (٢) حلول المسيح بالايمان في قلوبهم (٣: ١٧)**  
الطلبة السابقة ممهدة لهذه الطلبة ، كما أن هذه الطلبة ممهدة للطلبة التالية . فتأييد المؤمنين بالروح القدس في إنسانهم الباطن ، ممهد لحلول المسيح بالايمان في قلوبهم

في هذا العدد تتجلى أمامنا ثلاث حقائق : (١) حلول المسيح (ب) موطن حلول المسيح . (ج) وسيلة التمتع بحلول المسيح

(١) الحقيقة الاولى : « حلول المسيح في القلب » : من المهم أن نذكر أن المكتوب إليهم — وبالتالي المصلى لأجلهم — أمميون . وقد ينفعنا أن نذكر أن الرسول حدثهم فيما سبق من هذه الرسالة ( ١٣: ١ ، ١٠: ٢ ) عن حقيقة كونهم « في المسيح » ، فمن الطبيعي أن يريهم في هذه الآية ، الحقيقة الأخرى المكتملة لها : وهي — حلول « المسيح فيهم » .

لقد قرأ الرسول في رسالته إلى كورنثوس ( ١: ٢٧ ) ، أن حلول المسيح في

## المسيح

قلوب الأعميين هو منتهى العجب في قصد الله الأزلى : «الذين أراد الله أن يعرفهم ما هو غنى مجده هذا السر في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المحبة». فحلول المسيح في قلب المؤمن ، في هذه الحياة ، هو رجاء المجد في الخلود . وردت كلمة : «المسيح» -- في الأصل -- معرفة بأداة التعريف ، كمادة الرسول في هذه الرسالة، فلعله أراد «مسيا» النبي، والكاهن، والملك (١: ١٠ و ١٢ و ٢٠، ٢: ٥ و ١٣، ٣: ٤ و ١٨ و ١٩، ٤: ٧ و ١٢ و ١٣ و ٢٠، ٥: ٢ و ١٤ و ٢٣ و ٢٥، ٦: ٥). إن الروح القدس الحال في قلب المؤمن يشهد له باستمرار، بحلول المسيح الدائم فيه، فيمتلئ المؤمن شجاعة وثباتاً وإقداماً لعله أن المسيح حي في كل حين، «فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام». إن كلمة : «يحل» تعني الاستقرار المستمر، والسكن الدائم . فهي مجانسة للكلمة التي ترجمت إلى «مسكن» في ٢: ٢٢ من هذه الرسالة. وقد وردت في ٢ بطرس ١٣: ٣ بهذا المعنى عينه : «ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر» .

(ب) الحقيقة الثانية : موطن حلول المسيح : «في قلوبكم» . هذه العبارة مجانسة لقوله : «الإنسان الباطن» في العدد السابق . وإن شئت قل ، إن القلب هو مركز الدائرة في الإنسان الباطن، وهو عرشه الأعلى، الذي يتبوأه المسيح نبياً، وكاهناً، وملكاً . وبما أن القلب، في لغة الكتاب، هو مركز الفهم، والشعور، والعزيمة ، والوجدان ، فمن الواجب إذاً أن نحب المسيح بالعقل، والعاطفة، والإرادة، والضمير (تكوين ٥: ٢٠ وتثنية ٤: ٣٩ وإشعياء ١٠)

## بالإيمان في قلوبكم ١٨ وأنتم

٦ : ١٠ ، مرقس ١١ : ٢٣ ، لوقا ٢١ : ١٤ ، أعمال ١١ : ٢٣ ، رومية ٥ : ٣ ، ١ كو ٢ : ٩ ، يعقوب ١ : ٢٦ ، ١ يوحنا ٣ : ٢٠ ، أفسس ١ : ١٨ . لا يكفي أن يكون المسيح في عقولنا ، بل يجب أن يكون في قلوبنا . ولا يكفي أن يكون في أي مكان من قلوبنا ، بل على عرشها .

( ج ) وسيلة التمتع بحلول المسيح : « بالإيمان » . هذا هو الإيمان الحى ، المتجدد كل يوم ، الذى هو وسيلة تبريرنا ، وتقديسنا ، وتمجيدنا . ليس هذا إيمان من يرى المسيح مرة فيكتفى بهذه اللامحة كمن يلقى نظرة على صورة جميلة ثم يتحول عنها ، وإنما هو إيمان النظر المستديم ، والتلى المستمر بطالعه البهية ، فلا تتحول عنه عين الإيمان لحظة . وبقدر ما يكون إيماننا بالمسيح مستمراً ، يكون حلوله في قلوبنا مستديماً . هنا ينطبق القول الجليل : « بحسب إيمانك يكون لك » . إن هذا الإيمان هو الثقة التى بها تقبل المسيح ، وندخله إلى قلوبنا بالطاعة والولاء له ( يوحنا ١٤ : ٢١ و ٢٣ ورؤيا ٣ : ١٤ ) . هذا هو الإيمان الشخصى ، العملى ، الفعال .

يميل بعض المفسرين إلى اعتبار كلمة : « فى المحبة » التى فى العدد الآتى جزءاً من هذا العدد . ونميل نحن إلى ابقائها فى موضعها .

**عدد ١٨** — ب — المعرفة الاعدادية لهذا الغرض ( ١٨٣ و ١٩ ( ١ ) )

( ١ ) إدراك العرض والطول والعمق والعلو ( ٣ : ١٨ )

قرر الرسول في هذه الآية ثلاث حقائق متعلقة بالمؤمنين : الحقيقة

## متأصلون ومتأسسون في المحبة

الأولى: مؤهلانا: «وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة». الحقيقة الثانية معيّننا: «مع جميع القديسين». الحقيقة الثالثة: دراستنا: «حتى تستطيعوا أن تدركوا ما هو الطول ...».

الحقيقة الأولى — مؤهلانا: «وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة». لا يمكننا أن ندرك شيئاً عن المحبة إلا إذا كنا متأصلين ومتأسسين في المحبة. فالمحبة درس عملي لن يقوى على تفهمه إلا من يمارسه عملياً. وهي سلم رفيعة لن يبلغ الإنسان منها درجة عليا إلا بعد اجتيازها الدرجة التي تحتها. وهي مدرسة راقية لن يفهم الإنسان درساً منها إلا بعد تمكنه من الدروس السابقة. وقد استعمل الرسول كلمتين للتعبير عن هذا التمكن: «متأصلون» و«متأسسون». الكلمة الأولى مستعارة من النبات، والثانية مستعارة من البناء. فالمستفاد من الكلمة الأولى، هو: أن المؤمنين أشجار حية. والمستنتج من الكلمة الثانية: أنهم «هيكل حي» (٢: ٢٢). الاستعارة الأولى: «متأصلون» يدعمها ما جاء في مزمو ١: ٣، ٩٢: ١٢، ١٣، واربميا ١٧: ٨ عن المؤمن: «يكون كشجرة مغروسة عند مجرى المياه» «الصديق كالنخلة يزهر، كالأرز في لبنان ينمو مغروسين في بيت الرب في ديار الهنايزهرون» «يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمدأصولها ولا تری إذا جاء الحر ويكون ورقها أخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الأثمار». والاستعارة الثانية: «متأسسون» يدعمها ما جاء في كولوسي ٢: ٧ «متأصلين ومبنيين»

## حتى تستطيعوا أن تدركوا

فيه وموطينين في الإيمان»، وكولوسي ١: ٢٣ «إن ثبتتم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل».

أما التربة التي فيها يتأصلون وعليها يتأسسون، فظاهرة في قوله «في المحبة». ولقد تساءل الأسقف موليه عما إذا كانت هذه محبة الله للناس أم محبة الناس لله؟ فالتمس الجواب من ألفورد الذي قال: «هي المحبة بوجه عام». فهي دائرة واحدة: نصفها الأول محبة الله للناس، ونصفها الثاني محبة الناس لله. وأما دائرتان متراكبتان، الدائرة الداخلية هي محبة الله للناس، والدائرة الخارجية هي محبة الناس لله. فالأولى أساس الثانية وعلتها، والثانية مظهر الأولى وثمرتها. غير أن المحبة الأولى هي أقرب إلى قصد الرسول من الثانية (١: ٤)، فهي غذاء الحياة الروحية، وقوامها، وتاج مجدها، وإكليل عمادها.

إذا كنّا متأصلين ومتأسسين في المحبة، فنحن متأصلون ومتأسسون في المسيح لأن «محبة الله» أعلنت لنا «في المسيح يسوع ربنا» (رومية ٨: ٣٩). هذه هي المؤهلات التي على المؤمن أن يكون حاصلاً عليها إذا أراد أن يدرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو. ولن يحصل على هذه المؤهلات إلا بالإيمان بالمسيح (عدد ١٧). فالاختبار المتضمن في غرة هذا العدد (عدد ١٨)، مؤسس على الاختبار الموصوف في العدد السابق (عدد ١٧)، وممهّد للاختبار المذكور في نهاية هذا العدد (عدد ١٨).

(ب) الحقيقة الثانية: معيّننا: «مع جميع القديسين». في هذا العدد، ينظر الرسول إلى المؤمن، لا كأنه فرد مستقل بذاته، بل باعتبار كونه عضواً

## مع جميع القديسين

فى جسم حى ، بل جزءاً لا يتجزأ من جسد المسيح الحى ، الذى هو الكنيسة (رو ١٢ : ٥) . فمع أن كل عضو فى الجسم ، يقوم بنصيبه فى إدراك شئ من العرض والطول والعمق والعلو ، إلا أن نصيبه وحده من هذا الإدراك محدود غاية الحدودية ، فلا يتاح له أن يرى غير جزء يسير من كل جانب . فلن يمكنه أن يدرك كل «الحق» من جميع نواحيه إلا إذا ضم ما عرفه هو ، إلى ما عرفه سائر القديسين ، سواء أ كانوا عائشين على هذه الدنيا — فيتصل بأشخاصهم ، أم مستريحين فى عالم الخلود فسجلوا اختباراتهم فى بطون الكتب والأسفار . إن «الحق» السماوى كقطعة من «الماس» لها أوجه كثيرة ولكل وجه جمال خاص ، واشعاع ممتاز ، فلا يمكن أن يلم المرء بجمال الماسة الكامل ، إلا إذا نظر إليها من جميع وجوهها . وبما أن «الحق الإلهى» أوسع من أن يحيط به إنسان فرد ، مهما يكن فذاً ، فمن الضرورى له أن يغنى موسوعة معلوماته ، بمعلومات الآخرين ، وأن يُنخّص بصب تربة اختباراته بخلاصة اختبارات «جميع القديسين» .

قصد الرسول بكلمة «قديسين» ما أرادها بها فى غرة هذه الرسالة ، فأطاب تفسيرها هناك .

من هذا يتبين لنا أن معرفة المقاصد الإلهية ، حقٌ يملكه جميع المؤمنين معاً ( كولوسى ١ : ٢٦ ) ، وأن جميع القديسين كتلة واحدة ، حية ، لا تتجزأ .

( ج ) الحقيقة الثالثة : دراستنا : «حتى نستطيعوا أن تدركوا .. ما هو

العرض والطول والعمق والعلو» . الكلمة المترجمة «يدرك» تعنى فى اللغة

## ما هو العرض

الأصلية الفهم العقلي المبني على التحقيق والتمييز بالبصيرة. وقد وردت في أعمال ١٣: ٤ ، ١٠ : ٢٤ ، ٢٥ : ١٥. إن هذا الإدراك يستلزم قوة خاصة ممهدة له ، كما يتبين من القول « حتى تستطيعوا » ، وكما جاء في العدد السابق « أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن » . هذا إدراك روحي لا يقوى عليه إلا الروحيون المستنيرة عيون أذهانهم .

أما موضوع هذه الدراسة التي على المؤمنين أن يدركوها ، فظاهر في قوله : « ما هو العرض والطول والعمق والعلو » . فما هو هذا الأمر الذي على المؤمنين أن يدركوا عرضه ، وطوله ، وعمقه ، وعلوه ؟ يعتقد الدكتور ارمتاج وبنسون أن موضوع هذه المعرفة هو تدبير القداء الذي سبق الرسول فذكره في الأصحاح الأول من هذه الرسالة : « لتعلموا ما هو رجاء دعوته ، وما هو غنى مجده ميراثه في القديسين ، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين » . فقله . « ما هو رجاء دعوته » يعين الطول . وقوله : « غنى ميراثه » يعين العرض . والعبارة : « نحونا نحن المؤمنين » تفيد العمق . وقوله : « ما هي عظمة قدرته » يرينا العلو . ولكننا نمتقدم غالبية المفسرين . أن موضوع هذه المعرفة ، هو ما ذكره بولس في العدد التالي : أعني المحبة الإلهية التي عبر عنها الرسول بقوله : « محبة المسيح الفائقة المعرفة » . هذه هي المحبة التي سبقت هذا القول ، ولحقته ، فلا غرابة إذا كان الرسول لم يعد ذكرها بعد قوله : « أن تدركوا مع جميع القديسين » ، لا تغافلا ولا تجاهلاً ، بل لأن حذف المعلوم جاز .



## والطول والعمق

ويقول الدكتور جراهام سكروجي متسائلاً : « هل يقصد الرسول كنيسة المسيح — التي هي هيكل الله ؟ إن كان الأمر كذلك ، فإن عرضها هو جميع الأمم التي تنضوي تحت لوائها ، وطولها هو قصد الله السرمدي من جهتها ، وعمقها هو مهاوى الشر والرديلة التي منها أختيرت وأُخذت ، وعلوها هو الأمجاد السماوية التي رتبها الله لها . أم هل يعنى بولس تدبير الله الفدائي ، باعتبار كونه قصداً شاملاً ، وأزلياً ، ومغيراً ، وفعالاً ؟ غالباً جداً يقصد الرسول « محبة الله الفائقة المعرفة » . وعلى هذا الاعتبار نحسب أن عرض المحبة هو سمعتها ورحابتها حتى ضمت العالم بين ذراعيها : « هكذا أحب الله العالم » وطولها ، هو مدى صبرها وطول أناتها على الخطاة حتى يتبرروا ، ويتقدسوا ، ويتمجدوا . فهي محبة ممتدة من الأزل إلى الأبد : « محبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة » . وعمقها هو مقدار تنازلها إلى مهاوى الأرض السفلى ، حيث طوحت الخطية بالناس في ظلمات الشر واليأس . وليس في إمكان أحد أن يقدر عمق اتضاع محبة المسيح إلا إذا استطاع — وهيات — أن يقيس المسافة الشاسعة الممتدة بين العرش . . . والمذود ، بل بين العرش . . . والصليب . وقد يقاس عمق محبة الله بمقدار البذل الذي تكبدته : « هكذا أحب الله . . . حتى بذل » وأما علوها فهو ذات عمقها من حيث القياس — إذا صح أن لهذه المحبة قياساً . فمن المعلوم أن عمق الشيء هو علوه ، إلا أن العمق ينظر إليه من أعلى إلى أسفل ، وأما العلو فينظر إليه من أسفل إلى أعلى . فعلو المحبة الإلهية

## والعلو ١٩ وتعرفوا

يقاس بمقدار الفارق 'العظيم' بين الحالة التعيسة التي كان عليها الخطاة قبل أن تدركهم المحبة، وبين الحالة المجيدة السامية التي رفعوا إليها بعد أن انتشلتهم المحبة من وهدة الشر والردبة والهلاك .

اهتم كثير من المفسرين الأقدمين بالتعليق على هذه الآية : فسفر يانوس (في القرن الرابع) رأى صورة الصليب مرتسمة عليها — لاهوت المسيح هو العلو، وناسوته هو العمق، وخدمة الكنيسة التبشيرية في اتساعها وطولها تشير إلى العرض والطول . وايرونييموس (في القرن الخامس) حسب أن العلو يعنى الملائكة الأطهار، والعمق يعنى الملائكة الساقطين، والطول يعنى جميع البشر الصاعدين على درجات التقدم إلى الكمال ، والعرض يعنى جميع البشر الهابطين إلى دركات الشر والضلال ، بانياً هذه العبارة الأخيرة على قول المسيح : «واسع هو الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلونه» (متى ١٣: ٢) . وفوتيوس (في القرن التاسع) يعتقد أن الرسول يقصد « سر الخلاص المجانى بالمسيح للأمم ، ولسائر الجنس البشرى . فهو طويل لأنه مقضى به منذ الأزل، وعريض لأنه يضم الجميع، وعميق لأن المسيح نزل بسببه إلى أقسام الأرض السفلى ، وعالٍ لأن المسيح صعد بعد إتمامه إلى السماوات العليا .

عدد ١٩ | معرفة محبة المسيح الفاتكة المعرفة (٣ : ١٩)

١- نوع المعرفة : إن المعرفة المقصودة هنا ، هى من طراز جديد

## محبة المسيح

راق، ذات مستوى روحى سام . هي القوة المميزة التي تمتاز بها الطبيعة المتجددة، وبها تتذوق حلاوة محبة المسيح الفائقة المعرفة، فهي معرفة روحية للمحبة التي تعجز دونها المعرفة الطبيعية — هي معرفة قلبية للمحبة التي لا تقوى على إدراكها المعرفة العقلية، فلا يعرف لغة القلب سوى القلب . ولا يميز محبة الله سوى القلب المتجدد بنعمة الله .

— ب — موضوع المعرفة : « . . محبة المسيح » . هذه هي المحبة التي أحب بها المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها (٢٥:٥) . وهي المحبة التي أحب بها كل فرد في الكنيسة : « الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي » (غلاطية ٢: ١٠ ، أنظر أيضاً رومية ٨: ٣٥ و ٣٩ ، ٢ كو ٥: ١٤ ، رؤيا ١: ٥) . وبما أن الرسول طلب لأجل أهل أفسس أن يعرفوا : « مع جميع القديسين » ، فواضح أنه أراد محبة المسيح للكنيسة كجموع أولاً ، ثم كأفراد .

وصف الرسول هذه المحبة بقوله : « الفائقة المعرفة » . مهما يكن نوع هذه المعرفة ، عقلية كانت أم روحية ، فهي قاصرة عن أن تدرك محبة المسيح التي تتحدى كل قياس . فكما عرف الإنسان من هذه المحبة الفائقة ، أدرك أنه لا يعرف عنها شيئاً . وكما ارتقى إلى قمة منها ، عرف أنه أمام جبل أشم . وكما ذاق قطرة منها ، تحقق أنه أمام بحر خضم — من الآن إلى الأبد . يجد أمامه درساً لم يعرفه عنها بعد . إن في هذا دليلاً على لاهوت المسيح المجيد ، وسمو محبته الفائقة الوصف والإدراك ، فما من محبة بشرية — مهما سمت أو صافها — ينطبق عليها هذا الوصف الجليل : « الفائقة المعرفة » . ولن

## الفائقة المعرفة

يعدل « محبة المسيح الفائقة المعرفة » ، سوى سلام الله « الذي يفوق كل عقل » (فيلبي ٢:٤) . وليس أحد يعرف الابن إلا الآب » (متى ١١:٢٧) .

— غاية الغايات : « لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله » — هذه هي الذروة القصوى التي بلغت صلاة الرسول في هذه الرسالة . بل هي الغاية المجيدة التي بجانبها تحسب كل الغايات السابقة مجرد وسائل مؤدية إليها : « . . . لكي يعطيكم أن تتأيدوا » . . « ليحمل المسيح بالإيمان في قلوبكم » . . . « حتى تستطيعوا أن تدركوا » . . « وتعرفوا محبة المسيح » — هذه كلها وسائل تمهيدية لغاية نهائية — هي : « لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله » . بل هذا هو قلب صلاة بولس ، وكل ما سبقه ليس سوى مقدمات .

في كورنثوس ١:٩ ، صلى بولس لأجل المكتوب إليهم قائلاً : « من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا لم نزل مصليين و طالبيين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته » . لكنه في هذه الرسالة وفي هذه الآية التي نحن بصدد ها ، طلب لأجلهم ما هو أفضل — إذ قال : « لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله » . فالامتلاء من معرفة مشيئة الله أمر عظيم ، لكن أعظم منه بما لا يقاس ، الامتلاء إلى كل « ملء الله » .

« لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله » — ترسم هذه العبارة في أذهاننا صورة وعاء متصل بمورد عظيم فياض . وسيظل متصلاً به حتى يمتلئ إلى كل ملئه . أما الوعاء فهو الكنيسة — أفراداً أو جماعة . وأما هذا المورد العظيم فهو الإله جل وعلا . فطلب الرسول أن يمتلئ كل فرد إلى كل ملء الله ،

## لكي تمتلئوا إلى كل

والفرد يمتلئ كلياً أو جزئياً حسب استعداده وقابليته وتشوقه، لتمتليء كل ملكة فيه بالنعمة، وبالروح القدس، وبالتالي يمتلئ بكل بركات الله.

« إلى كل ملء الله » هذا هو الحد الغير المحدود، والقياس الذي لا يقاس، والنهاية اللانهائية التي إليها تمتلئ النفس. على أنه لا يستنتج من هذا بالضرورة، إن في إمكان النفس أن تصل إلى هذا الملء — إن في الحال أو في الاستقبال، بل المستفاد منه أن أمام النفس مجالاً سامياً متسعاً إلى ما لانهاية، إليه تنسامي النفس وترتقي متدرجة في مدارج القداسة والأعجاء، وكلما ارتقت وجدت أمامها مجالاً أسمى وخيراً أعلى. فتتمو طوال الأبدية إلى هذا الحد الغير المحدود، إذ لانهاية لنموها، وهنيئاً لها بهذا النهاية اللانهائية، لأن وقف النمو يؤدي إلى الجمود، والجمود هو أول درجات الانحلال، والانحلال يختتم بالزوال.

« إلى كل ملء الله » — إلى كل الغنى الإلهي — غنى النعم والصفات والطبيعة، فيصير المؤمن شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤). إن كل ملء الله هو في المسيح، وكل ملء المسيح، لنا نحن المؤمنين (كولوسي ٢: ٩ و ١٠) إن قياس امتلائنا، عملياً، ليس ملء الله، بل قابليتنا نحن واستعدادنا. يقول الدكتور سكروجي: إن حرف الجر المترجم «إلى» يجوز أن يترجم إلى «في» فيكون ملء الله هو البيئة الروحية المقدسة التي فيها نمحيا ونتحرك ونوجد، وفيها تمتلئ. ويجوز أيضاً أن تترجم إلى حرف الجر «ب» فيكون ملء الله هو موضوع امتلائنا. ولكننا نميل إلى الاحتفاظ بالترجمة العربية:

## ملء الله . ٢٠ والقادر أن يفعل

«إلى» ، فيكون ملء الله هو الحد الأقصى الذي إليه ترتقى ، ونتقدم ، وننمو في امتلائنا .

إن الصفات الإلهية المطلقة : مثل العلم بكل شيء ، والقدرة على كل شيء ، والوجود في كل مكان ، لا يمكن أن تكون من نصيب البشر ، ولا يمكنهم أيضاً أن يصيروا شركاء الطبيعة الإلهية من حيث الجوهر . ولكن من الممكن أن يصير المؤمنون شركاء الطبيعة الإلهية في الصفات الأدبية . وفي هذه أيضاً يختلفون عن الذات العلية في النوع والكمية . ولكن لن يتاح لهم شيء من هذا ، إلا متى حلَّ المسيح بالإيمان في قلوبهم ، وملاؤها إلى التمام ، ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كفاي مرة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢ كو ٣: ١٧) .

في هذه الحياة لا يمكننا أن ننمو فتبلغ كل ملء الله ، لأننا كنبات منقول من تربته الأصلية إلى تربة غريبة عنه ، فنمؤه معطل ، وارتقاؤه معرقل . لكننا إذ نبلغ السماء وننتحرر من المادة وأغلاها ، ننمو تدرجياً إلى كمال القصد الإلهي الذي أراده الله فينا ، وبناء ، وبواسطتنا .

## عدد ٢٠ ثالثاً خاتمة الصلاة : نشيد التمجيد (٢٠: ٣ و ٢١)

(١) أساس التمجيد (٢٠: ٣) . إن الغاية القصوى التي أوصلنا إليها الرسول في العدد السابق . تضطرنا إلى أن نقف حيارى ، متسائلين . « ومن هو كفوء لهذه الأمور ؟ » ولكن الرسول إنسان تحت الآلام مثلنا ، فلا شك أنه قدر

## فوق كل شيء أكثر جداً

هذه الصعوبة الكبرى التي قامت في أذهاننا ، وفي أذهان المكتوب إليهم ، بل في ذهنه هو نفسه ، فأسرع إلى إزالة هذه الصعوبة بقوله : « والقادر أن يفعل ... » . حقاً أن طلبه الرسول في العدد السابق : « لكي تملأوا إلى كل ملء الله » ، قد فاقت حد التصور ، وتخطت حدود ملكات الفكر ، فأقدم الرسول على معالجة هذه العقبة بقوله : « والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر » . فأساس التمجيد هو قدرة الله ، أو قل هو الإله المقتدر ، وقياس قدرته ، هو « القوة التي تعمل فينا » .

(١) الإله المقتدر : « والقادر أن يفعل فوق كل شيء ... » . لا غذاء للايمان يعادل الارتكاز على الله المقتدر ، والارتكاز على قدرته الفائقة : « والقادر أن يفعل » . هذا هو مسك الختام في خير مقام (أعمال ٢٠: ٣٢ ، رومية ١٦: ٢٥ ، يهوذا ٢٤) . فلا ترياق لاشك ولا علاج للاضعف مثل التفكر في قدرة الله ، والتمسك بها في الملأ (متى ١٩: ٢٦ ، رو ٤: ٢١ ، ١١: ٢٣ ، ١٤: ٢ ، ٢ كو ٨: ٩ ، في ٣: ٢١ ، عب ٧: ٢٥) .

هذا ارتقاء تدرجي : الدرجة الأولى « والإله القادر أن يفعل » .  
الدرجة الثانية : « والإله القادر أن يفعل فوق كل شيء » . الد . الثالثة :  
« والإله القادر أن يفعل ... أكثر مما نطلب » . الدرجة الرابعة :  
« والإله القادر أن يفعل ... أكثر جداً مما نطلب » . الدرجة الخامسة :  
« والإله القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما ... نفتكر » .  
(ب) قياس قدرة الله : القياس الأول : القدرة الإلهية الفائقة

## مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا

حد الطلب والفكر: «والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر». الكلمة المترجمة «أكثر جداً» هي في الأصل كلمة واحدة مركبة صاغها الرسول للتعبير عن خصب المعاني، وغزارة المادة التي ازدحم بها عقله الجبار، الذي ألهمه روح الحكمة والإعلان في معرفة الله (أفسس ٣: ١٠، ٥: ١٣). والكلمة المترجمة «نفتكر» تعني حرفياً «ندرك» أو «نفهم» أو «نعى» (متى ١٥: ١٧). هذا مما يدعو إلى شكر الله وحمده: أننا مهما فكرنا وطلبنا فلا يمكننا أن نصل إلى حدود إمكانيات القدرة الإلهية، ولا أن نستنفد بعض الموارد الإلهية المذخرة لنا.

القياس الثاني: القدرة الإلهية بحسب عملها فينا: «بحسب القوة التي تعمل فينا» — هذه هي قوة الروح القدس. لقد أشار الرسول إلى فعل هذه القوة في رسالته إلى كولوסי ١: ٢٩ بقوله: «الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة». لكنه في رسالته إلى كولوסי تكلم عن القوة في فعلها الاختباري، وفي هذه الرسالة — أفسس — تكلم عن فعل القوة في إمكانياتها. أمام هذه الممكّنات الإلهية الجليلة، ليس لنا إلا أن نسلم حياتنا وقلوبنا تسليمًا تامًّا ليسكون المجال متسعاً أمام هذه القوة لتعمل بنا وفينا كما تشاء وأني تشاء. فإذا ما اشتكى أحدهم من ضيق التنفس، فليس الضيق في الهواء بل في صدره. «ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص» لكن خطايانا صددت تيار عملها، وعدم إيماننا حال دون تنفيذ مراميها في حياتنا. لم يقدر المسيح أن يصنع معجزات في الناصرة بسبب عدم إيمان أهلها



## ٢١ له المجد في الكنيسة

عدد ٢١ | الحمدلة الختامية (٢١: ٣)

في هذه الحمدلة ، تتجلى لنا أربع حقائق عن المجد الإلهي :

(أ) ماهية المجد: «المجد» . (ب) مآل المجد: «له» . (ج) دائرة إظهار المجد : «في الكنيسة في المسيح يسوع» . (د) دوام المجد : « إلى جميع أجيال دهر الدهور » . آمين

(أ) ماهية المجد : «المجد» هو كمالات الصفات الأدبية ، المنعكسة من الجلال الإلهي على البشرية المفتداة ، والعائدة إليه تعالى . فهي منه منبعثة ، وإليه تعود . ويمكننا أن نعرف حقيقة المجد متى قابناه بالنعمة . فالمجد هو النعمة في نضوجها وكمالها ، والنعمة هي المجد في بذرته ونشأته .

(ب) مآل المجد : «له المجد» — أي لله الآب . فالمجد لله طبيعياً وذاتياً ، سواء أُرغبنا نحن أم لم نرغب . والمجد لله ، باعتبار كونه واجباً مقدساً علينا أن نؤديه لعزته . هذا هو مطلع قصيدة القداء العجيب ، يوم ميلاد مخلصنا المجيد . «المجد لله في الأعلى» . وهو قلب قصيدة القداء ، الذي فاده الفادي : «أنا مجدتك على الأرض» . وهو خاتمة قصيدة القداء التي يترنم بها جمهور المفدين الذين انتقلوا من أرض الشقاء إلى مباء الخلود : «أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة . لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة و خلقت» (رؤيا ٤: ١٠-١١) .

(ج) دائرة إظهار المجد : « في الكنيسة في المسيح يسوع » . يختلف

## في المسيح يسوع

المفسرون في ترجمة هذه الجملة ، وبالتالي في تفسيرها : فمنهم — أ — لوثر وميخائيليس وروزنمير وأولزهاوزن يرجعونها إلى : «في الكنيسة التي هي في المسيح يسوع» . و — ب — ثيوفيللاكت وجروتيوس وكلفن يرجعونها : «في الكنيسة بواسطة المسيح يسوع» أي أن المسيح هو واسطة تجلي المجد الإلهي في الكنيسة . و — ج — ماير وألفورد وأليكوت يتفقون والترجمة العربية في هذا الوضع : «في الكنيسة في المسيح يسوع» — أي أن الكنيسة هي الدائرة الخارجية التي يتجلى فيها المجد الإلهي ، لكن المسيح هو الروح الداخلي والعامل الأساسي في تجلي هذا المجد في الكنيسة . فلن يتاح للكنيسة أن تظهر المجد الإلهي إلا بقدر ما تكون في المسيح ، مستمدة حياتها وكيانها وكلها منه . و — د — روبنسون وموليه وغيرهما من المفسرين المعاصرين يرجعونها إلى : «في الكنيسة وفي المسيح يسوع» أي أن المجد الإلهي يظهر في الجسد الذي هو الكنيسة ، وفي المسيح الذي هو الرأس . فالكنيسة في المسيح ، والمسيح متمم رسالته بالكنيسة (٢٣: ١) . وفي اعتقادنا أن الرأيين الأخيرين هما أصوب الآراء . هذه هي المرة الثالثة التي ذكرت فيها كلمة «كنيسة» في هذه الرسالة : في المرة الأولى (٢٣: ١) أشار الرسول إلى الكنيسة باعتبار كونها «الجسد» الذي يكمل فيه الرأس . وفي المرة الثانية (١٠: ٣) ذكر الرسول الكنيسة باعتبار كونها «المرأة» التي عليها تنعكس أشعة حكمة الله المتنوعة . وفي هذه المرة الثالثة (٢١: ٣) تكلم عن الكنيسة باعتبار كونها «مظهر» تجلي المجد الإلهي

إلى جميع أجيال دهر الدهور . آمين .

(د) دوام المجد الإلهي : «إلى جميع أجيال دهر الدهور» — أو بعبارة أخرى — إلى أبد الآباد . إن هذه العبارة تنمُّ عن سلسلة طويلة مكونة من حلقات مترابطة متسلسلة . بكل حلقة منها ينتهي جيل خاص بتدبير معين، وكل هذه الحلقات تكون معاً سلسلة الآباد التي لا نهاية لها ولا حد

والظاهر أن العبارة : «دهر الدهور» عبرية الأصل «<sup>٦٦</sup> <sup>٦٦</sup>» (مزمو ٧٢: ٥ و ١٠٢: ٢٤) وهي مرادفة لقولنا «أبد الآبدن» . فاذاً، إظهار هذا المجد الإلهي في الكنيسة ليس مقصوراً على الكنيسة المجاهدة على الأرض، لكنه يعتمد إلى الكنيسة الممجدة في السماء .

«آمين» . هذه كلمة عبرية معناها «استجب» ، وهي من مصدر «أمن» ومعناه الحرفي «أيد» . «آمين» — هذه كلمة واحدة، لكن يخيل إلينا أنها خلاصة أناشيد الأجيال كلها، متجمعة ومركزة في هذه الكلمة الواحدة — كأن كل جيل في كل دهر يضم صوته إلى أصوات الأجيال الأخرى لتلتئم كلها في مقطع خاص، فتتجمع كل هذه المقاطع لتكون هذه الكلمة الواحدة . آمين

آمين — بهذه الكلمة تختتم صلاة الرسول في هذا

الأصحاح ، فيختتم بها القسم التعليمي من هذه الرسالة

الجليلة ، ويستهل القسم العملي

آمين



## القسم العملى

(١:٤ — ٢٤:٦)

قد بلغ بنا الرسول ، فى خاتمة القسم الذى مرّ بنا ، قمة جبال المعلنات الإلهية فى هذه الرسالة . ومن ذلك العلو الشاهق ، بدأ ينزل الى مستوى الحياة العملية . فى القسم الماضى ارتفع بولس إلى «رأس» المصادر العلوية ، وفى القسم الآتى ، هدا بنا الى «عين» النبع حيث تنفجر المياه ، وتسيل فى الجداول لتروى العطاش المقيمين فى برية الحياة المجذبة القاحلة .

فى القسم الماضى أرانا الرسول الامتيازات ، وفى هذا القسم عرفنا بالواجبات فى القسم الماضى كشف الحقائق اللاهوتية ، وفى هذا القسم أرانا ثمار الحياة العملية فى القسم الماضى وضع الأساس ، وفى هذا القسم العملى أقام البناء فى القسم الماضى أرانا موقفنا ، وفى هذا القسم العملى رسم لنا مسلكنا فى القسم الماضى أبان مقام الكنيسة كجموع ، وفى هذا أوضح صهل المؤمن من الفرد فى القسم الماضى تكلم عن دعوتنا السماوية ، وفى هذا أرانا حقيقة جهادنا الأرضى فى القسم الماضى عرفنا ما عمله الله لنا ، وفى هذا عرفنا بما نعمله نحن لله

(١٧)

## القسم ————— م العم —————

أولاً : المسيحي والوحدانية المقدسة ( ٤ : ١ - ١٦ )

ثانياً : المسيحي في حياته الجديدة ( ٤ : ١٧ - ٦ : ٢٤ )

(٢) المسيحي في حياته الاجتماعية ( ٥ : ١ - ٢١ )	(١) المسيحي في حياته الخاصة ( ٤ : ١٧ - ٣٢ )
أولاً : اسلكوا في المحبة لا في الفساد ( ٥ : ١ - ٥ )	أولاً : مبادئ الحياة العتيقة ومبادئ الحياة الجديدة ( ٤ : ١٧ - ٢٤ )
(١) إيجاباً ( ٥ : ١ و ٢ ) (ب) سلباً ( ٥ : ٣ - ٥ ) ثانياً : اسلكوا في النور لا في الظلام ( ٥ : ٦ - ١٤ )	(١) خلع الإنسان العتيق ( ٤ : ١٧ - ٢٢ ) (٢) لبس الإنسان الجديد ( ٤ : ٢٣ و ٢٤ )
(١) تحذيرات ضد الظلام ( ٥ : ٦ و ٧ ) (ب) علة هذه التحذيرات ( ٥ : ٨ ) (ج) حض على النور ( ٥ : ٨ و ١٠ ) (د) علة هذا الحض ( ٥ : ٩ ) (هـ) انفصال النور عن الظلام ( ٦ : ١١ - ١٣ ) (و) نداء حي ( ٦ : ١٤ )	ثانياً : تصرفات عتيقة وتصرفات جديدة ( ٤ : ٢٥ - ٣٢ ) التصرفات العتيقة : التصرفات الجديدة : (١) الكذب ( ٤ : ٢٥ ) الصدق (٣) الغضب المخاطي . الغضب البريء ( ٤ : ٢٦ و ٢٧ )
ثالثاً : اسلكوا بحكمة لا بجهالة ( ٥ : ١٥ - ٢١ )	(٣) السرقة ( ٤ : ٢٨ ) الاحسان (٤) الكلام الهادم ( ٤ : ٢٩ ) الكلام الباني (٥) الشمور الرديء . الشمور الطيب ( ٤ : ٣٠ - ٣٢ )
حكمة افتداء الوقت لا جهالة قتل الفرص ( ٥ : ١٥ - ١٧ )	مرارة . سخط . . . . . لطف غضب . صياح . . . . . شفقة تجديف . خبث . . . . . تسامح
حكمة الامتلاء بالروح لا جهالة الترنح بخمر المخلاعة ( ٥ : ١٨ ) الحكمة في العبادة ( ٥ : ١٩ - ٢١ )	

لي (٤ : ١ - ٦ : ٢٤)

(٤) المسيحي في الحرب الروحية (٣٠ : ١٠ - ٦)	(٣) المسيحي في حياته العائلية (٩ : ٦ - ٢٢ : ٥)
<p>(١) المحارب (١١ و ١٠ : ٦)</p> <p>(ب) الحرب (١٢ : ٦)</p> <p>(ج) السلاح (٢٠ : ١٣ : ٦)</p> <p>(١) الاستعداد لحمل السلاح (١٣ : ٦)</p> <p>(٢) نوع السلاح (١٧ : ١٤ : ٦)</p> <p>(عدد ١٤) (عدد ١٥)</p> <p>«منطقة» «درع» «حذاء»</p> <p>(عدد ١٦) (عدد ١٧)</p> <p>«نرس» «خوذة» «سيف»</p> <p>(٣) السهر وقت حمل السلاح (٢٠ : ١٨ : ٦)</p>	<p>أولاً : الزوجة والزوج (٢٢ : ٥ - ٣٣)</p> <p>(أ) واجبات المرأة (٢٢ : ٥ - ٢٤ و ٣٣)</p> <p>(١) الطاعة (٢٤ : ٥ - ٢٤)</p> <p>(٢) المهابة (٢٣ : ٥)</p> <p>(ب) واجب الرجل (٢٣ : ٥ - ٢٥ : ٥)</p> <p>(١) الواجب نفسه (٢٣ و ٢٥ : ٥)</p> <p>(٢) قياسه (٣٠ : ٢٦ : ٥)</p> <p>(٣) أماسه (٣٣ - ٣١ : ٥)</p> <p>ثانياً : الأبناء والآباء (٤ : ١ - ٦)</p> <p>(أ) واجبات الأبناء (٣ : ١ - ٦)</p> <p>(١) الطاعة (١ : ٦)</p> <p>(٢) الاكرام (٢ : ٦)</p> <p>(٣) مكافأتهما (٣ : ٦)</p> <p>(ب) واجب الآباء (٤ : ٦)</p> <p>سلباً : «لا تغيظوهم» - إيجاباً : «ربوهم»</p> <p>ثالثاً : العبيد والسادة (٩ : ٥ - ٦)</p> <p>(أ) واجب العبيد (٨ : ٥ - ٦)</p> <p>(١) الواجب نفسه (٥ : ٦)</p> <p>(٢) ماهيته (٦ : ٦)</p> <p>(٣) أساسه (٧ : ٦)</p> <p>(٤) مكافأته (٨ : ٦)</p> <p>(ب) واجب السادة (٩ : ٦)</p>

كلمة شخصية :

(٢٢ و ٢١ : ٦)

مسك الختام :

(٢٤ و ٢٣ : ٦)

«سلام» «محبة»

«إيمان» «نعمة»

«عدم فساد»

لقد شوقنا الرسول إلى هذا الجزء العملي منذ بداية الأصحاح السابق الذي رفعنا فيه إلى أعلى قمم العقيدة ، فمن حقه أن يطلب منا السلوك في جدّة الحياة ، ليرقى بنا إلى المستوى الرفيع الذي منه تأتي دعوتنا السماوية من أجل ذلك ، استهل كلامه في هذا القسم العملي بقوله : « فأطلب » . وكل من أعطى ، له حق أن يطلب . وعلى قدر الامتيازات تكون المسئوليات . ومن يعطى كثيراً ، يطلب بأكثر .

« فأطلب » - بهذه الكلمة عينها استهل الرسول القسم العملي من رسالته إلى رومية : « فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله » ( ١: ١٢ ) . فكأنه اختار هذه الكلمة لتكون فاصلاً بين القسم التعليمي والقسم العملي في أهم رسائله . فحق علينا ، بعد أن سمعنا « عظمة مجد ميراث الله فينا » ، « وما هو رجاء دعوته لنا » ، وما هو سر تدبير نعمته لأجلنا ، ان نسمع شيئاً عن الواجبات المطلوبة منّا لله ، تلقاء هذه المزايا الجميلة .

أولاً : المسيحي والوحدانية المقدسة — وحدانية في تنوع ( ١: ٤ - ١٦ )  
بعد أن علم الرسول المكتوب إليهم وأرشد هم . شرع في أن يستحثهم ويناشدهم . ولا يغرب عن أذهاننا ، إنه وإن يكن القسم الأول من هذه الرسالة خاصاً بالإعلان والإرشاد ، والقسم الثاني مفعماً بالحض على حسن السلوك وحياة الجهاد ، إلا أن القسم الأول لا يخلو من الحث والتحريض ، كما أن القسم الثاني لا يخلو من التعليم والإلهام .



## ١ فأطلب إليكم

عدد ١ (١) نقطة الارتكاز في هذا الفصل (١:٤)

يعتبر هذا العدد نقطة الارتكاز في هذا القسم العملي من الرسالة، وهو  
ينبجلى عن ثلاثة أمور مهمة :

**أولها: الطالب:** « فأطلب إليكم ٠٠٠ » . الكلمة الأصلية المترجمة  
« أطلب » ثم عن الحث المصحب بشئ من الاستعطاف . ويمكننا أن نقدر هذا  
الاستعطاف متى ذكرنا ذلك الشخص العظيم، الذى تقدم إلى المكتوب إليهم  
بهذا الطلب ، وهو الذى ضحى براحته وحرية في سبيل إنجيل خلاصهم .  
وفوق ذلك، فهو يطلب منهم بوجه حق، لأنه إنما يطلب حقاً مرتكزاً على ما  
أعطاهم إياه من المعلنات الإلهية الجليلة . على أن نقطة الارتكاز ليست منبثة  
في العدد كله، بل مركزة في حرف « الفاء » ( انظر رومية ١٢: ١ ، كولوسى ١: ٣ )  
**ثانيها: موقف الطالب:** « أنا الأسير في الرب » . أضحى بولس  
أسيراً مكبلاً بالسلاسل، ومقيداً بالأغلال، بسبب اتحاده بالرب يسوع المسيح  
وحمله إنجيل كرازته للأمم . فهو إذاً أسير حب القادى ، بل أسير إنجيل  
فدائهم، فهو بالتالى أسير المسيح لأجلهم (١: ٣) . غير أنه لم يذ كر هذه العبارة  
ليستدر عطفهم عليه، فقد كان متحملاً كل آلامه شاكراً مسروراً . لكنه أراد  
أن يستمد من أسره، حجة قوية تحملهم على إجابة رجائه وتلبية ندائه . لأن  
الإنسان يتسلط على الآخرين بمقدار حبه لهم وتضحيته لأجلهم « فطالما  
استعبد الإنسان انسان »

## أنا الأسير في الرب

ومن المشجع لنا أن نذكر أن بولس لم ينجل قط من قيوده ، بل كان يفخر بها . فلا الأساور المرصعة التي تزين معاصم العرائس ، ولا «النجوم» اللوامع التي تزين كتف البطل المغوار الذي خرج من المعركة مكلاً بأكاليل الغار — لاهذه ولا تلك — بمساوية للسلاسل الحديدية التي كانت تطوق إحدى قدمي بولس وإحدى يديه . ومن الجائز ، أن الحجة التي أراد الرسول أن يستمدّها من قيوده ، تسير على هذا النسق : «يا أبناء الأعزاء ! ها أنا الآن أسير ، فلا أملك حرية الانتقال إليكم . ولكن يمكنني أن اتصل بكم عن طريق الكتابة بقلمى ، وعن طريق الصلاة بروحى . ومع ذلك فأني واثق من أنكم تقدرون طلبى إليكم وأن غائب عنكم بسبب أسرى ، بأكثر مما تقدرون لو كنت حاضراً معكم بالجسد . سيما وأني لست أسير خطأ ارتكبته إلا إذا كان هذا الخطأ هو كرازي لكم وحلى بشرى أنجيلكم » .

رأى بعض المفسرين الأولين مثل يوحنا فهم الذهب ، وسملر ، أن يصلوا قول الرسول : « في الرب » بقوله : « أطلب إليكم » — أى أنه ناشدهم باسم الرب ولأجل الرب . ولكن وضع الجملة في اللغة الأصلية يجعل قول الرسول « في الرب » وصفاً لقوله : « أنا الأسير » ، أى أنه أسير بسبب اتحاده بالرب ، وهو في أسره متقوٍ وغالب ، لأنه « في الرب » الظافر على جميع القوات بمسا فيها السجون والظلمات .

ثالثها : ماهية الطلب : « أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها » . لم يطلب الرسول منهم تقديم مالية ، ولا رغب إليهم أن يفوهوا بمواعظ بليغة

## أن تسلكوا كما يحق للدعوة

بل طلب منهم تقديم أنفسهم على مذبح الحياة اليومية ، في السلوك القويم . هذا أصعب طلب ، وأيسر طلب . فهو أصعب طلب لأنه يكلف أعز تضحية — الذات والإرادة ، لله . وهو أيسر طلب لأن كل إنسان يقوى عليه ، فلاحق لتقير أن يعتذر بعدم وفرة موارده ، ولا لعيى أن يستعفى بسبب عقدة في لسانه ، أو بافتقاره إلى عوز في حدة جناحه ، لأن كل إنسان يقدر أن يسلك — سيما متى ترك دور الطفولة .

« أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها » — هذا يماثل قول الرسول في مواضع أخرى « أن تسلكوا كما يحق للإنجيل المسيح » (فيلبي ١: ٢٧) ، « أن تسلكوا كما يحق للرب » (كولوسي ١: ١٠) ، « أن تسلكوا كما يحق لله » (١ تس ١٢: ٢) . أما « الدعوة » التي دعوا بها ، فهي دعوتهم للخلاص بالمسيح يسوع ، حين سمعوا كلمة الإنجيل وقبلوها (انظر ١٨: ١) لا يغرب عن بالنا ، أن كل سلوك ، وإن سما وارتقى ، لا يمكن أن يكون لائقاً بالدعوة التي دُعينا بها . فالرسول هنا ، يتكلم عن حالة كالية ، يجب أن نسعى اليها وأن نضعها نصب أعيننا ، ولكن أن خبنا عنها بسبب قصور أو تقصير ، فلا نفشل ، لأن لنا عند الآب « شفيعاً هو يسوع المسيح البار » إن بداية الحياة المسيحية سامية راقية ، لأنها متصلة بالدعوة الإلهية السماوية ، لذلك يجب أن تكون سامية راقية في طرفها الآخر الذي هو الحياة العملية . فإذا كان على الماء أن ترتقى إلى المستوى الذي منه نبعت ، فمن أوجب واجباتنا أن نرقى بحياتنا العملية ، إلى مستوى دعوتنا الإلهية هذا

## التي دُعيتُم بها . ٢ بكل تواضع

يعدّ قول الرسول مرات عديدة في رسائله : « لا يليق » ، « يليق » ، « يحق » « يوافق » « لا يوافق » . لأنه وضع نصب عينيه مثلاً أعلى ، من واجب الإنسان أن ينسج عليه ، وأن يسمى دائماً إليه . فالمثل الأعلى يضبط الحياة العملية ، والحياة العملية تُترجم عن حقيقة المثل الأعلى .

إن الوحدة البشرية الجامعة ، التي يراها بولس متوجة القصد الإلهي ، قد تمت في المسيح ، وهي به قائمة . فمن أوجب الواجبات أن تتحقق على الأرض بواسطة كنيسته التي هي جسده على الأرض . فعلى أعضاء كنيسة المسيح أن يحتفظوا بهذه الوحدة ، وأن يحرصوا عليها ، مخافة أن يذهب شيء بجها لها : أو أن يعيث بها عاثر . فبما أن أعضاء كنيسة أفسس ، وسائر المؤمنين ، قد اختيروا لهذه الوحدة المشتركة ، وصاروا فيها أحجاراً حية في هيكل المسيحية ، وأعضاء في جسد المسيح على الأرض ، فمن واجبهم أن يكيّفوا سلوكهم وفق هذه الدعوة ، وأن يرتقوا إلى مستواها العالي الرفيع .

**عدد ٣ | (٢) النية التي يجب أن يتسلحوا بها (٤: ٢)**

كنا ننتظر أن الامتيازات الجليلة السامية التي نادى بها الرسول في الأصحاحات السابقة ، تبعث في المؤمنين روح التعظيم والكبرياء ، ولكن الأمر عكس ذلك على خط مستقيم . فهي ثمر تواضعاً ووداعة ، لأنها ليست امتيازات كسبناها بأعمالنا واستحقاقنا ، وإنما هي امتيازات أغدقتها علينا النعمة عفواً وفضلاً . فهي إذا ديون وفيرة ، ثقّلت بها النعمة كواهلنا ، فصرنا بها

## وداعة

مضطربين إلى أن نسير منحنين متواضعين، لا متعالين متشامخين . ويجمل بنا أن نذكر أن بولس نطق عن يقين ، لأنه إنما يتكلم عن اختبار شخصي . فهو لا يحتمل المكتوب إليهم أحمالاً ثقيلة، لا يستطيع هو أن يحركها بأصبعه، بل يكلفهم بما قام به هو فيما بينهم ، عفواً وعن طيب خاطر . فلندكر قوله لقسوس كنيسة أفسس في خطابه الوداعي : « أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم كل الزمان أخدم الرب بكل تواضع .. »

في هذا العدد ، أوضح الرسول : — أ — النية الصالحة التي يجب أن يتسلح بها جميع المؤمنين : « بكل تواضع ووداعة وطول أناة » — ب — واجب المؤمنين نحو بعضهم بعضاً : « محتملين بعضكم بعضاً » — ج — الجو الروحي الذي يجب أن يسود جميع المؤمنين : « في المحبة » — أ — النية الصالحة التي يجب على المؤمنين أن يتسلحوا بها : تواضع، وداعة ، طول أناة — ثلاث صفات جميلة يجب أن يتحلى بها كل مؤمن ، فتتجلى في كل حركاته وسكناته . وتكون هي الطابع الخاص الذي به يتميز سلوكه . فالتواضع هو معرفة الإنسان نفسه وشعوره بعجزه وعدم استحقاقه نعم الله ومراحه . والوداعة هي تنازل الإنسان عن حقوقه وطول الأناة هو تذرعه بالصبر تجاه المكروه . فالتواضع يعين موقف الإنسان تجاه الله وبركاته . والوداعة تعين موقف الإنسان إزاء نفسه وحقوقها ، وطول الأناة يعين موقف الإنسان تجاه الآخرين وأثقاهم . وجدير بالملاحظة ، أن المسيح قال عن نفسه : « لأنني وديع ومتواضع القلب .. لأن نيرى هتين »

## وبطول أناة

«التواضع» : الكلمة اليونانية المترجمة «تواضع» تعنى تقديراً ثابتاً للنفس في حقيقتها — كدت أقول في حقارتها — فهي حالة نفسية يجب أن تكون مستمرة ومستقرة. فإئن كان اليونان قد نادوا بالتحلى بالتواضع، على اعتبار أنه صفة ممتازة يجمل المرء أن يتحلى بها عند الضرورة، إلا أنهم ليست كذلك في كل الحالات. لكن بولس يعلمنا إن التواضع صفة مسيحية يجب أن يتحلى بها المؤمن في كل زمان ومكان. وهي تعنى اعتمادنا الكلى على الله، وتعلقنا الدائم به كأولاد لا غنى لهم عن أبيهم الذى هو مصدر حياتهم.

«الوداعة» : والكلمة المترجمة «وداعة» تعنى التسليم لله في الضيقات، والخشوع لمشيئته في الملمات. ويقول ترنتش إن الوداعة تركز على الأسس والأصول التي تهبطها لها صفة التواضع. فهي صفة، إلى حد ما، أرقى من صفة التواضع أو هي بناء مقام أساسها.

«طول الأناة» — ربط الرسول هذه الصفة بالوداعة في هذه الرسالة كما في غلاطية ٥: ٢٢ وكولوسى ٣: ١٢. إن طول الأناة يحفظنا من التعجل في الحكم، فلا نحكم في شيء قبل الوقت، بل نقدر النتائج قبل وقوعها. فيسهل على المرء أن يسلم الله الذى يقضى بعدل. وجدير بالملاحظة أن الشخص الطويل الأناة، يحسب حساباً للأبدية، ويجعلها عنصراً مهماً في تفكيره وتصرفاته. وإذا جازت المقارنة بين الصفات، فإن هذه الصفة أرقى من سابقتها بقدر ارتقاء سابقتها عن الصفة الأولى. فلكأن الرسول وضع هذه الصفات الثلاث على نسق تدرجى متصاعد : تواضع، وداعة طول أناة. فهو كشخص دخل إلى الهيكل

## محتملين بعضهم بعضاً

المقدس، فرأوا أولاً بالدار، ثم بالقدس، حتى وصل إلى قدس الأقداس. ومن دلائل تسمية هذه الصفة على سابقتيها، كونها استعملت في أكثر المرات كصفة للذات العلية، ونسبتها إلى الله أكثر من نسبتها إلى الإنسان (رومية ٢: ٤ و ٢٢: ٩، ١٦: ١، ١ بطر ٣: ٢٠، ٢ بط ٣: ١٥).

—ب— واجب المؤمنين نحو بعضهم بعضاً: «محتملين بعضهم بعضاً». إن الصفات الثلاث التي مرّت بنا، ممهدة لهذا الواجب المطلوب منا. فهي له بمثابة الأساس للبناء، والبزرة للشجرة. فبالتواضع، والوداعة، وطول الأناة يمكننا أن نحتمل بعضنا بعضاً. هذا واجب متبادل «محتملين بعضهم بعضاً»، لأن أوجه الضعف متبادلة، فمن الواجب أن يكون الاحتمال متبادلاً. فممن مؤمن حقيقى يكون على الدوام مسيئاً، أو يكون مساءً إليه باستمرار من غير أن يسيء هو إلى أحد. بل المسىء اليوم قد يكون مساءً إليه غداً. فكما أنه ينتظر من الآخرين أن يحتملوه إذا هو أساء، كذلك من واجبه هو أن يحتمل الآخرين إذا هم أساءوا إليه.

فالمؤمنون بالنسبة لبعضهم لبعض، كأحجار متماسكة في بنيان مرصوص يشد بعضها بعضاً، وهم أيضاً أعضاء في جسد واحد، فعليهم أن يتعاونوا. ومن أقوى البواعث على هذا الاحتمال المتبادل، أن يذكرك كل مؤمن أنه هو ثقل عظيم على النعمة، ولو أن النعمة لا تشكوق قط من هذا الثقل! واكبر الظن، أنها لا تشمر به، فهي شبيهة بمخلوق عجيب، له ألف عين، وألف

### في المحبة . ٣ مجتهدين

يد، وألف قدم، ولسان واحد - فهو يخدم باستمرار، ليل نهار، وفي نهاية اليوم يقول : «ماعمليت شيئاً» !

فلنحتمل بعضها بعضاً ، لأننا في احتمال الآخرين نحمل أنفسنا ونحن لا ندرى . فالناظر إلى الكتل الحديدية التي يتركب منها « الجسر المعلق » قد يعجب إذ يرى كأن هذه الكتل الحديدية معلقة في الفضاء، لكن عجيبة يزول ، متى عرف أنها بضغطها على بعضها البعض، وإحتمالها بعضها البعض ، تحمل نفسها وهي لا تدرى .

— ج — الجو الروحي الذي يجب أن يسود جميع المؤمنين : « في المحبة » هذا هو الجو المقدس الذي يجب أن يسود كل العلائق التي بين المؤمنين : « في المحبة » . بهذا يسهل كل عسير ، ويحتمل مالا يحتمل ، ومن لا يحتمل . في هذا يختلف الاحتمال الناشئ عن الضعف والخنوع وعدم القدرة على المقاومة ، عن الاحتمال الذي تنشئه المحبة ، وتغذيته ، وتنضجه ، وتنوجه .

**عدد ٣ (٣) وحدانية الروح**، وواجب المؤمنين ازاءها (٤ : ٣) هذه أول إشارة صريحة في هذه الرسالة إلى وحدانية الروح ، وفيها تكلم الرسول عن . (١) طبيعة هذه الوحدانية : « وحدانية الروح » (ب) واجبنا إزاء هذه الوحدانية : « مجتهدين أن نحفظوا ... برباط السلام » .

— أ — طبيعة هذه الوحدانية . « وحدانية الروح » . هذه هي الوحدانية المقدسة التي ينشئها الروح ويقويها، ويغذيها، يجعل كل المؤمنين واحداً في المسيح



## أن تحفظوا

وإيجاد اتحاد حتى ممكن بين المؤمنين وبعضهم البعض ، فهي ليست مجرد وحدانية جغرافية، مكانية، كوجود جثتين جنباً إلى جنب في قبر واحد، بل هي وحدانية حياة، لأن الروح القدس هو روح الحياة. ولا هي مجرد وحدانية التساند والتعاضد ، كوجود حجرين جامدين جنباً إلى جنب في جدار واحد مثلاً يتعاضد اللصوص على عمل غير شريف ، بل هي وحدانية الرابطة الحية الشريفة ، الكائنة بين أعضاء حية في جسم حي ، يتوَّجها جميعاً رأس واحد حتى ، ولا هي وحدانية التشابه والتجانس في كل شيء ، كارتباط حلقات متشابهة في سلسلة واحدة، وإنما هي تآلف العناصر المنوعة التي يؤلف بينها قصد إلهي واحد، مثلاً تجتمع الأصوات الموسيقية المتباينة لتؤلف نغمة واحدة، أو كما تألف ألوان قوس السحاب المتباينة لتكوّن نوراً واحداً، أو كما تتحد الأعضاء المتباينة — ولكل عضو مكانته — في جسد حي واحد. فقد يختلف أعضاء الكنيسة الواحدة في الرأي من جهة أمر ما ، لكن الروح القدس يوحد ما بينهم، متى كانت قلوبهم متأكفة في الجوهر. ولا هي مجرد وحدانية عقلية نفسية ، وإنما هي الوحدانية ينشئها الروح القدس بالذات ، فهي وحدانية مؤسسة على شركة الروح .

ب — واجبنا إزاء هذه الوحدانية: «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام» . النقطة المركزية في هذا الواجب ، هي قوله : «أن تحفظوا» . وأما كلمة «مجتهدين» السابقة لهذا القول ، فهي تعين الروح الذي به تؤدي هذا الواجب المقدس على أتم وجه . والعبارة «رباط السلام» التي

## وحدانية الروح برباط

بها يُختتم هذا العدد ، ترينا الوسيلة التي بها تؤدي هذا الواجب .  
 أولاً : واجبنا «أن نحفظوا» . إننا نحمد الله لأن هذه الوحدة موجودة  
 حقاً وفعلاً . فليس من واجبنا أن نخلقها خلقاً ، ولا أن نوجد هـا من العدم . لأن  
 كل وحدانية يوجد هـا البشر مهما سميت مرا كزهم ، إنعاهى وحدانية ميتة ، عاطلة ،  
 زائفة . ما أشبهها بالجسم الميكانيكى الذى يصنعه مهندس بشرى ، أو بالزهور  
 الصناعية التى تحيكها يد إنسان ماهر أو آلة ميكانيكية صماء . لكن هذه  
 الوحدة المقدسة هى من عمل رب الحياة والقوة ، وما علينا نحن البشر إلا  
 أن نحافظ عليها . فهى تُكشف ولا تُخترع . وطوبى لمن يستطيع أن يراها بعين  
 الإخلاص ، ويغذيها بقلب المحبة ، وينهضها بروح التضحية وانكار الذات .  
 فعلى المؤمنين أن يحفظوا هذه الوحدة من كل تحزب ، وشقاق ، ومن روح  
 الأنانية ، وحب السيادة .

ثانياً : الروح الذى به تؤدي هذا الواجب على أتم وجه : «مجتهدين»  
 الكلمة المترجمة «مجتهدين» هى فى اليونانية أقوى منها فى العربية ، فهى تعنى  
 «مقدمين كل اجتهاد» أو «بأذلين كل اهتمام» . فالكلمة العربية «مجتهدين»  
 قد تفيد أن المحافظة على الوحدة عمل اجتهادى ، لا عمل جدى ، أو هو كما  
 يقال : «فرض كفاية» لا «فرض عين» ، لكنه فى الواقع فرض حتمى ، علينا  
 أن نبذل فى سبيله كل مرتخص وغال . فكل مجهود فى سبيله ، هين وإن عـز .  
 ثالثاً : الوسيلة التى بها تتم هذا الواجب : «برباط السلام» . هذه  
 العبارة كما وردت فى الأصل ، قد تعنى أمراً من اثنين — أولهما : السلام الذى

## السلام. ٤ جسد

هو رباط الوجدانية . وثانيها : الرباط الذي يضمن السلام — أعني المحبة، باعتبار أن المحبة هي رباط السلام . هذا الرأي الثاني، هو رأي العلامة بنجال . ولكن برجو عنا إلى الأصحاح الثاني من هذه الرسالة، يتبين لنا، أن المسيح « هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً » (٢: ١٤) . هذا هو رباط الوجدانية — المسيح الذي هو سلامنا . فهي إذاً وجدانية مقدسة : الروح منشؤها، والمسيح رباطها .

١ عدد ٤ و ٥ و ٦ | (٤) الأعمدة السبعة التي يبنى عليها هيكل

الوجدانية (٤: ٤ و ٥ و ٦) . « جسد واحد، وروح واحد، كما دعيتكم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد، رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وآب واحد لكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم » .

هذه سهام سباعية من جعبة الوجدانية المقدسة . وهي تبتدىء بالجسد الواحد الذي يحياه الروح الواحد، فيتقدم نحو جملة الرجاء الواحد . وهذا الجسد الواحد يستمد كيانه من الرب الواحد الذي هو رأسه الأ واحد، فأتحد به بواسطة الإيمان الواحد والمعمودية الواحدة . على أن كمال هذه الوجدانية يتحقق في الإله الواحد، الذي هو آب لجميع المؤمنين، وهو إله لكل، وسيد على الكل، ومتمم إرادته بالكل، ولكنه حال فقط في كل المؤمنين . « جسد واحد . . . إله وآب واحد » . ما يلتفت نظرنا، أن الرسول، عندما أراد تبيان أوجه هذه الوجدانية المقدسة، بدأها بأقربها إلى العيان : « جسد واحد »، واختتمها بالإله الأ واحد الذي هو غايتنا القصوى وإليه مآلنا —

## واحد

«إله وآب واحد». ومما تعددت أوجه هذه الوجدانية فإن عمادها الأ واحد هو الثالوث الأقدس: «روح واحد»: هذا هو الأقنوم الثالث. «رب واحد»: هذا هو الأقنوم الثاني. «إله وآب واحد»: هذا هو الأول الأقنوم. هذا هو الإله الواحد، موجد هذه الوجدانية ومحبيها.

فإلى الذين لا يفهمون مسيحيتنا على حقيقتها، ويتمموننا بالشرك، ظانين أننا نعبد ثلاثة آلهة، إليهم نسوق الحديث بكل حب، ومودة، وعطف، قائلين: تعالوا إلى معابدنا تجدونا نعبد إلهاً واحداً، وندين بمعمودية واحدة، ونتمسك بإيمان واحد، ونضع نصب عيوننا الرجاى الواحد. ثم افتقدونا فى منازلنا، تجدوها منازل الزوجة الواحدة، والمحبة الواحدة، والوفاء الواحد، ثم جربونا فى معاملاتنا، تجدونا أصحاب اللسان الواحد، والكلمة الواحدة، والوجه الواحد، والذمة الواحدة. وإن وجدتم فى أحدنا - أوفى بعضنا - غير ذلك، فالعيب ليس فى ديننا بل فىنا، فإن لم نكن نحن ذلك، وجب أن نكون كذلك. قديماً حدثنا الحكيم عن الحكمة قائلاً: «الحكمة بنت بيتها. نحتت أعمدتها السبعة» (أمثال ١: ٩). ومها تكن ماهية الحكمة التى تحدث عنها. الحكيم، فلسنا نرى ما يمنعنا من تطبيق كلمات العهد القديم على كلمات رسول العهد الجديد. فالوجدانية المقدسة بنت بيتها ونحتت أعمدتها السبعة. وهذه الأعمدة السبعة، هى المبادئ السبعة التى نظمت الكنيسة بموجبها.

ويهمنا أن نذكر، أن الرسول لا يتحدث هنا عن الوجدانية باعتبار ما يجب أن نكون عليه، بل على اعتبار أنها حقيقة راقعة. فمناصرها السبعة

## وروح واحد

المذكورة هنا ليست مثلاً نسعى إليها ، لكنها أعمدة نبني عليها .  
أما السبعة الأعمدة التي ذكرها الرسول لهذه الوحدةانية المقدسة فهي :  
« جسد واحد ، روح واحد ، رجاء واحد ، رب واحد ، إيمان واحد ،  
معمودية واحدة ، إله وآب واحد » . ويجوز أن نجمع بين هذه الأعمدة ،  
فنكون منها ثلاثة أركان رئيسية :

الركن الأول : جسد واحد : هذا يتناول الحياة الروحية الداخلية  
والرجاء الوطيد الممتد إلى الأمام .

الركن الثاني : رأس واحد : هذا هو رأس الجسد وهو يتضمن  
العاملين اللذين يتحدانه بالجسد — الإيمان والمعمودية .

الركن الثالث : إله وآب واحد : هذا هو رأس الكل الذي منه الكل  
وبه الكل ، وله الكل ، وإليه الكل .

**عدد ٤** | الركن الأول : الجسد الواحد : « جسد واحد ، روح  
واحد ، رجاء واحد » . هذا « الجسد الواحد » هو كنيسة المسيح الغير المنظورة  
على الأرض ، الواحدة ، الجامعة (٢٢: ١) . و « الروح الواحد » هو الروح  
القدس الذي هو مصدر حياتها الروحية ومنشئها . و « الرجاء الواحد » هو  
مبعث نشاطها الخارجي . فالكنيسة الواحدة التي هي جسد المسيح على الأرض ،  
قائمة على عاملين — أحدهما داخلي ، وهو الروح الواحد القدوس الذي استقر  
فيها منذ يوم ميلادها له شهود (أعمال ٢) ، وهو المحرك الدائم لمواهب الحياة فيها .

## كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد

وثانيها : خارجي : هو الرجاء الواحد الوطيد الموضوع أمامها، وهو خير محرّض لها على الخدمة، والمثابرة، والجهاد. فالروح المحيي يدفعها من الداخل، والرجاء المحي يرفعها من الخارج : وهي كنيسة واحدة وإن انقسمت مذاهب، وتفرقت شيعاً، وتفرّعت شعبيّاً.

الروح الواحد : ذكر « الروح الواحد » بعد « الجسد الواحد »، لأن الروح القدس للكنيسة، كالروح للجسد. فالروح للجسد، قوة محيية، وحافضة، وموحدّة. فهو علة حياة الجسد، وهو حافظه من الاضمحلال، وهو موحد جميع أعضائه. فعلى رغم اختلاف كل عضو في الجسد عن الآخر، ترى كل الأعضاء مرتبطة معاً بالروح الواحد. كذلك الروح القدس هو علة حياة الكنيسة، وهو القوة المؤلفة بين جميع عناصرها المختلفة. لأنه يتحد كل الأعضاء معاً في الرأس الواحد.

الرجاء الواحد : « كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد ». يذكرنا كلام الرسول هنا عن « رجاء الدعوة » بكلامه في غرة الرسالة : « مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته ». فالؤمنون مدعوون في الرجاء، فيعملون الرجاء ويمتلكونه. وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة عينها، ولكن بصيغة أخرى، في رسالة معاصرة لهذه : « من أجل الرجاء الموضوع لكم في السموات الذي سمعتم به قبلاً في كلمة حقّ الإنجيل » ( كولوسي ١:٤ ).

هذا الرجاء واحد لجميع المؤمنين. وغايته أن يجعل كل المؤمنين رعية واحدة في بيت الله.

## ٥ رب واحد إيمان واحد المعمودية واحدة

**عدد ٥** | **الركن الثاني : الرأس الواحد : رب واحد : هذا هو**  
 رأس الكنيسة الجامعة، التي هي جسده على الأرض. فهو ملكها ومالكها،  
 ومالها. وهو رب واحد لجميع المؤمنين. فكلهم فيه متحدون، وكلهم فيه متساوون.  
 إيمان واحد : هل كلمة «إيمان» كما وردت هنا، تعني خلاصة العقيدة  
 المسيحية المشتركة بين جميع المؤمنين؟ أم هي تعني ثقة الاعتماد والاتكال والتسليم  
 التي تربط النفس بمخلصها، فتعرف بالإيمان الخلاص؟ أم هي تعني كلا  
 الأمرين؟ غالباً يقصد الرسول المعنى الثاني، لأن كلامه عن «الإيمان الواحد»  
 بعد قوله «الرب الواحد»، يدل على أنه يقصد «الإيمان الواحد» الذي هو  
 الوسيلة الروحية المشتركة، والوحيدة، التي تتحد جميع المؤمنين بالرب الواحد.  
 فالكل يقبلون إليه كخطاة، ويقبلون خلاصه المجاني.

**معمودية واحدة :** إذا كان الإيمان هو الوسيلة الداخلية الروحية  
 المشتركة التي تربط المؤمنين جمعاً بالمسيح الأ واحد، فإن المعمودية هي العلامة  
 الظاهرة الوحيدة لهذه الرابطة. فالإيمان فعل داخلي، والمعمودية ختم خارجي.  
 الإيمان صلة خفية، والمعمودية رمز علني. بالمعمودية الواحدة، يعترف كل  
 مؤمن بخطايه، ويعلم قبوله المسيح فادياً ومخلصاً.

قد تتنوع الكيفيات التي بها تمارس المعمودية: فالبعض يعتمد بالتغطيس،  
 والبعض بالرش. لكن المعمودية ذاتها واحدة، والاسم الذي يعتمد عليه الجميع  
 هو اسم الإله الواحد — «الأب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩)

## ٦ إله وآب واحد للكل الذى على الكل

**عدد ٦ | الركن الثالث: إله وآب واحد:** هذا هو النبع الأعلى للوحدانية الروحية المقدسة، وهو مرجعها النهائى . فالمعمودية تختتم الإيمان، والإيمان يتحدنا بالمسيح، والمسيح يرينا أن الآب هو « الإله الحقيقى وحده ». إن هذا الإله الواحد الحقيقى، هو آب لجميع المؤمنين، وهو رب متسلط على الكل، ومتعم إرادته بالكل، فيستخدم كل واحد بحسب استعداده ومؤهلاته وظروفه، ليجرى به قصده الأزلى، فى ذاته وفى الآخرين، ليأتى ملكوته على الأرض . وهو حال فى كل المؤمنين.

يعتقد كثير من المفسرين، وعلى رأسهم بعض الآباء الأولين، أن الثلاث العبارات الأولى فى هذا العدد، تشير إلى الثالوث الأقدس . فالله على الكل فى شخص الآب . والله بالكل — فى شخص الابن . والله فى الكل — فى شخص الروح القدس . وقد لا يخلو هذا الرأى من تحميل الكلمات معانى فوق طاقتها، سيما وأن الرسول سبق فأشار صراحة إلى الروح القدس باعتبار كونه محيى كنيسة المسيح، التى هى جسده على الأرض (عدد ٤)، وإلى الابن باعتبار كونه رأس الكنيسة ورئيسها (عدد ٥)، فمن الطبيعى أن نراه فى هذا العدد السادس مخصصاً الكلام عن الله الآب، الذى إليه مآب الكل، وكل مآب . وهو الذى حدثنا عنه الرسول عند ختام الأصحاح السابق قائلاً: « لذلك أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض » .



## وبالكل وفي كلكم . ٧ ولكن

هذه هي الوجدانية المسيحية المقدسة التي جعل منها الرسول موضوعاً لحديثه في هذا الفصل ، وهي وجدانية غريبة في مظهرها ، لأنها تجمع بين المتناقضات — فهي تؤلف بين اليوناني واليهودي ، الختان والغرة ، البربري والسكيثي ، العبد والحر . لأن المسيح رأس هذه الوجدانية وأصلها ، هو الكل في الكل ( كولوسي ١١:٣ ) .

على أن هذه الوجدانية ، وإن تكن متباينة المظهر ، إلا أنها وحدة الجوهر . فهي مؤسسة على هذه الدعائم السبع التي مرت بنا — وحدة الجسد ، وحدة الروح ، وحدة الرجاء ، وحدة الرأس ، وحدة الإيمان ، وحدة المعمودية ، وحدة الأبوة العلوية المقدسة .

هذا ما أثباته الرسول في الأعداد سائلة الذكر . غير أن هذه الحقيقة لها جانب آخر — هو الأساس الثاني لهذه الوجدانية . فإذا كان أساسها الأول وجدانية الجوهر ، فإن أساسها الثاني هو تنوع المواهب . هذا ما ينبئنا عنه الرسول في الأعداد الآتية ( ١٦ — ٧:٤ ) . فإذا كان موضوع الأعداد السابقة ( ١٦ — ٣:٤ ) وجدانية الجسد ، فإن موضوع الأعداد التالية ( ١٦ — ٧:٤ ) هو تنوع وظائف الأعضاء في الجسد الواحد . فهي وجدانية في تنوع ، وتنوع في وجدانية

عدد ٧ ( ٥ ) تنوع في وجدانية ، ووجدانية من تنوع  
( ١٦ — ٧:٤ ) . هذا باعث آخر على الاتحاد ، مبني على تنوع الهبات . وكلام

## لكل واحد منا

الرسول عنه في هذا الفصل، مشابه لكلامه في روم ١٢: ٣-٨، ١ كو ١٢: ٤-٣٠ ومطابق لكلام بطرس الرسول في ١ بط ٤: ١٠ و ١١ .

إن الموضوعات التي تناولها الرسول في هذا المسمى — ١ — النعمة الموهوبة — ب — الأشخاص الموهوبون — ج — قياس الهبة

— ١ — النعمة الموهوبة: «ولكن لكل واحد منا أعطيت النعمة» هذه نعمة معطاة من المسيح لكل واحد من المؤمنين . فما هي هذه النعمة؟ يقول الدكتور أرميتاج روبنسون: إن «النعمة» المقصودة هنا هي تلك التي تحدث عنها الرسول في الأصحاح الثالث من هذه الرسالة: «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم» (٢: ٣) ، «الإنجيل الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته» (٧: ٣) ، «لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى» (٨: ٣) .

غير أننا بمراجعة ما كتبه بولس عن «النعمة» في الثلاثة الأصحاحات الواردة ضمن هذه الرسالة — الثاني ، والثالث ، والرابع ، يتبين لنا، أن ما أراده الرسول بـ «النعمة» في كل من هذه الأصحاحات ، يختلف عما قصده بها في الآخر . فالنعمة المذكورة في الأصحاح الثاني، هي النعمة التي يخلص بها الإنسان الخاطئ : «بالنعمة أنتم مخلصون» (٢: ٥ و ٨) . والنعمة التي تحدث عنها الرسول في الأصحاح الثالث، هي النعمة التي بها تؤمن الرسول على غنى المسيح الذي لا يستقصى ، والكراسة به للأمم: «لي أعطيت هذه النعمة أن

## أعطيت النعمة حسب قياس

أبشرين الأمم بغنى المسيح الذى لا يُستقصى» (٨:٣). والنعمة الواردة في هذا الأصحاح (٧:٤) هى نعمة حلول الروح القدس في قلب كل مؤمن فيصبح بها كل المؤمنين واحداً. فالأولى مختلصة، والثانية مؤهلة، والثالثة موحدة. هذا مؤيد لما جاء في الأعداد التالية: «إذ صعد إلى العلاء... أعطى الناس عطايا... لكي يملأ الكل». وهو مطابق لكلام بطرس الرسول في عظته الخمسينية: «فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذا ارتفع يمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعون» (أعمال ٢: ٣٢ و٣٣). والمواهب التى يصفها الرسول بولس في هذه الرسالة - وفي رسائله الأخرى: كرومية وكورنثوس - هى مواهب الروح القدس.

ب- الأشخاص الموهوبون: «لكل واحد منا أعطيت». إنه

نعمة حلول الروح القدس في القلب، هى من حق كل مؤمن، بل هى بكورية كل مؤمن: «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له» (رومية ٨: ٩). «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أولاد الله» (رومية ٨: ١٤). إن أصغر المؤمنين له حق في هذه النعمة كأكبر مؤمن فياًخذ كل مؤمن حقه من هذه الهبة، على قدر طاقته واستعداده.

ج- قياس هذه الهبة: «حسب قياس هبة المسيح». إن المسيح،

رأس الكنيسة الأوحد، قد رتب لكل عضو في كنيسته عملاً معيناً، ووضع عليه مسؤولية خاصة. لكن كل مسؤولية مصحوبة بنزيرة، وكل واجب يحمل

## هبة المسيح . ٨ لذلك يقول . إذ صعد

معه وعداً بموثة تتكافأ معه . لذلك وزع المسيح هبات روحه الأقدس على كل عضو في كنيسة الحية الغير المنظورة ، كل بحسب المطالب المطالبة منه ، وعلى قياس المسؤوليات الملقاة على عاتقه من قبل رب الكنيسة وغير خاف أن الإنسان لا ينال من ملء الروح إلا على قدر إيمانه ، وطاعته ، وتسليمه ، وأمانته في استخدام المواهب التي عنده : « كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير » . على هذا المبدأ ينتفى الحسد ، لأن كل إنسان يعترف من بحر المواهب الروحية بقدر إيمانه : « افغرك فاملاؤه » . ولما نفذت الأوعية « وقف الزيت » .

هذه هي هبات المسيح الملك الذي يعطي بوفرة ، ولا يسأل عن مقدار ما يعطي .

عدد ٣	شهادة العهد القديم لهذه الحقيقة ( ٨: ٤ )
-------	--

اقتبس الرسول هذا القول من العهد القديم — وهو عبارة عن كل الكتاب المقدس المسلّم به في أيام بولس ، وإليه يشير الرسول في كلمة : « يقول » — أي أن الكتاب المقدس هو القائل ( مزمور ٦٨ : ١٨ ) . ويجوز أن نفهم أن القائل هو الله أو هو الروح القدس . هذه نبوة متعلقة بالمسيح ، مبينة العلاقة التي بين صعوده وهباته .

يرسم هذا القول أمامنا صورة ملك ظافر ، استولى على قلعة منيعة فغزاه منها غزواً ، وغنم منها غنماً . ثم عاد بموكبه الظافر متبوعاً بغانمهم ، محفوفاً

## إلى العلاءسبى سدياً وأعطى الناس

بمن كسب . وتتمة هذه النبوة — كما وردت على لسان داود في قوله: «قبلت عطايا بين الناس» — تهيء أن الإشارة منصرفة إلى الجزية التي تقدم للملك الظافر ممن ظفر بهم فعلاً ، أو إلى الهدايا التي توضع عند موطن قدميه ، ممن يترضون وجهه ( ١ كو ١٥: ٢٥ و ٢ كو ١٠: ٣-٥ ) .

استطاع الرسول بولس بنور الوحي والإلهام ، أن يطبق هذه النبوة القديمة على صمود المسيح ونواله موعد الروح القدس ، وإيها بهبة الروح لكل مؤمن متحد به اتحاداً حيويًا . ومع أننا نلاحظ أن بين هذه النبوة القديمة وبين التطبيق الرسولي لها ، شيئاً من التباين ، إلا أنه لا يتعدى التفاصيل العرضية ، وأما جوهر التشبيه فهو واحد: إن المسيح ملك ظافر كسر شوكة الموت وارتفع إلى السماء ظافراً بالرؤساء والسلاطين ، وإذا ارتفع يمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب ، سكب من روحه الأقدس على كل عضو من أعضاء كنيسة ، نصيباً فعلاً حسب قياس مشيئته الحرة المطلقة ، حال كونها صالحة ومرضية وكاملة .

قد يلاحظ الباحث شيئاً من التباين اللفظي بين الصيغة التي وردت بها هذه الحقيقة في العهد القديم ( مز مور ٦٨: ١٨ ) ، والصيغة التي أفرغها فيها بولس في هذه الرسالة — فمثلاً جاء في المزمور : « قبلت عطايا بين الناس » مقابل قول الرسول : « أعطى الناس عطايا » . فحاول المفسرون أن يوفقوا بين الصيغتين ولعل أفضل ما قيل بهذا الصدد : إن المرتم ذكر الأمر الواقع — وهو قبول العطايا . وأن الرسول ذكر غاية هذا الأخذ — وهو إعطاء الناس . لأن العطايا

عطايا . ٩ وأما أنه صعد فما هو إلا إنه

لا تؤخذ إلا لتعطى ، ولا تكسب إلا لتوهب . فالملك الظافر يوزع الغنائم  
التي يأخذها . فهو إنما يأخذ ليعطى .

ولا يغرب عن البال ، أن كلام الرسول هنا يصف المسيح في صله  
الفدائي كوسيط ، لا في لاهوته . إذ في هذه الصورة يرسم القادي أمامنا  
ملكاً كاهناً ، وكاهناً ملكياً . وعلى هذه الصورة المجيدة أراق الرسول نوراً  
باهرآ في العديدين التاليين .

**عدد ٩ و ١٠ | المسيح واهب العطايا ، هو الباسط نفوذه**

على جميع العالمين : كل صعود يفترض النزول أولاً . فصعود المسيح يفترض  
نزوله . وعلى قدر الصعود تكون درجة النزول السابق له . فكما أن المسيح  
في ارتفاعه ، قد ارتقى فوق السموات ، فهو أيضاً في اتضاعه قد نزل إلى أقسام  
الأرض السفلى ، فهو إذاً باسط نفوذه على كل العالمين ، فلا يخلو من حضوره  
مكان مهما تكن درجة سموه ، ولا يبرح نفوذه مكاناً ، مهما يكن درك تنازله .  
هذا هو المسيح الملك الجليل الصفات ، الذي تنازل في اتضاعه حتى بلغ « أقسام  
الأرض السفلى » ، وارتقى في صعوده إلى ما « فوق جميع السموات » . فالأرض وما  
دونها ، والسموات وما فوقها ، وكل ما هو كائن بين هاتين المسافتين الشاسعتين ،  
داخل ضمن دائرة نفوذه هذا الملك العظيم . فهو ليس رأس الكنيسة وكفى ، بل  
هو أيضاً مالى كل العالمين ، ومالك إياها ، ومالك عليها . هذه خلاصة الإنجيل

نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى . ١٠ الذى نزل هو  
الذى صعد أيضاً

— ١ — مبلغ اتضاع المسيح : « نزل إلى أقسام الأرض السفلى » .

تباينت أقوال المفسرين فى معنى هذه العبارة : فيرسون يعتقد أن العبارة فى وضعها اليونانى تعنى حرفياً : الأقسام السفلى — أى الأرض . بمعنى أنه الأرض هى بالذات الأقسام السفلى ، بالقياس إلى السماء التى هى الأقسام العليا . ويستند فى رأيه هذا إلى ما جاء فى إشعياء ٤٤ : ٢٣ « ترعى أيتها السموات ... اهتنى يا أسافل الأرض » . ولكن أصحاب هذا رأى قليلون ، لأنه مبنى على تحميل الكلمات معانى فوق احتمالها .

ويعتقد بعض المفسرين أن « أقسام الأرض السفلى » تعنى القبر ، بدليل ما جاء فى مزمور ٦٢ : ٩ « أما الذين هم للهلاكه يطلبون نفسى فيدخلون فى أسافل الأرض » — أى فى القبر . فالإشارة منصرفه إلى موت المسيح ودفنه فى القبر . هذا آخر درك تنازل إليه المسيح فى اتضاعه : « وأطاع حتى الموت » ، « لن تترك نفسى فى الهاوية » .

ذهب كثير من المفسرين ، وعلى رأسهم الآباء الأولون ، إلى أن هذه العبارة . « نزل إلى أقسام الأرض السفلى » تشير إلى حمل معين قام به المسيح فى « العالم الأسفل » ، منقذاً أرواح قديسى العهد القديم من سجن الأرواح « لمبوس » ، الذى كانوا فيه محروسين ، فى انتظار أتمام الفداء . وفى اعتقادنا أن رأى الثانى هو أقربها إلى الصواب ، ويليه الأول . وأبعدها الأخير .

## فوق جميع السموات لكي يملأ الكل . ١١ وهو

— ب — أوج ارتفاعه: «فوق جميع» (\*) السموات — هذه العبارة تعني أرفع مكان وأسمى مكان «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة» (٢١: ١) «فوق كل اسم» (فيلبى ٢: ٩)، فوق كل البرايا المنظورة والغير المنظورة «سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين» (كولوسى ١: ١٦) — ج — غاية اتضاع المسيح وارتفاعه: «لكي يملأ الكل». تحتل هذه العبارة معنيين: أولهما: لكي يملأ المسيح كل حين بحضوره، وسلطانه، ومجده. وثانيهما: لكي يتم قصد الله ومشيئته في كل الأشخاص وبهم، وفي جميع الأشياء وبها. هذا رأى الدكتور ارميتاج روبنسون. لكن أغلب المفسرين يميلون إلى الرأى الأول، على اعتبار أن المسيح يملأ الكل بحضوره روحياً لا جسدياً.

### تنوع المواهب ووحدة الغاية (١١: ٤ — ١٦).

بعد أن عالج الرسول ذلك الاقتباس المأخوذ من سفر المزامير، الذى يعتبر إنجيلاً مركزاً، شاهداً بكلمات قوية موجزة، لصلب المسيح وآلامه، وموته، ودفنه، وقيامه، وصعوده، وإرساله الروح القدس، عاد إلى كلامه الذى تركه فى العدد الثامن، مستأنفاً الحديث عن تنوع هبات المسيح الملك الظافر. ينقسم هذا الفصل إلى أربعة أقسام رئيسية:

\* تحدث معكم اليهود قديماً فى تلوذهم عن مماتين، و سبع سموات. وحدثنا بولس نفسه عن ثلاث سموات (٢ كو ١٢: ٢)، إشارة إلى محضر الله. والمراد بقوله: «فوق جميع السموات» ان المسيح استوى على المرش فوق كل الكائنات



## أعطى

أولاً تنوع هذه المواهب ( ١١:٤ )

(١) الرسولية ( ١١:٤ )

(٢) التنبؤ ( ١١:٤ ب )

(٣) التبشير ( ١١:٣ ج )

(٤) الرماية والتعليم ( ١١:٤ د )

ثانياً المقصد من هذه المواهب ( ١٢:٤ )

(١) تكميل القديسين ( ١٢:٤ )

(٢) عمل الخدمة ( ١٢:٤ ب )

(٣) بنيان جسد المسيح ( ١٢:٤ ج )

ثالثاً : الغاية القصوى من هذه المواهب ( ١٣:٤ )

(١) الإيمان الكامل : « وحدانية الإيمان » ( ١٣:٤ )

(٢) المعرفة الشاملة : « معرفة ابن الله » ( ١٣:٤ ب )

(٣) التبني : « إلى إنسان كامل » ( ١٣:٤ ج )

(٤) القياس الأعلى : « قياس قامة ملء المسيح » ( ١٣:٤ د )

رابعاً : كيفية البلوغ إلى هذه الغاية ( ١٤:٤ - ١٦ )

(١) سلباً :

أ - عدم الاضطراب : « لا نكون أطفالاً مضطربين » ( ١٤:٤ أ )

ب - عدم الانصياع : « محمولين بكل ربح تعليم » ( ١٤:٤ ب )

ج - عدم الانخداع : « بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة » ( ١٤:٤ ج )

(٢) إيجاباً :

أ - الصدق في المحبة ( ١٥:٤ )

ب - النمو المتكامل ( ١٥:٤ ب )

ج - التعاون المتبادل ( ١٦:٤ )

## البعض

**عدد ١١ | أولاً : تنوع هذه المواهب الروحية (١١:٤)**

(١) الرسولية : «رسلاً» — (١١:٤ أ)

(٢) التنبؤ : «أنبياء» — (١١:٤ ب)

(٣) التبشير : «مبشرين» — (١١:٤ ج)

(٤) الرعاية والتعليم : «رعاة ومعلمين» (١١:٤ د)

من الجائز أن نعتبر الفصل المبتدئ بالعدد التاسع والمنتهي بالعدد السادس عشر مفسراً وموضحاً للعدد الثامن. وبالرجوع إلى ذلك العدد، يتبين لنا أنه يتضمن شطرين — أولهما : عن صعود المسيح : « إذ صعد إلى العلاء سبي سبياً ». والثاني عن هبات المسيح : « وأعطى الناس عطايا ». فالشر الأول المتعلق بصعود المسيح قد شرحه الرسول وأوضحه في العددين : التاسع والعاشر. وها نحن نرى الرسول يشرح الشر الثاني المتعلق بهبات المسيح، في هذا الفصل الذي أمامنا (١١:٤-١٦). فالمسيح هو الذي صعد، والمسيح هو الذي أعطى. فالملك الظافر هو الملك الواهب.

وجدير بالملاحظة، أن هبات المسيح ليست مذكورة هنا مجردةً في ذاتها، بل متصلة بالأشخاص الذين تقلدوها ولبسوها بعد أن لبسهم هي : «رسلاً أنبياء، مبشرين، رعاة ومعلمين». مع أن الرسول نفسه ذكر مثل هذه الهبات مجردة بذاتها في رسالته إلى رومية : « نبوة، خدمة، تعليم، وعظ » (رو ١٢: ٦-٨). لأن فكر الرسول في رسالة أفسس كان متجهاً إلى الأعضاء

## أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء

الذين تمثلت فيهم الهبات، لكنه في رسالته إلى رومية كان متوجهاً إلى الهبات التي تزين الأعضاء. كذلك أيضاً في ١ كور ١٢: ٢٨ ذكر الصفات متمثلة في الأعضاء، «وضع الله أناساً في الكنيسة: أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين»

(١) الرسولية: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً». الرسل هم تلك الطغمة الخاصة التي أهلها الله بمؤهلات خاصة، لتضع بناء الكنيسة على الأساس الأوحيد - يسوع المسيح. فصاروا هم، على نوع ما، أساساً للكنيسة في خدمتهم، ورسائلهم، وتعليمهم. «والرسل» بحصر اللفظ، هو شخص عاين المسيح بعد القيامة، وشهد لقيامته، وتعين لهذه الوظيفة منه رؤساء، وأعطى قوة على إتيان معجزات. هذه وظيفة خاصة لم يسمح الله لكل إنسان بأن يتقلدها، بل مئز بها «البعض». وهي رتبة ذهبت بذهاب العصر الرسولي. غير أن بعضاً ممن حملوا رسالة الإنجيل إلى بلاد نائية قاحلة، فاقتحموا في سبيلها الأهوال، مستعذبين العذاب، مستطيين الاضطهاد، أمثال لفستون، وتشالمس، وهنري مارتين، هؤلاء يحملون «الرسالة» في العصور الحديثة.

(٢) التنبؤ: «وبعض أنبياء» (١١: ٤ ب). هؤلاء قوم ذوو بصائر نيرة يعلن لهم الله إرادته بإلهام خاص، ليعلموها هم للآخرين. والنبوة في العهدين - لا تعنى بالضرورة التنبؤ بالمستقبل، بل قد تكون مقصورة على التعليم بحكمة وسلطان. وقد جاء في كتاب أثرى جليل، عنوانه: «تعاليم الإثني عشر»: أن الأنبياء في العهد الجديد، كانوا امتجولين يفتقدون بعض الكنائس في تجوالهم ويبلغون كل كنيسة رسالتها في حينها. وكان بعضهم مستقراً في بعض

## والبعض مبشرين

الكنائس يعيشون من تقدماتهم. وكانوا يرأسون خدمات الكنيسة الخاصة بالشكر، بسلطان خاص، غير موهوب لسواهم من بعد الرسل. وكانوا في أيام يوستينيان الشهيد يلقبون بـ «رؤساء الكهنة». وكانت أشخاصهم مرفوعة فوق كل اعتبار حتى أن من تصدى لهم بنقد أو حكم، يعتبر كمن أخطأ إلى الروح القدس. وجاء في كتاب: «راعى هرماس» أن من أهم مؤهلات هؤلاء الأنبياء أن يكونوا متصفين بالوداعة التامة، منزهين عن حب المال، يترفعون عن أن يتنبأوا إجابة لإستشارة أو رداً على سؤال. وكان النبى معتبراً مأموراً «بملاك روح النبوة». والظاهر أن هذه الرتبة انقرضت بعد انقراض رتبة الرسولية. وهى تليها مباشرة فى المقام.

(٣) التبشير: «والبعض مبشرين» (١١:٤ ج). الظاهر أن الرسول ذكر هذه المواهب بحسب ترتيبها فى الدرجة والمقام. فالرسول أولاً، ثم النبى، ثم المبشر، ثم الراعى المعلم. هذا الترتيب يخالف العرف المصطلح عليه فى أيامنا، الذى به يحسب المبشر أدنى من الراعى مرتبة، وأحط منه مقاماً، لدرجة أن هذه الوظيفة أضحت موقوفة على من لم تقدم له دعوة، رعية، أو على من كان راعياً فأخفق. لكن ليس هذا عرف الكتاب. فالمبشر أولاً ثم الراعى. المبشر يقطع الحجر والمعلم يصقله. المبشر يضع الأساس، والراعى يقيم البناء. المبشر هو المنادى بالأخبار الطيبة المفرحة. فهو فى عمله حاصل رسالة. كدت أقول رسولا. هو فاتح الطريق أمام الراعى. هو سفير المسيح فى البلاد النائية. قد لا يخاطب الجماهير كبطرس، لكنه يأتى بالأفراد كما فعل

## والبعض رعاة

اندرائوس . هو صوت الكنيسة صارخاً في قلب العالم . هو المنادى الناس  
بضرورة المصالحة مع الله .

بالرجوع إلى الأصل اليوناني لكلمة «مبشر» ، يتضح لنا أن هذه الكلمة  
وردت ثلاث مرّات في العهد الجديد — هنا ، وفي أعمال ٢١ : ٨ ،  
٢ تيموثاوس ٤ : ٥ . ولعل أقرب كلمة إليها في الوقت الحاضر — هي كلمة : «مرسل»  
وهي ليست وظيفة محلية ، لكنها خدمة عامة . فالرسول الحقيقي مبشر ، والنبي  
الحق مبشر ، والراعي الأمين مبشر . وإلى هذا السبب غالباً ، يعزى حذفها من  
قائمة الوظائف والرتب الواردة في ١ كورنثوس ١٢ .

(٤) الرعاية والتعاليم : «والبعض رعاة ومعلمين» (٤ : ١١ د) . غالباً ما تمسّح  
هاتان الكلمتان عن وظيفة واحدة تقلدها شخص واحد ، كما يستفاد من  
صيغة العبارة في الأصل اليوناني : إن عمل المبشر لازم للكنيسة ، وربما كان أرم  
من عمل الراعي . إذ يسهل على المرء أن يذهب في رحلة تبشيرية وينادي برسالة  
الإنجيل في بضع ليالٍ ، ثم يمتضى إلى حال سبيله . ولكن من الصعب على المرء  
أن يستمر في مكان واحد مقابل ذات الوجوه الواحدة ، والعقول الواحدة ،  
والقلوب الواحدة ، وينادي لها بكلمة الله الواحدة . فإلم يكن هو نائماً في العقل ،  
وفي القلب ، وفي الروح ، فإن رسالته تصبح جافة جامدة ، لأن عقول الآخرين  
تنمو باضطراب ، ونفوسهم تتسامى باستمرار ، فهم في حاجة إلى معلم يخرج من  
كنزهم جذراً وعتقاء لأبناء الملكوت . سهل على المرء أن يخطب في الجماهير  
ثم ينصرف . لكن من الصعب على المرء أن يواجه الناس فرداً فرداً فيعرف

## ومعلمين ١٢ لأجل تكميل القديسين

ظرف كل فرد على حدة، ويعالجه بمبضع الطبيب، وحنو الأم، وعطف الأب، وصداقة الأخ، وتضحية الصديق الحبيب - هذا هو عمل الراعى الصبور. قد يكون عمل المبشر شبيهاً بإطلاق الشهب في الأعياد، لكن عمل الراعى هو حمل مصباح صغير، والسير به في الزوايا والطرق مفتشاً عن العقول المظلمة لينيرها، والقلوب الضالة ليهديها، والأيدى المرتعشة ليعضدها، والركب المخلمة ليسندها ويقوّيها. «ومتى ظهر رئيس الرعاة ينال الكليل المجد الذى لا يبلى» عبيثاً تنتظر الكنيسة اجتماع كل هذه المواهب فى شخص واحد. فمع أن شخصاً كبولس جمعها معاً، إلا أنه لم يوجد سوى بولس واحد فى تاريخ الكنيسة (أعمال ٢٠: ٢٨). (اطلب يوحنا ١٦: ١٦، ١ بطرس ٥: ٢ و ٣ لوقا ١٧: ٧، متى ٢٥: ٣٢، ٢٦: ٣١، يوحنا ١٠: ١١، عبرانيين ١٣: ٢٠، ١ بطرس ٢: ٢٥، ٤: ٥، متى ٦: ٢، أعمال ١٣: ١، ١٥: ٣٥، رومية ١٢: ٧) ١ كورنثوس ١٢: ٢٨ و ٢٩، ١ تيموثاوس ٣: ٢، ٢ تيموثاوس ٢: ٢٤

## | عدد ١٢ | ثانياً: القصد من هذه المواهب (١٢: ٤)

هذه جملة مؤلفة من ثلاثة مقاطع: «لأجل تكميل القديسين»، «لعمل الخدمة»، «لبنیان جسد المسيح». المقطع الأول مهمّ للثانى، والثانى إعدادى للثالث. فالقصد الأسمى هو بنیان جسد المسيح عن طريق عمل الخدمة التى يتجهز لها كل مؤمن بالمواهب العلوية: الكلمة المترجمة «تكميل» وردت هنا فقط بصيغة المصدر. لكن الفعل المشتق منها، ورد فى

## لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح ١٣ إلى أن

حتى ٤: ٢١ ومرفس ١٩: ١ بمعنى «إصلاح» و«ترميم» الشباك. وفي غلاطية ١: ١٦ بمعنى «إصلاح» المرتد. وفي عبرانيين ١٣: ٢١ بمعنى «يكتمل» في كل عمل صالح، وفي ٢ كورنثوس ١٣: ١١ و ١ بطرس ٥: ١٠ بمعنى «التكميل» بوجه عام. والمراد بها في العدد الذي نحن بصدده: إعداد القديسين — أي المؤمنين — وتجهيزهم لعمل الخدمة. فإذا عمل الخدمة، هو من نصيب كل مؤمن. وكل مؤمن يقصر في هذا الباب يحسب ناقصاً. إن «الكمال» المقصود هنا هو كمال البلوغ، أو إكتمال النمو الناتج عن الامتلاء بالمواهب. إن القصد الأسنى من تكميل القديسين لعمل الخدمة هو «بنيان جسد المسيح». كذا نتوقع أن يقول الرسول: إن الغاية القصوى هي «خلاص النفوس الهاكية»، أو «ربح العالم للمسيح»، لكن فكر الرسول منصرف في هذه الرسالة إلى الكنيسة لا إلى العالم. ومما يلفت النظر أن الرسول استعمل في هذه العبارة مجازاً مركباً فقال «بنيان جسد المسيح» بدلاً من قوله «نمو جسد المسيح». فكأنه نظر إلى جسد المسيح نظرتة إلى هيكل. وهكذا فعل عندما قال في مناسبة سابقة «ينمو هيكل» (٢: ٢١) إذ نظر إلى الهيكل كأنه جسد حي نام فالجسد بناء وكل عضو فيه حجر حي، والهيكل جسد حي وكل حجر فيه عضو عامل! هذه هي كنيسة المسيح.

**عبد ١٣ | ثالثاً: الغاية القصوى من هذه المواهب (٤: ١٣)**

في غرة هذا الأصحاح، تكلم الرسول عن الوحدة باعتماد كونها هبة

## ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان

ثمينة يجب أن نحرس عليها : مجتهدين أن نحفظوا وحدانية الروح» (٣:٤) لكنه يتكلم هنا عنها باعتبار كونها غاية يجب أن ننتهى إليها: «إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان». هنالك تكلم عن «وحدانية الروح»، وهنا يتكلم عن «وحدانية الإيمان». فالوحدانية التي علينا أن نحرس عليها هي وحدانية روحية، قائمة بين المؤمنين، ما داموا هم مقيمون معاً في الروح الواحد: لكن الوحدانية التي يجب أن نسعى إليها كهدف مقدس، لا تتحقق لنا إلا بمعرفة ابن الله والنمو المضطرد في معرفته. فإن كنا الآن واحداً في الروح، فسوف نعرف في النهاية، معرفة يقينية اختبارية: أننا في المسيح. هذا عدد غزير بالمعاني — كالبحر الطامي، تهب أمواجه بغضها فوق بعض، وكنجم غنى تتجمع كنوزه بعضها فوق بعض، وكجبل عال أشم ترتفع قممه المسنمة بعضها فوق بعض: «إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله» — هذه قمة عالية تعقبها قمة أخرى رفيعة: «إلى إنسان كامل» — وفوقهما تمتد أعلى القمم وأسمائها: «إلى قياس قامة ملء المسيح».

ما أقوى ساعديك يا رسول الأمم، وما أثبت قدميك! فلقد بلغت قمماً على جبال المعلنات الإلهية، لم يبلغ مثلاًها المستكشفون في عالم الطبيعة أو تلك عجزوا عن أن يرتقوا قمة «أفرست»، وأنت قد بلغت في معلناتك درجة سامية رفيعة، فأسمعنا شيئاً عن «قياس قامة ملء المسيح».

القمة الأولى: وحدانية الإيمان بابن الله ومعرفته: «إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله». من هذا يتبين لنا أن المواهب



## ومعرفة ابن الله

الروحية والوظائف الكنسية ، ليست غاية في ذاتها ، لكنها وسيلة لغاية ، ومتى تحققت الغاية ، بطلت الوسيلة — هذه الغاية هي البلوغ إلى وحدانية الإيمان بابن الله ومعرفة .

قد يرى لنا لأول وهلة ، أن في كلام الرسول هنا شيئاً من الغرابة — إذ كيف يكون الإيمان والمعرفة غاية الغايات ، حال كونها من بسائط الأوليات في المسيحية ؟ أليسا هما أول باب في هيكل المسيحية ؟ فكيف يحسبها الرسول غاية قصوى ؟ على أن هذه الغرابة تزول وتنتفي متى ذكرنا أن الإيمان على درجات ، وكذلك المعرفة . فالإيمان المقصود ، هو إيمان الثقة التامة اليقينية المسلمة . والمعرفة المقصودة هنا هي المعرفة الاختبارية الكاملة ، الشاملة ، الملمة بالدقائق هذا الإيمان الوطيد الوثيق ، وهذه المعرفة الروحية الشاملة الكاملة هما الهدف الأسمى أمام الكنيسة ، وهما غاية الغايات في «الوحدانية الروحية المقدسة» . أما الإيمان الضعيف المبتور ، والمعرفة الناقصة الموتورة ، فهما في الغالب علة الانقسام وبليلة الأفكار ( اطلب رومية ١ : ١٤ — ١٥ : ٧ ) . فكما أن الثمرة الناضجة تكون لذيذة للفم مغذية للجسم ، والثمره الفجة مرة المذاق مؤذية للجسم ، كذلك الإيمان الوطيد والمعرفة الناضجة ، هما غاية الوحدانية ، والإيمان الناقص والمعرفة الضئيلة هما علة الانشقاق . الإيمان الضعيف كالنبته الضعيفة تميل مع كل ريح . والمعرفة الناقصة ترى جانباً واحداً فقط وتستمسك به فتخطئ . كل من يرى غير ما ترى . ومن هنا ينشأ الانقسام .

موضوع هذا الإيمان الكامل وهذه المعرفة الشاملة : «ابن الله» .

## إلى إنسان كامل

حرى بالاعتبار، أن هذه هي المرة الوحيدة، التي ذكر فيها فادينا بهذا اللقب الممتاز في هذه الرسالة. فلا بد أن يكون لدى الرسول قصد معين من ذكره هذا اللقب الجليل، سيما وأنه ذكر كلمة «المسيح» مرتين في هذه المناسبة — الأولى في آخر عدد ١٢ والثانية في آخر عدد ١٣. كذلك فعل بولس في رسالته إلى غلاطية ٢: ٢٠ «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في». فـ «أحياه الآن في الجسد» إنما أحياه في الإيمان — إيمان ابن الله الذي احببني وأسلم نفسه لأجلي». فالذي صلب لأجل بولس، والذي يحيا في بولس، هو المسيح. لكن موضوع إيمان بولس ومحبه هو «ابن الله». فقد استعمل لقب «ابن الله» إظهاراً لجلال شخص المسيح واجلالاً لتضحيته وعظمة مجده (يو ١٧: ٥). وكذلك في هذا العدد الذي نحن بصددده، حين أراد الرسول أن يبين صلة الفادي بالكنيسة، وصفه بقوله: «المسيح». ولكن حين أراد أن يتكلم عنه باعتبار كونه موضوع معرفة المؤمنين وإيمانهم، وصفه بقوله: «ابن الله»، تعبيراً عن جلال مجده وصحوصلته بالآب، وعظمة شخصه الذي جعل المؤمنين واحداً في العائلة الواحدة المقدسة التي يرأسها الآب.

القمة الثانية: البلوغ: «إلى إنسان كامل». يراد بهذا التعبير أن جميع المؤمنين ينمون معاً في الإيمان والمعرفة، كأعضاء حية في جسم حي نام، فيكوثون كلهم معاً — في النهاية — إنساناً واحداً بالفاحد الرجولة الكاملة. فعلى كل مؤمن حي أن يخرج من دائرة ذاته الضيقة الناقصة، متوجهاً في نموه

## إلى قياس قامة ملء المسيح .

نحو الآخرين، ليكونوا إياهم رجلاً واحداً، على اعتبار أن دور الطفولة قدمضي وانقضى . والملاحظ، أن الرسول، في هذا العدد، شبه جسد المسيح - الذي هو كنيسته - بجسم بشري ينمو من الطفولة إلى الرجولة .

**القمة الثالثة : القياس الأعلى :** « إلى قياس قامة ملء المسيح » . هذا هو أعلى قياس موضوع أمام الكنيسة تسعى إليه أبداً الدهر . فهو يرتقى فوقها وهي تسعى إليه ، فيكون لها أقوى حافز على النمو، وأشد بقاءً على التقدم ، وافعل منشط على الارتقاء : « قياس قامة ملء المسيح » .

لا يفوتنا أن الرسول ذكر في موضع سابق من هذه الرسالة : أن الكنيسة هي « ملء المسيح » ، إذ قال فيها أنها : « ملء الذي يملأ الكل » ( ٢٣ : ١ ) . لكن « ملء المسيح » هنا هو أكثر من الكنيسة وأعلى منها وأوفى ، بمقدار تفوق الرأس على الجسد ، وعلوه فوقه ، وسيادته عليه . هو مجد المسيح الغنى الكامل الذي سيعلم عند إتمام آخر مرحلة في برنامج انقضاء . فهو إذاً اكتمال غنى مجد المسيح العتيد .

إن هذا التعبير « ملء المسيح » يذكرنا بتعبيرين آخرين ذكرهما الرسول في رسالتين أخريين - أحدهما . « ملء الأمم » ( رومية ١١ : ٢٥ ) والثاني : « ملء الزمان » ( غلاطية ٤ : ٤ ) . ويلاحظ الدكتور موليه أن ملء المسيح هو ملء الرأس والجسد معاً ( ١ كورنثوس ١٢ : ١٢ ) . فملء الرأس ، في كمال الجسد ، وملء الجسد ، في كمال الرأس ( أطلب شرح ٢٣ : ١ ) .

## ١٤ كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين

رابعاً: كيفية البلوغ الى هذه الغاية : ( ١٤:٤ - ١٦ )

**[ عدد ١٤ | (١) سلباً عدم التصاغر ( ١٤:٤ ) ]**

ثار شيء من الجدل بين بعض المفسرين حول الكلام الذي يُعتبر هذا العدد مكملًا له. وفي اعتقادنا أنه يتصل رأساً بالعدد الحادي عشر: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً...» ... «كي لا نكون في ما بعد أطفالاً». هذا هو الجانب السلبي من القصد الإلهي بهذه العطايا. في رسالة أخرى نصيح الرسول المؤمنين «أن لا يكونوا أولاداً في أذهانهم بل أولاداً في الشر» (١ كو ١٤: ٢٠). إذ آمن الجائز للمؤمنين، بل من الواجب عليهم، أن يكونوا أطفالاً — ولكن في الشر والمكر والخداع. ولكن لا يليق بهم أن يكونوا أولاداً في عدم النضوج، والانصياع، والانخداع فإن كان من الواجب عليهم أن لا ينخدعوا أحداً، فمن أوجب الواجبات عليهم أن لا ينخدعوا بأحد. وقد انتهى الرسول إستعماريين في وصف الأطفال وسرعة تقلبهم: الاستعارة الأولى: قوله «مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم» — وفيها يتمثل الأطفال كسفينة تعبث بها الأمواج وتتقاذفها الرياح — وهي مهائلة للاستعارة الواردة في رسالة يعقوب: «المرتاب يشبه موجاً من البحر تخططه الريح وتدفعه» (يعقوب ١: ٦). والاستعارة الثانية مبيّنة في قوله: «بحيلة الناس يعمرون إلى مكيدة الضلال» — وفيها تتمثل بعض لاعبي النرد، الذين يحتالون على زهر النرد فيمسكونه بطريقة احتيالية ليضربوا به أرقاماً معينة.

## بكل ريح تعليم بحيلة الناس

فالْمُؤْمِنُونَ النَّاظِحُونَ ، يجب أن يكونوا رجالاً بالغين راسخين ، لا أطفالاً كثيرى القلب : رجالاً أقوياء التأثير ، لا صبيانين سريعى التأثير . يجب أن يكونوا أعمدة راسخة لا ريشة طائرة فى مهب الريح . حكماء يزنون الحقائق ويمتحنون الأرواح ، فيستميئون فى سبيل الحق ، لا جهلاء يستميلهم خداع الناس بمكر يفضى بهم إلى مكيدة الضلال .

فما أقوى الشرير وما أوسع حيل أعوانه و جنوده ! . لأنهم يطلقون « التعاليم » المفسدة فى الجو ، كأنها « إنجيل آخر » ، ليستميلوا بها صغار العقول وضعاف البصائر ، محتالين عليهم بكل خداع ممكن ، بقصد إيقاعهم فى مكيدة الضلال .

« التعليم » المقصود هو عقيدة منحرفة عن جادة الحق ، يراد بها إغراء العقول ، والعبث بالآفهام ، وإفساد القلوب ، وتدنيس الحياة . إن هذا « التعليم » الذى هو غالباً مزيج من الحق والباطل — وشر الكذب ما كان ظاهره صدقاً — هو الذى يجعل ضعاف العقول وهزيلي القلوب ، مثلما تحمل الرياح السفينة . ومتى لاحظنا أن الكلمة المترجمة « محولين » هى من ذات اشتقاق الكلمة التى وصف بها لوقا الطبيب أحد الاختبارات التى اجتازها بولس الرسول فى إحدى رحلاته : « ونحن نحمل تائبين » (أعمال ٢٧: ٢٧) ، اتضح لنا أن بولس يتكلم هنا فى عالم الروحيات ، مستعيراً اختباراً مرَّ به فى عالم الماديات . وهكذا ينتفع الرسول بكل ما مرَّ به ، ويسخر لخدمة الإنجيل كل اختباراتِه .

## بمكر إلى مكيدة الضلال . ١٥ بل صادقين

الكلمة المترجمة : « حيلة » كانت تستعمل عند الإغريق في ألعابهم وتسلياتهم غير البريئة، ثم نقلها عنهم اليهود الرايون واستعاروها في آدابهم. ويقول إليكوت إنها تحمل معها جواً مفسداً مفعماً بتيارات التعاليم الشريرة. وكلمة « مكر » تنطوي على التحفز لعمل أى شيء، بصرف النظر عن المبدأ القويم، وبغير اعتبار للحلال أو الحرام، مادام يؤدي إلى بلوغ الغرض الغير الشريف، الموضوع نصب عينى الخادع، المفترى، المضل.

أما قوله : « مكيدة الضلال »، فلم يرد في العهد الجديد سوى مرة غير هذه (١١: ٦)، وقد ترجم هنالك إلى : « مكيدة إبليس ». وهو يصور لنا ذلك المجرب وأساليبه في حبك الحيل، ونصب الفخاخ، - الله يوقع فيها أبناء النور، إذا استطاع ذلك سبيلاً، وهيهات ! !

وواضح أن الرسول لم يقصر همه على الضلال الفكرى، بل تعداه إلى الانحراف الخلقى أيضاً.

عدد ١٥ و ١٦ | (٢) إيجاباً : النمو التصاعدي المنسجم

« في المحبة » - بهذه العبارة يستهل هذا الفصل العزيز الشامل، وبها أيضاً يختتم. وماذا - بل ومن - غير المحبة يصلح لأن يكون مطلع استهلال، وحسن اختتام ؟! « بل صادقين في المحبة ننمو... » يحتمل نمو الجسد لبنياته في المحبة.

يرأى لنا، من دراسة هذين العديدين، أن النمو الروحي شبيه بهيكل

## في المحبة

- حتى ، له مقاييس وأبعاد ، وعلى هذا الاعتبار تقسم هذين العددين إلى :
- ١- عمق النمو : « صادقين في المحبة »
  - ٢- عرض النمو : « تنمو في كل شيء »
  - ٣- علو النمو : « إلى ذلك الذي هو الرأس ، المسيح »
  - ٤- ناموس النمو : « الذي منه كل الجسد مركباً معاً »
  - ٥- درجة النمو : « حسب عمل ، على قياس كل جزء »
  - ٦- وحدانية النمو : « يحصل نمو الجسد »
  - ٧- تاج النمو : « لبنياته في المحبة »

١- عمق النمو : « صادقين في المحبة » . الكلمة اليونانية المترجمة «صادقين» تعني «حقيقيين» أي متمسكين بالحق ، ومتبعين إياه ، ومعترفين به وعاملين بموجبه . وللمفسرين رأيان في تفسير العبارة : «صادقين في المحبة» . فالفريق الأول يرى أنها تعني التسكلم بالحق بروح المحبة ، أي في حالة ما إذا شجر خلاف في الرأي بين شخصين - أو فريقين - من المؤمنين ، وكان كل منهما يعتقد أن الحق في جانبه ، فليعبر عن وجهة نظره بصراحة ، ولكن بروح المحبة . ليقل الحق مجرداً عن كل تمويه ، ولكن معتزلاً بروح المحبة (\*) . لأن النطق بالحق بروح البغضاء والمدوان ، يشوه الحق ويشوش على المناداة بالحق ، ويجعل الحق ثقيلًا ، مكروهاً ، فينصرف الناس

(\*) هذا هو المعنى الذي اتخذ المشيخيون الأمر يسيرون شعاراً لهم عندما انقسموا إلى «مشيخين» ، و «مشيخين متعدين»

## نمو في كل شيء

عنه بدلا من أن يقبلوا إليه . إذ من الصعب جداً ، بل من المحال ، أن نحاول إقناع شخص بمانعة قدمه حقاً ، ما لم نقنعه أولاً بأننا نحترم رأيه ونحب شخصه . فلا نلس أن الذي قال : « مستعدين دائماً للجأوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم » ، قدم هذه العبارة بقوله : « قدسوا الرب الإله في قلوبكم » وأردفها بالقول : « بوعاءة وخوف » ( ١ بطرس ١٥:٣ ) .

ويرى الفريق الثاني أنها تعنى : « الصدق في المحبة » ، أى أن تكون محبة المؤمن لأخيه صادقة ، لا ريب فيها ، ولا رياء ، ولا مواربة . فبحسب رأى الفريق الأول ، تعتبر المحبة وصفاً للصدق . وبحسب رأى الفريق الثاني يحسب الصدق وصفاً للمحبة — وهو الرأى المتفق والترجمة العربية . ولكن لماذا لا يكون الحق وصفاً للمحبة ، والمحبة وصفاً للحق ، فنحب الحق ونكون في محبتنا صادقين ؟ على أن حب الحق ليس مقصوراً على العلم بالحق ولا على التعليم بالحق ، بل يتعداهما إلى العمل بالحق ، والتطبع بالحق ، فيكون الحق طبعاً ثانياً قبناً . ويجمل بنا أن نذكر كلمة قالها الأسقف هويتلى : « كل إنسان منا يود أن يكون الحق في جانبه ولكن كم واحد مننا يسعى بإخلاص ويهتم من كل قلبه ، بأن يكون هو في جانب الحق ؟ يتمسك بعض الناس بالمحبة ، والبعض الآخر بالحق ، لكن المسيحى الحق يتمسك بهما كليهما . وردت في كتابات يوحنا الرسول عبارات عدة تلتقى ضوءاً على هذه العبارة التى أورد هارسول الأهم ، نذكر منها : « كل من هو من الحق »



## إلى ذاك الذى هو الرأس

( يوحنا ١٨: ٣٧ )، « تعلمون الحق » ( ا يوحنا ٢: ٢١ )، « نعرف أننا من الحق » ( ا يوحنا ٣: ١٩ )، « يثبت فى الحق » ( يوحنا ٨: ٤٤ )، « الحق فىنا » ( ا يوحنا ١: ٨ )، « يعمل الحق » ( يوحنا ٣: ٢١ )، « سالكين فى الحق » ( ٢ يوحنا ٤ )، يسلكون بالحق » ( ٣ يوحنا ٤ ) .

وإذا كانت كلمة « فى المحبة » تصف ما قبلها فهى تصف أيضاً ما بعدها  
 — ب — عرض النمو: « تنمو فى كل شيء » . بما أننا أعضاء أحياء فى جسد حي — هو كنيسة المسيح، فلا بد من أن تنمو، لأن النمو علامة الحياة، والحياة تتطلب النمو . ولكي يسكون هذا النمو متماثلاً، يجب أن يشمل كل ما فىنا : جسداً، ونفساً، وروحاً ( ا تسالونيكي ٥: ٢٣ )، فننمو فى كل انفضائل بحيث لا تنمو فضيلة ما على حساب الأخرى، فنكون تامين غير ناقصين فى شيء . فلا المحبة تعطل الحق ولا الحق ينتقص من المحبة . لا الوداعة تنال من عزة النفس، ولا التسامح يطفى على الكرامة .

— ج — علو النمو: « إلى ذاك الذى هو الرأس — المسيح » . هذا الرأس المقدس يعين اتجاه النمو: أنه سائر إلى أعلى . وهو أيضاً ضامن النمو وموحده . فما من خطر يتلى به جسم حي، يعادل خطر انحصار النمو فى عضو دون الآخر — هذا شر مرض يصيب الجسم، لأنه تضخم وتورم، لا نمو وتقدم . فكما أن جدار الهيكل المقدس ينمو متجهاً إلى تكوين القبة الوسطى الرئيسية التى تعتبر « مجمعاً » و « ملتقى » لهذه الجدران، كذلك كل عضو حي فى كنيسة المسيح الحية، ينمو منصرفاً عن ذاته ومصلحته، منصرفاً إلى الرأس

المسيح ١٦ الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بموازرة

الأوحد — المسيح. فالمسيح هو رأس كل عضو على حدة ، كما أنه رأس كل الجسد مجتمعاً معاً ( ١ كورنثوس ١١: ٣ ).

على أن الرسول ، إذا كان قد أبان هنا أن المسيح هو الرأس ، فقد أظهر أيضاً أن المسيح هو كل الجسد ، مثله مثل الكرامة : فهى تتضمن الأصل والأغصان معاً ( ١ كورنثوس ١٢ ، ١٢ ، كولوسى ١١: ٣ و رومية ١٢: ٥ ).

عدد ١٦ | د — ناموس النمو : «الذى منه كل الجسد مركباً ...»

رجع الرسول في هذا العدد إلى الاستعارة المركبة التى تمثل فيها الكنيسة جسداً وهيكلاً فى آنٍ واحد . فتقوله : « مركباً معاً » ... « لبنياته » ، مستعار من لغة البناء . وقوله : « موازرة كل مفصل ... ينمو » ، مستعار من لغة الطب . وهو مماثل لقوله فى رسالة معاصرة لهذه : «الذى منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازرأ ومقترناً ينمو نمواً من الله» ( كولوسى ٢: ١٩ ) . ولعل بولس استقى هذه التعبيرات الطبية من لغة « لوقا الطبيب الحبيب » الذى كان على مقربة منه وقت كتابة هاتين الرسالتين ، فذكره عند ختام ثابتيهما : « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب » ( كولوسى ٤: ١٤ ) . أما لغة البناء فليست بأجنبية عنه ، لأنه يهوى الأصل ولم يبتغى تفصيلات الهيكل المقدس . وليس بغريب على شخص كان فى صناعة خيامياً ، أن يكون ملماً بلغة البناء ، لأن الخيمة نوع من المسكن .

إن الفكرة الرئيسية التى أمام الرسول فى هذا العدد ، هى : وحدانية فى

## كل مفصل حسب على قياس كل جزء

تنوع، وتنوع في وحدانية. فالجسد واحد والأعضاء مختلفة، ووظائفها مختلفة. ويمكننا أن نتبين قصد الرسول، متى ذكرنا الحقائق الآتية :

ان أعضاء الجسد كثيرة : ولكنها في تباينها مرتبطة بعضها ببعض بتفاصيل وربط : وهي مستمدة حياتها وروح نموها من رأسها الأواحد : فهي إذا متضامنة معاً في النمو : فكل منها يقوم بنصيبه من هذا النمو حسب طاقته : لكن كل عضو فيها لا ينمو لذاته ، بل تنمو كلها معاً في اتجاه واحد علوي إلى الرأس : ولذلك فنموها هذا هو نمو الجسد الواحد المطبوع بطابع المحبة أولاً وآخرأ.

— هـ — درجة النمو : « حسب عمل على قياس كل جزء ». إن لكل عضو في الجسد مكانته، وهو يستمد من الرأس قوة على تأدية وظيفته. ولكل عضو قوة تقاس بمقدار العمل الذي عليه أن يقوم به نحو سائر أعضاء الجسد، وبالتالي نحو الرأس . وليس في هذا ما يميز عضواً عن آخر، مادام كل عضو يقوم بنصيبه من العمل المشترك .

الكلمة اليونانية المترجمة : « عمل » يجوز أن تترجم حرفياً إلى « فعل قوة ». وقد وردت في العهد الجديد في كتابات بولس الرسول وحده (أفسس ١: ١٩، ٣: ١٦، ٤: ١٦، ٥: ٢١، ٦: ٢١، ٦: ٢٢، ٦: ٢٣، ٦: ٢٤، ٦: ٢٥، ٦: ٢٦، ٦: ٢٧، ٦: ٢٨، ٦: ٢٩، ٦: ٣٠، ٦: ٣١، ٦: ٣٢، ٦: ٣٣، ٦: ٣٤، ٦: ٣٥، ٦: ٣٦، ٦: ٣٧، ٦: ٣٨، ٦: ٣٩، ٦: ٤٠، ٦: ٤١، ٦: ٤٢، ٦: ٤٣، ٦: ٤٤، ٦: ٤٥، ٦: ٤٦، ٦: ٤٧، ٦: ٤٨، ٦: ٤٩، ٦: ٥٠، ٦: ٥١، ٦: ٥٢، ٦: ٥٣، ٦: ٥٤، ٦: ٥٥، ٦: ٥٦، ٦: ٥٧، ٦: ٥٨، ٦: ٥٩، ٦: ٦٠، ٦: ٦١، ٦: ٦٢، ٦: ٦٣، ٦: ٦٤، ٦: ٦٥، ٦: ٦٦، ٦: ٦٧، ٦: ٦٨، ٦: ٦٩، ٦: ٧٠، ٦: ٧١، ٦: ٧٢، ٦: ٧٣، ٦: ٧٤، ٦: ٧٥، ٦: ٧٦، ٦: ٧٧، ٦: ٧٨، ٦: ٧٩، ٦: ٨٠، ٦: ٨١، ٦: ٨٢، ٦: ٨٣، ٦: ٨٤، ٦: ٨٥، ٦: ٨٦، ٦: ٨٧، ٦: ٨٨، ٦: ٨٩، ٦: ٩٠، ٦: ٩١، ٦: ٩٢، ٦: ٩٣، ٦: ٩٤، ٦: ٩٥، ٦: ٩٦، ٦: ٩٧، ٦: ٩٨، ٦: ٩٩، ٦: ١٠٠) وترجمها ألفورد إلى « قوة محركة » أو « قوة فعالة ».

أما « قياس » كل عضو فهو طاقته، وقابليته، واستعداده، وامكانيته

## يُحصل نمو الجسد لبنيانه

وهو بالقياس إلى المؤمنين يختلف باختلاف أعمارهم، ومراتبهم، واستعدادهم العقلي، وقواهم الروحية.

— و — وحدانية النمو ونتيجته: « يحصل نمو الجسد ». لقد مررنا بنا، أن أعضاء الجسد مرتبطة معاً بنظام إلهي محكم، وأنها تستمد حياتها من الرأس، وأنها تحتفظ بنسبتها إلى بعضها البعض، على قدر احتفاظها بنسبتها إلى الرأس. فكل عضو ينمو إذاً، لا بذاته ولا لذاته، بل بقوة الحياة المستمدة من الرأس، وبنسبته إلى سائر الأعضاء. فالعضو السليم لا ينمو على حساب سائر الأعضاء بل معها وبالنسبة لها، ونتيجة نمو كل عضو على حدة، هي نمو الجسد الواحد وبنيانه.

— ز — تاج النمو: « لبنيانه في المحبة ». المحبة هي الأساس، والمحبة هي التاج. فلا يمكننا أن نشرع في النمو إلا إذا كنا متأسسين ومتأصلين في المحبة. والظاهر أن الرسول إذ حاول أن يجيد التعبير عن الحقائق الجميلة، الغزيرة، السامية. التي ازدحم بها فكره النير الملهم، التجأ إلى لغة البناء مستعيراً منها بعض التعبيرات. لكنها لم تسعفه في البلوغ إلى قصده، فمضى إلى لغة الطب مستعيراً منها بعض الألفاظ لكنها هي أيضاً خائته، فلم يجد أمامه متسعاً إلا في لغة المحبة، فمضى إلى هذا البحر الزاخر الفيض — بحر المحبة، فوجد ما أراد وزاد. فبالمحبة بدأ هذا الفصل، وبالمحبة اختتمه.

وكما أنه ذكر في بدء هذين العديدين أن المسيح هو الغاية التي نتوجه إليها في نمونا، أوضح عند الختام أن المسيح هو النبع الذي منه نعتمد نمونا. فهو

## في المحبة ١٧ فأقول

الأصل وهو المآب. كذلك المحبة هي الأول وهي الختام. أليست المحبة هي المسيح متجسداً أو ليس المسيح هو المحبة متكامة، أفصح لسان، وأبدع بيان؟  
يجمل بنا في نهاية هذا الفصل أن نستجمع أمام ذهن القارئ الحقائق الرئيسية الثلاث التي مرت بنا في هذه الرسالة :

الحقيقة الأولى : قصد الله ألا زلى أن يجمع كل شيء في المسيح  
( ١ : ١٠ ، ٢ : ١٥ ، ٣ : ٢ ) .

الحقيقة الثانية : سر المسيح قد أعلن بالصليب ، وبه يصير  
اليهودى والأُمى إنساناً واحداً ( ٣ : ٤ )

الحقيقة الثانية : وحدانية في تنوع ، وتنوع في وحدانية ، بهما  
تبنى كنيسة المسيح إلى قياس قامة ملئه ( ٤ : ١٤ ) .

( ٢ ) المسيحى في حياته الجديدة ( ٤ : ١٧ — ٦ : ٣٤ )

أولاً : المسيحى في حياته الشخصية ( ٤ : ١٧ — ٢٣ )

( ١ ) مبادئ الحياة العتيقة ، ومبادئ الحياة الجديد ( ٤ : ١٧ — ٢٤ )

عدد ١٧ — ١٩ — ١ — الجانب السلبى ، خلع الإنسان العتيق

رأينا أن تثبت هنا ترجمة الآباء اليسوعيين للعديد ١٥ و ١٦ لعام ١٩٦١  
ضوءاً على شرحهما « بل نصدق بالمحبة فننمو في كل شيء الذى هو الرأس  
للمسيح الذى منه كل الجسد يتسق ويتلاءم بكل المفاصل المتعاونة . فبحسب  
العمل الذى يناسب كل عضو ينشئ لنفسه نمواً لبنيانه في المحبة »

## هذا

(١٧:٤ — ٢٢). ما أكثر التوازن والطباق في كتابات بولس الرسول! فتارة يصور البشرية في صورة قائمة كالغروب، حالكة كالليل، وطوراً يرسم لها صورة مشرقة كالشمس، مشرقة كالصباح — وهو في كلا الحالين، مصيب كبداية الحقيقة. فالبشرية في سقوطها قد هوت إلى أسفل هوة لدرجة، لم يبق دونها مكان تهوى إليه، ولكن لما افتداهَا مخلصها الفريد، قد رفعها إلى أوج القداسة، ليسمو بها إلى قياس قامة ملائكة السامي المجيد.

ما أعظم التباين بين صورة البشرية كما رسمها بولس في الأصحاح الأول وبين هذه التي نراها مرتسمة أمامنا في هذا الأصحاح! في الأصحاح الأول، نلمح البشرية المفتداة محبقة في جو الأعلى حتى «أجلست مع المسيح في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى». لكننا في هذا الأصحاح نراها في حالتها الطبيعية، متمرغة في حمأة الآثام والشرور، مولعة بآثامها إلى حد التهور والتجور: «أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع».

تستهل هذه الأعداد بحرف الفاء: «فأقول» دليلاً على أن الرسول عاد إلى استئناف حديثه الذي بدأه في العدد الأول من هذا الأصحاح: «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة»، فعاد إلى إتمامه قائلاً: «فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك مسأر الأمم أيضاً» (عدد ١ و ١٧). والظاهر أن الرسول، بعد أن شرع في بدء هذا الأصحاح في الإدلاء بالواجبات العملية، عرج على هيكل الوحدة

## وأشهد

المقدس، وأرانا مافيه من وحدانية في تنوع، وتنوع في وحدانية، ثم عاد إلى  
 اتمام حديثه عن : واجبات المسيحي في حياته الجديدة (١٧:٤ - ٢٤:٦)  
 وهذه تتناول أربع نواح : أولاً : واجبات المسيحي في حياته  
 الخاصة (١٧:٤ - ٣٢) . ثانياً : واجبات المسيحي في حياته الاجتماعية  
 (١:٥ - ٢١) : ثالثاً : واجبات المسيحي في حياته البيتية (٥:٢٢ - ٦:٩)  
 رابعاً : واجبات المسيحي في جهاده الروحي (١٠:٦ - ٢٠)  
 أولاً : واجبات المسيحي في حياته الخاصة (١٧:٤ - ٣٢) .

أرانا الرسول هذه الواجبات في جانبين :

أولهما : سلبي ، يستهل بقوله : «أن لا تسلكوا» (١٧:٤ - ٢٢)

والثاني : إيجابي ، يستهل بقوله : «وتتجددوا بروح...» (٢٣:٤ و ٢٤)

**عدد ١٧ الجانب السلبي (١٧:٤ - ٢٢) «... فأقول هذا وأشهد**

في الرب أن لا تسلكوا» . في الأعداد السابقة، وصف الرسول كنيسة المسيح  
 وصفاً مزدوجاً، فأرانا إياها واحدة في رأسها وروحها، متنوعة في عدد أعضائها  
 والوظائف التي يقومون بها. غير أن هذه الكنيسة ليست قائمة في السماء ممجدة،

لكنها كائنة على الأرض مجاهدة . فهي محاطة بالعالم من كل صوب ، فمن  
 المحتم أن يكون مسلك أعضائها مخالفاً لمسلك أهل العالم، منافياً لتصرف رجال  
 هذا الدهر. ولم يكن بولس في حاجة إلى أن يمضي بهم بعيداً لكي يريهم  
 مسلك أهل العالم ، إذ يكفي أن يوجه نظرهم إلى مسلك الأمميين المحيطين

## في الرب

هم . وغير خاف أنهم هم كانوا ضمن الأمم الوثنية التي عاثت في الأرض فساداً ، عائشة بحسب شهوات الفجور . هذا هو الخطر الأصفر الذي حذرهم منه في الستة الأعداد الآتية . التي يتألف منها هذا الجانب السلبي ، فنأشدهم « في الرب » ، كمسيحي يخاطب مسيحيين ، أن لا يعودوا إلى المسلك الشائن الذي سلكوه قبلاً . وكان في إشارته هذه حكيمًا لبقاً ، فلم يسمح لنفسه بأن يذكرهم بسلوكهم — مع أن له كل الحق في ذلك ، لأن رسالة الانجيل لا تتجانب بالوجوه — لكنه اكتفى بأن حذرهم من مسلك سائر الأمم ، كأنه أراد أن يسمو بهم فوق مستوى هذه الزمرة ، حاسباً إياهم من زمرة إسرائيل الروحي (غلاطية ١٦:٦) . فالناس في عرف الرسول على ثلاث فرق : « يهود » ، « يونانيون » ، « وكنيسة الله » (١ كو ١٠: ٣٢) . وقد بنى الرسول كلامه في هذه الأعداد (١٧:٤ — ٢٢) على كلمتين رئيسيتين — أولاهما : « هم » <sup>(١)</sup> (١٧:٤ — ١٩) . والثانية : « أنتم » (٢٠:٤ و ٢١) .

الكلمة الأولى في الجانب السلبي — « هم » (١٧:٤ — ١٩) أهمية الطلب الذي تقدم به بولس إلى المكتوب إليهم : « فأقول هذا واشهد في الرب » — هذه العبارة منعمة قوة وسلطاناً ، ووقاراً ، وتخشعاً ،

(١) إن كلمة « هم » غير مقصورة على الأميين الذين لم يعترفوا بالمسيح علانية بل تشير أيضاً إلى قوم هم مسيحيون اسما لكنهم وثنيون فعلا . كما يستفاد من قول الرسول في عدد ٢٠ « وأما أنتم فلم تتعلموا هكذا » . قابل هذا بما جاء في رسالة فيلبي ١٨:٣ .



## أن لا تسلكوا

دليلاً على أن الطلب الذي تقدم به الرسول إلى المكتوب إليهم، هو غاية في الأهمية والخطورة. وهل من أمر يحاكي في دقته وخطورته، مسلك المؤمن في حياته العملية؟ أليس السلوك عنوان الحياة، والحياة مترجمة عن العقيدة، والعقيدة رمز الإيمان؟! إننا نتخيل الرسول الجليل الذي «أخنى ركبته لدى أبي ربنا يسوع المسيح» مصلياً لأجل المكتوب إليهم، وإذا هو الآن يبسط يديه—وسلسلة السجن مطوَّقة معصمه—موصياً ومناشداً هؤلاء الأمميين، كما في حضرة الرب يسوع المسيح ديان الأحياء والأموات— «أن لا يسلكوا كما يسلك سائر الأمم... بل يتجددوا بروح ذهنهم». هذه أبلغ لغة يكتبها مسيحي إلى مسيحيين. فلقد عرفهم الرسول أن المسيح هو رأس الكنيسة، وبالتالي هو رأس كل عضو على حدة، ورأس جميع الأعضاء متحدة معاً. فالمسيح إذاً هو أبلغ حجة يستخدمها عضو مع عضو آخر. لأن الرسول إذ يناشدهم «في الرب»، يعلن لهم «فكر المسيح» الكلمة المترجمة: «اشهد» لم ترد في العهد الجديد إلا في كتابات بولس الرسول وخطاباته (غلاطية ٣: ٥، وأعمال ٢٦: ٢٢). وهي تنم عن عظمة الشعور، وجلال التقدير.

وقوله «في الرب» ورد ٤٥ مرة في العهد الجديد في كتابات بولس، والظاهر أن الرسول وجد في هذه العبارة الجميلة: «في الرب» منجماً غنياً بآلاء المعاني، فكان يستخرج منه الحجة بعد الحجة، والبرهان تلو البرهان، ليؤيد بها كلامه في جل المناسبات (غلاطية ٥: ١٠، أفسس ١: ٦).

## في ما بعد

ومن فرط حبه للفادي المجيد ، كرر العبارة : « في المسيح » — وما يماثلها ، ٨٠ مرة في كتاباته وخطاباته .

ماهية الطلب الذي تقدم به الرسول إلى المكتوب إليهم : السلوك في جدة الحياة : « إن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً » يفترض الرسول في كلامه هذا ، إن المكتوب إليهم قد ولدوا ثانية وأنهم منذ ولادتهم الجديدة قد أصبحوا خليفة جديدة . « فالأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً » ( ٢ كورنثوس ٥: ١٧ ) . فأرادهم الرسول أن يجعلوا هذا المبدأ النظري ، حقيقة اختبارية عملية في حياتهم بالسلوك : ( اطلب شرح كلمة « تسلكوا » في ٢: ٢٠ ، ١٠ من هذه الرسالة ) .

لا حاجة بنا إلى القول إن الرسول لم يطلب من المكتوب إليهم شيئاً مادياً يعود عليه أو على كنيسة من كنائسه ، لكنه طلب منهم سلوكاً شريفاً يعود بالخير عليهم ، ويمجد اسم الله . إنه « لم يطلب ما لهم ، بل إياهم » .

ولكى يجيد الرسول وصف جلال الحياة الجديدة في كمال جمالها ، عرج على وصف الحياة العتيقة ، مجرداً إياها عن كل تمويه كاذب ، إذ خلع عنها البرقع الخادع الذي طالما احتجبت به ، فأرانا إياها في شناعتها الخاطئة . وإذا كان وصف الرسول للحياة العتيقة مرتكزاً على كلمة : « هم » ( عدد ١٨ ) ، وإذا كان وصفه للحياة الجديدة مرتكزاً على كلمة : « أنتم » ( عدد ٢٠ ) ، فإن الفاصل بين هذين الوصفين ، هو قوله : « فيما بعد » — وهو ليس مجرد فاصل تاريخي ، لكنه فاصل روحي — كذلك الذي يفصل بين الجحيم والنعيم !

## كما يسلك سائر الأمم أيضاً

الجانب السلبي — الحياة العتيقة — سلوك الأمم: (هم) : « . كما يسلك سائر الأمم أيضاً بطل ذهنهم . إذ هم » . في هذا الجانب السلبي ، وصف الرسول حالة الأمم في سلوكهم ، وصفاً عاماً مجملاً في قوله : « يسلك . . . الأمم بطل ذهنهم » ( عدد ١٧ ) ، ثم فصل هذا الوصف في سبع عبارات تصف علل هذه الحالة وتأثيراتها : « مظهروا تفكير » ، « متجنبون عن حياة الله » : « لسبب الجهل الذي فيهم » ، « بسبب غلاظة قلوبهم » ( عدد ١٨ ) ، « قد فقدوا الحس » ، « أسلموا نفوسهم للدعارة » ، ليعملوا كل نجاسة في الطمع » ( عدد ١٩ ) . وكلها عبارات مركزة ترسم أمامنا صورة مظلمة قاتمة تحاكي تلك الصورة الحالك السواد ، التي رسمها الرسول في الأصحاح الأول من رسالة رومية . ويغلب على اعتقادنا أنها ليستا صورتين منفصلتين بل هما لوحتان مكملتان لصورة واحدة — فاللوحة الأولى المرتسمة في هذه الرسالة ( أفسس ١٧:٤ — ٢٠ ) ترينا المسلك الفاسد ، الذي تؤول إليه حالة البشر عند ما يسلمون أنفسهم للدعارة ( أفسس ٤:٢٠ ) . والصورة الثانية المبسطة في رومية ١٨:١ — ٣٢ ، ترينا المسلك الشائن الذي تنتهي إليه حياة البشر عند ما يسلمهم الله إلى أهواء الهوان — بدليل تكرار العبارة : « أسلمهم الله ثلاث مرات في » الخطوط « التي تكون تلك الصورة ( رومية ١: ٢٤ و ٢٦ و ٢٨ ) فلا سبيل لله مع من يسلمون أنفسهم للدعارة ، إلا أن يسلمهم هو إلى أهواء الهوان . ومن الملاحظ أن النقطة المركزية في كل من اللوحتين واحدة :

## يبطل ذهنهم ١٨ اذهم

«مظالمو الفكر» (أفسس ٤: ١٨) ... «اظلم قلوبهم» (رومية ١: ٢١) . والصبغة النهائية في كل منهما تأكيد تكون واحدة: «يبطل ذهنهم» (أفسس ٤: ١٧) ، «ذهن مرفوض» (رومية ١: ٢٨) .

الوصف العام المجمل : «يبطل ذهنهم» . الكلمة اليونانية المترجمة «بطل» ، لاتعني الذهن المنتفخ بطل الكبرياء ، لكنها تعني الذهن الأجوف ، العاطل ، الخالي من «كل ما هو حق ، وجيل ، وعادل ، وظاهر» ، لا شيء فيه من ماء نبع العلم أو المعرفة . بل كل ما فيه وهم خادع وسراب خلاب كاذب . وقد وردت الكلمة عينا في رومية ٨: ٢٠ «إذ أخضعت الخليقة للبطل» — تعبيراً عن الشر الذي ينتهي دائماً بالفشل و «قبض الريح» . وإن شئت قل هو ذهن بغير اتجاه ، كسفينة بغير دفة ولا بوصلة

والكلمة المترجمة «ذهن» لاتعني العقل فقط ، لكنها تتناول القوى المميزة للحق . وقد تُترجم إلى «البصيرة» وهي وردت في كولويسي ٢: ١٨ لتفيد القوى العقلية بوجه عام سواء في الإنسان المتجدد ، أم في الغير المتجدد .

**عدد ١٨ | الأوصاف التفصيلية السبعة ( ٤ : ١٨ و ١٩ ) . في**

هذين العددين فصلَّ الرسول ذلك الوصف الذي أجمله في العدد السابق : «يبطل ذهنهم» ، فذكر سبعة أوصاف أربعة منها في العدد الثامن عشر ، وثلاثة في العدد التاسع عشر : (١) ظلام فكري : «إذ هم مظالمو الفكر» (٢) موت روحي : «متجنبون عن حياة الله» . (٣) «جهل مستقر» :

## مظلمو

« لسبب الجهل الذي فيهم » . (٤) جحود قلبي : « بسبب غلاظة قلوبهم » .  
 (٥) جمود في الإحساس : « إذ هم قد فقدوا الحس » . (٦) تدهور في  
 الإرادة « أسلموا نفوسهم للدعارة » . (٧) تهوّر خلقي : « ليعملوا كل نجاسة  
 في الطمع » .

هذه أوصاف جامعة ، شاملة لكل قوى الإنسان وملكاتة — كل  
 الرأس مريض وكل القلب سقيم . من أسفل القدم إلى الرأس ، ليس فيه  
 صحة « (إشعياء ١: ٥ و٦) فالفكر مظلم ، والحياة الروحية منقطعة ،  
 والنفس الباطنة عمياء . والقلب غليظ ، والعاطفة جامدة ، والإرادة  
 منعدمة ، والخلق متهدم . أو عبارة أخرى ، الحياة مفسدة في كل أركانها  
 ومظاهرها — من عقلية ، وروحية ، وأدبية ، وجسدية .

يلوح لنا أن الوصف الأساسي في هذه الأوصاف السبعة ، هو الوصف  
 الرابع ، السكائن في الوسط — كأنه مركز الدائرة — وهو : غلظ القلب :  
 « لسبب غلاظة قلوبهم » . فبسبب غلاظة قلوبهم تحسّم الجهل فيهم ، وبسبب  
 الجهل الذي فيهم ، صاروا متجنبين عن حياة الله ، فأظلمت أفكارهم ، وأدرك  
 البطل ذهنهم . عندئذ فقدوا الحس ، فاستسلموا للدعارة ، فتهوّروا في  
 ارتكاب النجاسة بفرط الطمع .

إذا تتبعنا الترتيب المنطقي لهذه الأوصاف كمن يتتبع مجرى نهر ليعرف  
 منبعه ومصبه ، وجدنا المنبع في الوصف الرابع : غلظ القلب « بسبب غلاظة  
 قلوبهم » والمجرى ، في ذلك الوصف الجميل الشامل : « بطل ذهنهم » ، والمصب

## الفكر

في الوصف السابع: التهور **الأخلاق**: «ليعملوا كل نجاسة في الطمع»  
 وإذا نظرنا إلى هذه الأوصاف نظرتنا إلى شجرة مثمرة — وما أمر  
 ثمارها — وجدنا البزرة في الوصف الرابع: «غلاظة قلوبهم»، والساق في  
 الوصف المجمل الشامل: «بطل ذهنهم»، والثمار في الوصف السابع النهائي:  
 «ليعملوا كل نجاسة في الطمع»

الآن وقد ألقينا نظرة عامة على هذه الأوصاف مجتمعة، يجمل بنا أن  
 نتقدم لتلقى لمحة عاجلة على كل وصف منها على حدة.

(١) **ظلام فكري**: «إذ هم مظلمو الفكر». الكلمة اليونانية المترجمة  
 «فكر» (نوس) تعني الذهن في حالة النشاط والتفكير. وإذا كان الذهن  
 الذي هو أداة التفكير والتمييز مظلماً، فكل الأفكار الصادرة عنه، ظلام في  
 ظلام. لأن الثمرة مشتقة من الشجرة.

عجيب أن بولس يصف الذهن الوثني بأنه «مظلم»، في وقت قد بلغت  
 فيه فلسفة اليونان والرومان مبلغاً عظيماً بفضل ما جادت به قرائح جبارة  
 العقول أمثال بركليس، وفدياس، وسوفوكليس، وأفلاطون، وأرسطاطيس،  
 لكن فلسفتهم كانت جوفاء، وحكمتهم غيباء لا تؤدي إلى نتيجة، ولا توجه  
 إلى غاية معينة. فبعد أن تعمق بلاطيس في دراستها هز كتفيه في وجه  
 مخلصنا وفادينا قائلاً: «وما هو الحق؟». ولما تغلغت هذه الفلسفة في أهل أثينا  
 صاروا «لا يتفرغون لشيء آخر إلا لأن يتكلموا أو يسموا شيئاً حديثاً» —



## حياة الله

بوجه عام ، كانت قبل السقوط متمتعة بحياة الله ، لكنها بسبب السقوط — الأصل والفعلي — أضاعت نصيبها من حياة الله فأُمسَتْ « متجنبة » عنها. فكأن النفوس البشرية تبتدىء مرحلتها في الوجود متمتعة بحياة الله (١) — كالياً ، ومتجنبة عن هذه الحياة — اختبارياً ، بسبب عمى البصيرة وغلظ القلب.

« متجنبين عن حياة الله » . الكلمة المترجمة « حياة » وردت هنا فقط في هذه الرسالة . وهي تعنى الكيان الروحي المعطى للنفس البشرية باتصالها بالله . وقد أودع الله هذه الحياة في ابنه يسوع المسيح الذى قدمه لنا هبة مجانية . « وهذه هي الشهادة . أن الله أعطانا حياة أبدية . وهذه الحياة هي في ابنه » ( يوحنا ٥: ١١ ) . لقد كشف لنا المسيح عن « مفتاح » هذه الحياة ، إذ قال في صلاته التشفعية : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » . وأوضح الرسول بولس طريق نوالها بقوله « فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة ، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة » وعبر عنها يوحنا

(١) يعتقد الدكتور كاندايش أن « حياة الله » في هذه لفظة لا تعنى بالضرورة الحياة الروحية التى يذللها المؤمنون المنجدون ، لكنها تعنى الحياة العامة التى قصدها يوحنا بقوله عن المسيح « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » ( يوحنا ١: ٩ ) . وهى التى قصدها بولس بقوله : « به نحيا ونتحرك ونوجد » ( أعمال ١٧ : ٢٨ ) . ولكننا نعتقد أن هذه الحياة العامة لا يمكن أن يصير الإنسان متجنباً عنها .



### لسبب الجهل الذى فيهم

الرسول فى كمالها بـ «الحياة الأبدية» . «وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه» (١ يوحنا ٣ : ١٥) ، وهى حق لنا ، نتمتع به ونحظى فى هذه الحياة «كتبت إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية» (١ يوحنا ٥ : ١٣) . فالأبدية ليست مقصورة على وصف طول هذه الحياة لكنها تصفها أيضاً فى عمقها وسموها .

(٣) جهل مستقر : «لسبب الجهل الذى فيهم» . هذه علة «تجنبهم عن حياة الله» . فقد أضاعوا نصيبهم من حياة الله ، وظلوا على هذه الحال ، بسبب جهلهم الحقائق الأبدية عن الله وقداسته . وبسبب هذا الجهل تصبح النفس غير مقدرة قيمة حياة الله ، وتسمى متباعدة عنها ، هاربة منها . قال المسيح فى هذا الصدد لمقاوميه من اليهود : «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهى التى تشهد لى . لا تريدون أن تأتوا إلى لتكون لكم حياة» (يوحنا ٥ : ٣٩ و ٤٠)

وصف الرسول هذا الجهل بعبارة قوية : «الجهل الذى فيهم» . فليس هو جهلاً يقعون فيه بين حين وحين ، لكنه جهل مستمر ومستقر فى قرارة نفوسهم ، ومستحكم على كل مشاعرهم .

ليس بمعجيب أن يرينا الرسول أن الجهل هو علة الموت الروحى ، قد علمتنا المسيح من قبل ، أن الجهل زميل لأقبح الخطايا : «لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة : زنى ، فسق ، قتل ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف ، كبرياء ، جهل»

## بسبب غلاظة

(مرقس ٧: ٢١: ٢٢). ولعل في ذكر الجهل في آخر هذه القائمة ، دليلاً على أنه ليس فقط مساوياً لهذه الخطايا وموازيها ، بل هو أيضاً علتها. إن نسبته إلى هذا التيار الجارف من الخطايا والآثام ، كنسبة النبع إلى مجرى النهر. ولا يقلل من أهميته أنه ذكر في آخرها لأن لسعة العقرب في ذنبها !!

إن الجهل الموصوف هنا ليس صفة سلبية قاصرة على المعجز عن الإدراك لكنه صفة إيجابية تقوم بالتسلح بنية معينة ، وإرادة ثابتة ، للترحيب بالظلام ورفض النور : « لا تريدون أن تأتوا إلى ... » ، « كم مرة أردت ... وأنت لم تریدی » ، « شعبي لا يعرف اسرائيل لا يفهم ... وشعبي هكذا أحب ». كان في إمكانهم أن يستنبروا وأرادوا ، لكنهم سدوا نوافذ قلوبهم ضد أشعة أنوار هذه المحبة : « إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركة بالمصنوعات: قدرته السرمدية ولاهوته . حتى أنهم بلا عذر . لأنهم لما عرفوا الله لم يعبدوه أو يشكروه كإله ، بل حقوا في أفكارهم ، وأظلم قلوبهم الغبي ». غير أن الجهل الذي يُعتبر علة ، بحسب أيضاً نتيجة. فهو البزرة ، وهو الثمرة ، لأن إطاعة النور تؤدي إلى النهار المتزايد ، واختيار الظلام يقود حتماً إلى الليل المدلهم.

(٤) جحود قلبي : « بسبب غلاظة قلوبهم » — هذا الوصف علة الوصف السابق ، كما أن الوصف السابق علة ما سبقه من أوصاف : « بسبب الجهل الذي فيهم لسبب غلاظة قلوبهم ».

« القلب » كما عرفه الإغريق ، ليس مقصوراً على مركز العاطفة في

## قلوبهم ١٩ الذين إذ هم فقدوا الحس

الإنسان لكنه يتناول أيضاً لعقل، والعاطفة، والإرادة والضمير (مرقس ٣: ٥ ، ٢٥: ٦ ، ١٧: ٨ ، يوحنا ١٢: ٤٠ ، ٢ كو ١٤: ٣).

الكلمة المترجمة « غلاظة » هي تعبير طبي يفيد التحجر والكنسب لاءجب إذا كان غلظ القلب علة هلاك الأمم ، فهو أيضاً علة هلاك اليهود منذ القديم ، كما يحدثنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين: « إن سمعتم صوته فلا تفسوا قلوبكم كما في الأسخاط يوم التجربة في القفر حيث جرّني آباؤكم . . . لذلك قلت انهم دائماً يضلون في قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلي حتى أفسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي » (عب ٣: ٧-١١).

عدد ١٩ | (٥) جحود الإحساس : « الذين إذ هم فقدوا

الحس » . في الأربعة الأوصاف التي مرت بنا ، عالج الرسول العلل التي تنتهي ببطل الذهن ، وفي الثلاثة الأوصاف التالية عالج النتائج التي ينتهي إليها بطل الذهن . وهي سائرة في نظام تدرجي — فن نحجر في الشعور ، إلى استسلام للشور ، إلى تهتك في الفجور .

« فقدوا الحس » — هذا وصف دُمنغ به قوم تخطوا منطقة الإحساس كأنهم أصيبوا بشلل . ولو كان تخطيهم هذا أفقياً — من اليمين إلى اليسار — أو عمودياً — من أسفل إلى فوق — لكان الأمر ، لكنه تخطى إلى أسفل . لأنهم هبطوا إلى الدرك الذي لن يدركهم فيه الشعور والإحساس ، ولن تصل إليهم فيه وخزات الضمير ، إذ أصبحوا « بلا ضمير » . مثلهم مثل مريض تخطى النقطة

## أسلموا نفوسهم للدعارة

الفاصلة في مرضه ، فانتقل إلى ظلمة القبر لا إلى الصحة والنور . هذه حال بالغة جداً كبيراً من الشقاوة والتعاسة .

يحدثنا بعض الرواد عن نوع من النبات السام ، الذي إذا أكله المرء انطلق في الضحك مقهقهاً ، حتى يموت على هذه الحال ! ويتحدث علماء الجيولوجيا عن أشجار تحجرت أخشابها بفعل العوامل الطبيعية ، فأضحت كأنها قدّدت من الصخر . هذا هو التحجر الذي يتكون في القلب نتيجة الخطية ، ومنه يحذرنّا كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « بل عظوا أنفسكم كل يوم مادام الوقت يدعى اليوم لكي لا يُقتل أحد منكم بغرور الخطية » إن « فقدان الحس » تعبير مرادف « للموت الأدبي »

(٦) تدهور في الإرادة : « أسلموا نفوسهم للدعارة » ، الكلمة المترجمة « أسلموا » تنم عن خيانة كبرى ، كذلك التي ارتكبها يهوذا عندما أسلم سيده رؤساء الكهنة . والإنسان الخائن هنا ، هو الإنسان الذي باع نفسه وأسماها للشر . وإذا ما قلنا « الإنسان » قصدنا إرادته الشريرة التي يدها زمام حياته فخائته في أعز ما لديه . لأن واجب الإرادة أن تسهر على النفس ، فتصعد عنها وعيد الخطية ، وترفض مواعيدها الخلافة بأن تقول للخطية : « لا » . لكنها إذ تستسلم للخطية ، تسلم لها النفس خيانة ، وغدراً ، وعدواناً . وردت كلمة « دعارة » — في اليونانية إحدى عشر مرة في العهد الجديد . وهي في اشتقاقها الأصلي تعني الخروج عن حدود الاتزان ، والتمرد على قانون النعمة — بل ، وضبط النفس .

## ليعملوا كل نجاسة

(٧) نهو في الشر : « ليعملوا كل نجاسة في الطمع » . وردت كلمة « يعملوا » في العهد الجديد ضمن كتابات لوقا الطبيب وبواس الرسول وحدهما — في لوقا ١٢: ٥٨ بمعنى : « بذل الجهد » وفي أعمال ١٦ ، ١٩ ، ٢٤: ١٩ بمعنى : « يكسب » ، وفي أعمال ١٩ ، ٢٥ بمعنى : « صناعة » أو « حرفة » . فهي إذاً تنطوي على معنى الكد ، والاحتراف ، والمهارة ، والتفني . وهل من حالة أسوأ من هذه التي يهوى إليها الإنسان ، إذ يبذل جهده في الشر ، ويتفني فيه فيصبح مهنته الخاصة وصناعته التي منها يعيش ، ولها يحيا ويتحرك ؟ إن قوله « في طمع » يصف درجة توغلهم في النجاسة ، أي أنهم يرتكبون كل نجاسة بفره الطمع ؛ فلا يتركون فيها باباً إلا ويهراقونه حتى لا يفوتهم لون من ألوانها ، ولا صورة من صورها . فعواهل النجاسة قد ملطمت فيهم على كل شيء آخر ، والجسد قد طمع على العقل والنفس ، فسلطهما حقوقهما ، وسخرها كلها لذاته ولذاته . لأن الكلمة المترجمة : « طمع » تعني حرفياً « تخطى حدود النصيب المعين » . فالإنسان الطماع هو الذي يتخطى حدود النصيب المرتب له من الله ، ويتعدى على حقوق الغير ، لأنه لا يرى أمامه غير مصلحته الذاتية ، فلا يراعي سوى لذاته الخاصة . وهو لا يبالي بحقوق الآخرين إلا بقدر ما يستطيع أن يفتصبه منها ، ويستلمه لنفسه .

إن من يقرأ ما سطره المؤرخون عن حالة الرومان واليونان وقت كتابة هذه الرسالة ، يتبين له أن أولئك القوم سخرُوا أكلهم وشربهم ، ونومهم ويقظتهم ، ومحال لهم وأمكنة عبادتهم ؛ وجد همهم وهزلهم ، لتغذي فيهم عواهل

## في الطمع

الإثم والفجور : فلم تكن حكومتهم تُبيح ارتكاب النجاسة فحسب ، بل كانت تشجع على ارتكابها ، وثبتت كرسى للشعب منها أصنافاً وألواناً. فالنجاسة كانت وحي شعرائهم ، وإلهام ممثليهم وهدف مثاليهم.

على أن هذه ليست حال الأميين الوثنيين وحدهم ، وإنما هي حال كل إنسان غير متجدد (رومية ٣ : ١٠ - ١٨) . فهي حالنا كلنا - لولا نعمة الله !

لم ترد كلمة « طمع » في العهد الجديد مقصورة على المال ، لكنها استعملت في مواضع كثيرة - سيما في رسائل بولس المكتوبة إلى الأمم - مقترنة بكلامه عن النجاسة (١ كو ٥ : ١١ ، ١ تس ٤ : ٦ ، أفسس ٥ : ٣ و ٥ ، كولوسي ٣ : ٥) . ويلوح لنا أن الرسول قرن كلمة « طمع » بكلمة « نجاسة » في هذه القرينة وسواها ، لأن النجاسة والطمع مشتقان من مصدر واحد - هو حب الذات فالنجس والطماع يعبدان ذاتهما ولذا أتت لهما . وقد لوحظ بعد البحث والاستقراء أن النجاسة تقود إلى الطمع ، فالإنسان الذي ينفق شبابه على النجاسة ، يكرس شيخوخته للطمع !!

« النجاسة » .. « الطمع » . إن مرضاً واحداً من هذين الاثنين كافٍ لأن يقتل أكبر الجبابرة . فكيف بها إذا اجتمعا في الإنسان واحد ؟! فالطامع لا يكتفى بضرب من ضروب النجاسة ، بل يريد أن يتعرج في كل حمأة ، وأن نجاسة تضع على المرء تكاليف باهظة فينفق فيها وينفق ، ولفرط إفلاسه يطمع في حقوق الآخرين .

## ٢٠ وأما أنتم

**عدد ٢٠** الكلمة الثانية في الجانب السلبي: «أنتم» (١٧:٤ - ١٩) «وأما أنتم» — وصف الرسول حياة الأمميين الوثنيين في الأعداد الماضية، وفي نفسه غضاظة مرّة، كذلك التي يشعر بها المصور الحساس عندما يقضى عليه بأن يرسم صورة بشعة، أو كذلك الشعور الذي يخامر قلب حفار القبور، عندما يتحتم عليه أن يفتح قبراً أغلق حديثاً فتنبعث منه روائح كريهة. فما كاد الرسول يتم تصوير الوثنيين في حياتهم الفكرية، والروحية والأدبية، حتى تنفس الصعداء وانتقل بسرعة إلى رسم هذه الصورة الجليلة الجميلة التي تمثل المسيحيين في حياتهم الجديدة، فقال بنعمة الشاكر المشجع: «وأما أنتم» إن موقف الرسول هنا، يماثل موقف كاتب الرسالة إلى العبرانيين — ولعله يرسل نفسه — عندما وصف المرتدين بكلمات مريرة، متكلماً من «اللغة التي نهايتها للحريق» — ولعله خاف لئلا يتطرق إلى ذهن المكتوب إليهم شك من جهة موقفهم هم، لذلك انتقل بهم حالاً إلى الجانب المنير، مشجعاً إياهم ومواسياً «ولكننا قد تيقنا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل» (عب ٨:٧ و ٩)

في هذين العديدين (٢٠:٤ و ٢١) وصف الرسول موقف المؤمنين إزاء حياتهم العتيقة، مبتكراً استعارة جديدة، تريناتلاميد يتلقون الدرس في مدرسة عالية. فالمكتوب إليهم هم تلاميد: «وأما أنتم». والمسيح هو الدرس والاستاذ، والمدرسة: «لم تتعلموا المسيح هكذا إن كنتم قد سمعتموه».

## فلم تتعلموا المسيح هكذا

— أ — التلاميذ : « وأنا أنتم ». وردت كلمة « أنتم » بصيغة التوكيد مقابل كلمة « هم » ( عدد ١٨ )

— ب — الدرس والأستاذ والمدرسة — هذه كلها مجتمعة ومركزة

في شخص المسيح. فالمسيح هو الدرس : « وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا ». في البشائر الأربع، عرفنا المسيح معلماً، لكن بواس عرفنا إياه هنا أنه هو الدرس الذي يبتدىء الإنسان بتعلمه منذ وقت التجديد، ويظل متفقاً فيه حتى يدخل الأبدية، وهناك أيضاً يستمر متلقيناً هذا الدرس البسيط جداً لدرجة يفهمه فيها الأطفال، والعويض جداً لدرجة يعجز فيها العلماء عن سبر غوره. إن أهم درس هو معرفة « معنى المسيح ». فالمسيح إذاً هو خلاصة التعاليم اللاهوتية، وهو جوهر كل المبادئ المسيحية، لأن المسيح هو المسيحية. فهو لم ينشر ديناً، لكنه عرفنا عن شخصه، فإن تعلمنا العقائد والعلوم اللاهوتية ولم نتعلمه هو، فلا نكون قد تعلمنا شيئاً

أراد الرسول بكلمة « هكذا » تلك الصورة التي رسمها في الأعداد السابقة (١٧ — ١٩). ويستنتج بعض المفسرين، من هذه الكلمة، أن الرسول يشير ضمناً إلى جماعة ممن دُعي عليهم اسم المسيح، لكنهم ظلوا على حياتهم الأولى الفاسدة، نظير أولئك الذين أشار إليهم بولس في رسالة معاصرة لهذه: « لأن شيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياء وهم أعداء صليب المسيح فيلبى ( ١٨:٣ ) ».



## ٢١ إن كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه

**عدد ٢١ | ج -** المسيح هو الأستاذ: «إن كنتم قد سمعتموه». كلمة «إن» ، في هذا الوضع ، ليست شرطية ، بل تحقيقية يقينية. فهي لا تشترط أمراً لم يحدث بعد : لكنها تقترض وقوعه فعلاً وحققاً. فقوله: «إن كنتم قد سمعتموه» يُعتبر موازياً للقول: «مادمتم قد سمعتموه حقاً و يقيناً» والظاهر أن الرسول التجأ إلى هذا الأسلوب الإنكاري — كما في ٢: ٣ — لجعل العمليات مؤيدة للنظريات .

ورد ضمير «الهاء» المتصل بالفعل: «سمعتموه» — في الأصل — سابقاً للفعل لا لاحقاً له ، على سبيل التوكيد: آياه «سمعتهم» . فمع أن المكتوب إليهم لم يحظوا بأن تتملي عيونهم من رأى سناه ، ولا بأن تتشغف آذانهم بسمع طيب حديثه ونجواه ، إلا أنهم سمعوه في رسالة الذين بعثهم بروحه الأقدس — وفي مقدمتهم بولس ( يوحنا ١٠ : ٢٧ ، أعمال ١ : ١ ) . وفوق ذلك ، فإن المسيح هو الحق الذي سمعوه ، وهو الرسالة التي بلغت إليهم ، وهو موضوع الكرازة التي انتهت إليهم. فهو لم يعلم لنا حقاً ، بل هو الحق. ولم يرنا طريقاً ، بل هو الطريق : ولم يدلنا إلى سبيل الحياة ، بل هو الحياة — **د -** المسيح هو المدرسة : «وعلمتكم فيه» . هذه العبارة مكملة لسابقتها ، كما أن سابقتها مفسرة لها. والمراد بها: أن المؤمنين إنما عرفوا المسيح وهم في روح المسيح متحدون به إتحاداً حيويّاً. فصار فكر المسيح فكراً لهم ، واضحت لغة المسيح لسانهم ، وأمست إرادة المسيح عزيمتهم ، وبات حب

## كما هو حق في يسوع

المسيح غذاء عاطفتهم ووجدانهم: «وأما نحن فلنناكر المسيح» (١ كو ٢: ١٦)  
 — منهج التعليم: «كما هو حق في يسوع». هذه هي المرة  
 الوحيدة التي ذكر فيها الرسول اسم المخلص: «يسوع» مجرداً، في هذه  
 الرسالة. وهو يعني بهذا الاسم المجيد، شخص يسوع التاريخي، الذي صلب،  
 ومات، وقام، وصعد، فجلس عن يمين العظمة في الأعلى، وسوف يأتي  
 ليدين الأحياء والأموات

«كما هو حق في يسوع» — غالباً لاحظ الرسول أن قوله: «تعلمتم  
 المسيح» لا يخلو من الغموض والابهام، سبباً لذي عقلية قوم اتقلوا حديثاً من  
 الوثنية الجوفاء، فأراد أن يزيل هذا الابهام بعبارة تجلو غامضه، فقال: «ما هو  
 حق في يسوع» — أعني أن الذي تعلموه هو الحق الذي أعلن لهم في يسوع  
 الناصري. فكل كنوز العلم والمعرفة المذخرة في المسيح السرمدى، قد  
 انكشفت لنا في يسوع الناصري الذي رأيناه ولمسناه وسمعناه، وفيه أعلنت  
 لنا إرادة الله، وتجلي لنا معنى الحياة

في هذه القرينة، ركّز الرسول محور كلامه على «الحق» ومشتقاته:  
 في عدد ١٥ أوصى المؤمنين بأن يكونوا «صادقين في المحبة»، وفي عدد ٢٤  
 ناشدهم بأن يلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البروقداسة «الحق».  
 وفي عدد ٢٥ طلب إليهم أن يطرحوا الكذب ويتكلموا «بالصدق» كل  
 واحد مع قريبه. فإذا ما رغب أحدهم في ترديد سؤال بيلاطس: «وما

## ٢٢ أن تخلعوا

هو الحق» فالجواب عليه صريح واضح : هو ما أعلن لنا في مسيح الله، الذي رأيناه ولمسناه في شخص يسوع الناصري .

الجانب الإيجابي - خلاصة الحق الذي في يسوع : خلع الإنسان العتيق ولبس الإنسان الجديد (٢٢:٤ - ٢٤) .

**عدد ٢٢ - ٢** كل عبارات الرسول المركزة في هذا الفصل ، كالبنيان المرصوص ، يشد بعضها بعضاً . فالسابقة منها مقدمة لللاحقة ، واللاحقة موضحة ومفسرة للسابقة فالعبارة : «ما هو حق في يسوع» مفسرة للعبارة السابقة لها : « إن كنتم قد سمعتموه وعلتم فيه » ، ومقدمة للعبارات التالية لها : « أن تخلعوا ... » ، كما أن هذه العبارات مفسرة للعبارة السابقة إن ماتعلمه المؤمنون من المسيح ، وما سمعوه وعلّموه فيه ، هو « ما هو حق في يسوع » . فما هو إذاً هذا الحق الذي في يسوع ؟ هو : « أن يخلعوا الإنسان العتيق ويلبسوا الجديد » . فهو إذاً حق عملي ، لأنه يتناول التصرف ذكر الرسول في هذه الأعداد ، الواردة ضمن ٢٢ : ٤ - ٢٤ ، ثلاث كلمات رئيسية ، بنى عليها مطالب الحياة الجديدة : الكلمة الأولى : « أن تخلعوا » ( عدد ٢٢ ) ، والثانية : « تتجددوا » ( عدد ٢٣ ) والثالثة : « تلبسوا » ( عدد ٢٤ ) . وكل كلمة منها مطلع استهلاك الآية القائمة على رأسها . « الخلع » : فعل يتم دفعة واحدة . « والتجدد » : عملية تتكرر مراراً « واللبس » : فعل يتم دفعة واحدة . « بالخلع » تتخلص من العتيق ،

### من جهة التصرف السابق

و« بالتجديد» تهيئاً للجديد ، وباللبس تتمتع بالجديد. هذه كاملاً تتم في وقت واحد، لا يسبق أحدها الآخر ، لأن الإنسان لا يمكنه أن يخلع العتيق مالم يتجدد ولا يمكنه أن يتجدد من غير أن يكون قد لبس الجديد. فالشجرة لا تخلع أوراقها الصفراء الذابلة إلا إذا تولدت فيها الحياة الجديدة، فألبسها ثوباً قشيباً . فهذه الخطوات الثلاث: الخلع، والتجديد ، واللبس، تتم اختبارياً يأتى آن واحداً، وإن كناتكم عنهما منطقياً كأنها تحدث فى أدوار متعاقبة : الخلع ، فالجديد ، ثم اللبس

قد يستنتج القارئ الساذج من الكلمة الأولى : «تخلعوا»، والثالثة: «تلبسوا» ، فكرة غير صائبة ، فيخيل إليه أن الحياة المسيحية رداء يلبس فى الظاهر ، لكن الكلمة الوسطى : «تتجددوا» كافية لإزالة هذا الوهم ، لأنها ترينا بجلاء ووضوح ، أن المسيحية روح تتناول الجوهر ، وتصل إلى العمق ، فتجدد القلب ، وتغير الالب ، وتغير الروح.

فى هذه الثلاثة الأعداد ، انتهى الرسول إلى عمق الطلبات التى أرادها من المكتوب إليهم. فى بدء هذا الأصحاح تقدم إليهم بطلب عام يكاد يكون مبهمًا: «اطلب إليكم أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتكم بها» (١: ٤)، ثم انتقل من التعميم إلى التخصيص، فناشدهم أن لا يشاطروا الأمم مسلكهم (١٧: ٤). وهنا تقدم إليهم، وفى يده مشروط الجراح فوضع مبعضه على موضع الداء ، طالباً إليهم أن يقلعوا عن تصرفاتهم السابقة ، بأن يخلعوا الإنسان

## الإنسان العتيق

العتيق ، ويتجددوا بروح ذهنهم ، ويلبسوا الإنسان الجديد. فسلامه في هذه الأعداد ، يتناول الإجابة على ثلاثة أسئلة :

أولاً : ماذا يخلعون ؟ « الإنسان العتيق الفاسد ، بحسب شهوات الغرور »  
ثانياً : بماذا يتجددون ؟ « بروح ذهنكم » .

ثالثاً : ماذا يلبسون ؟ « الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله ... » .  
وجدير بالملاحظة ، أن الأوصاف التي خلعها الرسول على « الإنسان » ،  
الذي يجب أن يخلع ، تتعارض مع الأوصاف التي خلعها على « الإنسان »  
الذي يجب أن يلبس ! .

ماذا يخلعون : الإنسان « العتيق »	ماذا تلبس : « الإنسان الجديد »
تاريخه . « العتيق »	تاريخه « الجديد »
طبيعته : « الفاسد »	طبيعته : « المخلوق بحسب الله »
أسلوبه . « بحسب شهوات الغرور »	أسلوبه : « في البر وقداسة الحق »
فالرسول يصف كلا منهما :	

- أ — وصفاً يتناول تاريخه : فأولهما : « عتيق » . والثاني : « جديد »  
— ب — وصفاً يتناول طبيعته : فأولهما « فاسد » . والثاني : « مخلوق بحسب الله »  
— ج — وصفاً يتناول أسلوبه : فأولهما : « بحسب شهوات الغرور » .  
والثاني : « في البر وقداسة الحق »

ماذا نخلع ؟ : « الإنسان العتيق » . وردت كلمة « تخلصوا » في الأصل  
اليوناني بصيغة المصدرية — في الماضي ، على اعتبار أن هذا هو الحق الذي تعلموه

## الفساد بحسب شهوات الغرور

في يسوع منذ التجديد : خلع الإنسان العتيق ، وهو فعل مفروض أنه تم في الماضي دفعة واحدة ، وقت أن قبلوا المسيح مخلصاً وفادياً .  
 فما هو « الإنسان العتيق » ؟ وما هو « الإنسان الجديد » ؟ استعمل الرسول هاتين العبارتين في رومية ٦: ٦ وكولوسي ٣: ٩ . في رومية أرانا هذا الإنسان العتيق « وقد صلب مع المسيح » . وفي كولوسي أرانا أياه « وقد خلعه المؤمنون مع أعماله » . فالإنسان العتيق هو الحالة العتيقة التي كان عليها المؤمن قبل أن يعرف المسيح ، وهي تتناول موقفه الأول باعتبار كونه وليد آدم الأول ، وذاته الأولى بسريرتها وسيرتها ، وحياته الأولى بجوهرها ومظهرها . وهو يختلف نوعاً عن الطبيعة القديسة التي تظل في المؤمن حتى بعد تجديده .  
 والإنسان الجديد هو المؤمن بعد تجديده — بما في ذلك القلب الجديد الذي خلق فيه وقت التجديد ، والروح الجديدة التي أنشأها الله في داخله ، والموقف الجديد الذي يقفه أمام الله باعتباره منتسباً إلى المسيح — آدم الثاني ، والحياة الجديدة التي يحياها بعد الإيمان — بسريرتها وسيرتها ، والذات التي خلقها الله فيه بروحه .

وفي اعتقادنا أن « الإنسان العتيق » ، « والإنسان الجديد » تعبيران يتمشيان في نسبة أحدهما إلى الآخر ، مع التعبيرين اللذين استعملهما بولس : « آدم الأول » و « آدم الثاني » . ( رومية ٥: ١٢ — ١٩ و ١٥: ٢١ — ٥٨ ) .  
 ولكننا لا نستطيع أن نقول أن الإنسان العتيق هو آدم الأول ، ولا أن « الإنسان

## ٢٣ وتجددوا بروح ذهنكم ٢٤ وتلبسوا الإنسان الجديد

الجديد» هو المسيح ، لأن الإنسان الجديد مخلوق. لكن المسيح غير مخلوق، وكلاهما يتناول موقف الإنسان شرعياً وعملياً

— ب — أما طبيعة «الإنسان العتيق» . فقد وصفها الرسول بكلمة جامعة: «الفساد» . وقد وردت بصيغة الاستمرار المتجدد. أى أنه يتدرج من فساد إلى فساد ، حتى يستهلك نفسه بالأنحلال ، فينتهى إلى العدم . وطبيعة الإنسان الجديد ظاهرة في قوله : «المخلوق بحسب الله» — أى على صورة الله الأدبية والروحية

— ج — إن أسلوب «الإنسان العتيق» هو : «حسب شهوات الغرور» . فالغرور يستهوى بالمواعيد الخالية الخادعة — والشهوات لها خداع كالسراب لكنها تودى بالمرء إلى الموت الروحي أما أسلوب الإنسان «الجديد» فهو «في البر وقداسة الحق» . فـ «الحق» ضد «الغرور» . و «القداسة» ضد الشهوات . «البر» يعين صلة الإنسان بالناس ، و «القداسة» تعين صلته بالله .

كلمة «بحسب» — تعنى أن الفساد والأنحلال هما نتيجة طبيعية لشهوات الغرور (٢ بط ٢: ١٨) . وقول الرسول : «شهوات الغرور» يتضمن إشارة خفية إلى الغرور الذى انخدع به آدم الأول فأضاع الفردوس وحكم عليه بالموت. ومن الطبيعى جداً بأن نعتقد أن قصة آدم كانت ماثلة في ذهن الرسول وقت كتابة هذا الفصل . فمن آدم الأول ، رفع فكره وفكرهم إلى آدم الثانى .

— ب — بماذا نتجدد : «وتجددوا بروح ذهنكم» . وردت كلمة

## المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق

«تحدوا» بالصيغة الحالية المستمرة لتفيد التقدم والنمو. فهي بمثابة للصيغة التي وردت بها كلمة: «الفساد»، فإذا كان الفساد يتزايد حتى يصل إلى الانحلال والعدم، فإن التجديد يتكرر، وينمو، ويتقدم. هذه هي عملية «التقديس» التي يتقدم فيها المؤمن فينال نعمة فوق نعمه (يوحنا ١: ١٦). وفي هذا يقول بولس: «لذلك لا تفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفتنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢ كو ٤: ١٦).

أما موطن التجديد فهو «روح الذهن» - الذي هو مقر الحياة الروحية في الإنسان - هو خلاصة الملكات العقلية والاتجاهات النفسية التي هي جوهر الإنسان الباطن. هذا هو موطن عمل الروح القدس ومقره في الإنسان عند التجديد وبعد التجديد. هذا يوافق قول الرسول في رسالة سابقة: «فأطلب إليكم أيها الأخوة بأفة الله أن تقدموا أجسادكم ... عبادتكم العقلية» (رومية ١٢: ١ و٢). إن حرف الباء في قوله «روح» ، يعني «فيما يختص» روح ذهنكم . أو «من جهة» روح ذهنكم . أو «في» روح ذهنكم .

يجوز أن نلخص حجة الرسول في الثلاثة الأعداد التي مرت بنا ، في عبارة أخرى ، هاقد قطعتم كل صلة تربطكم بآدم الأول . ودخلتم في عهد جديد مع آدم الثاني . فقد أسمى كل منكم شخصاً جديداً ، بعد أن طوى تلك الشخصية القديمة ، وصارت في خبر كان .

ثانياً : تصرفات عتيقة ، وتصرفات جديدة (٤: ٢٥ - ٣٢).

تابع الرسول في الأعداد التالية ، كلامه الذي انتهى إليه في الثلاثة



## ٢٥ لذلك اطرخوا عنكم الكذب

الأعداد السالفة ، فتقدم من المبادئ العامة إلى الحقائق الخاصة ، وانتقل من أصل الشجرة إلى الثمر ، ومن الأساس إلى البناء ، ومن الحياة إلى التصرف ، فذكر التصرفات العتيقة التي يريدون أن يخلعوا عنها ويخلعوها ، والتصرفات الجديدة التي يريدون أن يمارسوها . لأن الكلمة المترجمة : « اطرخوا » في غرة عدد ٢٥ ، هي من اشتقاق الكلمة التي ترجمت « تخلعوا » في مطلع عدد ٢٢

ولدى التأمل ، يتبين لنا أن الرسول ، ذكر في الثمانية الأعداد الآتية (٢٥:٤ — ٣٢) خمس رذائل ، معرضاً المؤمنين على نبذها ، وخمس فضائل حاضاً إياهم على الاستمسك بها ، قارناً كل تحريض وحض ، بباعث جوهري . ويلوح لنا أنه سردها في شكل خمس ثلاثيات — كل ثلاثية منها تتضمن :

١ — الرذيلة التي حملهم على نبذها — ب — الفضيلة التي يرغب إليهم أن يستمسكوا بها — ج — الباعث على النبذ والاستمسك

**عدد ٢٥ | الثلاثة الأولى: الكذب، والصدق، والباعث (٢٥:٤)**

١ — الرذيلة « اطرخوا الكذب » — ب — الفضيلة

« تكلموا بالصدق » — ج — « الباعث : لأننا بعضنا أعضاء البعض »

الرذيلة : « لذلك اطرخوا عنكم الكذب » . هذا مماثل لقول الرسول في رسالة معاصرة لهذه : « لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتكم الإنسان العتيق مع أعماله وليستم الجديد الذي يتجدد بالمعرفة حسب صورة خالقه » (كولوسي ٣:٩ و ١٠) . ولعل الرسول استهل كلامه في هاتين الرسالتين

## وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه

بالتنديد برذيلة الكذب ، لأنها كانت فاشية في الأوساط اليونانية ، وفي بعض البيئات الشرقية . والمراد بـ « طرح الكذب » ، نبذه بهذا النواة ، وإلقاءه جانباً بكل غضاضة ، مثلما يلقي الإنسان ثوبه العتيق « البالي » ( كولوسي ٨:٣ ، عبرانيين ١٢: ١١ وإويعقوب ٢١: ١ و١ بطرس ١: ٢ )

يقول تقليد قديم : إن بين الكلمات التي فاه بها فادينا المجيد ، مدة أيامه في الجسد ، قوله : « من كان قريباً مني ، فهو قريب من النار والنور » . فهو النور ، وهو الحق . وكل من عرفه لا يمكن أن يعيش في الكذب ، ولا أن يعيش الكذب فيه . فكما أن الخفاش لا يطيق الوجود في النور ، كذلك الكذب لا يطيق أن يحيا في الحياة الجديدة .

ب- الفضيحة : « تكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه » . الصدق مشتق من الحق ، والحق نور لا ظلمة فيه البتة . وكما أن النور هو أول شيء خلق في أول يوم للخلقة الأولى ، كذلك يجب أن يكون الصدق غرماً حياة للخلقة الجديدة . ومن المهم أن نذكر ، أن الإنسان مسئول عن التأثير الذي يلقيه كلامه في ذهن السامع ، فلا يليق به أن يذكر كلمات تحمل على معانٍ مختلفة ، ويلتمس لنفسه العذر بأنه أراد غير ما فهمه السامع . وسر الكذب ما كان مموهاً بصيغة الصدق أو ممزوجاً بعنصر من الصدق .

« القريب » المشار إليه هنا ، هو الأخ المسيحي الذي تربطنا به روابط الشركة والخدمة ( روم ١٢ : ٥ ، ١ كور ١٢ : ١٢-٢٧ ) .

ج- الباعث : « لأننا بعضنا أعضاء بعض » - أو « لأننا أعضاء بعضنا

### لأننا بعضنا أعضاء البعض

البعض» . إن كل عضو في الجسد مرتبط رأساً بالرأس وعن طريق الرأس مرتبط بسائر الأعضاء . وإذا كان كل عضو في الجسم الطبيعي يقوم بوظيفته نحو العضو الآخر ، بكل ولاء وإخلاص ، من غير تخادعة ولا مواربة ، فكم بالحري يجب على كل عضو في جسد المسيح الحي ، أن يظهر كل ولاء نحو العضو الآخر ! فالكذب — والحالة هذه — يعتبر جريمة على الرأس ، لأنه يكلفه كثيراً ، وفوق ذلك فهو بمثابة إدخال عضو غريب على الجسد . فإن هجم مرض على أحد الأعضاء تنبّهت له سائر الأعضاء وتسكّاتت معاً على طرده . فالكذب يحسب خيانته كبرى ، وفي نهاية الأمر ، يعود بالويل على العضو الذي أخفى الحقيقة ، لأنه مرتبط بالعضو الآخر ارتباطاً حيوياً مكيناً لا تنفصم عراه . غالباً استقصى الرسول بولس هذا الباعث من نبوة قديمة : « ليس كل إنسان قريبه بالحق . اقضوا بالحق . وقضوا السلام في أبوابكم (زكريا ٨ : ١٦) وأضاف إلى هذه النبوة القديمة عنصراً جديداً : « لأننا بعضنا أعضاء البعض » لأن هذا العنصر الأخير لم يعلن إلا في المسيح .

يقول علماء النفس المعاصرين : الكذب جريمة على الثقة المتبادلة بين المجموع . ولكن ما ينادى به علماء النفس الآن قد سبقهم إليه رسول الأمم ، منذ ألفي عام ، لأنه استنار « بنور المشرق من العلاء » .

الثلاثية الثانية : الغضب الخاطيء . والغضب البريء (٤ : ٢٦ و ٢٧)

— أ — الرذيلة : الغضب الخاطيء : « اغضبوا . . . » — ب —

## ٢٦ اغضبوا ولا تخطئوا

الفضيلة. الغضب البريء : « اغضبوا ولا تخطئوا » - ج - الباعث :  
التحوط ضد إبليس : « لاتعطوا إبليس ».

عدد ٢٦ | ١ - الرذيلة: الغضب الخاطيء : « اغضبوا » .

من المسلم به ، أن الغضب انفعال طبيعي . وليس هو شراً في ذاته ولا هو بالخير . فهو كالكأس التي قد يسكب فيها الماء الزلال ، وقد يصب فيها سم الاصلال . وينبغي أن نعرف بأن الغضب الطبيعي من شر العادات ، لأن المرء يغضب عادة متى شعر بأن كرامته الشخصية اُمتُنت . هذا هو الغضب الخاطيء ، لأنه يدل على أن الذات . المسيطرة على الإنسان ، وأنها معبوده الأعلى ، وفوق ذلك ، فإن الكلمات الجارحة التي يتفوه بها المرء وقت الغضب ، هي شر قتال ، وهي أقوى دليل على أنه غضب خاطيء .

ب - الفضيلة. الغضب البريء - « . . . ولا تخطئوا . لا تغرب الشمس على غيظكم » . الغضب البريء هو الانفعال انتصاراً لحق مهضوم ، وإنصافاً لضعيف مغلوب على أمره ، أو وقوفاً في جانب الله في وجه أنبياء البعل وما أكثرهم في كل عصر ومصر . في مثل هذه الأحوال ، لا يكون الغضب أمراً مباحاً فقط ، بل أمراً واجباً ، لأن السكوت على المظالم جريمة ، وملاقة الجبان بوجه يستام لهو جرم أثيم ، والرضى بإهانة التقدير على مسمع مناء هو أكبر تجديف على الله . إن شر مظهر للخطية هو ذلك الذي وصفه بولس في ختام الاصحاح الأول من رومية - وهو لا يقل عن الشرور المطلخة وجه

## لا تغرب الشمس

ذلك الأصحاح: «الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يعلموها فقط بل يسرون بالذين يفعلونها» (رومية ١: ٣٢) هذا هو السر في غضبة المسيح على الحق، ولأجل الحق، وباسم الحق: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون»، «اذهبوا قولوا لذلك الشعب»، إن من لا يعرف غضب المسيح لأجل الحق، لا يعرف معنى قداسته، لأن القداسة هي المحبة ملتهبة بنار الغيرة على الحق

غير أن الرسول يحنط كثيراً في الأمر، فلا يجعل الغضب أمراً باحاً على الإطلاق، لأن طبيعتنا الفاسدة غدار خادعة، تريد أن تغضب لنفسها ولكرامتها، تحت ستار الغضب لأجل الحق، وتريد أن تدافع عن كرامتها بحجة دفاعها عن كرامة الله. لذلك يجوز أن نحمل كلام الرسول على هذا المعنى: «أن الغضب أمر خطير، فلا تجعلوه شعار حياتكم. ولا تتخذوه سلاحكم في وقت مناسب وغير مناسب. ولكن إن غضبتم فليكن غضبكم شريفاً بريئاً وليكن غضبكم خالياً من روح الغيظ والحقد، وإن السبقتكم في هذا النوع الأخير، فاسمحوا واسمحو قبل أن تغرب الشمس عليكم».

إن التماهى في ما نسميه بـ «الغضب البريء» ليس محمود المواقف، فقد ينزلق الإنسان من «الغضب المقدس» إلى «الغضب النجس» وهو لا يدري. لأن الذات خبيثة، تتسلل من كل نافذة مفتوحة أو شبه مفتوحة، لتبسط نفوذها وسلطانها.

إن قول الرسول: «اغضبوا ولا تخطئوا» مقتبس من مزمور ٤: ٤، وفق

## علي غيظكم ٢٧ ولا تعطوا

الترجمة السبعينية. وفي الترجمة العربية: «ارتعدوا ولا تخطئوا» — والغضب والارتجاف من مصدر واحد: هو اهتزاز الأعصاب، من شدة الانفعال وقوله: «لا تغرب الشمس على غيظكم» يُعيد إلى فكرنا قول موسى بأن «لا تغرب الشمس على رهن النقمير في بيت الغنى»، ولا تغرب الشمس على الجثة المعلقة على الصليب» (تثنية ٢٤: ١٣ و ١٥، ٢١: ٢٣). على أنه لا يجب أن يؤخذ كلام الرسول حرفياً، وإلا جاز لسكان جرينلاند أن يحتفظوا بالغيظ في قلوبهم مدة تقرب من نصف عام — لأن هذا هو طول النهار عندهم! إن قصد الرسول هو أن نسارع إلى السماح والاستسماح.

ويقول بلوطارخوس — أحد أعلام التاريخ القديم — إن فيثاغورس الفيلسوف علم أتباعه بأنهم إذا وقعوا في خطية الغضب فليصافحوا بعضهم بعضاً قبل غروب الشمس.

## ١ عدد ٢٧ | ج — الباعث — التحوط ضد مكاييد إبليس: «لا

تعطوا إبليس مكاً». إن إبليس خداع مكير، قضى في مهنته آلاف السنين فأتقن أساليبها وحق أفانيها. فهو يريد أن يتدخل بين المؤمنين ملتصقاً حلي المماذير وأعدبها. فراراً يتدخل بحجة حسم النزاع، وإقامة الصلح. لأنه أحياناً يتخذ شكل ملاك نور، وما غايته إلا توسيع الثغرة، فيجعل من الحبّة قبة، وبقية من الناقذة ناباً. لأنه حكيم في فن تأويل الكلام، ليوغر به الصدور، وهو يرحب بالأشواك الصغيرة أمام أبواب قلوب المحبين، فيسقيها بعصارة

## ابليس مكاناً . ٢٨ لا يسرق السارق في ما بعد

محمومه ، ويفتت بها من حمأة قلبه ، لئلا يدب بها أبواب القلوب إلى الأبد لا غرو إذا استعمل إبليس كل وسيلة في إمكانه ، ليضرب بين المؤمنين بسهم من الجفاء ، لأنه يجد لذة خاصة في أن يشكو كل مؤمن لدى أخيه المؤمن ، فهو العدو « المشتكى » إسماً وسمياً ، كما يدل عليه اسمه في اليونانية - « ديابولوس » . يقول الدكتور مورود : « حيثما يجد الشيطان قلباً مغلقاً ، يوجسده لنفسه باباً مفتوحاً » . ويقول أحد الآباء الأولين : « لا تسارع إلى الغضب لأنه كثيراً ما يؤلف القتل » . ومثل الفرد في هذا ، مثل الجماعات والهيئات

**عدد ٢٨ | الثلاثية الثالثة : السرقة ، والكذب الصالح : ( ٢٨ : ٤ )**

— أ — الرذيلة — السرقة : « لا يسرق السارق فيما بعد »  
 — ب — الفضيلة — الكذب الصالح : « بل يتعب ... » — ج — الباعث — الإحسان : « ليكون ... أن يعطى » .

— أ — الرذيلة : السرقة : « لا يسرق السارق فيما بعد » . إن من يعرف الحالة الأدبية التي كان عليها الأعميون سيما في كورنثوس وأفسس لا يتعجب إذا وجد الرسول يستعمل الصيغة الحالية : « السارق » . فليس من المستبعد أن تكون أهداب هذه الخطية الذميمة قد علفت ببعض منهم . ويعمل بعضهم إلى ترجمة هذه العبارة بصيغة الماضي : « من كان سارقاً » — أي قبل الإيمان على أنه يجب علينا أن نتنبه كثيراً إلى الصور المنوعة التي تتخذها هذه الخطية — فثم الصيت ، وعدم إعطاء الأجير أجراً متناسباً مع عمله

بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من

وحاجياته ، وعدم تكريس العشور لله ، وكف اليد عن مساعدة المسكين ، وإهمال المؤمن واجباته نحو المحتاجين من أهله وذويه ، ونضه الإنسان العائش على لحم غيره — كل هذه مظاهر مختلفة لجوهر واحد : هو السرقة — ب — الفضيلة : الكد الشريف : « بل يتعب عاملاً ... بيديه »

لم يذكر الرسول هنا شيئاً عن رد المسروق مثلما أشار في رسالة معاصرة لهذه (فليمون ١٨) . ولعل كلامه هنا منصرف إلى الواجب على المؤمن من جهة المستقبل على اعتبار أن رد المسلوب أمر مسلم به . إذ ليس الكد الشريف مجرد فضيلة تقابل رذيلة السرقة ، لكنه علاج لذلك المرض . فإذا كان رأس الكسلان معيلاً للشيطان ، فإن الكد الشريف يسد الثغرة التي يدخل منها الشيطان إلى قلب الإنسان . هذا هو مبدأ «التسامي» الذي ينادى به علماء النفس في وقتنا الحاضر ، وقد نادى به بولس قبلهم بألفى عام — وهو يقوم بتوجيه قوى الإنسان التي كانت منصرفة إلى الشر ، والتسامي بها لتصرف إلى الخير . قاليدان اللتان كان يسرق بهما السارق قبل الإيمان ، يجب أن يكرسهما للعمل الصالح المنتج .

— ج — الباعث — الإحسان : « ليكون له أن يعطى ... »

ليس هذا مجرد إصلاح ، لكنه انقلاب عظيم — من الظلام الحالكة إلى النور الباهر . من الإنسان العتيق الفاسد ، إلى الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله . قبل الإيمان ، كان الإنسان يفكر في الطرق التي ينهب بها ويسلب ، وبعد الإيمان يجب أن يفكر في الطرق التي يعطى بها ويهب . قبل أن يقف



## له إحتياج . ٢٩ لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم

من الناس موقف المحتاج إلى ما لهم ، وبعد الإيمان يجب أن يقف منهم موقف المعين والمساعد . كانت حياته قبل الإيمان حياة البحر الميت الذي يأخذ على الدوام ولكنها أضحت بعد الإيمان حياة بحر بطرية الذي يوجد بمافيه بالتمام !  
الثلاثية الرابعة - الكلام الهادم ، والكلام الباني (٤ : ٢٩ و ٣٠)

— ١ — الرذيلة . الكلام الهادم : « لا تخرج كلمة ردية » — ب — الفضيلة . الكلام الباني : « بل . البنيان » (ج) الباعث : « كي يعطى » .. « لا تحزنوا »  
| عدد ٢٩ | — ١ — الرذيلة — الكلام الهادم : « لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم » . الكلمة « الردية » هي الكلمة « الفاسدة » المجردة عن النعمة ، والخالية من « الملح » كما قال بولس في رسالة معاصرة : « ليسكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح » ( كولو سي ٤ : ٦ ) . وبما أن الملح يكسب الطعام مذاقاً صالحاً ، ويحفظه من الفساد والتعفن ، فالكلمة « الخالية من الملح » هي الكلمة العاطلة الخالية من كل طعم ومذاق ، وهي أيضاً الكلمة الباطلة المنفعة فساد فتخرج من الفم كما تخرج الرائحة الكريهة من قبر مفتوح ( رومية ٣ : ١٣ ) . وقد وردت كلمة « ردية » في البشار ، وصفاً للشجرة الردية ، وللسمك الرديء ( متى ١٧ : ٢٠ ، ١٢ : ٣٣ ، ١٣ : ٤٨ ) . فهي ليست ممتصة صورة على الأشياء التي لا خير فيها ، لكنها تتناول الأشياء المنفعة شراً وفساداً . وهي ليست سلبية كما لو كانت غير بانية وكفى ، لكنها هادمة . وإن من لا خير فيه ، لا يمكن أن يكون خلواً من الشر .

بل كل ما كان صالحاً للبنیان حسب الحاجة كي يعطى نعمة  
للسامعين ٣٠ ولا تحزنوا

— ب — الفضيلة: الكلام الباني : «بل كل ما كان صالحاً للبنیان»  
إن استعارة البناء التي استعملها الرسول في ٢: ٢١ و ٤: ١٦ ما زالت في  
ذهنه عند كتابة هذه العبارة : «صالحاً للبنیان» . وقد أوصى وصية مماثلة  
لهذه في رسالة سابقة «فلنمكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنیان بعضنا  
لبعض» (رومية ١٤: ١٩)

وصف الرسول الكلام الصالح في هذا العدد وصفاً رباعياً — ا — في  
طبيعته: «صالحاً» — وهو الكلام المصلح بملح — ب — في عمله : «للبنیان»  
أي لازدياد الأعضاء في النعمة والصلاح . ولقد شهد الأسقف برنت عن  
رئيس أساقفة ليتون أنه لم يوجد يوماً في حضرته إلا وسمع من فيه كلاماً جعله  
أحسن حالاً مما كان قبل أن يراه — ج — في مناسبته : «حسب الحاجة»  
إن كثرة الكلام لا تخلو من المعصية . وليس في الوجود أبداً بدع من كلمة مقولة في  
وقتها وحسب الحاجة إليها . فليعلمنا الرب متى تتكلم ومتى نصمت «حسب  
الحاجة» — د — في خدمته: «كي يعطى نعمة للسامعين» . فالكلام الصالح يكون  
خادماً للنعمة . لأن روح الله يستخدمه أداة لإيصال النعمة إلى قلوب السامعين .  
الكلمة المترجمة «نعمة» يجوز أن تترجم أيضاً إلى : «لذة، وهناء، وسرور» .  
هذا هو الكلام الذي وصفه بولس في كوروسى ٤: ٦ «ليكن كلامكم... بنعمة»  
عدد ٣٠ — ج — الباعث : تقديس شعور الروح القدس :

## روح الله القدوس الذى به ختمتم

فى العدد السابق ، أشار الرسول إلى باعث أقل من هذا خطراً ، هو «إعطاء نعمة للسامعين» . ولكن الباعث المذكور فى هذا العدد ، غاية فى الأهمية والخطورة : «لا تحزنوا روح الله» . فالروح القدس الحى فى جماعة المؤمنين ، وفى قلوبهم ، يستمع لكل كلمة تخرج من أفواههم ، فيحزن لكل كلمة رديئة يتلفظون بها .

فى يوم الخمسين ، ظهر الروح القدس للمؤمنين «بالسنة منقمة كأنها من نار فاستقرت على كل واحد منهم» (أعمال ٢: ٣) . فلاغرو إذا كان الروح القدس رقيباً على الألسنة ، فكل كلمة رديئة تحزنه . لأنها دليل على أن الألسنة التى تنطق بها مضرمة من نار سفلى (يعقوب ٣: ٦) .

فى الخطاب العظيم الذى ألقاه اسطفانوس ، قال : «لاتقاوموا الروح» (أعمال ١٧: ٥١) . وفى رسالة سابقة لهذه ، قال بولس : «لا تطفئوا الروح» (١ تس ٥ : ١٩) . وهنا يقول : «لا تحزنوا الروح» . وفى الاصحاح الخامس من هذه الرسالة يقول : «امتلئوا بالروح» (١٨: ٥) . فالثلاثة العبارات الأولى تحذرننا من عمل سلبى تأتية ضد الروح . والعبارة الرابعة (١٨: ٥) توصينا بواجب إيجابى نقوم به إزاءه . إن «مقاومة» الروح تدل على أن الروح يُرمز إليه بـ «قوة» . وإطفاء الروح يدل على أنه يُرمز إليه بـ «نار» ، وإحزان الروح يدل على أن الروح القدس شخص — أو أقنوم — له عواطف وإحساسات والامتلاء بالروح يدل على أن الروح يُرمز إليه بـ «ماء» ، والإنسان بـ «إذنة» ، يعتليء بالماء وفى الماء .

## اليوم القداء . ٣١ ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب

إن هذا الباعث الذي نحن بصددده : « لا تحزنوا الروح » هو أشرف البواعث لدى المؤمنين الذين يقدرون شعور هذا الروح القدس الذي هم له مدينون : « بخنمه لإبائهم ليوم القداء » . والختم يرمز إليه هنا بالضمان ، والحفظ (أطلب شرح هذه الكلمة في ١: ٣ من هذه الرسالة . إن « يوم القداء » المقصود هنا هو يوم تجيد المؤمنين ، حين يكمل فداء الجسد والروح معاً عند ظهور ربنا يسوع المسيح — هذا هو الرجاء الذي وضعه بولس نصب أعين أهل رومية « متوقعين التبني فداء أجسادنا » (رومية ٨: ٢٣) .

الثلاثية الخامسة : الانفعالات الرديئة والشعور الطيب (٤ : ٣١ و ٣٢)

أ — الرذيلة — الانفعالات الرديئة : « ليرفع من بينكم »

ب — العذيلة — الشعور الطيب : « وكونوا لطفاء . . . »

ج — الباعث — الصفح الإلهي : « كما سامحكم الله »

عدد ٣١ | أ — الرذيلة : الانفعالات الرديئة : « ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبيث » .

هذه الأخوات الست : « المرارة ، والسخط ، والغضب ، والصياح ، والتجديف ، والخبيث » قد تتفاوت في شدتها وشناعتها — حسب الظاهر — لكنها كلها مظاهر متنوعة لجوهر واحد — هو الإنسان العتيق الغير المتجدد المرارة : « هي شراسة الأخلاق التي تجعل الإنسان سريع الغضب ،

بطيء الرضى » .

وصياح وتجديف مع كل خبث . ٣٢ وكونوا لطفاء بعضكم  
نحو بعض شفوقين متسامحين

السخط والغضب : يتميز السخط عن الغضب في أن أولهما : مرض  
حاد ، والثاني : مرض مزمن . وقيل إن السخط لا يصدر إلا عن الكبراء  
والعظماء نحو من هم دونهم ، والغضب مطلق . ولعل المراد بالسخط ما يشعر به  
الإنسان عند التجربة المباشرة . والمراد بالغضب ما هو أعمق من السخط في  
القلب ، ويحمل على الانتقام من المفضوب عليه ، ولا يشفى إلا به .

الصياح : هو إظهار الغضب بالصوت فيهبج بذلك غضب الغير  
التجديف : هو ما ينتج عن الغضب مقصوداً به إيلاام الغير . وأصله في  
اليونانية يفيد اللعنة والريسة . ولعنة الإنسان مثله لا تخلو من التجديف على خالقه  
الخبث : هو أصل في القلب وكل ما ذكر آنفاً ، هو من فروعه . ورفع  
الفروع حتى لا تظهر أبداً ، يستلزم قلع الأصل وغرس عكسه - وهو المحبة  
التي قيل فيها إنها : تتأني وترفق . لا تحسد ولا تقبح ولا تطالب ما لنفسها  
ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق ( ١ كو ١٣ : ٥ و ٦ )  
عدد ٣٢ - ب - الفضيلة - الشعور الطيب : « وكونوا لطفاء

بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين » وردت كلمة « اللطف » في لوقا ٦ : ٣٥  
ورومية ٢ : ٤ ، ١١ : ٢ بمعنى « الطيبة والصلاح » . وهي في أساس استعمالها  
تعني « النفع » - ثم « المساعدة والمعونة » - ثم اللطف في الشعور والكلام ، وهي  
نفس الكلمة التي وُصف بها نير المسيح ، أنه « خفيف » ( متى ١١ : ٣٠ ) .

## كما ساءحكم الله أيضاً في المسيح

الشفقة : عاطفة قلبية ، وردت في ٩ بطرس ٨:٣ ولم ترد في العهد الجديد سوى في هاتين المرتين . وهي تنطوي على معنى من معاني العطف .  
التسامح : جميل أن نذكر أن هذه عبارات وردت في الأصل :  
«متسامحين نحو أنفسكم» . فهي تعتبر جسد المسيح كتلة واحدة - وما يمس العضو الواحد يمس الآخر - وهي تنطوي على معنى التبادل ، فإن من يغتفر اليوم قد يكون غداً مسيئاً ، فيحتاج إلى من يصفح عنه كماصفح هو بالأمس  
- ج - الباعث : «كما ساءحكم الله أيضاً في المسيح» - يرجع بنا هذا القول إلى ما علمنا المسيح إياه في الصلاة الربانية : «اغفر لنا ذنوبنا كما تغفر لمن أيضاً للمذنبين إلينا» ، «في المسيح» - هذا هو مجلي ظهور صفح الله عنا - أن الله كان في المسيح مصالماً العالم لنفسه ( ٢ كور ٥ : ١٩ ) .

«في المسيح» هذا هو ضمان صفح الله عنا - إذ قدم الله نفسه

ذبيحة عنا ، ووفى الدين الذي كان علينا . « في

المسيح » - هذا هو حجة صفح الله عنا

لأن الله رأى أننا متبررين في المسيح

فصالحنا فيه وصفح عنا

## الأصحاح الخامس

في هذا الأصحاح ، استأنف الرسول كلامه الذي اختتم به الأصحاح السابق : « كما سأمحكم الله أيضاً في المسيح » . فأتخذ من كلامه هذا ، باعثاً إيجابياً ، يحمل المكتوب إليهم على السلوك في جدّة الحياة ، باعتبار كونهم « أولاداً أحبّاء لله » الذي « سأمحهم أيضاً في المسيح » .

إن هذه المحبة القدسية المضحية التي وجّتها إلينا الأب السماوي ، في شخص المسيح المصلوب لأجل خطايانا ، والمُسّقام لأجل تبريرنا ، هي مبعث التسامح بين المؤمنين ، وهي أقدس حافظ لهم على قداسة الحياة : وحياة القداسة . هي النار التي تلهب قلوبهم في الخدمة ، إذا هم أُعبروا في . سالكها الوعرة ، وهي النور الذي يلمهم بصائرهم فيهديمهم في جهاد الحياة المحفوف بالامكارد . هي « همزة الوصل » بين المؤمنين إذا انقطعت بينهم صلوات المودة ، وهي « همزة القطع » بينهم وبين « إنسانهم » العتيق الفاسد !

في نهاية الأصحاح السابق ، ناشد الرسول المكتوب إليهم ، أن يتخلعوا الإنسان العتيق ، ويقلعوا عن أعماله . فكان كلامه منضجاً بنوع خاص ، على الخطايا التي تشير عوامل الشجاعة والبغضاء بين المؤمنين ، فتفسد عليهم تضامنهم ، وتعبث بوحدايتهم المقدسة التي هي مركز الدائرة في هذه الرسالة .

لكنه في هذا الأصحاح ، حضّتهم على نبذ الخطايا التي تدنس دعوتهم المقدسة ، وتعتن الاسم الشريف المقدس الذي دُعي عليهم باعتبار كونهم

## ١ فكونوا متمثلين

أبناء الله القدوس . فمن أقدس واجباتهم ، أن يكونوا قديسين « كما أن أباهم الذي في السموات هو قدوس » ، فذكرنا الرسول بتلك الكلمة الخالدة التي قام بها مخلصنا المجيد : « فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل » (متى ٥ : ٤٨) .

فكأنه في ختام الأصحاح السابق ، حضهم على نبذ الخطايا التي تؤثر في صلتهم ببعض البعض كمؤمنين . وفي مطلع هذا الأصحاح حرضهم على ترك الخطايا التي تمس سمعتهم ومقامهم ، لدى العالم الخارجي ، مردداً جوهر كلمة قالها في مناسبة أخرى « اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج » .

## (٢) المسيحى في حياته الاجتماعية (٥ : ١ - ٢١)

أ - اسلكوا في المحبة ، فيُنتزع الفساد (٥ : ١ - ٥)

ب - اسلكوا في النور ، فيُطرد الظلام (٥ : ٦ - ١٤)

ج - اسلكوا بحكمة ، فتُبَعَد الجهالة (٥ : ١٥ - ٢١)

## عدد ١ (١) خير باعث على السلوك في المحبة (٥ : ١)

في الفصل السابق ، بدأ الرسول كلامه ، بذكر الرذائل التي حضّ المؤمنين على نبذها ، وأردفها بالفضائل التي أرادهم أن يستمكسوا بها ، ثم توجّج كلامه بذكر الباعث على الترك والتمسك . لكنه في هذا الأصحاح استهل كلامه بذكر الباعث الرئيسى الذي يرفعهم عن الدنيا ، ويدفعهم إلى الفضائل العليا ، وهو التمثل بالله في محبته المتسامحة المضحية التي ظهرت في المسيح



## بالله كأولاد أحياء

المصلوب: «فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحياء . واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة». إن خير باعث على المحبة، هو المحبة نفسها . لأن كل شيء يلد نظيره .

«كونوا متمثلين بالله كأولاد أحياء» — تعتبر هذه الكلمات حلقة اتصال بين ختام الأصحاح السابق، ومطلع هذا الأصحاح . لأن الاقتداء بالله في محبته المتسامحة المضحية، هو الطابع الخاص الذي يجب أن تتميز به حياة أولاد الله، فيحيا كل منهم، في دائرة الضيقة، حياة تهاكي — على نوع ما — حياة الله المتجلية في دائرة النعمة، فيبرهنون بذلك على أنهم أبناء الله الكلي المحبة، بل الذي هو محبه، لأن من أقدس واجباتهم أن يقتدوا بأبيهم السماوي . وبما أن لكل صوت صدى من جنسه، فمن الطبيعي أن يظهر المسيحيون نحو الآخرين، نفس الشعور الذي أظهره الله نحوهم — المحبة، فيكونوا محبين لغيرهم . بقدر ما صاروا هم محبوبين من الله، فيصبحوا كأنهم محاصرون بالمحبة من كل صوب : من خلف ومن قدام ومن فوق ومن أسفل — فتكون المحبة جواً مقدساً فيه يحيتون، ويتحركون، ويوجدون، لأن حبهم للآخرين هو وليد حب الله لهم .

«كأولاد أحياء» — هذا باعث سام ثريف، بل هو أسمى البواعث وأشرفها : «كأولاد أحياء» — لا كعبيد يملكهم الرعب كلما لحوا سيدهم، ولا كجبناء ييغون الفرار من عذابات الجحيم، ولا كنفقيين يسهون وراء ثواب النعيم، بل «كأولاد أحياء» ملأت المحبة قلوبهم، فأضحت لأقدامهم

## ٢ واسلكوا في المحبة

قوة دافعة إلى الأمام ، ولأشخاصهم أجنحة رافعة إلى العلى ، فى سبيل التضحية ، والرحمة والمحبة ، فيسلكون بروح البنين ، ودالة البنين ، وحرية البنين .

**عدد ٢ | (١) أعلى قياس للسلوك فى المحبة (٥: ٢)**

إن محبة الله لنا ، قد تجلت بأسمى مظاهرها فى محبة المسيح لنا ، إذ «أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» . فقدّم لنا بذلك خير باعث ، وأعلى قياس لسلوكنا فى المحبة

وكما أن كلام الرسول فى العدد الأول مستمد من كلام المسيح فى الموعظة على الجبل (متى ٥ : ٤٨) ، كذلك كلامه فى هذا العدد الثانى يعتبر ترديداً لصدى كلام المسيح فى خطابه الوداعى لتلاميذه: «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً» .. «هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم» ... «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» ... «أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به» (يوحنا ١٣ : ٣٤ ، ١٥ : ١٢ - ١٤) .

استهل الرسول هذا العدد ، موجهاً الخطاب إلى المكتوب إليهم : «واسلكوا ...» . لكنه ما كاد يصل إلى الكلام عن محبة المسيح حتى بدّل ضمير المخاطب بضمير المتكلم : «كما أحبنا المسيح» ، لأنه لم يطق أن يذكر شيئاً عن محبة المسيح ويظل هو بعيداً عن دائرتها القدسية المجيدة .

## كما أحبنا المسيح أيضاً

هذه الدائرة التي تعاضمت فيها مطاعم بولس الرسول لدرجة أنه احتسرها مرة لنفسه إذ قال : «الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» ( غلاطية ٢:٢٠ ) . وفي هذا فليتنافس المتنافسون ، لأنه «حسنة هي الغيرة في الحسنى» .

في هذا العدد حدثنا الرسول عن عمل المسيح السكفاري في جانبيه :

أولها في كونه ثمناً لحبه للإنسان : « كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا ... » . في هذا الجانب يتجلى لنا العنصر المستقل الاختياري في هذه المحبة : « ... كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه » ، هذا دليل على أن محبة المسيح لنا لم تكن مجرد تعبير عن محبة الله لنا ، لكنها محبة شخص له عاطفة مستقلة نحونا . إلا أن محبة الله لنا ، هي بعينها محبة المسيح لنا ، وما محبة الله ومحبة المسيح سوى وصفين جامعين للمحبة الإلهية الواحدة : الأولى يصفها في جوهرها ، والثاني يصفها في مظهرها . ( ١ بط ٤:٢ و ٣:٥ ، ٥:٥ )

هذه محبة - أ - تطوعية اختيارية : «أسلم نفسه» . إن كلمة «أسلم» تفيد التسليم التام التطوعي ، الاختياري ، ليس فقط بغیرا كراه ولا مقاومة ، بل بروح حرّ منتدب ، كأنه مقدم على عمل يريد هو ، بل يتوق إليه ، لا كأنه أريد عليه ، فهو أحبنا لأنه أراد . نعم لأجدال في أنه قدم نفسه للصلب إتماماً لبرنامج الفداء العجيب الذي دبره الأب منذ الأزل ، إلا أن هذا البرنامج لم يُفرض على المسيح فرضاً ، ولكنه مستمد من روحه الأزلي الذي به قد قدم نفسه ذبيحة عننا ، لأنه أحب ، وأحب لأنه أراد .

ب - هذه أيضاً محبة فدائية ، مضحية : « لأجلنا » أو بدلاً منا ،

## وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا قُرْبَانًا

أَوْ عَوْضًا عَنَّا . وَمَتَى ذَكَرْنَا مَا لِلْمَسِيحِ مِنْ سَمَوٍ ، وَقِدَاسَةٍ ، وَإِكْبَارٍ ، وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْخَطَايَا ، وَنَجَاسَةٍ ، وَصَغَارٍ ، تَبَيَّنَتْ لَنَا التَّضَحُّيَةُ الْكَفَّارِيَّةُ الَّتِي تَكْبِدُهَا السَّيِّدُ فِي سَبِيلِ افْتِدَائِنَا مِنْ آثَامِنَا . نَاهِيكَ عَنْ كَوْنِهِ قَدْ أَحْبَبَنَا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ ، غَيْرِ مُسْتَحَقِّينَ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْحُبِّ الْعَجِيبِ ( رومية ٥ : ٥ و ٨ ، غلاطية ٢ : ٢٠ ، يوحنا ١٥ : ١٣ ، غلاطية ٣ : ١٣ ) .

**الجانب الثاني :** عمل المسيح الكفاري في صلته بالآب : « قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً » . هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَمَلَ الْمَسِيحِ الْكَفَّارِي وَافِقٌ رَغْبَةٍ قَوِيَّةٍ فِي قَلْبِ اللَّهِ ، وَوَفَّى مَطْلَبًا جَلِيلًا أُرِحَتْ بِهِ عِدَالَتُهُ ، وَصَادَفَ رِضَى مِمْتَازًا فِي نَفْسِهِ تَعَالَى .

« قُرْبَانًا ، ذَبِيحَةً ، رَائِحَةً طَيِّبَةً » — تَذَكَّرْنَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ بِأُخْرَى مِمَّا ثَلَّةَ لَهَا ، نَسْطُرُهَا الرُّسُولُ فِي رِسَالَةِ مُعَاصِرَةِ هَذِهِ : « قَبِلْتُ مِنْ أَبْنَوْ دَتْسِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ عِنْدِكُمْ نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ مَقْبُولَةٍ ذَبِيحَةً مُرْضِيَةً عِنْدَ اللَّهِ » ( فِيلِبِّي ٤ : ١٨ ) . وَبِمَا بَأَنَّ بُولْسَ يَهُودِيَّ الْأَصْلَ وَالْثِقَافَةَ ، فَعَنِ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ يَكُونُ قَدْ اسْتَقَى هَذِهِ التَّعْبِيرَاتُ مِنْ سَفَرِ اللَّاويِّينَ ( الْأَحْبَارِ ) . وَبِرَجُوعِنَا إِلَى هَذَا السَّفَرِ ، يَتَضَحَّى لَنَا إِنَّ الْعِبَارَةَ « رَائِحَةً طَيِّبَةً » — רִיחַ נִיחָא — « رَائِحَةُ ارْتِيَا ح » اسْتَعْمَلَتْ وَصْفًا

لثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ التَّقَدِّمَاتِ . — ١ — الْقُرْبَانِ קָרְבָּן ( لَآوِيِّينَ ٢ : ٢ ) وَهِيَ تَعْنِي أَصْلًا الذَّبِيحَةَ الْغَيْرَ الدَّمَوِيَّةَ ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَشْمَلُ الذَّبِيحَةَ الدَّمَوِيَّةَ لِأَنَّهَا مَكَلَّةٌ لَهَا ، وَقَدْ أُرِيدَ « بِالْقُرْبَانِ » التَّكْفِيرَ الَّذِي بِهِ يُرَدُّ الشَّعْبُ إِلَى رِضَى اللَّهِ

## وذبيحة لله

والتقرب منه — ب — المحرقة — «  $\text{קָרְבָּן}$  » (لاويين ١ : ٩) — وهي  
تعني حرفياً الذبيحة الصاعدة بتمامها إلى السماء ، فلا يأكل منها الكاهن  
شيئاً . وهي رمز إلى تكريس النفس بتمامها لله — ج — ذبيحة السلامة —  
«  $\text{זֶבַח שְׁלָמִים}$  » (لاويين ٣ : ١ و ٥) ، وهي رمز إلى الشركة المقدسة مع الله  
المعبر عنها من جانب الإنسان ، بالحمد والشكر .

ومتى ذكرنا أن هذه الثلاثة الأنواع من الذبائح لم تكن سوى رموز  
للمسيح ذبيحتنا الأعظم ، نشين لنا أن المسيح قدم نفسه لله عنا ، قرباناً ليكفراً  
عن آثامنا وليجلب علينا رضى الله . ومحرقة ، دليلاً على تكريسه التام  
للغرض الأسمى الذى تجسد لأجله : « لأجلهم أقدم أنا ذاتى ليكفروا هم  
أيضاً مقدسين فى الحق » (يوحنا ١٧ : ١٩) ، وذبيحة سلامة ، لأنه وهو الإله  
الكامل ، والإنسان الكامل ، قد صنع سلاماً بين الله والناس بشخصه الممتاز .  
هذه هى محبة المسيح الفدائية ، الكفارية ، التطوعية ، وبها قدم  
لنا أعلى قياس للمحبة التى ينبغى أن نحب بها بعضنا البعض . لأنه أحنا  
حتى الموت ، بل قدم لنا أشرف باعث لهذه المحبة ، إذ قدم نفسه ذبيحة  
اختيارية : « والمعطى المسرور يحبه الرب » . ومتى كان حبنا لبعضنا  
البعض سامياً ، شريفاً ، خالصاً ، فإن حبنا هذا يحسب ذبيحة تعبدية لله  
فاليقبلها منا نسيم رائحة طيبة .

إن طاعة المسيح التى أظهرها بتقديم نفسه كفارة عنا ، قد تقبلها منه

## رائحة طيبة

الآب « نسيم رائحة طيبة ». فليس الله مجباً للذبايح ، ولا لسفك الدماء ، ولا لرائحة المحرقات — كما توهم باطلاً أحد الكتّاب المصريين — تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً ! لكنه يحب الطاعة ، ويريد الرحمة لا الذبيحة .

(٣) قلول الظلام تولى الأديار أمام جيوش المحبة (٥ : ٣ و ٤)

كرس الرسول العديدين الأولين من هذا الأصحاب للمحبة الإلهية ، التي يكتسبها قلب الآب نحن فاما منذ الأزل ، فأظهرها لنا في ملء الزمان بتقديم المسيح نفسه ذبيحة عنا . هذه هي أشعة أنوار محبة المسيح التي انبعثت نحونا من فوق الصليب . وهي التي تولد في قلوبنا حباً من جنسها نحو بعضنا البعض .

غير خاف أن النور متى سطع في مكان ما ، طرد الحشرات السكّانة فيه . ولدى التأمل ، يتضح أن الرسول ، بعد أن أطمأ اللثام عن شدة أنوار المحبة الإلهية (عدد ١) ، وبعد أن أظهر لنا قوة أضواء المحبة الأخوية المسيحية ، لم يبق أمامه سوى أن يكشف الغطاء عن قلول الظلام التي تطاردها جيوش أنوار المحبة ، حتى تطردها . هذا موضوع كلام الرسول في العديدين التاليين (عدد ٣ و ٤) . وبين جيوش المحبة وقلول الظلام ، تقف كلمة : « وأما » كند قائم بين مياه عذبة ومياه آسنة ، وكحد فاصل بين أنوار الحياة الجديدة وظلمات الحياة العتيقة في سجل الخليقة الجديدة . مثلما كان اليوم الأول في سجل الخليقة الأولى ، فاصلاً بين ظلمات الأرض الخربة المغمورة ، وأنوار الأرض الجديدة المغمورة ! !

### ٣ وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يسم بكنكم

ضف الرسول جيوش الظلام في فيلقين — كل منهما فيلق ثلاثي  
**عدد ٣** | الفيلق الأول : « الزنا ، النجاسة ، الطمع » — هذه مرة  
 أخرى ، فيها يقرن الرسول خطية النجاسة بخطية الطمع ( راجع ٤ : ١٩ ) .  
 والظاهر أن الكلمة اليونانية المترجمة « طمع » تنطوي على معنى أعم من الطمع  
 وأوسع . فهي تعين اتجاه حياة الإنسان الذي يعيش لذاته ، لأن من عاش لذاته  
 اليوم ، عاش لذاته غداً . فإن حياته تصح بلاضابط سوى ميوله الخاصة التي  
 لا تعرف خدماً للشعب . فيتخطى المرء حقوقه متعدية على حقوق الآخرين ،  
 وفي النهاية يبلغ حد الطمع الأشعبي . وغير خاف أن هاتين الخطيتين — النجاسة  
 والطمع — مشتقان من مصدر واحد : هو عدم الاكتفاء ، وهو وليد حب  
 الذات . وما من شك في أن هذا الحافز الذي يدفع إنساناً ما إلى النجاسة ،  
 هو بعينه الذي يدفع إنساناً آخر إلى الطمع ( ١ تس ٤ : ٣ — ٦ ) .

ولقد أحاط السكاتب هذا المثلث القاسد : « الزنا ، النجاسة ، الطمع »  
 بآطار أسود قاتم ، محذراً المكتوب إليهم من الخطايا المكونة لأضلاعه ، فلا  
 يذكر ولا اسمها فيما بينهم كقديسين ، لأنها والقداسة على طرفي نقيض —  
 والقداسة والقديسون من مصدر واحد وقد لوحظ مراراً أن التماذي في ذكر  
 هذه الخطايا بأسمائها ، ولو على سبيل التنديد بها ، كثيراً ما يوقظ كوامنها  
 الدفينة في الطبيعة البشرية ، ويفتح أمام الأصاغر أبواباً جديدة في سبل  
 ارتكابها ، لذلك قال عنها الرسول في موضع آخر « ذكرها أيضاً قبيح »

## كما يليق بقديسين ٤ ولا القباحة ولا كلام السفاهة

(١٢: ٥) . فالتلميح في هذا الباب قد يكون أفعل من التصريح . والإيجاز خير إعجاز ، والصمت أبلغ من الكلام .

فليكن المؤمن نقي الحياة ، عفاً اللسان ، مصلياً على الدوام أن يجعل الرب حارساً على باب شفثيه . لأن عدم التحفظ في التكلم عن هذه الخطايا يُعتبر تحريضاً للتجربة على أن تجرّبنا . ونحرضاً بهذه الخطايا لتقوم وتتحرش لنا . فمن أوجب الواجبات على القديسين بالدعوة السماوية ، أن يكونوا قديسين في حياتهم العملية على الأرض ، بذلك يصبحون قديسين نظرياً ، وعملياً .

**عدد ٤ | الفيلق الثاني - « القباحة ، كلام السفاهة ، الهزل » .** غير خاف

أن الرسول وضع الخطايا الكلامية في مستوى واحد مع خطايا الحياة العملية . لأن الكلام يسوق إلى الفعل ، فكم من خطايا تحاول الدخول إلى مدينة نفس الإنسان ، وإذ يتعذر عليها الدخول من أبواب الفعل ، تلج باب الأقوال فتجده مفتوحاً على مصراعيه . وكم من كلمات قبيحة جرت إلى أفعال ذكراً أيضاً قبيح .

الكلمة الأصلية المترجمة : « القباحة » لم ترد في العهد الجديد سوى هذه المرة . وهي في اللغة اليونانية القديمة ( كلاسيك ) من ذات المصدر الذي تشتق منه شر الأفعال وأقبحها .

وكذلك العبارة المترجمة : « كلام السفاهة » لم ترد في العهد الجديد سوى هذه المرة ، وهي تعني التكلم عن الخطية بلسان « الجاهل » وروح الغبي المستخف بخطاياهم وخطايا الآخرين .



## والهزل التي لاتليق

أما الكلمة المترجمة: «الهزل» فهي تعني المزاح الثقيل والسخرية والسبحة التي يحاول بها المرء أن يدخل السرور على نفسه ونفوس سامعيه بالنيل من مقام الآخرين والخط من أقدارهم. والظاهر أن هذه العادة كانت شائعة بين سكان أفسس في ولائهم وسهراتهم، وهي أيضاً فاشية بين أقوام كثيرين في عصرنا الحاضر، ومنهم حنرنا كاتب المزمور الأول في غرفة المزامير «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس». ومن المحقق أن من يستمد سروره من إيلايم الآخرين فهو مطبوع بطابع حب الذات الذي هو «نبيع كل نجاسة وطمع»، ولأن تنوعت الثمار، فالزرة واحدة. ويقول المؤرخون إن أهل آسيا كانوا متفنين في ضروب السخرية لأن الفيلسوف أرسطاطاليس كان يحسب المجنون ضرباً من الفنون الجميلة ! وغالى أحياناً فحسبه فضيلة ! وقد استنتج أوليبيودورس أن بولس الرسول شجب الهزل لدرجة لم يترك فيها مجالاً لكلام التفككة الذي قد يكون أحياناً بريئاً، لأنه كان حريصاً على أن يبعدنا عن الشر، وشبه الشر. فكم من مجلس يبدأ بكلام «الهزل البريء»، فيختم بالكلام المبتذل\*.

(\*) قال القديس برنارد: «الهزل بين أهل العالم، يحسب مزاحاً، لكنه بين المؤمنين يحسب مجديفاً».

وقيل عن جونسون الأديب الكبير إنه كان جالساً يوماً مع أحد رفاقه فسمع على مقربة منه جماعة من خدام الدين يزحون ويهزلون أملين أنهم بمزاحهم يكسبون إعجاب ذلك الأديب الكبير، لكن الرجل التفت إلى زميله وقال: «إن مزاح هؤلاء الخدام من أكثر الثرات لي في الحياة».

## بل بالحرى الشكر

ويعتقد بعض المفسرين أن كلمة : « لاتليق » تصف خطية الهزل وحدها لا كل الخطايا سالفة الذكر

القوة الطاردة لكلام الظلام : بل بالحرى الشكر . إن الحياة المسيحية الحقة لا تكتفى بالأعمال السلبية ، لأنها لا ترضى بالأعمال الإيجابية بديلاً . فهي لا تقف عند حد الافلاع عن كلمات القباحة ، والسفاهة ، والهزل ، التي لا تليق ، بل تتسامى بلغة الكلام فترتقى بها من الابتذال إلى الشكر . فتجعل من كلامنا عبادة مقدسة مرضية لله . فلا شيء يطرد الظلام ، سوى النور ، ولا قوة تذيب الثلج مثل قوة أنوار الشمس المشرقة . فبدل أن يكون كلامنا متجهاً اتجاهاً أفقياً عن الناس وإلى الناس ، بنعمة التحقير والتشهير ، يجب أن يتجه اتجاهاً عمودياً إلى الله بنعمة الحمد والتعجيد .

الكلمة اليونانية المترجمة « الشكر » ( يوركارستيا ) مجانسة في اللفظ والاشتقاق للكلمة « كارس » التي ترجمتها « نعمة » هذا هو كلام الشكر المشبع بنعمة ، الذي يليق بأناس عرفوا الله ، بل عرفوا منه وصاروا له أبناء . ولا يفوتنا أن نذكر أن قوله : « لاتليق » يحمل ضمناً زجراً شديداً لا يقدره إلا عارفوه : « أسلسكوا بلبياقة » . فاللبياقة لمن يقدرونها ويتذوقونها ، هي من أشرف البواعث وأقواها . فهي في عرف المؤمنين ، لا تقل عن كلمة « حرام » ، في لغة الغير المؤمنين . وهي تفيد التكافؤ ، والتوافق ، والتوازن — بمعنى أن حياة المؤمنين العملية على الأرض يجب أن تكون متكافئة ومطابقة لدعوتهم السماوية في الأعلى .

## ٥ فانكم تعلمون هذا أن كل زان

**عدد ٥** الحرمان العظيم الواقع على أهل الظلام (٥:٥)

هذا كلام يقينى واضح ، لاشئ فيه من الغموض والإيهام . ولا يأتية اللبس من إحدى نواحيه ، فلامجال فيه للجدال أو المساومة : « فانكم تعلمون هذا » . ويجوز أن تترجم أيضاً إلى : « فانكم تعلمون وتفهمون » . فان كنتم فى شك من جهة حقائق أخرى ، فلامجال للشك فى هذه الحقيقة لأنها واضحة كالنهار .

فى العدد الحادى عشر من الأصحاح الأول ، عرف الرسول المكتوب إليهم « أنهم فى المسيح نالوا نصيباً » وفى العددين الثالث عشر والرابع عشر من ذات الأصحاح ، قرر أنهم « ختموا » بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثهم ، فمن الطبيعى أن يعرفهم هنا أن من يقع فى الخطايا سالفة الذكر (٥: ٣ و ٤) يحكم على نفسه بالحرمان من هذا الميراث المجيد . لا لأنه كان له فاضاءه ، بل لسكونه غير أهل له من البداءة : « لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ، وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن . وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان » (٢ كو ٦: ١٤-١٦) . . . . . « عابد الأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح » .

(١) الخطايا : هذه هى الحقيقة . المرة اللاذعة — والحق بطبيعته — « إن كل زان أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له نصيب فى ملكوت المسيح والله » . فى هذه الكلمات ، وضع الرسول خطية الطمع فى مقامها اللائق بها ، إذا حاطها بخطيتين شديعتين : النجاسة عن يمينها ، وعبادة

## أونجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان

الأوثان عن يسارها: «نجس .. طماع ... عابد الأوثان». فالطمع وليد النجاسة وشريكها، وهو والد عبادة الأوثان. وأم الجميع هى محبة الذات.

قال ليتقوت فى هذا الصدد: الرجل الطماع يضع نصب عينيه معبوداً آخر شريكاً لله — أو بعارة أدق — «معبوداً آخر بديل الله».

إن من يقع فى منطقة هذا المثلث الفاسد. «النجاسة، الطمع، عبادة الأوثان» يحكم على نفسه بأنه لم ينتقل بعد من ملكوت الظلمة. فهو إذا متغرب عن إسرائيل الروحي، لأنه باق فى ظلام أمميته الوثنية: وهو يحكم الطمع «أجنبي عن رعية إسرائيل غريب عن عهد الموعد»، لأنه بطبيعته من «أبناء الغضب». وأنى لابن الغضب أن يكون له «ميراث فى ملكوت المسيح والله؟»

(٢) الحريمان: عبر الرسول عن النصيب الذى يحرم منه كل نجس أو طماع، بكلمة «ميراث»، وهى تعبير مجازى يكتنى به عن نيل الحياة الأبدية فى الحال، والتمتع بكامل مجدها، ومجد كمالها، فى الاستقبال (مرقس ١١: ١٧ ومتى ٢٥: ٣٤، يهقوب ٢: ٥، ١ كو ١٥: ٢٠).

الكلمة اليونانية: «كلير ونوموس» المترجمة «ميراث» تعنى النصيب الذى يتمتع به الإنسان فى الحال بحكم الامتلاك، أو النصيب الذى يكون من حقه أن يتمتع به فى الاستقبال. فالمعنى الأول يمتين «ميراث» المؤمن فى ملكوت النعمة، والمعنى الثانى يعين «ميراثه» فى ملكوت المجد.

## ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله .

أما ماهية هذا «الميراث» فقد أشار إليها الرسول بقوله : «ملكوت المسيح والله» . هذا تعبير قد لم يرد في الكتاب سوى هذه المرة . وهو يفيد أن الملكوت واحد لا إثنان . ولكنه نسب إلى المسيح باعتبار كونه القادى الوسيط الذى تسلم هذا الملك من الأب لينفذ فيه برنامج الفداء، ومضى آممً عملية الفداء يسلم الملك لله الأب (١ كو ١٥: ٢٧ و ٢٨) . ونسب هذا الملكوت إلى الله باعتبار كونه الملك النهائى على هذا الملكوت، ويغلب على اعتقادنا - والحالة هذه - أن الرسول أراد «بملكوت المسيح» ، «ملكوت النعمة» ، «بملكوت الله» ، «ملكوت المجد» . فالعبارة الأولى تعنى «الكنيسة المجاهدة على الأرض والثانية تعنى «الكنيسة المجددة» فى السماء . فيكون معنى العبارة : «ليس له نصيب فى ملكوت المسيح والله» . أن ليس له نصيب فى الحياة الأبدية - لافى الحال ولا فى الاستقبال لا بالتمتع ولا بحق الامتلاك . مع العلم أن المسيح ملك على ملكوت المجد أيضاً . والله ملك على ملكوت النعمة أيضاً (رؤيا ١١: ١٥ ، كوا ١٣: ١٣) إن فى قوله «ملكوت المسيح والله» برهاناً ضمناً على أن المسيح إله تام . وإلا فهل كان الرسول يجسر أن يضع اسم المسيح جنباً إلى جنب مع اسم الله فى السيادة على هذا الملكوت؟ وإن لم يكن المسيح إلهاً، فابولس إلامشركاً؟ وحاشاك من هذا يا رسول الأمم - حاشاك!! ولم لا تُعتبر الواو فى كلمة «والله» واواً وصفية لا عطفية، فتفسر هذه العبارة على هذه الصورة : «ملكوت المسيح الذى هو الله؟» - هذا رأى الدكتور هودج ، وهو فى عرفنا أقرب الآراء إلى الصواب .

## ٦ لا يفركم

موقف أبناء النور تجاه الظلام وأعوانه (٦:٥ — ١٤)

أولاً : موقف أبناء النور تجاه أهل الظلام (٦:٥ (١))

(١) الموقف : لا تغتروا بكلامهم الباطل (٦:٥ (١))

— أ — الباعث : «لأنه بسبب هذه الأمور» (٦:٥ (ب))

(٢) الموقف : لا تشاطروهم حالهم ولا مآلهم (٧:٥)

— ب — الباعث : لأنكم كنتم قبلاً... والآن» (٨:٥ (١))

ثانياً : موقف أبناء النور إزاء دعوتهم (٨:٥ (ب) — ١٠)

(١) الموقف : «أسلكوا كأولاد نور» (٨:٥ (ب))

— ب — ثمر النور : «لأن ثمر الروح هو في كل صلاح...» (٩:٥)

— ج — الباعث على السلوك في النور : «مختبرين...» (١٠:٥)

ثالثاً : موقف أبناء النور تجاه أعمال الظلمة (١١:٥ — ١٣)

— أ — الموقف : (١) سلباً : «لا تشركوا» (١١:٥ (١))

(٢) إيجاباً : «بل وبخوا» (١١:٥ (ب))

— ب — الباعث : (١) لأن الأمور الحادثة مرآة... قبيح (١٢:٥)

— ج — تأثير النور على الظلام «لأن الكل إذا توبخ يظهر...» (١٣:٥)

كلمة ختامية : معدن النور الذي يجابه الظلام — نور المسيح (١٤:٥)

موقف أهل النور تجاه الظلام وأعوانه

(٦:٥ — ١٤)

ركّز الرسول في هذه الأعداد، الأوامر والنواهي التي ذكرها في الأعداد

## أحد بكلام باطل

السابقة (٥ : ١ - ٥) ، مفرغاً إياها في قالب مجازي عن النور والظلام، أو بعبارة أخرى : عن موقف أبناء النور تجاه الظلام وأعوانه . وعلى هذا الاعتبار نقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

أولاً : موقف أبناء النور تجاه أهل الظلام ( ٥ : ٦ - ٨ ( ١ ) )

ثانياً : موقف أبناء النور إزاء دعوتهم هم ( ٥ : ٨ ( ب ) - ١٠ )

ثالثاً : موقف أبناء النور تجاه أعمال الظلمة ( ٥ : ١١ - ١٤ )

أولاً : موقف أبناء النور تجاه أهل الظلام ( ٥ : ٦ - ٨ ( ١ ) )

أوضح الرسول موقف أبناء النور تجاه أهل الظلام في عبارتين سلبيتين ، معقداً على كل منهما بعبارة خاصة . فهو إذاً ، موقف مزدوج :

**عدد ٦ | ( ١ ) الجانب الأول من هذا الموقف : عدم الاغترار بالكلام الباطل الذي يذيعه أهل الظلام :** « لا يغركم أحد بكلام باطل » . كانت أفسس في ذلك العصر مرتعاً للآراء الفلسفية ووكراً للاشيع الدينية المتباينة — بينها شيعة الغنوسيين التي كانت تذيع تعاليم سفسطية ، مفادها أن الحياة العملية مستقلة تمام الاستقلال عن الحياة النفسية فيحقق المرء ، والحالة هذه ، أن يتصرف كما يحلو له في دائرة الجسد ، من غير أن يؤثر هذا التصرف الأدبي في موقفه الروحي — فيشاطر أهل الظلام تصرفاتهم ، ويشاطر أبناء النور عقيدتهم ، فيصبح من أبناء الله في النهاية ، ويسعى مع أبناء بليعال في الظلام . هذا هو « الكلام الباطل » الذي كانت تذيعه تلك الفئة العجيبة محاولة أن

## لأنه بسبب هذه الأمور

تستحيل به بسطاء العقول، ضعاف الإيمان. هذا هو الكلام الملق، المصنوع، المتخادع الغرار، الذي يفيض لطفاً، وحقاً، وصلاًحاً—في ظاهره، ويضمّر القسوة والبطل والمقاسد في باطنه. هذا هو الكذب الملبس بالصدق، والباطل المقنّع بالحق، والسمّ المختفي في الدسم. وإن وجدت في الباطل دركات، فإن أخطأ هو ذلك الدرك الذي بهوى إليه الإنسان فيخفي خنجره بين باقة الرياحين، ويدس سهامه الملتهبة بين كتّوس الورود. وشر الأعداء من استعمار وجه الصديق!! «بكلام باطل» — استعمل الرسول هذه العبارة عينها في كورنثوس ١٨:٢ وصفاً للجدجج الكفرية التي تقود إلى الإلحاد، وهي مبرقة ببرقع التواضع. ولعل الرسول أشار في رسالة سابقة إلى هذا «الكلام الباطل» الذي أفرغ في ذلك القالب المأثور: «الجوف للأطعمة والأطعمة للجوف» (١ كورنثوس ٦: ١٢).

١- الباعث على هذا الموقف - وقوع غضب الله على أبناء المعصية «بسبب هذه... يأتى غضب الله». تتجلى هذه الكلمات عن ثلاث حقائق:

(١) علة العقاب: «بسبب هذه الأمور» — أعنى بسبب تلك الخطايا الصادرة عن الجسد، المذكورة في العدد الخامس. فهي ليست معفاة من العقاب كما ظنت شيعة الغنوسيين باطلاً. لكنها تجلب غضب الله على أبناء المعصية. ويظن بعضهم أن «هذه الأمور»، هي الكلام الباطل، لكن المعنى الأول هو الأصوب.

(٢) أهل العقاب: «أبناء المعصية». هذه هي المرة الثانية التي تصادفنا



## يأتي غضب الله على أبناء المعصية . ٧ فلا

فيها هذه العبارة في هذه الرسالة — فتصدمنا . فقد سبنا والتقيناه في العدد الثاني من الأصحاح الثاني ، فاطلب تفسيرها هناك .

(٣) ماهية العقاب : « يأتي غضب الله » في تلك المناسبة السابقة (٢: ٢ و ٣) أشار الرسول إلى عقاب أبناء المعصية بكلمة مركزة : « وكننا بالطبيعة أبناء الغضب » . فاطلب تفسيرها في موضعها .

ونكفي أن نذكر هنا أن هذا الغضب ليس ناتجاً عن حقد شخصي موجه إلى الأشرار من قبل الله جل وعلا — تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً ! لكنه غضب عقابي منشأه عدم رضاه تعالى عن تصرفاتهم ، على رغم كونه يحب أشخاصهم ، لكنهم جعلوا أنفسهم مستحقين لهذا العقاب برفضهم كفارة المسيح ، فصاروا أهلاً للغضب — بل من أبنائه . إنه عقاب منصب عليهم في العالم الحاضر (رومية ١: ٢٧) . وهو لهم بالمرصاد في العالم العتيد (رؤيا ٢١: ٨) . ونسبة الغضب الحاضر إلى الغضب العتيد ، كنسبة الزهرة إلى الثمرة أو كنسبة العربون إلى الثمن الكامل . أو كنسبة النعمة إلى المجد — مع الفارق !

عدد ٧ | (٢) الجانب الثاني من الموقف : « فلا تكونوا شركاءهم » — أي لا تكونوا شركاءهم في تصرفاتهم لئلا تصبحوا شركاءهم في عقابهم . إن في هذا تذكيراً لطيفاً للمؤمنين من أهل أفسس ، يعيشون السالفة التي كانوا يعيشونها قبل إيمانهم بالمسيح ، وحثاً قوياً لهم على الاتجاه إلى الأمام في

تسكنوا شركاءهم . ٨ لأنكم كنتم قبلاً ظلمة

مسلكهم ، وتحذيراً فعلاً ضد الارتداد إلى الوراء .  
وغير خاف أن المشاركة تتخذ مظاهر كثيرة وإن توحّدت في جوهرها  
فقد تتخذ المشاركة شكل التضامن التام سرّاً وجرراً . وقد تتخفى فتسكنني  
بالتحريض من وراء الستار وقد تنع بمجرد المصادقة القلبية وابتسامات  
الرضى ، ترسل عن بعد . هذا في الواقع أشرف أنواع المشاركة . وهو ما ختم  
به الرسول قائمة الشرور التي أسودّت بها «غرة» رسالته إلى رومية : «الذين  
إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت ، لا يفعلونها  
فقط بل أيضاً يسرّون بالذين يفعلون ( رومية ١ : ٣٢ ) .

**[ عدد ٨ ]** ثانياً : موقف أبناء النور إزاء دعوتهم — في  
الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ( ٥ : ٨ )

مرة أخرى أوقف بولس أهل كنيسة أفسس بين ماضٍ محمّل بالآثام  
ومثقل بالأوزار ، وحاضر يشعّ منه نور الأنوار ، ومستقبل مفعم برجاء  
الظفر والانتصار : « لأنكم كنتم قبلاً ... » هذا موقفهم الماضي . « وأما  
الآن فنور في الرب » — هذا موقفهم الحاضر . اسلكوا كأولاد نور —  
هذا مسلكهم في المستقبل .

موقف في الماضي والحاضر : « كنتم قبلاً ظلمة ... أما الآن فنور » .  
هذا خير باعث يفصل المكتوب اليهم عن ماضيهم الذي كان ظلاماً في ظلام ،  
وعن حاضرهم الذي هو نور في نور ، فهو شبيه بسيف ذي حدين — حده الأول

## وأما الآن فنور في الرب .

يقطع الطريق من خلفهم كيلا يرجعوا إلى الوراء، ويقطع أمامهم الأشواك والمعائير التي تعترض طريقهم في المستقبل .

« كنتم ظلمة ... وأما الآن فنور » — هذه تعبيرات قوية مركزة ،

فلم يقل الرسول : « كنتم سالكين في الظلمة » ، بل : « كنتم ظلمة » أي أنهم كانوا « الظلمة مجسمة » . ولم يقل : « وأما الآن فأنتم في النور » ، ولا « أنتم تابعون للنور » ، بل : « وأما الآن فنور » .

وغير خاف أن الرسول وصفهم في ماضيهم وصفاً مطلقاً : فقال « كنتم ظلمة » — أي أنهم كانوا في أنفسهم ظلاماً في ظلام . لكنه حين أراد أن يصفهم في حاضرهم خلع عليهم وصفاً نسبياً ، قائلاً : « وأما الآن فنور في الرب » . أي أنهم ليسوا نوراً في أنفسهم ، لكنهم « نور في الرب » . فالظلام منسباً وفينا ، ولكن النور من الرب . أن نور المؤمنين ليس نور الشمس بل نور القمر ، هو نور اكتسابي لا ذاتي . فإذا كان المسيح قد قال للتلاميذ : « أنتم نور العالم » ، فما ذلك إلا بحكم نسبتهم إليه هو ، الذي قال عن نفسه : أنا هو نور العالم . فالإنسان يستنير أولاً ثم ينير ، مثله مثل قطعة من حديد يجتذبها المغناطيس ، فيسحبها قوة مغناطيسية تجذب إليها سائر المعدن .

موقفهم في مستقبلهم : « اسلكوا كأولاد نور » أن مستقبلهم مشتق من حاضرهم ، كما تشتق الزهرة من البزرة ، والثمرة من الزهرة . فالحياة الروحية أساس السلوك العملي . والسلوك العملي مترجم عن الحياة الروحية . إن قول الرسول : « اسلكوا كأولاد نور » ، يذكّرنا بكلام المسيح :

## اسلكوا كأولاد نور . ٩ لأن ثمر الروح

«النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا في النور مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام... مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور» (يو ١: ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢). وبمقابلة هذين القولين معاً، يتضح لنا، أنهما يصفان وجهين متكاملين لحقيقة واحدة. فكلام المسيح يرينا أن الطاعة العملية هي السبيل إلى الشركة مع الله، وكلام الرسول يعرفنا أن السلوك العملي هو برهان صحة شركتنا مع الله. إن «أولاد النور» هم الذين يسلكون في النور مبتهجين فرحين، لأنهم في الجو الذي يناسب طبيعتهم، وفي البيئة التي تنمي ملكاتهم، وفي الوطن الروحي الذي يغتني حياتهم. فيدخلون ويخرجون بكل حرية وسلام. فلا النور يؤذي عيونهم الرمضاء، ولا هو يزعج ضمائرهم الموحاة.

«النور» هنا، تعبير مجازي يسكني به عن الشركة مع الله الذي هو نور — نور الحياة ونور الخلود. فأبناء النور هم أبناء الله الذين صاروا بالميلاد الثاني «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بطرس ١: ٤، ١ تسالونيكي ٥: ١٠). وقد لاحظ الأسقف وستكوت أن الكلمة المترجمة «أولاد» نور، نادرة الوجود في العهد الجديد، وقد وردت فيه بصيغة الجمع فقط (لو ٢٥: ٣٥ و ١ بطرس ١: ١٤ و ٢ بطرس ٢: ١٤ و غلاطية ٤: ٢٨ و رومية ٩: ٨).

عدد ٩ | ب — ثمر النور : «لأن ثمر النور هو في كل

صلاح، وبر، وحق». الكلمة المترجمة: «الروح» وردت في أغلب النسخ: «النور». وهذه تتشبه مع سياق الكلام في هذا الفصل. لأن الرسول تكلم

## هو في كل صلاح

في العدد السابق عن طبيعة المؤمن المتجدد. فقال إنها: «نور»، فمن الطبيعي أن يبين لهم عمر هذا النور بسلوكمهم العمل في حياة الحياة. وقد شبه الرسول هذا النور بشجرة حية مثمرة، ولعله اقتبس هذه الاستعارة من المزامير: «نور قد زرع للصديق» (مزمو ٩٧ : ١١). والفكرة التي ينطوي عليها قول الرسول في هذا العدد، هي أن النور الداخلي لا يلمت أن تشع أنواره فتظهر في الحياة العملية وإلا فهو نور صناعي رائف. لأن بذرة النور متى زرعت في القلب، لابد أنها تنمر ثم تبارأ تنبتق منها انبثاقاً طبيعياً. وهي ليست تبارأ على وتيرة واحدة، لكنها تتجلى في كل نواحي حياة الإنسان الشخصية، والاجتماعية، والروحية: «في كل صلاح وبر وحق».

«فالصلاح» يشير إلى صفات الإنسان الشخصية (رومية ٧:٥ (أ)). «والبر» يعنين صلة الإنسان في معاملاته مع الآخرين (رومية ٧:٥ (ب)). «والحق» يشير إلى مبدأ حياة الإنسان في صلته بالله (يوحنا ١٤:٦). هذا هو مثلث الحياة الكاملة، الذي يتجلى فيه نور الطبيعة الجديدة الكلمة المترجمة: «صلاح» وردت أيضاً في رومية ١٥ : ١٤ وغلاطية ٥:٢٢، ٢ تسالونيكي ١:١١، وهي في معناها الأصلي مضادة لكل رزية، كأنها الفضيلة مجسمة. ف«الصلاح» بهذا المعنى هو «الفاضل» حقاً وفعلاً، لا لقباً وقولاً. ويعتقد يوحنا الذهني الفم أنها مضادة للغضب. لكنها أوسع من ذلك وأعم. ولا يبرح ذهننا أن الرسول، في كلامه عن عمر نور الحياة الجديدة، استعمل كلمة المفرد: «ثمر» لا الجمع: «ثمار»، لأن الحياة الروحية وحدة كاملة

## وبروح حق . ١٠ مختبرين

لا تتجزأ ، فمن الواجب أن يظهر ثمرها في كل مناحي الحياة ، من غير إفراط ولا تفريط في إحدى نواحيها ( غلاطية ٥ : ٢٢ و ٢٣ ) .

والكلمة المترجمة : « ر » وردت أيضاً في ٢٤ : ٤ و تيطس ١٢ : ٢ — وهي تعني المحافظة على حقوق الآخرين ، كمَنْصَرٍ لازم لحفظ الشريعة الإلهية .

والكلمة المترجمة « حق » تعني الجوهر الحقيقي المضاد لكل مظهر خادع والمنافي لكل صفة زائفة ، وادعاء باطل .

يميل الدكتور دينفد سميت إلى تفسير هذا العدد على هذه الصورة : « لأن ثمر النور ينمو في تربة الصلاح والبر والحق » . والفرق بين قوله وبين ما ذهبنا إليه ، ليس ببعيد .

**عدد ١٠** — ج — الباعث على السلوك في النور — اختبار

مرضاة الله : « ومختبرين ماهو مرضى عند الرب » .

إن كلام الرسول في هذا العدد متمم لقوله في العدد الثامن ، على اعتبار أن العدد التاسع جملة تفسيرية . على هذا الاعتبار ، يتمشى سياق الكلام على هذا النمط : « اسلكوا في النور ... مختبرين ماهو مرضى عند الرب » . فبعد أن يسمع المرء كلام الرسول القائل : اسلكوا كأولاد نور ، يقف متسائلاً : « ولكن ماهو المحك الذي به نميز بين النور والظلام ؟ فيأتيه الجواب من ثنايا هذا العدد العاشر : « مختبرين ماهو مرضى عند الرب » . فمرضاة الله هي « حجر المحك » الذي به نميز النور من الظلام . وليس بغريب أن تكون

## ما هو مرضى

هذه الإرادة القدسية «حجر محك» وهي التي نُقشت أولاً باصبع الله على ألوحين من «حجر» ١١. ثم أعلنت لنا بصورة ملموسة في المسيح المتجسد الذي قيل فيه: «هأنذا أؤسس في صهيون حجراً — حجر امتحان» (إشعيا ٢٨: ١٦). وقد وردت الكلمة عينها: «مختبرين» في رومية ١: ٢٨ فترجمت «استحسنوا»، وفي رومية ١٢: ٢ في عبارة موازية لهذه «لتختبروا» ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

وربّ سائل: ولكن كيف نميز بين ما هو مرضى عند الرب وما هو غير مرضى؟ الجواب في العدد الثامن: «اسلكوا في النور... فتختبروا» ما هو مرضى عند الرب «فكأن السلوك في النور، واختبار مرضاة الله، يتبادلان التأثير والتأثر، والفاعلية والمفعولية. فارادة الله تميز النور من الظلام، والسلوك في النور يميز بين ما هو مرضى لدى الرب، وما هو غير مرضى. فعلياً أن نحرص، في سلوكنا، على اختيار السبيل الذي يجلب علينا رضى الله. هذا هو الرضى الذي يميزه ويتذوقه الضمير المستنير المتجدد. فهو ابتسامه الله يرسلها إلى المؤمن فتخترق حجب الظلام وتنزل على نفسه الواهنة، كقطر الندى الذي ينعش الزهور الذابلة، أو كأشعة الشمس المرسلة على أكام الأزهار المتفتحة، فتحييها وتنمشها وتحييها: «نعماً أيها العبد الصالح والأمين».

إن كل خطوة في الحياة الروحية العملية تطلب عناية خاصة وتدقيقاً فائقاً، إذ لا يمكننا أن نخلى أنفسنا من مسئولية الدينونة على كل فعل نأتيه.

## عند الرب . ١١ ولا تشتركوا في أعمال الظلمة

فمن الواجب أن نستخدم ما وهبنا الله من ذوق روحى لنختبر ما هو مرضى عند الرب ، موقنين أن حكم « الرب » يسوع هو حكم الله نفسه .

وقد وردت كلمة « مرضى » فى العهد الجديد وصفاً لـ ١١ أشخاص العاقلين

فى ٢ كور ٩ : ٥ ورومية ١٤ : ١٨ و تيطس ٢ : ٩ « ونعتاً لـ ١١ أشياء » غير العاقلة فى

فيلبى ٤ : ١٨ ورومية ١٢ : ١ و ١ كور ١٠ : ٣ و عبرانيين ١٣ : ٢١ .

**عدد ١١** | ثالثاً : موقف أبناء النور تجاه أعمال الظلمة (١١ : ٥ - ١٣)

١- الموقف : « ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة ... بل وبخوها » (١١ : ٥)

هذا موقف ذو جانبين : أحدهما - سلبي : « لا تشتركوا ... »

والثانى - ايجابي : « بل ... وبخوها »

الجانب السلبي : « لا تشتركوا ... » . تنطوى هذه العبارة على حقيقتين :

الحقيقة الأولى : ماهية موقفنا : « لا تشتركوا ... » . وردت هذه

الكلمة فى فيلبى ٤ : ١٤ و رؤيا ١٨ : ٤ و أفسس ٥ : ٣ - وهى تعنى الصلة الشخصية

الخفية أكثر منها الصلة الخارجية الظاهرة لدى العميون . فكثيرون يشتركون

فى الجوهر لكنهم يتهربون من المظهر . كثيرون يشتركون فى المؤامرة

ويختلفون وقت المظاهرة . لكنهم شركاء على كل حال ، والمتآمر شر من المنفذ .

هين علينا أن لا نشترك فى أعمال الظلمة غير المثمرة ، متى ذكرنا أننا

صرنا شركاء المسيح الذى قد اشترك وإيانا « فى اللحم والدم » ( عب ٢ : ١٤ )

الحقيقة الثانية : ماهية الأشياء التى نقف منها هذا الموقف : « أعمال



### غير المثمرة بل بالحري وبخوها

الظلمة غير المثمرة « في رسالة معاصره لهذه، تكلم الرسول عن «أعمال الجسد وثمر الروح» (غلاطية ٥: ١٩ - ٢٤) . وفي هذه الرسالة تكلم عن «ثمر النور وأعمال الظلمة» (أفسس ٥: ٩ - ١١) . والمستفاد من هذين الفصلين مجتمعين معاً، أن الروح والنور لهما ثمر، لكن الجسد والظلمة لهما أعمال، لأن الروح حى وكذلك النور، ولا بد للحى من ثمر . لكن الجسد ميت، أو هو حى في عالم الموت - وكذلك الظلمة - والميت عديم الثمر . نعم أن للجسد والظلمة أعمالاً، لكنها أعمال غير مثمرة . وأن لها آمالاً لكنها خلاصة كالسراب، فهي كشجرة مورقة لكنها بغير ثمر . وكسحب خريفية، بغير مطر . فمع أن لأعمال الظلمة عواقب خطيرة، بل أخطر العواقب، إلا أنها أعمال غير مثمرة، لأنها تعد الشرير بالتخيرات الكثيرة، وفي النهاية لا يحصل سوى الريح الفاف - مخازن نال الرداء الشنعارى، لكنه نال معه قبراً، فلم يتمتع بالرداء . لأن ظلمة القبر صيرته له كفناً، لا رداء . فأعمال الظلمة إذاً غير مثمرة في عُرف الإصلاح والبناء، لأنها شريرة هادمة . لا حساب لها في سجل أعمال الصلاح الخالدة، لأنها ضارة لا نفع فيها .

**الجانب الايجابى :** « بل بالحري وبخوها » . ليس واجب المسيحي مقصوراً على نيل النور والتمتع به، بل عليه أن ينشر النور، لسكونه هو نوراً لأن النور من طبعه أن ينتشر، فلا يكفي أن لا يشارك في الشر، بل عليه أن يوبخه، بأن يكشف القناع عنه، فيبرزه في حقيقة، مجرداً إياه عن ثوب الرياء، ورداء الادعاء . لا بروح التشفي والانتقام، بل بروح الإصلاح، لأن التستر

١٢ لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً ذكرها أيضاً قبيح .

١٣ ولكن السكل إذا توبخ يظهر بالنور .

على الجريمة ، هو اشتراك في الجريمة عينها . (متى ١٨ : ١٥ ويوحنا ٣ : ٢٠ و ١٦ : ١ و ٨ : ١٢ كورنثوس ١٤ : ٢٤ ) .

**عدد ١٢** — ب — الباعث على هذا الموقف : « لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً ذكرها أيضاً قبيح » . هذا تحوُّط ضد الاسترسال في وصف خطايا الآخرين ، والتماذى في تعقبها ، والتعقب عليها . لأن الإفراط في هذا الباب يوقعنا في خطية التلذذ بذكر هذه الخطايا ، التي يعتبر ذكرها أيضاً قبيحاً ، فلا داع لذكرها ولو بأسمائها .

ومتى ذكرنا أن الأربعة الأعداد (٨ — ١١) جمل تفسيرية ، وأن كلام الرسول في عدد ١٢ مكل لكلامه في عدد ٧ ، تحقق لدينا « إن الأمور الحادثة منهم سرّاً » هي نفس تلك « الأمور التي بسببها يأتي غضب الله على أبناء المعصية »

**عدد ١٣** — ج — تأثير النور على الظلام : « السكل إذا توبخ يظهر بالنور . لأن كل ما أظهر فهو نور » . إن للنور تأثيراً مثلاً على الظلام : (١) النور طارد للظلام . فتى انكشف الظلام من مخابئه أمام أشعة النور ، طار أمامه وتلاشى . وكذلك فتى أظهرت تلك الأمور الحادثة منهم سرّاً ، وأخرجت من « أوجرتها » ، ولت الأدبار أمام قوة الصلاح ، كما يولي الظلام مدبراً أمام النور .

(٢) النور مشجع للنور الضئيل الذي يتخلله الظلام : فهو يحقّ

## لأن كل ما أظهر فهو نور ١٤ لذلك يقول

الحق ويزهق الباطل . وغير خاف أن ردائل كثيرة كانت فضائل فمسخت بالافراط أو التفريط . فالكبرياء هي عزة نفس زادت عن حدها . والشئ متى زاد عن حده انقلب إلى ضده . والبخل هو اقتصاد مسخ شحاً . والتهذيب كرم أفرط فيه . والمحبة النجسة محبة مشروعة تعدت حدودها ، وتجاوزت حقوقها ، فمتى سلط النور على الأعمال المشتبه في أمرها ، فخصها ومحصها وحللها إلى عناصرها ، وأظهر منها ما هو صالح للبقاء في حضرة النور ، وطرد منها كل ما هو شرير فالشريطير ، والخير يظهر « وكل ما أظهر فهو نور » (يوحنا ٣: ٢٠) .

### (٣) النور يحول الظلام إلى نور . هذا ما تفعله الشمس بأشعتها

النورانية الشافية . ولطالما تحدث راسكن وغيره من رجال الفن عن هذه الأشعة المجيدة وعن فعلها الممتاز في تحويل فضلات الأرض ، ونفايات المستنقعات إلى معجزات في عالم الفن والجمال والإبداع . وما أكبر دين البحر الميت لهذه الأشعة السحرية ، التي حولت فقره المذقع إلى غنى جزيل ، وخلقت من مخلفاته الأسمنة ، عقاقير للشفاء . هذا معنى كلمة « أظهر » — أي « تجلي » و « استنار » . فكل من يستنير لا يثبت أن ينير . وكل من يستضيء لا بد أن يضيء .

النور قوة مظهرة لأنه قوة مطهرة ، فلا يجسر على البقاء أمامه ، إلا ما كان مثله نوراً .

عدد ١٤ | معدن النور الذي يجابه الظلام — نور المسيح :

« لذلك يقول . . . » . تكلم الرسول في الأعداد السابقة عن تأثير النور على

## استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء

الظلام ، فكان من الطبيعي أن يدلنا على معدن هذا النور . إن معدنه هو المسيح ، بدليل القول : « استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح » . ولكن من هو هذا « القائل » ؟ يعتقد بعض المفسرين — سيما المعاصرين — أن هذا الاقتباس شطر من ترنيمة كانت معروفة بين المسيحيين الأولين ، يرفعونها وقت "حماد" ، وهي مجانسة لقول الرسول نفسه في ١ تيمو ٣ : ١٦ . ولعلها نظم لقول المسيح لواردي يوحنا ٥ : ٢٥ . ويقول أصحاب هذا الرأي إن ما ذكره الرسول عن « ترانيم الروحية » في الأعداد التالية يؤيد ما ذهبوا إليه : أن هذا الاقتباس شطر من ترنيمة ويعتقدتوما لا كويني أن الرسول اقتبس ذلك النداء البليغ من إشعياء ٦٠ : ١ « قومي استنيري لأنه قد جاء نورك » . ويقول ايرونيemos إن بولس فاه بهذا النداء بوحى من الروح

(\*) ويقول تشندروف إنه قرأ عبارة في كنيائات يوحنا الدمشقي ، ووداها : « لقد تسلمنا من السلف الصالح هذا النداء الذي يذمه بوق رئيس الملائكة لأولئك الذين رقدوا منذ بدء الخليقة إلى الآن » .

وبحسبنا مصدر آخر عن ايرونيemos ، معجزة واعظا يتكلم عن هذه الآية في الكعبة . وإذا أراد أن يبهت سامعيه بخيال طريف ، قال إن هذا الاقتباس وجه أدلا كخطاب إلى آدم الذي دفن في الجحشة — حسبما تخيل هو ! — ، لذلك سمى ذلك المكان « جحمة » نسبة إلى جحمة الإنسان الأول الذي دفن فيه . ولما دقت الساعة ورفع المسيح على الصليب ، فوق تلك البقعة عينها ، عندئذ أطلق هذا النداء : « استيقظ يا آدم — يا أيها النائم — وقم من الأموات فيضيء لك المسيح » — وفي قراءة أخرى : « فيلمسك المسيح » — بدمه المذكب فوق الجحشة !! .

## لك المسيح ١٥ فانظروا

مباشرة . «د القائل» هنا هو الروح القدس الناطق بالأنبياء .  
ويظن الدكتور كاي أن لآلء هذا الاقتباس ليست مأخوذة من مصدر  
واحد في الكتاب ، بل من مصادر كثيرة : إشعيا ١: ٦٠ وإشعيا ١٧: ٥١  
وإشعيا ١: ٥١ و ٢ .

كان الغير المؤمنين في أفسس ، سالكين في عالم الموت الروحي —  
وكله ظلام في ظلام . لكن القادى أشرق عليهم بروحه الأقدس ليهبهم حياة  
ونوراً ، فما عليهم إلا أن يستيقظوا من نوم الموت ليتمتعوا بالحياة  
ويستقبلوا النور ، عندئذ يستنبرون وينبرون .

أما الرب المتنبيء عنه إشعيا في قوله : «مجد الرب» ، فهو المسيح الذى  
نسب إليه الرسول هذه القوة الحية المحيية . هذا هو المسيح الذى رآه إشعيا  
في رؤياه التاريخية ( إشعيا ١: ٦ ، ويوحنا ٢٢: ٤١ )

ويقول ايدرشيم إن الرسول يشير هنا إلى نداء للتوبة كان اليهود  
يذيعونه بالأبواق في عيد المظال . ولكن هذا لا يخالف رأى القائل أن  
النداء مشتق أصلاً من نبوات إشعيا .

السلوك بحكمة لا بجهالة

( ١٥: ٥ — ٢١ )

في قلمك البيئة الأسوية الوثنية ، التى عاش فيها أهل أفسس ، كان من  
الصعب جداً على المسيحيين أن يمشوا عيشة نقية صالحة . لكن لم يكن هذا

## كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء

من المستحيل فالصعب شيء والمستحيل شيء آخر. بل الصعب يصير ممكناً متى تسلك الإنسان بنيتته التدقيق والحذر.

**عدد ١ | (١) حكمة التدقيق لا جهالة التفريط :** « فانظروا

كيف تسلكون .. » هذه هي المرة السابعة والأخيرة التي وردت فيها كلمة « تسلكون » في هذه الرسالة، فالمسيحي المستنير هو الرجل المفتوح العينين: « انظروا .. »، وهو الرجل المفتوح القلب: « لا كجهلاء بل كحكماء ». فالحكيم يسلك بحذر كي يتقى الخطر، لكن الجاهل يغمض عينيه عن كل النتائج فلا ينتبه إلا بعد وقوعه في مخالب الشر والحكيم الحقيقي لا يتخذ الحذر من الخطايا الكبرى وحدها، بل يوجه همه نحو اتقاء شر الخطايا الصغرى. فالشعاب التي تفسد الكروم، هي الشعاب الصغيرة. فضلاً عن ذلك، فإن الخطايا الكبرى ظاهرة، فيسهل على المرء أن يتقياها، لكن الخطايا الصغرى تتخفى بكل سهولة، وتستتر وراء أعمال صالحة—هنا موطن الضرر.

إن قوله: « تسلكون بالتدقيق » يصور لنا إنساناً سائراً في بقعة منبثة فيها الأسلاك الشائكة، أو رباً أن سفينة عليه أن يقود سفينته بين الصخور والألغام، فيتعتم على كل منهما أن يتسلح بنية الحذر، ليس فقط عند مناطق الخطر بل عند المناطق التي يظن فيها أنه في مأمن من كل خطر. فقد يقع الحكيم في خطية الغضب، وقد يسقط القديس في خطية النجاسة، وقد يجد الوديع نفسه « متلبساً » بخطية الكبرياء. فعلى كل من هو قائم بيننا، أن ينظر

## بل كحكما ١٦ مفتدين الوقت لأن

إلى نفسه لئلا يسقط هو أيضاً . ولعلّ قوله : « لا كجهلاء بل كحكما » مأخوذ عن مثل العذارى الحكيمات اللواتي انتهرن الفرصة في حينها ، بخلاف العذارى الجاهلات اللواتي ضاعت عليهن الفرصة ، فضاعت معها الحياة . ورب فرصة هي فرصة الحياة بأسرها !

**عدد ١٦ (٢) حكمة اقتداء الوقت لا جهالة إضاعة**  
**الفرص (٥ : ١٦) .** نبهنا الرسول في هذا العدد إلى أمرين :

**أولهما : واجبنا كحكما — اغتنام الفرص : « مفتدين الوقت » —**  
هذا تعبير مستعار من لغة التجارة ، ويجوز أن يترجم إلى : « اغتنموا الفرصة ولو بطريق البدل » . وقد وردت هذه العبارة عيناها باللغة اليونانية في الترجمة السبعينية في دانيال ٢ : ٨ ، فترجمت في العربية إلى « تكتسبون وقتاً » . وهي تنطوي على معنى اقتناص الفرص من يد عدو الخير . وفي هذا إشارة ضمنية إلى التوضحية والحذر في سبيل كسب الوقت : لأن من أراد كسب شيء ما ، فلا بد له من أن يخسر في غيره . ولن يتاح للإنسان أن يكسب الوقت إلا متى سلك بحذرو تدقيق ، حتى يستطع أن يفتدي الأيام الشريرة من قبضة الظلام ليجعلها خادمة للخير والنور ، وأن يستخدمها خير استخدام .  
**ثانيهما : الباعث : عسر الأيام : « لأن الأيام شريرة » : إن كلمة شريرة يجوز أن تترجم إلى : « عسيرة » . هذا مما يجعل فرص الكسب نادرة جداً ، لأن سوق الفضيلة في كساد ، وسوق الرذيلة في رواج ، والعالم كله قد**

## الأيام شريرة . ١٧ من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء

وَضَع في الشرير ، والخطية ملازمة لهذه الأيام . وعدو الخير يريد اقتناص كل فرصة لمصلحته ، فلا يرى باباً للخير مفتوحاً إلا ويسعى في اغلاقه . وإذا كان هذا مبلغ نشاط عدو الخير ، فكم بالأولي يكون نشاط رجال الخير ! إننا إذا ما اجتهدنا في سبيل الخير اجتهداً أهل الشرف في سبيل الشر لنجحنا وإذا ما سعى أهل النور في سبيل البر ، سعى أهل الظلام في سبيل الظلام لأصابنا التوفيق والنجاح . ولكن من المؤسف أن أبناء الظلام أحكم من أبناء النور في جيلهم .

غير أن قول الرسول : « الأيام شريرة » وإن انطبق بنوع خاص على عصر خاص — عصر كتابة الرسالة — فإنه ينطبق بمعنى أعم على كل عصر ومصر من بين نصائح النازينازي المأثورة : « إنه لمن أخطر الأمور أن نهمل أمراً ثم نحاول بعد ذلك أن نساوم الأيام كي تسترده » .

**عدد ١٧ (٢) حكمة الفهم لا غباوة عدم التمييز : « من أجل**

ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ماهي مشيئة الرب » .

إن الحكماء المستنيرين بنور الله ، يميزون علامات الأزمنة ، ويتذوقون كل ماهو مرضى لدى الرب ، فيسهل عليهم أن يفهموا ماهي مشيئة الرب . أما الأغبياء ، فإن الأيام تتسرب من بين أيديهم كما يتسرب الماء من بين أيدي التماثيل الرخامية ، وهي لا تحس ولا تشعر .

وغير خاف أن كلام الرسول عن « الأيام الشريرة » ينصب بنوع



## بل فاهمين ماهي مشيئة الرب ١٨ ولا تسكروا بالخمير

خاص على «الأزمة الصعبة» التي تتجمع فيها كل قوات الشر، وتتركز في «كتيبة» واحدة لها جهة تدبير الله الحكيم الخبير (أيوحنا ٢: ١٨ ومرقس ١٣) فالحكماء هم الذين يعيرون إرادة الرب في الأيام العسيرة. فلتكن إذا أعصابنا متنبهة، وعيوننا مفتوحة، ورؤوسنا مرفوعة، ووجوهنا ممتدة إلى قدام—كما لو كنا واقفين على أطراف الأقدام، لتمييز كل علامة تلوح في الجو الروحي عن إرادة الرب في كل صغيرة وكبيرة، سيما عندما تتشعب المسالك وتتعدد المشكلات، وتسد نوافذ الرجاء. عندئذ يحلو لنا الانتظار بسكون طالبين أن يعلن لنا الرب مشيئته.

### عدد ١٨ (٤) حكمة الامتلاء بالروح لاجهالة سكر الخلاعة

إن عسر الأيام قد يقود الجهلاء إلى أن «يغرقوا» همومهم في كؤوس الخمير، فينسوا متاعبهم ولو إلى حين. لكن هذه ليست وسيلة الحكماء في التغلب على متاعب الأيام الشريرة.

غالباً هذه هي إحدى العادات التي لاحظها بولس على أهل تلك المقاطعة مدة إقامته بين ظهرائهم—عادة السكر الذميمة، التي كانوا يتوسلون بها إلى رفع أنفسهم فوق مستوى ظروفهم الصعبة. وفي الوقت نفسه كانت الديانات القديمة تعلق أهمية كبرى على الحركات الانفعالية «والدروشة» المعبثرة عن «انجذاب» النفس. ولقد كانوا يستعينون على هذه الانفعالات «بروح الخمير» الذي فيه الخلاعة. هذه طريقة شيطانية لإغراق الهموم، وللبلوغ إلى العالم

## الذى فيه الخلاعة بل امتلأوا بالروح

«الرُّوحاني». لكن الرسول أرانا «طريقاً أفضل» في الامتلاء بالروح القدس. هذا هو الروح الذى إذا امتلأ به المؤمنون يوم الخمسين، رأهم العالم الخارجى كأنهم «سكارى». وشتان بين طريقهم وطريقه !! إن روح الخمر نجسة ومنجسة، لكن الروح القدس، قدوس ومقدس إن روح الخمر مخربة هادمة، كما يدل لنا المعنى الحرفى لكلمة «خلاعة» فهى تعنى الخرب الذى لا يعمر. لكن الروح قدس محيى، ومجدد، وبأن روح الخمر ترفع السكر لحظة، لتخفضه بعد حين إلى أسفل السافلين لكن الروح القدس يرفع المؤمن إلى أعلى عليين، إلى أبد الآبدين خلاعة روح الخمر غاية، لكن الامتلاء بالروح وسيلة لتجيد الله «لا تسكروا بالخمير... بل... امتلئوا بالروح» هذان: نهى وأمر، تفصل بينها كلمة «بل». فيها تماثلان فى القوة والسلطان. فإذا كان السكر بالخمير خطية، فإن عدم الامتلاء بالروح، خطية أيضاً. الأولى خطية غير المؤمن، والثانية خطية المؤمن، فكل مؤمن لا يمتلئ بالروح، يعتبر مستهيناً بيكوريته. إن حرف الباء المتصل بكلمة «بالروح» يجوز أن يترجم إلى: «فى الروح» فالروح هو الجو الذى فيه نحيا، وفيه نمتلئ، وفيه نخدم، فكما يوضع الإناء فى الماء ليمتلئ، كذلك نكون نحن فى الروح ليمتلئ. على أنه الامتلاء إلا بعد تفريغ، ولا امتلاء إلا بقدر التفريغ. فعلى قدر ما نفرغ أنفسنا من أنفسنا، وشرورنا، وبرنا الذاتى، والأشياء المحبوبة لدينا، بهذا القدر عينه نمتلئ بالروح ولن يتاح لنا أن نمتلئ بالروح تماماً إلا بالطاعة الكاملة، والإيمان الوطيد

## ١٩ مكلمين بعضكم بعضاً

عدد ١٩ - ٢١ | جو الحياة الممتلئة بالروح (١٩:٥ - ٢١)

«مكلمين» ... «شاكرين» ... «خاضعين» .

في كلمات ثلاث عبر الرسول عن الجو الذي يجب أن يسود حياة الامتلاء بالروح - ا - الفرح المتبادل : «مكلمين» ... «ب - الشكر المسيحي : «شاكرين» ... ج - الخضوع المتبادل : «خاضعين»

عدد ١٩ | ا - الفرح المتبادل : «مكلمين بعضكم بعضاً

بمزامير» ... . إن الشعور الحى الراقى يرحب بكل فرصة شريفة ليعبر بها عن وجوده وحقيقته . وإلا قضى عليه في مهده . ومن المهم أن نذكر أن روح الانقياض والعبوس ليس روح المسيح ، بل روح العالم . لكن روح المسيح هو روح الانشراح ، لأنه روح الظفر - والظافر فرح . ألم يقل بولس في رسالة معاصرة لهذه : «إن ثمر الروح . . فرح؟» (غلاطية ٥: ٢٢) .

شعر لوثير مرة بأن الشيطان يهاجمه بشدة ، ففتح نافذة غرفته ، وحدق ببصره نحو السماء المتألقة بالنجوم من فوق ، ثم التفت إلى الأحرار الكثيفة المظلمة من حوله ، وأخيراً أتجه بقلبه وببصره إلى الله قائلاً : «يا إلهي ! إنى أرى السموات ثابتة وهى ليست ثابتة على أعمدة ، لأنها قائمة بقوتك الضابطة الكل » . ثم أغلق نافذة غرفته وترنم قائلاً : «إن الشيطان متجهم الوجه لأنه يكره الموسيقى التى يحبها الله . لأن الموسيقى نور ، والشيطان ظلام»

ا - قيمة الفرح المتبادل : «مكلمين بعضكم بعضاً» إن أيام

## بمزامير وتساييح وأغاني روحية

الابتهاج المقدس هي أيام الظفر . فأسوار أريحا سقطت بعد هتاف الظفر . والعلامة المميزة لخيام الصديقين هي «صوت الترنم والهتاف» . والنهضات السياسية القوية قامت على الأناشيد الوطنية الحماسية . والانتعاشات الدينية الفعالة، كانت تغذيها الترنيمات المنعشة الشجيرة . وميلاد المسيح كان مصحوباً بترنيم جند السماء . وأمنيته لسكنيته هي : «ليكون فرحهم كاملاً فيهم» . و«فرح الرب هو قوتنا» . ( أعمال ٤:٢ و ٤٦ ، ٤١:٥ ، ٨:٨ ، ٣٠:٩ ، ٤١:٤ )

إن قوله : «مكلمين بعضكم بعضاً، ليس مقصوداً بالضرورة على اجتماعات المؤمنين للعبادة العامة ، لكنه يتناول أيضاً اجتماعات المحبة والصفاء ، التي كان يقدها المؤمنون للسمر والإيناس ، لتكثيروا بابط المودة والأخاء بين بعضهم البعض ، وهي التي حلت محل أعيادهم الوثنية التي كانوا يعبدونها قبلاً . فطالب إليهم الرسول أنهم متى اجتمعوا لهذه الأغراض الشريفة، فليبدأ أحدهم بزمور ويجاوبه الآخر بتسبيحة، فيرد عليها الثالث بترنيمة روحية ، فترفع أصواتهم المعبرة عن عواطفهم المتبادلة، في ذلك الجو الموسيقي البديع ، وتتصاعد في الفضاء، فتجاوب معها أصوات تسبيحات أرواح الأبرار المكملة في السماء ، وتبلغ محضر الله القدوس الساكن وسط تسبيحات القديسين 11

ب- أداة الفرح المتبادل : «بمزامير وتساييح ، وأغاني روحية»

مزامير : هذه كلمة عبرية الأصل ، من مصدر « زمر » وهي تعني الترتيل المصحوب بآلة، وسبقية ، كالزمار وسائر الآلات الموسيقية - أمثال مزامير داود ، وآساف ، وسائر الترنيمات الموحى بها .

## مترنين ومرتلين في قلوبكم للرب

تساويح : هذه تعنى التريمة المرفوعة إلى الله حمداً وتسبيحاً وتعجباً وهي قطعة مقتطفة من مزمور ، أو منظومة من سائر أجزاء الوحي . والتسبيحة بنوع خاص موجهة إلى الله رأساً .

أغاني روحية : هذه أناشيد مُعبّرة عن قوة الإحساس الروحي الذي يملك على الإنسان مشاعره ، عند امتلائه بالروح القدس ، فيتدفق منه الكلام كما يتدفق الماء من النبع الفياض . وهي ليست بالضرورة وحيّاً . « مترنين ومرتلين في قلوبكم للرب » — هذه العبارة تصف طريقة التعبير عن الأغاني الروحية . فالزامير والتساويح ترنم عادة بصوت مسموع ، أما الأغاني الروحية التي هي تعبير عن الإحساس الشخصي ، فمن المستحسن أن يترنم بها الإنسان في قلبه بصوت غير مسموع إلا لنفسه ، وبساطة صميّة قلبية يقدرها الله وحده ، لأن ما لها إلى الله وحده .

ويجوز أن نعتبر هذه العبارة : « مترنين ومرتلين في قلوبكم للرب » وظيفاً لتعبير الإنسان عن شعوره الروحي الخاص ، متى كان في عزلة عن العالم الخارجي ، أو فيما إذا كان موجوداً مع قوم لا يلد لهم أن يشاطروه هذا الإحساس ، فليترنم في قلبه . ويكفيه مشجعاً أن الرب يرى ويسمع . لأن ما ل ترنيمه - سواء أ كان سرّاً أم جهرّاً - ليس للناس بل للرب . فالترنيم ليس مجرد لذة روحية شخصية ، لكنه عبادة . وكما تكون الصلاة تارة جهرية ، وطوراً سرية كذلك الترنيم : قد يكون تارة جهرياً « مكلمين بعضكم بعضاً » وطوراً سرّياً : « مترنين في قلوبكم للرب » .

## ٢٠ شاكرين كل حين

[عدد ٢٠] — ب — الشكر المسيحي : « شاكرين كل حين »

(١) قيمة الشكر : إذا كان الترنيم خير معبر عن الفرح الذي يغمر القلب المتجدد ، فإن الشكر من أظهر الأدلة على أن الإنسان مؤمن حقاً . لأن « الكافر » هو الإنسان الذي يلقى ستاراً من الجحود على نعم الله عليه ، والمؤمن هو المرء الواثق بالله . الذي ينسب إليه تعالى كل النعم والخيرات الشكر موجود في دائرة الطبيعة . فالسحاب يأخذ مياهه من البحر عن طريق التبخر ، ليروي بها القفر . لكنه يعبر عن امتنانه للبحر ، بكلمات شكر يرسلها إلى البحر في شكل قطرات المطر !

والشكر من مزايا النفوس الشريفة الراقية . فالأمم المتبدية لا تعرف معنى الشكر ، لأن كلمة « شكر » غير موجودة في معجم آدابها ، حتى جاءت المسيحية وأدخلت هذه الكلمة على لغة تلك الأمم ، بفضل ذبيحة المسيح الكفارية التي أصبح البشر مدينين لها بحياتهم . هذا هو المعنى الأساسي الذي ترمز إليه غريضة العشاء الرباني المعروفة بـ « الافخارستيا » — أي خدمة « الشكر » . والشكر طابع خاص امتازت به حياة المسيح وخدمته . فأمام قبر لعازر وقف المسيح شاكراً ، ولعازر لم يزل بعد ميتاً في قبره . وقبيل رفعه على الصليب « أخذ الكأس وشكر » . فاذا كان فادينا قد شكر على الموت ، أفلا نشكر نحن على الحياة ؟ . وإذا كان قد شكر هو على كأس الآلام ، أفلا نشكر نحن على كأس الخلاص !

## على كل شيء

(٢) أوان الشكر : « كل حين » . إن أوان الشكر هو أنه لا يعرف أواناً خاصاً ، لأنه في كل أوان — « في وقت مناسب وغير مناسب » . في السرّاء والضراء . نشكره في ظلمة الليل ولو كنا في السجن مع بولس وسيلّا . ونحمده في نور النهار ، ونحن نخدم في باحة العالم الفسيح الأرجاء .

(٣) موضوع الشكر : « على كل شيء » . من واجبنا أن نشكر الله على أشواق الحياة ، كما نشكره على ورودها . أن نحمده على دموع اليأس ، كما على ابتسام الرجاء . أن نمجده على أوراق الخريف الصفراء ، كما على أوراق الربيع الخضراء . أن نعظمه على البرية القاحلة ، كما على الروض النضير . أن نحمد اسمه على الصليب التي يرفعنا عليها ، كما على التيجان التي ترفعها رؤوسنا . لأن كل هذه الأشياء لنا ، لا علينا : « فان كل شيء لكم . أبولس أم أبلّوس أم صفا أم العالم أم الحياة أم الموت أم الأشياء الحاضرة أم المستقبل ؟ كل شيء لكم » ( ١ كو ٣ : ٢٢ ) . وفوق الكل ، لنشكره على عطية المسيح ، التي لا يعبر عنها !

من واجبنا ، لا بل من أفضل امتياز لنا ، أن نشكر الله على كل شيء لأن ما يختاره لنا الله ، خير مما نختاره نحن لأنفسنا . بل إن نعمة يختارها الله لنا — سبحانه لا يختار لنا النعمات — خير من نعمة نختارها نحن لأنفسنا . « وكم نعمة في نعمة طوبت فلم تمنطن لها الأنام »

نشكره « على كل شيء » ، لأن أقل خير نناله منه ، هو فوق استحقاقنا الطبيعي . لأننا لا نستحق منه إلا الموت ، فأقل نصيب لنا في الحياة هو

## في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب.

خير كسب . وهل من حق لمجرم مقضى عليه بالإعدام ، أن يلوم ملكا جاد عليه بالعفو ، بحجة أن الملك لم يهبه مزرعة واسعة ينعم فيها هو وأولاده ، بعد أن نجا من حكم الإعدام ؟ !

فلنشكره ما دام في عروقتنا دم يجري ، وفي قلوبنا نبض يدق ، وفي أفواهنا لسان يستطيع أن يقول : « أشكرك أيها الآب » !

(٤) وسيط الشكر : « في اسم ربنا يسوع المسيح » . « الإسم » هو الذات . فالشكر في اسم المسيح ، هو الشكر الذي نرفعه إلى الآب ونحن متحدون بالمسيح ، وثابتون فيه ، وهو ثابت فينا . « في اسم ربنا يسوع المسيح » ، بشر الرسل ، و« في اسمه » ، صنعوا المعجزات ، و« في اسمه » يجب أن نقدم الشكر للآب . وكل شيء نعمله « في اسم المسيح » إنما نعمله بسلطانه ، وقوة شفاعته ، وحق كفارته ، لأننا « في المسيح » وحده نستطيع أن نتقدم إلى الآب في روح واحد عن يقين وثقة . فالمسيح هو ضامن عهدنا ، وهو رأس « الجسد » الذي صرنا فيه أعضاء .

(٥) المال النهائي للشكر : « لله والآب » — أي لله الذي أعلن لنا في المسيح ، أنه أبونا السماوي . ولولا المسيح لغابت عنا هذه الحقيقة المجيدة ، وحرمتنا هذا الحق الجليل . فهو وحده الذي علمنا بحياته ، وموته ، وقيامته ، وصعوده ، أن نقول « يا أبانا » !! بهذا وحده ينتفى الخوف ، وتزول عنا رهبة العبيد ، وتتوشح بدالة البنين الحقيقيين .



## ٢١ خاضعين بعضكم لبعض

**عدد ٢١ | ج — الخضوع المتبادل : « خاضعين ... »**

يميل كثير من المفسرين إلى اعتبار هذا العدد مطلع استهلال للفصل الآتي . ولكننا نعتقد أنه حلقة اتصال بين الفصل السابق ، والفصل اللاحق . ما أشبهه بشهرينائر — ذي الوجين — الذي يودع العام القديم ، ويستقبل العام الجديد ! فالخضوع ليس مجرد واجب مفروض على المرأة نحو الرجل ، لكنه شارة جميلة يتحلى بها جميع المؤمنين فيما بينهم .  
حدثنا الرسول في هذا العدد عن حقيقتين :

(١) نوع الخضوع — « خاضعين بعضكم لبعض » فهو إذا خضوع متبادل ، هو خضوع الند للند ، لا خضوع العبد للسيد . هو خضوع العضو للعضو في الجسد الواحد ، لأن روحاً واحداً يتحد هماماً ، وناموساً واحداً يربطهما — هو ناموس المحبة — والمحبة الحلقة لا تنافي مع النظام .

قد يظن من يقرأ الأعداد السابقة التي تكلم فيها الرسول عن « المزامير والتسايج والأغاني الروحية » أن حياة النهضة والانتعاش مناقضة للنظام والترتيب . لكن هذا خطأ كبير . لأن الحماس الروحي الحقيقي ليس خصماً للنظام ، لكنه صديق له . فلكل أن يفرحوا . ولكن ضمن حدود اللياقة والترتيب . فالحرية الروحية مقترنة في كتابات بولس الرسول بالنظام الروحي وفي هذا الباب يجوز القول : « ما جمعه الله لا يفرقه إنسان » لأن إله الحرية هو إله النظام . ورسول الحرية هو رسول النظام . هذا ظاهر من كون الرسول

## في خوف الله

قد استعمل كلمة: «اخضعوا» ٢٣ مرة في رسائله. والنظام المطلوب هنا، هو نظام الخضوع المتبادل، إذ لا نظام بغير سلطان، ولا سلطان بغير خضوع تام. هذا نظام مستمد من طبيعة الواقع. لأننا أعضاء في جسد واحد. فمهما عظم شأن أحد الأعضاء في الجسد، وكانت سائر الأعضاء خاضعة له، فإن عليه هو أيضاً واجباً نحو سائر الأعضاء فالعظيم خاضع للحقير إلى حدٍّ ما. والكبير مدين للصغير على نوع ما. فليخضع بعضنا لبعض. لأن هذا هو ناموس المحبة. في الكنيسة الواحد، تخضع الرعية للراعي، فتؤدي خضوعها في شكل ولاء. ويخضع الراعي للرعية، فيؤدي خضوعه في شكل وفاء.

(٢) روح الخضوع: خضوع في خوف الله: «في خوف الله».

إن الروح الذي يجب أن يسود بهذا الخضوع، ليس خوف العقاب، ولا هو ابتغاء الثواب، بل هو خوف الله أيينا (عد ٢٠). فالعضو يخضع للعضو الآخر، لأنه يخشى أن تمرده يجرح قلب الله المحب، «الذي سامحنا في المسيح» (٣: ٤). فكان خضوع المؤمن لأخيه المؤمن — وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء — هو عنصر لازم لتعبدنا لله. فإن كنا لا نحب أخانا الذي نراه فكيف نحب الله الذي لا نراه، وإذا كنا لا نخضع لأخينا في الرب، فكيف نظهر ولاءنا للرب نفسه ١١ ؟

إن خوف الرب يسوع المسيح الذي سوف نقف أمامه لتعطي حساباً يوم الدين، هو خير باعث على الخضوع لمن يستحق الخضوع — أو لا يستحق — لأننا إنما نقدم بهذا الواجب إكرامنا للمسيح.

## ثانياً : المسيحى فى البيت

( ٢٢:٥ — ٩:٦ )

ما أشبه حياة المؤمن بهيكل سليمان ! فى كل منهما دار خارجية ،  
وقدس ، وقدسٌ أقدس . فى الفصل الذى مرّ بنا ( ١:٥ — ٢١ ) ، تكلم  
الرسول عن موقف المؤمن ازاء العالم الخارجى ، فأرانا إياه فى الدار الخارجية  
من حياته — واقفاً تجاه الظلام الخارجى ، موقف النور من الظلام ، موبخاً  
ومنتيراً . وفى الفصل الآتى ( ٢٢:٥ — ٩:٦ ) ، سترى المؤمن فى قدس حياته —  
فى البيت . وفيما بعد ( ١٠:٦ — ٢٠ ) ، سيرينا إياه فى قدس أقدس حياته —  
فى جهاده الروحى . واكبر مجاهدة هى مجاهدة النفس !

وها قد أَرانا الرسول ثلاث دوائر متماسة ضمن دائرة البيت : فى الدائرة  
الأولى نرى الرجل فى جانب ، والمرأة فى جانب آخر ( ٢٢:٥ — ٢٣ ) .  
وفى الدائرة الثانية نشهد الرجل والمرأة فى جانب ، والأولاد فى جانب آخر  
( ١:٦ — ٤ ) . وفى الدائرة الثالثة نلاحظ الرجل والمرأة والأولاد فى جانب ،  
والعبيد فى جانب آخر ( ٥:٦ — ٩ ) .

وليس بخاف أن الرسول استمد من خاتمة الفصل السابق مطلع استهلال  
للفصل الذى نحن بصدده . فلقد اتخذ من ذلك المبدأ الجليل — الخضوع  
المتبادل — نبراساً وضعه أمام المؤمنين فى حياتهم العامة والخاصة فهو الخيط  
القرمزى — والقرمز رمز التضحية — الذى يربط المؤمن بأخيه المؤمن ،  
والزوجة بالزوج . والأولاد بالوالدين ، والعبيد برب البيت ( ٥:٢١ و ٢٢ ، ١:٦ و ٥ )

## النساء

وجدير بالاعتبار ، أن الرسول لم يتكلم في هذه الفصول الممتعة عن الحقوق بل عن الواجبات. وفي كل فصل منها ، ابتداءً بالواجبات المطلوبة من الجانب الأضعف — النساء (٢٢:٥) ، الأولاد (١:٦) ، العبيد (٥:٦)

## الدائرة الأولى : النساء والرجال (٢٣:٥ — ٢٣).

إن صلة الأزواج بالزوجات ، رمز لصلة المسيح بالكنيسة. وهاتان الصلتان — إحداهما في الدائرة الاجتماعية الظاهرة ، والثانية في الدائرة الروحية السرية — كانتا متلتين لدى ذهن الرسول وهو يكتب هذا الفصل ، ومنهما نسج برده ، متخذاً من إحداهما السدى ومن الأخرى اللحمة !!

## أولاً : واجب المرأة — الخضوع (٢٢:٥ — ٢٤)

— أ — ماهية هذا الواجب (٢٢:٥) (١)

— ب — الباعث على هذا الواجب (٢٢:٥) (ب)

— ج — أساس هذا الواجب (٢٣ : ٥)

— د — دائرة هذا الواجب (٢٤:٥)

## ثانياً : واجب الرجل — المحبة (٢٥:٥ — ٢٧)

— أ — قياس هذه المحبة (٢٥:٥ — ٢٧)

— ب — أساس هذه المحبة (٢٨:٥ — ٣٠)

— ج — شدة هذه المحبة (٣٠:٥ و٣١)

كلمة بمحبة : عن الصلة المتبادلة السكائنة بين المسيح والكنيسة (٢٢:٥)

كلمة بمحبة : عن الصلة المتبادلة السكائنة بين الرجل والمرأة (٢٣ ٥)

## إخضعن لرجالكن

**عدد ٢٣** واجب المرأة والباعث عليه : « أيها النساء إخضعن

لرجالكن كما للرب » . البيت هو ميزان الحرارة ، الذي به تقاس درجة تدين الإنسان . فكم من رجل يكون حملاً وديعاً في الخارج ، ووحشاً مفترساً في البيت . فديانة هذا باطلة وقد يكون البيت أقدم هيكل على الأرض بعد هيكل العبادة ، وقد يكون أنجس بقاع الأرض ، وأنجس من السجون !! يقول يوحنا بنيان إنه رأى على مقربة من باب السماء باباً صغيراً يؤدي إلى الهاوية — ولعله باب البيت الذي يكون وكرًا لأهل الرياء والادعاء .

غير أنه من المسلم به لدى رجال الدين والاجتماع ، أن محور البيت الحقيقي هو المرأة . فهي بلطفها وخضوعها ، تستطيع أن تخلق منه خير نعيم ، وهي بشدتها وعنادها تستطيع أن تخلق منه شر جسيم !!

**واجب المرأة نحو الرجل — ماهية هذا الواجب والباعث عليه :**

— أ — ماهية هذا الواجب : « إخضعن » . من الخضوع المتبادل

المذكور في العدد السابق ، انتقل الرسول إلى الكلام عن خضوع المرأة للرجل . وهو ليس خضوع العبد للسيد — ولو أن المرأة الفاضلة تقتدى بسارة فتدعو بعلمها سيدها — لكنه خضوع الألفة ، والمودة ، والمحبة . ما أشبهه بخضوع العود الرطب للنسيم ، فيتمايل معه في اتجاه واحد ، بخلاف العود اليابس ، الذي يقف في وجه الرياح فيمتحطم .

— ب — الباعث عليه : « كما للرب » . ليس المراد بهذه العبارة أن

## كما للرب. ٢٣ لأن الرجل هو رأس المرأة

تقدم المرأة للرجل نفس الخضوع المطلوب منها للرب ، بل أن تخضع للرجل معتبرة أن هذا واجب عليه عليها خضوعها للرب ، سيما في الحالات التي يكون فيها الرجل غير أهل لهذا الخضوع ، فتعتبر خضوعها لبعليها عنصراً مكملولاً لها وطاعتها للرب . وإذا كان أعداء الإنجيل يضطهدون أبناء العلي ويقتلونهم ظانين أنهم يقدمون خدمة لله (يوحنا ١٦: ١) ، فكيف بالحري يجب على السيدة المؤمنة أن تخضع لزوجها ، وهي موقنة أنها بخضوعها هذا تقدم خدمة للرب !! على أن هذه العبارة : « كما للرب » وإن كانت تفرض على المرأة أن تطيع رجلها ، إلا أنها تقيم حدود هذه الطاعة وتنظمها — أن تكون ضمن حدود وصايا الرب وخافته . فليست المرأة المؤمنة مكلفة بأن تطيع بعليها في أمر يخالف إرادة الرب مخالفة صريحة . إذ يحق لها في هذه الحال أن تتساح بهذه النية المقدسة « ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس » (أعمال ٥: ٢٩) .

**عدد ٢٣ | أساس هذا الخضوع : « لأن الرجل هو رأس المرأة »**  
كما أن المسيح أيضاً هو رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد . في رسالة سابقة ، أوضح الرسول هذا الباعث بكلمات مماثلة لهذه : « ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة فهو الرجل » (١ كو ١١: ٣) . في تلك الرسالة عرفنا الرسول أن السلطان الذي للرجل على المرأة ، يترتب عليه خضوع من جانب الرجل للمسيح . ولكنه أرانا في هذه الرسالة أن المسيح هو رأس الكنيسة ، لا باعتبار كونه متسلطاً عليها وكفى ، بل باعتبار

## كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة

كونه نبع حياتها ، وضابط كيانها ، حارساً لكل أعضائها . فمن الطبيعي أن يكون الجسد خاضعاً للرأس الذي منه تنحدر كل القوى وتنبعث في الجسد وتنتشر فيه . فهو إذاً خضوع طبيعي منطقي ، لا قهري تعسفي .

كذلك خضوع المرأة للرجل ، ليس «تقليداً» شرقياً تسربت عدواه في ذهن رسول شرقى ، ولكنه خضوع يوحى به الحق ويتطلبه المنطق ، وينادى به الوحي المقدس الذي هبط على الرسول فأراق نوراً جديداً على هذه الرابطة الجميلة . بل هو خضوع يفرضه جمال أنوثة المرأة ، وهو تاج الكمال الذي خلعتة عليها العناية . وليس في الوجود أبغض على النفس من المرأة المتسلطة سوى الرجل المطواع ، الذي ينقاد لوحي المرأة انقياداً أسمى .

هذه حقيقة يقررها الكتاب رغم ما يقال في بعض الأوساط الغربية عن ميول ومحاولات ترمي إلى ابدال كلمة : «تخضع» بكلمة : «تواسى» أو : «تعتنى» «قالى الشريعة وإلى الشهادة وإن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر» . هذا هو الخضوع الذي كانت تدين به فسكتوريا الملكة لبعها البرنس ألبرت فكانت تعتبره رأساً لها في البيت ، على رغم كونها هي رأسه في المجتمع . إن مفاد قوله : «وهو مخلص الجسد» ، هو أن المسيح للكنيسة ، كالرأس للجسد . ومن المسلم به ، أن الرأس بما فيه من عقل مفكر ، وعينين مبصرتين ، وأذنين واعيتين ، يحمي الجسد ، ويقيه شر الصدمات ، ويدبر ما يلزم لصيانتة فيخلصه مما يصادفه من هجمات . فالطاعة المطلوبة من أعضاء الجسد نحو الرأس ، إنما هي طاعة مستحقة على الجسد تلقاء عناية الرأس به

وهو مخلص الجسد . ٢٤ ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح

واهتمامه بصالحه . فإذا كان الرأس يضحى بالكثير في سبيل حفظ الجسد وتخليصه من المخاطر ، فليس بكثير على الجسد أن يخضع للرأس . وإذا وجب على الرجل أن يحمي المرأة ، حقاً على المرأة أن تطيع الرجل .

غير أن «الخلاص» الذي يقوم به الرأس الطبيعي نحو الجسد الطبيعي ، لا يوازي فتيلاً أمام الخلاص العظيم الذي أكمله المسيح للكنيسة - لأجلها عاش، ومات، وقام، ولأجلها يحيا الآن مخلصاً وشفيعاً (أفسس ٥: ٢٥-٢٧)

**عدد ٢٤** | منطقة خضوع المرأة للرجل : « في كل شيء » .

الحياة الزوجية وحدة لا تتجزأ . فليس للمرأة أن تخضع للرجل في ما يروفها ، وتمصاه في ما لا يروق . بل عليها أن تخضع له في جميع الأشياء - صغيرها وكبيرها . ولا يفوتنا أن نذكر : أن الكلمة الأصلية المترجمة «تخضع» تحمل ضمناً ، معنى من معاني التطوع الاختياري ، الذي توحى به المحبة ، وتوصى به الألفة . لأن المرأة مرتبطة بالرجل برباط المحبة ، الذي يجمع نظيرين متساويين في قرانٍ ميمون - والقران من مصدر قرآن - ومنه القرين أي الندى المساوي والمعادل . فإذا حق على المرأة أن تعترف أنها بسبب ضعفها الطبيعي تعجز عن القيام ببعض الأعمال التي يقوم بها الرجل بفضل ما أوتي من قوة ، فمن الواجب على الرجل أن يعترف من جانبه ، بأنه عاجز عن القيام ببعض الأعمال التي تقوى عليها المرأة بفضل ما أوتيت هي من صبر ورقة وحنو . فإذا كانت العناية قد أهلت الرجل لأن يقطع الأحجار ، التي يبنى منها الهيكل



## كذلك النساء لرجالهن في كل شيء . ٢٥ أيها الرجال

المسيحي، بقوة ساعديه، فقد وضعت على المرأة أن تصقل هذه الأحجار وتجهز لها.  
**حدود منطقة خضوع المرأة :** إن هذا الـ « كل شيء » الذي تخضع فيه المرأة للرجل ، محدودٌ بحكم صلة الرجل بالمرأة ، فهو ليس ربها الأعلى ، ولا هو سيدها الحاكم بأمره . فهي لم تخلق من رجله لثلايدوسها ولا من رأسه لثلا تسوده ، بل من جنبه لتكون وإياه على قدم المساواة .  
 وبقينا أن جل النزاع الذي يفسد السعادة البيتية ، ينشأ عن اهتمام كل من الجنسين بما له من حقوق ، لا بما عليه من واجبات . وفي هذا يحلو القول :  
 « اعكس تصب » ! فلو اهتم كل فريق منهما بما عليه من واجبات ، وبما للآخر من حقوق ، لأصبحت الأرض نعيماً مقيماً ! !

## عدد ٢٥ | واجب الرجل نحو المرأة : « كذلك يجب على

الرجال أن يحبوا نساءهم » . إن الرابطة الكائنة بين الرجل والمرأة ، قائمة على صلة متبادلة ، فهي تفرض حقوقاً متبادلة ، وواجبات متبادلة . فالخضوع من جانب المرأة ، يجب أن تقابله المحبة من جانب الرجل . وفي هذا يقول يوحنا الذهبي الثم : « رأيت أيها الرجل قياس الطاعة ، فاسمع إذا قياس المحبة ! ! »  
 قياس هذا الواجب : « كما أحب المسيح الكنيسة أيضاً وأسلم نفسه لأجلها » . رأيت أن الرسول جعل المسيح نصب عينيه في كل موضوع يطرأ عليه ؟  
 فالمسيح في نظره هو النبع الفياض الذي منه تتسدفق كل البركات الشريفة ، وهو الغرض الأسمى الذي يتوَّج كل الغايات النبيلة ، وهو القوة

## احبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة

الحياة المحيية التي تدفع كل الموامل السامية . وإذا كان الرسول قد وجد في المسيح الدائرة المركزية لكل نواحي الحياة، فإن النقطة المركزية في المسيح، هي محبته الكفارية الفدائية المضحية. هذه هي المحبة المجيدة الفائقة، التي ملكت على الرسول كل مشاعره، وسلبت لبه، فبينما نراد قاصداً بجرها الطامى ليستقى منه، قطرات تروى غليله في موضوع محبة الرجل لزوجته، إذا به قد نسي نفسه وسبح في بجرها الطامى، فطرح الموضوع الذي أمامه جانباً، وأفاض في وصف هذه المحبة في: (١) قياسها (عدد ٢٥). (ب) غايتها (عدد ٢٦ و ٢٧)

— ١ — قياس حب المسيح للكنيسة : « كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة ... » . يتضح من كلمة « كما » أن محبة المسيح للكنيسة هي :

( ١ ) علاقة حب الزوج لزوجته : لأن الرابطة القائمة بين الزوج والزوجة مشتقة من الرابطة القائمة بين المسيح والكنيسة ، ومستمدة كيانها منها .  
( ٢ ) دستور حب الزوج لزوجته : ليس هو حباً جسدياً مؤسساً

على صلة كائنة بين جسد وجسد ، لكنه حب روحي مؤسس على رابطة قدسية قائمة بين روح وروح ، « والروح بالروح تتلاقى » ، فالزواج الحقيقي هو تلك الجامعة الراقية التي ترتقى فيها نفس إلى نفس لتعانقها ، ويسمو فيها قلب إلى قلب ليؤاخيها ، فيكون الفؤاد للفؤاد مرآة أكثر صفاء من الدر ، وأعلى فيسة من الجوهر ، وأبهى لمعاناً من ضياء البدر .

( ٣ ) قياس حب الزوج لزوجته : « أسلم نفسه لأجلها » — محبة حتى الموت . هذا قياس حب المسيح للكنيسة ، وهو أيضاً قياس حب الزوج

## وأسلم نفسه

لزوجته. هذا قياس المحبة في عمقها ، وعلوها ، وقوتها — لا في طولها. فلا يكفي أن يحب الرجل امرأته حباً يمتد به إلى الموت ، بل يجب عليه أن يحب امرأته حباً عالياً، عميقاً، قوياً، لدرجة فيها يسهل عليه أن يموت لأجلها. وهو أيضاً قياس للمحبة في طبيعتها — فهي محبة تنظر إلى ما هو لآخرين لا إلى ما هو لنفسها . فلا يفكر الزوج في ما ينتفع به من زوجته ، بل في ما يقدر أن يقوم هو به من النفع والخير لها. ولا في الطاعة التي ينتظرها منها ، بل في المحبة الواجبة عليه نحوها. هذا هو المثل الأعلى للمحبة التي « لا تطلب ما لنفسها » ، بل تجود بما عندها حتى تجود بنفسها. « والجود بالنفس أسمى غاية الجود » ولا يغرب عن أذهاننا ، أن هذا الواجب يتناول صغائر الأمور في الحياة الزوجية كما يلم أيضاً بكبائرها لأن الحياة كلها وحدة لا تتجزأ. فكم من رجل تراه مستعداً لأن يموت لأجل زوجته في ساعة شدة ، لكنه لا يبرع بجانبها في صغائر الأمور ، فينشأ بينهما خلاف تستحكم حلقاته . وجل الخلاف ينشأ عن تافه الأسباب !! فليس بكاف أن يكون الرجل مستعداً لأن يموت لأجل زوجته ، بل عليه أن يكون على الدوام متهيئاً لأن يحميها لأجلها ، وربما كان ثاني الأمرين أمر من أولهما ، لأن موته لأجلها يتطلب تضحية نفسه مرة واحدة ، لكن حياته لأجلها ، تستلزم تضحية مستمرة تتجدد كل يوم ، وكل اليوم !! ومهما يقل الرسول ، إن حب المسيح للكنيسة هو قياس حب الزوج لزوجته ، فلا يمكن بحال أن يسمو حب الزوج لزوجته إلى ذلك المستوى الراقى النقي الذي بلغه حب المسيح للكنيسة. فالزوج والزوجة شخصان متكافئان

## لأجلها ٢٦. لكي يقدسها

لأن الزواج الحق لا يقوم إلا بين نظيرين ، ولكن أين التكافؤ بين المسيح والكنيسة ، بل بين النور والظلام (١١)

ناهيك عن كون محبة الزوج لزوجته لا تحمل معها تضحية حقة ، لأنها مهما صحت لا تغلو من عنصر حب الذات . لكن المسيح أحب الكنيسة وهو لا ينتظر منها صدى لمحبه . فكل الغرُم عليه ، وكل الغنم لها .

**عدد ٢٦** غاية حب المسيح للكنيسة : « لكي يقدسها ... »

سبق الرسول فتكلم في موضع آخر من هذه الرسالة عن محبة المسيح لنا ، فقال : « كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا » (٢: ٥) . هناك تكلم عن محبة المسيح لنا في جانبها الكفاري المقبول في نظر الله : « قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » لكنه أرانا إياها هنا في جانبها الفدائي المتعلق بقصده الأسمى في كنيسته . وقد بان لنا هذا القصد في كلمتين رئيسيتين : إحداهما — مطلع العدد السادس والعشرين : « لكي يقدسها » ، والثانية — مطلع العدد السابع والعشرين : « لكي يحضرها » الكلمة الأولى : « لكي يقدسها » لا جدال في أن المسيح أحب الكنيسة وهي خاطئة ، لكنه لن يرضى لها أن تبقى في الخطية بعد أن أحبها ، لأنه أحبها من الخطية . فمن المحتم أن ينتزعها من أحوال الخطية انتزاعاً .

(١) الصلة الركانة بين المسيح والكنيسة كمريس وعروس ، ترجع إلى فكرة نشأت في العهد القديم عن صلة « يهو » بشبعه إسرائيل . فلما أراد هوشع أن يصور الأمة الإسرائيلية في انحرافها عن عبادة الله ، تمثلها في امرأة خانت بها . ثم انتقلت هذه الفكرة إلى العهد الجديد فتغلغلت فيه ، وبها اختتم سفر الرؤيا .

## مطهرًا إياها

«لكن يقدسها» — تنطوي هذه العبارة على معنيين — أحدهما خارجي — يراد به التكريس والتخصيص لخدمته وذاته: وثانيهما داخلي يقصد به التطهير والتنقية . المعنى الأول يوافق قول المسيح: «ولأجلهم أقديس أنا ذاتي» (يوحنا ١٧: ١٩) . والمعنى الثاني يوافق قول الرسول: «لا تضلوا . لا زناة . ولا عبدة أوثان ..... يرثون ملكوت الله . وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع» (١ كور ٦: ١٩ — ١١) . تسلط الشمس أشعتها الذهبية النورانية على فضلات المستنقعات، فتخلق من أقدارها جواهر ، وتحوّل ترابها تبراً . هذا بعض ما عمله محبة المسيح في الكنيسة التي أحبها واختارها من بين أقدار العالم، من المحقر والمزدرى والغير الموجود، فهي تخلق من النجسين «قديسين» (١: ١) ، وتجعل من المحقرين «معتبرين» (غلاطية ٢: ٢)، وتقيم من الغير الموجودين «ملوكاً» (رؤيا ١: ٦) . أداة تقديسها : «مطهرًا إياها بغسل الماء بالكلمة» . هذه العبارة ترجع بأفكارنا إلى ما جاء في حزقيال ١٦: ٨ و٩ «دخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصرت لي . فحممتك بالماء .. ومسحتك بالزيت » ، وفي حزقيال ٣٦: ٢٥ «وأرش عليكم ماءً طاهرًا فتطهرون من كل نجاستكم ومن أصنامكم أطهركم» . وهو يذكرنا أيضاً بكلام كاتب الرسالة إلى العبرانيين : «لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي» (عب ١٠: ٢٢) .

ولكن ماذا يقصد الرسول بقوله : «بغسل الماء بالكلمة» هل يشير إلى

## بغسل الماء

تطهير الكنيسة «بالكلمة المقدسة» الموحى بها في الكتاب أم يرمى إلى طقس معين ؟ يكاد جمهور المفسرين يجمعون على أن الإشارة هنا منصرفة إلى المعمودية . فـ «غسل الماء» يشير إلى عملية العماد . و «الكلمة» هي الصيغة التي يقوه بها المعتمد وقت العماد ، دليلاً على اعترافه العلني بتركه خطاياہ وقبوله المسيح فادياً ومخلصاً وملاكاً . أو هي «الكلمة» التي ينطق بها مجرى فريضة العماد — كقولہ مثلاً : «أعتمدك باسم الآب والابن والروح القدس» . لعلها تشير إلى العسارتين معاً — أى ما يعبر به المعتمد عن إيمانه ، وما يقوه به مجرى العماد عند إتمام الفريضة .

ولعل أفضل ما قيل بهذا الصدد ، ما جاء في تفسير هودج : « إن «الكلمة» هنا هي ذات الكلمة المقدسة الموحى بها ، التي قال فيها بطرس الرسول : «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية» (١ بط ١: ٢٣) إن في هذا إشارة ضمنية إلى أن المعمودية في حد ذاتها لن تكفى لإيجاد اختبار روحي ، ما لم تكن مصحوبة بالكلمة المقدسة . لأن السر في «الكلمة» لا في المعمودية : «الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية . لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح» (١ بط ٣: ٢١) . «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقہ» (يعقوب ١: ١٨) . وإن «غسل الماء» تعبير رمزي يشير إلى الميلاد الجديد . ويحمل بنا أن نقرر هنا :

(١) أن المعمودية في حد ذاتها لا تنطوي على تأثير خفي سحري .

## بالكلمة ٢٧ لكي يحضرها لنفسه

(٢) إن الروح القدس لا يرافقها بالضرورة، وفي كل مرة، بتأثيرات روحية خاصة. (٣) أنها ليست الوسيلة الوحيدة لتمتع الإنسان بالفداء. وإنما :  
 (أ) هي رسم إلهي. (ب) هي أحد شروط قبول الخلاص، لأنها تتيح للمعتمد البالغ، فرصة يعلن فيها اعترافه الجري بخطاياها، وقبوله المسيح مخلصاً وفادياً.  
 (ج) فرصة يظهر فيها الوالدون استعدادهم لقبول التزامات علنية بشأن تربية صغارهم المعمدين، في مخافة الرب وإنذاره، حتى يشبوا على الصلاح والتقوى.  
 ويعتقد بعضهم أن «غسل الماء» يشير إلى عملية خارجية. و«الكلمة» تشير إلى فعل داخلي. ويعتقد آخرون أن المسيح يقدر الكنيسة «بالكلمة» إذ طهرها بغسل الماء — أي أن الكلمة وسيلة التقديس.

**عدد ٢٧** | تقديس الكنيسة وتمجيدها : « لكي يحضرها ... »

لعل الكلام في العدد السابق منصرف إلى التبرير : إلى الجانب الخارجي الذي يقوم بفرز الكنيسة من العالم. وهذا العدد متعلق بالتقديس والتمجيد. يتضمن هذا العدد وصفاً مزدوجاً للكنيسة :

- أولاً : وصفاً مجزئاً للكنيسة كما يعبدها المسيح لنفسه : « لكي يحضرها »  
 ثانياً : وصفاً تفصيالياً للوصف السابق المجمل — وهو ذو جانبين :  
 — أ — أحدهما سلبي : « لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك »  
 — ب — الثاني إيجابي : « بل تكون مقدسة وبلا عيب »  
 أولاً : الوصف العام المجمل : « لكي يحضرها لنفسه ». تذكرنا

## كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك

هذه الكلمة بقول الرسول في رسالة سابقة : «فأني أغار عليكم غيرة الله لأنني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢ كو ١١: ٢). والفرق بين كلام الرسول في تلك الرسالة ، وكلامه هنا ، هو أنه في تلك ، تكلم عن نفسه باعتبار كونه أحد العوامل الثانوية في إعداد الكنيسة للمسيح. لكنه في هذه الرسالة أرانا أن المسيح هو الذي يقوم بأعداد الكنيسة بنفسه ولنفسه ، أمام محضر السماء والأرضيين (أفسس ٣ : ١٠) . فهو الرأس والرئيس في محفل العباد ، وفي جمع القديسين ، وفي كل خدمة تعمل على إعداد الكنيسة لعريسها العظيم . والظاهر أن الرسول ، كان واضعاً في ذهنه إحدى الحفلات اليهودية الشرقية التي تزف فيها العروس إلى عريسها .

ومع أن الكنيسة المجاهدة على الأرض ، هي في نظر المسيح «مقدسة وبلا عيب» — لأن عين المحب تتغاضى عن عيوب الحبيب — كما قيل : «كلك جميلة يا حبيبتي ليس فيك عيب» (نشيد ٤: ٧) ، إلا أنها لن تبلغ هذه الدرجة الكاملة من القداسة ، إلا متى ارتفعت إلى المجد (رؤيا ٢١: ٢، ١٩: ٧-٩).

**الجانب السلبي :** «لا دنس فيها ولا غضن» . «الدنس» هو الفساد ومشتقاته . و«الغضن» هو تجعدات الشيب والهرم. وقوله : «أو أي شيء من مثل ذلك» يفيد خلو الكنيسة من كل عيب يشوه جمالها . فخلوها من «الدنس» يشير إلى كمال طهرها . وخلوها من «الغضن» يفيد دوام شبابها وصباها. وخلوها من «أي شيء من مثل ذلك» يدل على كمال جمالها . هذا مطابق لوصف الملاك الذي كان عند قبر القمادي يوم قيامته : «شاباً عن اليمين



بل تسكون مقدسة وبلا عيب ٢٨ كذلك يجب علي الرجال  
أن يحبوا نساءهم كأجسادهم

لابساً حلة بيضاء» (مرقس ١٦: ٥) . بل هذه الصورة التي ظهر بها المسيح  
على جبل التجلي ، فكانت مثار إعجاب التلاميذ، وتعجبهم، وخوفهم لا بل  
هي الصورة التي سنكون عليها حينما نراه في مجيئه (١ يو ١: ٢) .  
« مقدسة وبلا عيب » — هذان الوصفان مطابقان للوصفين السليبين  
الذين مرّا بنا . فالكلمة : « مقدسة » هي تعبير إيجابي معادل للعبارة :  
« بلا دنس » . وقوله : « بلا عيب » مواز للعبارة : « لا غش فيها أو أي  
شيء من مثل ذلك » .

« بلا دنس ... وبلا عيب » — هذان الوصفان أطلقا على المسيح نفسه  
« كما من حمل بلا عيب ولا دنس » (١ بط ١: ١٩) .

**٢٨ — ٣٠ | محبة الرجل للمرأة أمر طبيعي لأنها واحد —**

هي محبة الرأس للجسد . يظهر لدى القاء لمحة عاجلة على هذه الآيات ،  
أن الرسول رجع القهقري في حججه ، فتوَّجها بحجة ضعيفة مبنية على حب  
الذات ، سيما عند قوله : « من يحب امرأته يحب نفسه » (عدد ٢٨) .  
ولكن لدى امعان النظر ، يتضح لنا جلياً ، أن الرسول يتقدم بنا خطوة  
جديدة في حججه ، مبيِّناً أن الرجل والمرأة ليسا شخصين منفصلين ، لكنها  
إنسان واحد . لأنه وإن يكن الرجل رأس المرأة — كما أن المسيح رأس الكنيسة ،  
إلا أن الرأس ليس منفصلاً عن الجسد ، ولا هو بمستقل عنه ، لكنه يكون مع

من يحب امرأته يحب نفسه ٢٩ فإنه لم يبغض أحد جسده قط

سائر أعضاء الجسد ، جسماً واحداً ، فالحب المطلوب من الرجل لامرأته ، ليس حباً متكلفاً ، ولكنه حب طبيعي . هو حب الرأس في الجسم الواحد لسائر أعضاء الجسد ، أو بالحرى هو حب الإنسان لنفسه .

على أنه لا يستفاد من هذا ، أنه حب نفساني نفسي ، ولكنه حب طبيعي تطوعي ، ينبعث من الإنسان بغير تكلف ، مثلما ينبعث النور من قرص الشمس ، من غير مجهود ولا عناء ، أو كما ينبعث أريج الزهرة منها فيعطر الأرجاء .

**عدد ٢٩** معقولة هذا الواجب : « فإنه لم يبغض أحد جسده قط »

إن واجب الحب المطلوب من الرجل نحو امرأته ليس من الواجبات العسيرة ، ولكنه سهل هين . لأن العقل السليم يوصي به وطبيعة الحال توحى به ، فما من رجل في كمال عقله يمزق جسده أو يسيء إليه ، بل يقوته ويربيه « كما الرب أيضاً للكنيسة » . إن هذه الوجدانية الكائنة بين الرجل والمرأة ، مشتقة من الوجدانية الكائنة بين المسيح والكنيسة . وهذا الواجب الذي يقوم به الرجل نحو امرأته ، إنما يتمتع به هو ، باعتبار كونه أحد أعضاء كنيسة المسيح . فلا فضل إذاً للرجل في حبه لزوجته ، لأنه ليس محسناً عليها بهذا الحب ، ولا هو بمفضل به عليها ، كلا . فإنه في حبه لها إنما يحب نفسه ، وهو بذلك ليس إلا موفياً لدين عليه نحو المسيح ، لأنه سبق فتمتع بهذا الحب العجيب : « كما الرب أيضاً للكنيسة » فكما أن المسيح هو رأسه الأعلى ، الذي أغدق عليه هذا الحب ، كذلك عليه هو باعتبار كونه رأس

بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة . ٣٠ لا ننأ أعضاء

المرأة ، أن يوفى لها بعض هذا الدين الذي عليه نحو المسيح .  
 فإذا كل من يقصر في محبته لزوجته يُحسب مسيئاً إلى نفسه ، ويحكم  
 على ذاته بالخروج عن طور الإنسانية ، لأنه يسبى إلى جسده إلا من أصيب  
 بمس في عقله ، أو من أقدم على تضحية فذّة ( لوقا ١٤ : ٢٦ ) .  
 وفوق ذلك ، فإن من يقصر في محبته لزوجته ، يُحسب مقصراً في حق المسيح  
 عليه ، فهو الذي أحبه وافتداه . إذاً لا فضل لرجل في محبته لزوجته ، إلا  
 كفضل السحاب الذي يجود على الأرض بالمطر ، والمطر ليس منه ، بل من البحر  
 أو « كالبحر يطره السحاب وماله من عليه لأنه من مائه » .  
 إن قوله : « أن يحبوا نساءهم كأجسادهم » . معناه أن « يحبوا نساءهم  
 باعتبار كونهم أجسادهم » ، لا أن يحبوهن كما يحبون أجسادهم .

**عدد ٣٠ : امتانة الوحدة بين المسيح والكنيسة : « لا ننأ أعضاء »**  
 تقديراً لمتانة الوحدة الكائنة بين المسيح والكنيسة ، اقتبس الرسول  
 عبارة وردت أصلاً في سفر التكوين عن متانة الوحدة الكائنة بين الرجل  
 والمرأة : فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي « ( تك ٢ : ٢٣ ) .  
 ويقول يوحنا الذهبي الفم ، في تفسيرها : « كما أن حواء أخذت جسدياً  
 من آدم الأول . كذلك الكنيسة : أخذت روحياً من آدم الثاني — المسيح »  
 ويقول كالف : كما أن حواء صوّرت من جوهر جسم آدم ، كذلك  
 صوّرت الكنيسة من جوهر جسم المسيح الذي « تشارك وإيانا في اللحم والدم »

جسمه من لحمه ومن عظامه . ٣١ من أجل هذا يترك الرجل  
أباه وأمه ويلتصق بأمرأته

ويقول هودج : « كما أن حواء استمدت كيانها من جسم آدم، كذلك  
نستمد نحن كياننا من جسد المسيح ، وكما أن حواء صارت شريكة في حياة  
آدم ، كذلك أصبحنا نحن شركاء في حياة المسيح » .  
وفي اعتقادنا أن الرأي الأخير يُلمّ بالمعنى المأمّ شاملاً، وهو أقربها إلى  
الصواب . سيما وأن كلمة « مِنْ » تفيد « الاشتقاق » التام !

**عدد ٣١** | متانة الصلة التي بين الرجل وامرأته : « من أجل هذا »  
بعد أن اقتبس الرسول تكوين ٢ : ٢٣ ، مستدلاً على متانة الصلة  
القوية المكيّنة الكائنة بين المسيح والكنيسة : « عظم من عظمه ولحم من لحمه »  
أردفها بالآية التي تليها (تكوين ٢ : ٢٤) مبيناً الواجب الذي تفرضه هذه  
الصلة على الرجل : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بأمرأته  
ويكون الإثنين جسداً واحداً . فهي إذاً صلة روحية أقوى من صلة الرحم .  
على أنه لا يستفاد من قوله : « يترك أباه وأمه » أن يتغاضى الرجل عن واجبه  
المقدس نحو والديه ، لأن الذي لا يعتنى بخصته ، ولا سيما أهل بيته هو شر  
من غير المؤمن .

هذه نفس العبارة التي اتخذها المسيح سلاحاً له ، في محاربة بدعة  
الطلاق التي كانت فاشية بين اليهود منذ أيام موسى ، إذا كان الرجل يطلق  
امرأته إذا وضعت في الطعام مليحاً أو كثر مما يحب ، أو إذا لم تحسن وضع الغطاء

ويكون الاثنان جسداً واحداً . ٣٣ هذا السر عظيم ولكني

على رأسها ، أو إذا لبست ثوباً لا يروقه لونه . فأوصى الله موسى بأن يعطى الرجل امرأته كتاب طلاق ، على تعديل عن فكرة الطلاق قبل أن ينتهي من استيفاء الإجراء التي يستلزمها كتاب الطلاق . لذلك جابهم القادي المجيد بهذه الحقيقة الخالدة : « من بدء الخليقة ذكرًا وأنثى خلقها الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . والذي جمعه الله لا يفرقه إنسان » ( مرقس ١٠ : ٦ - ٩ ) .

**أبعد ٣٣ | ذلك السر العظيم :** « هذا السر عظيم ولكني أنا أقول »

هذه آية عسرة الفهم ، فلا غرابة إذا تباینت فيها آراء المفسرين . ولكي نتبين بعض ما فيها من معانٍ ، يجمل بنا أن نسأل هذين السؤالين :

**أولاً :** ما المراد بكلمة « سر » كما استعملت هنا ؟

إن كلمة « سر » كما وردت في هذه الرسالة ( ١ : ٩ ، ٣ : ٣ ، ٤ : ٩ ، ٦ : ١٩ ) ، قد تعنى أمراً من ثلاثة — أو تعنى ثلاثتها معاً :

( ١ ) قد تعنى أمراً مخفياً عن العامة ، فلا تفهمه سوى الخاصة .

( ٢ ) قد تشير إلى حق روحي يظل مستوراً عن البشر حتى يأتي وقت

إعلانه بالروح ( ٣ : ٩ ) .

( ٣ ) قد ترمي إلى حقيقة عويصة ، عسرة الفهم ، تحتل تأويلات كثيرة ،

وتنطوي على معانٍ أكثر مما يرى منها ظاهرياً .

## أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة

ثانياً : ما هو هذا « السر » العظيم ؟ إنه لواضح من قول الرسول : « ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » إن هذا « السر » العظيم هو تلك الرابطة الروحية ، السرية ، الخفية ، الكائنة بين المسيح والكنيسة ، لدرجة تحسب فيها الكنيسة « عروساً للمسيح » ويحسب أعضاؤها « لحمًا من لحمه وعظماً من عظمه » .

ويعتقد بعض المفسرين أن « هذا السر العظيم » هو ذلك الرمز الكائن بين الرابطة الزوجية الجسدية ، وبين الصلة الروحية الخفية التي بين المسيح والكنيسة . ويميل البعض الآخر ، إلى اعتبار هذا « السر » أمراً عسير الفهم ، يحتمل تأويلات أكثر كثيراً مما يرى من ظاهره ، وأن الرسول قل رأيته فيه بصرف النظر عن القصد الأصلي الذي كان أمام آدم عند نطقه بهذه العبارة . هذا الرأي يؤيده قول الرسول : « ولكنني أنا أقول » .

وغير خاف ، أن بعض الطوائف اتخذت من هذه الآية أساساً لا اعتبار الزواج سرّاً من الأسرار الكنسية المقدسة . ويكفي أن نقول بهذا الصدد أن ترجمة الآباء اليسوعيين — وهي حجة الكنيسة الكاثوليكية — ترجمت هذه الآية هكذا : « أقول هذا بالنسبة إلى المسيح والكنيسة » . وأن كلمة « سر » لم تطاق على القرائن المقدسة إلا بعد القرن الخامس للميلاد . وأن ابن العسال وضع « الزواج » في باب المعاملات الاجتماعية . ولعل العناية سمحت بتضارب الآراء حول هذا « السر » . والسر في ذلك ، أن العناية أرادته أن يظل « سرّاً » حتى يأتي اليوم الذي يعلن الله « السرائر » !

٣٣ وأما أنتم إلا أفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه  
وأما المرأة فلتهب رجلاً

**عدد ٣٣ | كلمة مجملة — مسك الختام :** « وأما أنتم الأفراد ... »

« وأما » — هذه كلمة استدراك ، تصرف ذهن السامع عن البحث في « السر » النظري ، إلى العمل بالجوهر . والظاهر أن الرسول شعر بأن كلمته الأخيرة « هذا السر عظيم » ستكون مثاراً للجدل والبحث بين قارئيه على مر الأجيال ، لذلك قصد أن يصرف أذهانهم عن البحث في « السر » موجهاً إياها إلى الجانب العملي — كأن يقول لهم : ومهما يكن من أمر هذا السر ، يكفيكم أن تعرفوا منه هذا الواجب العملي المزدوج المطلوب من الرجال والنساء .

على الرجل أن يحب امرأته ، وعلى المرأة أن تهاب رجلاً  
فالمحبة هي المهابة خادمة ، والمهابة هي المحبة محتشمة .  
المحبة هي رمز أمانة الرجل ، والمهابة هي رمز طاعة المرأة .  
ومن الأهمية بمكان ، أن نذكر أن الكلمة : « المترجمة »  
« تهاب » ، تعني حرفياً « تخف » وهي نفس  
الكلمة المعبرة عن مخافة  
الله وتقواه

## الاصحاح السادس المسيحي في البيت (٢) الأولاد والوالدون

(٦ : ١ - ٤)

### أولاً : واجبات الأولاد

(٦ : ١ - ٣)

(١) الواجب الأول : الطاعة

(١ : ٦)

(١ : ٦ (أ))

— أ — ما هية هذا الواجب « أطيعوا »

(١ : ٦ (ب))

— ب — الروح الذي يؤدي به هذا الواجب « في الرب »

(١ : ٦ (ج))

— ج — الباعث على هذا الواجب « هذا حق »

(٢ : ٦ و ٣)

(٢) الواجب الثاني : الإكرام

(١ : ٦ (أ))

— أ — ما هية هذا الواجب « اكرم »

(٢ : ٦ (ب))

— ب — أهمية هذا الواجب : « أول وصية بوند »

(٣ : ٦)

— ج — المسكانة على هذا الواجب : « لكي يكون لكم خير » (٣ : ٦)

(٤ : ٦)

### ثانياً : واجب الوالدين

(٤ : ٦ (أ))

— أ — سلباً : « لا تغيظوهم »

(٤ : ٦ (ب))

الباعث عليه

(٤ : ٦ (ج))

— ب — إيجاباً : « بل ربوهم بتأديب الرب »

### (٣) العبيد والسادة

(٦ : ٥ - ٩)

### أولاً : واجب العبيد نحو السادة

(٥ : ٦ - ٨)



- أ — الواجب نفسه : « أطيعوا »  
 (٥:٦) (أ)  
 — ب — الروح الذى يؤدى به هذا الواجب  
 (٥:٦) (ب)  
 — ج — الباعث على هذا الواجب  
 (٦:٦)  
 (٦:٦) (أ)  
 (١) سلبي : « لا إرضاء للناس »  
 (٦:٦) (ب)  
 (٢) إيجابيا : « بل إرضاء الله »  
 (٧:٦)  
 — د — النية التى يؤدى بها هذا الواجب « نية صالحة »  
 (٧:٦) (أ)  
 (١) إيجابيا « كما للرب »  
 (٢) سلبي « ليس للناس »  
 (٧:٦) (ب)  
 — ه — المكافأة على هذا الواجب : « عالمين »  
 (٨:٦)  
 ثانيًا : واجب السادة نحو العبيد  
 (٩:٦)  
 — أ — الواجب نفسه  
 (٩:٦) (أوب)  
 (٩:٦) (أ)  
 (٩:٦) (ب)  
 (٩:٦) (ج)  
 — ب — الباعث : « عالمين أن سيدكم »

## ( ١ ) الأولاد والوالدون

( ١:٦ — ٤ )

من الكلام عن الشجرة ، انتقل الرسول إلى الكلام عن الثمرة. فبعد أن خص القسم الأخير من الأصحاح السابق ، بالواجبات المتبادلة بين الزوجات والأزواج ، انتقل إلى الكلام عن الواجبات المتبادلة بين الأولاد والوالدين. ومثلما استهل الكلام فى الفصل الماضى ، بالواجبات المطلوبة من الجانب الأضعف — واجب المرأة نحو الرجل ، وضع على رأس هذا الفصل — واجب الأولاد نحو الوالدين — وهو واجب مزدوج :

## ١ أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب

**عدد ١ | العنصر الأول في هذا الواجب :** « أطيعوا والديكم »

— ١ — ماهية هذا الواجب : الطاعة . الطاعة البنوية من أهم أركان الحياة . فعندما تنعدم الطاعة من قلوب الأولاد نحو والديهم ، ينهدم أهم ركن من أركان الحياة — في قلب الفرد ، وفي الكنيسة ، وفي المجتمع . يتضح هذا جلياً ، متى ذكرنا أن بولس وضع خطية « عدم إطاعة الوالدين في صف أشنع الخطايا التي لطخت جبين الأمم الوثنية » (روا : ٣٠) وفي رسالته الثانية إلى تيموثاوس ، أنبأنا بالأمراض الويلة التي تتفشى في الأزمنة الأخيرة ، ذا كراً في مقدمة أعراضها « عدم إطاعة الوالدين » (٢ تي ٣ : ٢) . وإذا كان عصيان الوالدين من أسوأ أعراض مرض الكفر بالله ، فإن إطاعتهم ، من أظهر علامات التقوى والتعبد .

هذا هو الدرس العملي الذي ألقاه المسيح على الشباب في جميع الأجيال : « نزل معهما إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما » (لو ٢ : ٥١) .

يراد بـ « الوالدين » ، الآباء والأمهات على حد سواء (امثال ١ : ٨ ، ٦ : ٢٠) وجدير بالملاحظة ، أن الكلمة المترجمة : « أطيعوا » هي ذات الكلمة التي مرت بنا في ٢٢ : ٥ عن « خضوع » الزوجات لأزواجهن ، وهي عين الكلمة التي سنلتقي بها في العدد الخامس من هذا الأصحاح عن « طاعة » العبيد لسيادتهم .

— ب — الروح الذي يؤدي به هذا الواجب : « في الرب » . هذا

## لأن هذا حق : ٢ أكرم أباك وأهلك

هو الروح الطيب الذى به يؤدى الأولاد واجب الطاعة لوالديهم، فيحسبون أن طاعتهم لوالديهم عنصر لازم من عناصر مسيحياتهم الحقة، وجزء لا يتجزأ من تعبدهم للرب . وهو واجب يقومون به فى اتحادهم بالمسيح، الذى منه يستمدون خير باعث، وأفضل قوة، وأجل مكافأة .

ولا ننس أن هذه العبارة . « فى الرب » تحدد المنطقة التى يبسط الآباء فيها نفوذهم على أولادهم — « فى الرب » . أى أن الأولاد مكلفون بالطاعة والديهم فى الأوامر التى تتفق ومشية الرب . لكنهم فى حل من إطاعة الأوامر التى تخالف هذه الإرادة الصالحة المرضية الكاملة ، مخالفة صريحة .

ج — الباعث على هذا الواجب : « لأن هذا حق » . ليست الطاعة واجباً يقوم به الأبناء نحو والديهم على سبيل الاستحسان، كأنه أمر كالى ، بل عليهم أن يقوموا بهذا الواجب لأنه حق طبيعى بل، حق إلهى، رسمه الله فى شريعته الأدبية المتفقة والطبيعة الإلهية التى صرنا شركاء الله فيها بالتجديد . هذا « فرض عين » ، لا « فرض كفاية » ١١

### عدد ٢ | العنصر الثانى فى هذا الواجب : الإكرام

١ — مظهر هذا الواجب — الإكرام : « أكرم أباك وأهلك » الكلمة اليونانية المترجمة : « أكرم » هى ذات الكلمة التى وردت فى الترجمة السبعينية للتوراة العبرية عن خروج ٢٠: ١٢ وتثنية ٥: ١٦ وقد وردت أيضاً فى الإنجيل فى متى ١٩: ١٩ ، مرقس ٧: ١٠ ، ١٩: ١٠ ، لوقا ١٨: ٢٠ .

## التي هي أول وصية بوعد . ٣ لكي يكون

و«الأكرام» المقصود هنا، ليس مقصوراً على المظاهر الخارجية التي يفرضها الخوف، لكنه يتضمن الشعور القلبي الذي يملئه الواجب، وتقديسه المحبة. وخير إيضاح لهذا، ما قاله المسيح في متى ١٥: ٤-٨.

ب- أهمية هذا الواجب : « أول وصية بوعد » . إن الوصايا العشر، هي عنوان سفر الشريعة، لأنها خلاصة الشريعة الأدبية. فهي بالتالي «غرفة سجل» الشريعة. ووصية الكرام الوالدين هي أول وصية مقرونة بوعد في سجل الشريعة الأدبية . ومع أن البعض اعترض على هذا : بأن الوصية الثانية في الشريعة الأدبية. مقرونة هي الأخرى بوعد : أصنع إحساناً إلى أئوف من محبي وحافظي وصاياي» ، إلا أن هذا ليس وعداً بالذات، لكنه تقدير لحقيقة أمانة الله لحافظي وصاياي. وإنما الوعد الصريح هو هذا الذي جاء مقترناً بهذه الوصية الخامسة : « لكي تطول أيامك » . ويعتقد فريق من المفسرين أن هذه أول وصية بوعد ، في اللوحة الثانية من الشريعة .

عدد ٣ ج- المكافأة على هذا الواجب : « لكي يكون خير »

يتضمن هذا الوعد مكافأة مزدوجة : جانبها الأول : الهناء : « لكي يكون لكم خير » . وجانبها الثاني : طول البقاء : « وتكونوا طوال الأعمار » . الجانب الأول يتناول النوع ، والثاني يشمل الكم .

هذا مبدأ عام، يقرره الكتاب المقدس ، ويؤيده التاريخ . وهو ينطبق على الأفراد والأمم . ولقد تحقق فعلاً وحقاً لبنى ركاب : « قال إرميا لبیت

## لكم خير وتكونوا

الركابيين هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم وحفظتم كل وصاياه، وعلماكم حسب كل ما وصاكم به، هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : « لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامي كل الأيام » (ارميا ٣٥: ١٨ و ١٩) .

ويحدثنا العلامة جيكي عن السنيور بيورتي أنه التقى بجماعة من بنى ركاب عام ١٨٦٢ على مقربة من البحر الميت. هذا أقوى دليل على أن هذا الوعد، قد تم لبنى ركاب بخدا فيره، طوال حياتك الأيام والسنين. ويقول المؤرخون إن السر في بقاء روماء مدة طويلة على عرش المجد والعظمة، يعزى إلى الطاعة التي كان أبناؤها يدينون بها لوالديهم. ويعتقد العلماء المعاصرون أن ثبات الصين أمام الهجمات الكثيرة، التي صوبت إليها على مر الزمان، يرجع إلى الطاعة البنوية التي دُمغت بها حياة الصينيين .

ولا جدال في أن إطاعة الوالدين كانت مقرونة باطالة العمر، لأن الشريعة الموسوية قضت على العاصي بالإعدام . وعلى هذا الاعتبار، كان عصيان الوالدين سبباً في «قصص» أعمار البنين. فمن الطبيعي إذاً، أن تكون إطاعة الوالدين سبباً في إطالة العمر، لأنها تحفظ الفتى من خطر الوقوع تحت طائلة حكم الإعدام .

ولكن أهو مطابق للواقع أن كل شاب يعمّر طويلاً متى كان مطيعاً لوالديه؟ فما السر إذاً في أن كثيرين من الشبان المطيعين لوالديهم يموتون في (٢٧)

## طوال الأعمار

منتصف أعمارهم؟» وجواباً على السؤال الأول نقول : إن الوعد باطالة عمر الشاب المطيع لوالديه، إنما يقرر قاعدة عامة ، ولا بد لكل قاعدة من شواذ. فكما أن القانون العام يقرر أن العقل السليم في الجسم السليم، إلا أننا كثيراً ما نرى عقولاً سليمة في أجسام سقيمة، وعقولاً سقيمة في أجسام سليمة .

أما جوابنا على السؤال الثاني ، فهو : أنه ليس حقاً ما يقال عن الشبان الأتقياء أنهم يموتون في منتصف أعمارهم ، لأنهم إنما يموتون بعد أن يتموا رسالتهم على الأرض ، فلا يرحلون الأرض إلا بعد اكتمال أعمارهم . لأن الأعمار لا تقاس بطولها، بل بعمقها وسموها. الأعمار لا تقاس بسكنها توزن! فكم من شيخ يعمر حتى يبلغ الثمانين، فيترك وراءه ثمانين من الخرائب المتهدمة، وكم من شاب لا يعدو العشرين فيترك وراءه عشرين قصراً أهلاً بجلال الأعمال وعظام الخصال !! كم من شيخ يعمر حتى يدركه الهرم، فلا تكون حياته سوى ثمرة مرة المذاق لأنها غير ناضجة، وكم من فتى تنضج ثمرة حياته قبل بلوغه العشرين . فليس المهم في : « كم نعيش » بل : « كيف نحيا » فالعبرة ليست بطول العيشة ، بل بسمو الحياة !!

فالي الذين يلومون العناية — أو على الأقل يعتبون عليها — لأنها لم تطل أعمار أبنائهم الأتقياء ، مثلاً أطالت عمر حزقيا كما تقرأ عنه في اشعيا ١١ : ١ إليهم نسوق الحديث قائلين : إن عمر حزقيا أطيل اتماماً لعهد كان الرب قد قطعه على نفسه — بأن لا ينقرص من نسل داود من يجلس على كرسيه . ولو مات حزقيا في هذا الوقت، لبطل هذا الوعد، لأن حزقيا كان وقتئذ بغير ولد

## على الأرض

وفوق ذلك فلنسمع ما يقول الكتاب: «نجاء إشعياة النبي إلى الملك حزقيا وقال له: هوذا تأتي أيام يُحمَل فيها كل ما في بيتك وما خزنه آباءك إلى هذا اليوم إلى بابل. لا يُترك شيء يقول الرب. ومن بنيك الذين يخرجون منك يؤخذون فيكونون خصياناً في قصر ملك بابل» (إشعياة ٣٩: ٣-٧).  
ياليت حزقيا قد مات بمرضه الممهد! وياليت تلك الخمسة عشرة سنة لم تضيف إلى عمره. لأنها كانت عليه، وعلى أولاده، وبالأولاد.

فالعمر القصير الذي يريده لنا الله، خير من العمر الطويل الذي نتمناه نحن لأنفسنا، ولو أتيح لنا أن نختار ما يصيبنا، لا اخترنا الواقع.  
وهل يستطيع إنسان أن ينكر أن التقوى تصون للإنسان قواه العقلية والجسدية، وتقويه شر الإسراف فيها، فيكون لديه «رصيد» من القوى في وقت الأمراض والأزمات، فيغالبها حتى يغلبها!؟

وهنا أمر لا يليق أن نفعله، وهو أن بولس الرسول عند ما اقتبس هذا الوعد، ترك منه - تعمداً - هذه العبارة «التي يعطيك الرب إلهك» (خروج ١٢: ٢٠) وهي التي وردت في الوعد أصلاً، وصفاً «للأرض». ألسنا نرى في هذا برهاناً ضمنيّاً على أن وعد العهد القديم كان مقصوراً على أرض الميعاد، ولكن وعد العهد الجديد تناول كنعان السماوية أفاذاً الذين رحلوا عنا في شبابهم، وهم أتقياء، لم تنقطع أعمارهم بموتهم، لكنهم بهذا الموت قد دخلوا أرض البقاء، وتمتعوا بحياة الخلود: «لأنهم يرغبون وطناً أفضل أي سماوياً. لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى إلههم لأنه أعد لهم مدينة»

## ٤ وأنتم أيها الآباء

**عدد ٤** | واجب الآباء نحو الأبناء: «لاتغيظوهم... بل ربوهم»  
 كم من والد يشكو ابنه «الشاطر» لمعارفه وذويه، فيجلس هؤلاء على  
 كرسي موسى، ويضعون كل اللوم على الولد، غير حاسبين أن في حالات  
 كثيرة — بل في معظم الحالات — يقع النصيب الأكبر من اللوم على  
 الوالدين: إما لأنهم كانوا في البداية ألين من العود الرطب، أو لأنهم كانوا  
 أقسى من العود اليابس. «وكلا هذين إن زاد قتل».

أشار الرسول إلى الوالدين بكلمة: «الآباء» وهو يريد بالآباء والأمهات  
 على حد سواء — وهو تعبير جاز على سبيل التغليب، باعتبار أن الأب رأس  
 العائلة. بهذا جرى العرف في لغة الاغريق القديمة (كلاسيك)، وفي لغة  
 العهد الجديد: «بالإيمان موسى بعد ما ولد أخناه أبواه ثلاثة أشهر»  
 (عب ١١: ٢٣)، قاصداً بكلمة «أبواه». والدموسى ووالدته. هذا أيضاً قضت  
 قواعد اللغة العربية، فمجازت استعمال كلمة «الوالدين» أو «الأبوين» عن الأب  
 والأم. إن في هذا برهاناً ضمناً على التضامن الوثيق الواجب توفره بين الأب  
 والأم في تربية أولادهما. ومتى انعدم هذا التضامن — أو تضاعف — انعدم  
 معه أهم ركن من أركان التربية البيتية. فالشدة من جانب أحدهما،  
 قد يفسدها للدين من جانب الآخر، وتهاون أحدهما، قد يضيع خيراً كبيراً كان  
 من الممكن اجتناءه، ويحلب شراً كبيراً كان من الواجب اجتنابه.  
 ومع أن الخطاب موجه إلى «الآباء» من باب التغليب، إلا أن أحداً



## لاتغيطوا أولادكم

ما ، لا ينكر أن مقام المرأة في هذا الباب ، لا يستهان به . ولعله أهم من مقام الرجل . لأن المرأة تلازم أولادها بحكم بقائها معهم في المنزل ، وبحكم قربها الدائم منهم ، فيتهيأ لها من الفرص مالا يتاح للرجل ، فيصبح من السهل على من أرضعت أولادها لبان التغذية صغاراً ، أن تغذيهم بطعام التربية كباراً .

لسنا نريد بهذا أن نلتبس المعاذير والآباء الذين يبيعون أنفسهم لأعمالهم الكثيرة ، فيبيحون لها إهمال أمر أولادهم ، بحجة أنهم يعودون في المساء في وقت يكون فيه الصغار قد ناموا ، ويستيقظون في الصباح بعد أن يكون الفتيان قد قاموا ، وعلى وجوههم في الدنيا العريضة قد هاموا ١١

ذكر الرسول واجب « الآباء » نحو أولادهم في جانبين :

الجانب الأول — سلبى : « لاتغيطوا أولادكم ... »

الجانب الثانى — إيجابى « بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره »

الجانب السلبى : « لا تغيطوا ... » . وردت هذه الكلمة عيناها في

كولوسى ٣:٢١ مضافاً إليها هذا التحذير الخطير : « لئلا يفشلوا » . وقد مررنا بها في هذه الرسالة ( ٢٦:٤ ) . وهى استعملت أصلاً — فى الترجمة السبعينية — عن إغاظلة إسرائيل لله يوم التجربة فى القفر ( مزمور ٧:٩٥ وعبرانيين ٩:٣ ) قد يكون الوالد سبياً فى إغاظلة ولده ، بإهماله حقوقه البنوية ، أو بعدم تفكيره فى ما يؤول لصالحه ، أو بقصوره وتقصيره ، فى فهم نفسيته ، أو بمحاباته وتحيزه لولد دون آخر ، أو بقسوته عليه من غير ماسبب جوهري ، أو بإساءة الظن فيه ، أو بتجاهله إياه — تعمداً أو عن غير قصد . ومن المحزن ،

## بل ربوهم

إن هذا «الغيظ» عندما يستولى على قلب الولد، يتخذ منه عدوًّا الخير سلاحاً حاداً يمزق به نفسه الولد، ويقطع عليه سبل النجاح في الحياة، ويشطره عن بيت أبيه، بل عن قلب أبيه، فيصبح الولد حساساً ومعنى: «ولداً شامطراً» ولكن بمعنى عكس الذي يفهمه العوام من هذه الكلمة !!

ويقيننا أن أفضل صلة تجمع بين الوالد وولده، هي صلة الصداقة المتبادلة، المؤسسة على التفاهم التام، فيقدم الولد لوالده حباً مشبعاً بالخضوع والإكرام، ويقدم الوالد لولده حباً مشرباً بالروية والاهتمام.

الجانب الإيجابي: «بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره»

حقيقة لا مرأى فيها، إن الخطر الذي يتهدد التربية في الوقت الحاضر، لا يأتي من ناحية المبالغة في التشديد على الأبناء. بل من جانب التهاون في ضبطهم وكبح جماحهم. لأننا أصبحنا في عصر، سيم بعد الحرب الكبرى، وقد انخلع عن كواهل الأبناء، نير طاعة الآباء، وسلخ الصغار مقاليد الحكم من يد الكبار، فأضحى الشيوخ محكومين بالشباب، وإذا قيل عنهم في الماضي إنهم «رجال الغد» صار لزاماً أن يقال عنهم في عصرنا الحاضر إنهم: «رجال اليوم» ولكن من الواجب أن نعترف بأن هذه حالة شاذة، ضارة، وأن لا سبيل إلى إصلاحها إلا بالعود إلى الشريعة وإلى الشهادة. فمن المهم أن يرجع الآباء والأبناء إلى حكم الكتاب في هذا الباب: «أن يربوا أولادهم بتأديب الرب وإنذاره».

فاذا وجد سبب واحد للخوف من أن يبالغ الآباء في إرغام أولادهم على

## بتأديب الرب

التمسك بالدين ، فهناك ألف سبب وسبب للخوف من أن يهملوا تربيتهم الدينية على الإطلاق . وهنا يجمل بالأباء أن يتذرعوا بالشجاعة ، فلا يكونوا حكماء أكثر مما يجب ، فيدركوا أن التربية الدينية التي نفعتهم صغارا ، على رغم ما قد عاينوا من مرارتهم ، هي بعينها التي تنفع أولادهم اليوم . رغم ما قد يشعرون به من غضاظة !

الكلمة المترجمة « ربوهم » تحمل معنى التعهد الدائم ، بالتعب والكد والعناية كما يتولى البستاني نبتة صغيرة ، ويتعهد بها بالتنقية ، والتغذية بالطعام ، والماء ، والنور ، والهواء . وهي نفس الكلمة التي وردت في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح السابق : « فانه لم يبعض أحد جسده قط بل يقوته ويريه » . « وإذا كان العشب الذي يوجد اليوم وي طرح غداً في التنور » ، يحتاج إلى تربية وعناية ، فما أحوج الإنسان الذي هو وليد الأزل ، ووارث الأبد ، إلى تربية بكل عناية ودقة — كدت أقول بكل شدة — لأن الكلمة اليونانية المترجمة : « تأديب » استعملت أصلاً وصفاً لقصاص الجلد الروماني ! « فأنا أؤدبه واطلقه » ( لوقا ٢٣ : ١٦ و ٢٢ ) . هذا هو التأديب الرادع ، الزاجر ، الذي أغفل أمره في هذه الأيام ، فحصد الآباء والأبناء ميعه في الأخلاق ، ورخاوة في الآداب . وإذا كان الأولاد في الماضي ، قد تربوا في الدين كواجب — وإن يكن بغيضاً ، فمن الواجب أن يربي الأولاد في عصرنا الحاضر ، على الدين كميزة من المزايا الجميلة ، وكواجب من الواجبات الجميلة .

« الانذار » هو التحذير ، والتقويم بطريق المنع ( اكو ١٠ : ١١ )

## هوانذاره . ٥ أيها العبيد

تيطس ٣: ١٠ ، أعمال ٢٠: ٣١ ، رومية ١٥: ١٤ ، ١ كو ٤: ١٤ ، كولوسي ١: ٢٨ ، ١٦: ٣ ، ١ تس ٥: ١٢ و ١٤ ، ٢ تس ٣: ١٥ .

الروح الذي يؤدّي به هذا الواجب : « بتأديب الرب » — أي يجب أن يتربى الأولاد وينذروا بروح المسيح ، وعلى مبادئ المسيح ، وفي نور إرشاد المسيح ، لكي يشبوا رجالا ، على اعتبار أن المسيح هو المتعهد الأعلى للبيت المسيحي . فهو المستمع المتخفي لكل حديث ، وهو الجالس المستتر حول كل مائدة ، وهو الرأس الأعلى للبيت . وهو الروح الذي يسود كل شيء في البيت .

## (٣) العبيد والسادة

(٦: ٥-٩)

من الكلام عن الأولاد ، انتقل الرسول إلى الكلام عن العبيد : إن في هذا نبوة ضمنية بإمكانية تحرير العبيد بقوة حق الإنجيل ، لأن الرسول ذكرهم كأعضاء في البيت المسيحي ، وفرض على سادتهم واجبات من نحوهم ، دليلاً على أن الرسول لم يحسبهم كتلة مهمة — كأنهم من سقط المتاع — مثلما كانوا يحسبون في نظر الرومان ، بل نظر إليهم كعنصر مـكـمـل للبيت المسيحي الحقيقي .

قديمًا نظر فلاسفة اليونان إلى العبودية كأنها ضرورة لازمة ، لا غنى للتمدين عنها . فكانوا ينادون بأن لا مانع من أن يستعبد نفر قليل ، كي

## أطيعوا

يعيش سائر البشر أحراراً . كأن عبودية الأقلية ، تمن الحرية للأكثرية !  
ومن أقوال أرسطاططيس المأثورة: «العبد آلة متحركة، والآلة عبد جامد!!»  
وفي أزهي عصور الرومان واليونان، كان العبيد محرومين كل الحقوق الدينية  
والسياسية، حتى حقهم في الحياة نفسها ، وكانت شرائع أثينا تقول بأنه يكفي  
لقبول شهادة الحر في المحكمة ، أن يحلف اليمين . أما شهادة العبد فلا تقبل إلا  
على شرط واحد — أن يجلد ويعذب ! وقضت قوانين الرومان بأنه إذا أعدم  
سيد في بيته ، فلا مفر من أن يعدم كل العبيد الذين في بيته ، ولو بلغ  
عددهم مئتين — من غير تحقيق!! . ولقد كانت قيمة العبد زهيدة لدرجة  
أنه إذا مرض عبد ، كان يترك تحت رحمة الأقدار بغير علاج ، لأن ثمن  
العبد أقل من ثمن الدواء ! فلا عجب إذا غصت شوارع روما وأثينا بالعبيد  
لدرجة أن عدد عبيدها فاق عدد ساداتها ، ولا غرو إذا حكمها في النهاية  
العبيد ، فجلسوا على عروشها ! !

في قلب ظلام هذا الليل المدهم ، أشرق نور الإنجيل ، فقال بولس  
عن أنسيموس العبد « لا كعبد فيما بعد . بل أفضل من عبد أخاً محبوباً »  
( رسالته لإفليمون ١٦ ) .

و رب سائل ولكن لم لم يناد الرسول أولئك العبيد بأن يتحرروا حالا  
من ساداتهم ، فرفعوا عن أعناقهم نير العبودية دفعة واحدة ؟ لم لم يقل للسادة:  
ما أنتم وعبيدكم إلا أخوة في المسيح الواحد الذي لا يميز بين عبد وحر ؟  
إذا كان هو يتبرقد حسب العبودية « نظاماً جهنمياً » ، وإذا كان جون وسلي ،

## سادتكم حسب الجسد

قد قال في وصفها أنها «خلاصة الدنيا» ، فهل كان رسول الأمم أراف عليها منهما أو من أحدهما ؟

حقيقة الواقع ، أن الرسول وضع مبدأ حرية العبيد ، وغرس بذرة الحرية . ولكن لا بد للبذرة من وقت تنبت فيه وتنمو وتزدهر ! هذه خطة الله : إنه يزرع النور ، ولا بد للزرع من وقت هادئ لتكامل فيه عملية الازدهار والإثمار . واللوم في هذا ليس على الوحي ، بل على البشرية ذات الضمير الجامد البليد ، الذي استنفذ قرونا كثيرة ، وهو غارق في سبات هذه العادة الدميمة ، فلم ينتبه لقطع دابرها إلا منذ قرون قليلة ، بعد ما صاح وارفورس صيحته الماثورة في انجلترا ، بعد ما خر إبراهيم لنكولن صريخاً مدرجاً بدمائه في أمريكا !

وانند أجاد الدكتور جورج سميث إذ قال : «لست أرى دليلاً على تنزه الكتاب المقدس عن العنصر البشري ، أكثر من ترفعه عن إثارة عوامل الثورات السياسية» ! تكلم الرسول في هذا الفصل عن :

أولاً : واجبات العبيد نحو السادة (٥:٦-٨)

ثانياً : واجبات السادة نحو العبيد (٩:٦)

**عدد ٥** — ١ — ماهية الواجب المطلوب من العبيد : «أطيعوا»

إن أول بذرة للنور في هذه العبارة هي قوله : «سادتكم حسب الجسد» وهي كلمة تبعث في «عروق» العبد دماً جديداً ، وتقهمه أن «ذاته» الحقيقية

## بـخوف ورعدة في بساطة قلوبكم

التي هي «نفسه العليا» - ليست لسيده ، لكنها ملك له خاصة . هذه هي اللؤلؤة الحقيقية التي يملكها هو بالذات وأما الصدفة التي هي الجسد ، فليحسبها خادمة لسيده الأرضي ، لأنه «اشترأها» . ومن الملاحظ أن الرسول ، لم يصف «السيد» بتلك الكلمة القوية الشديدة : «دسبوت» أي «الحاكم المطلق المستبد» . بل استعمل كلمة فيها شيء كثير من الجنو والرافة والنعمة «كيريوس» وهي نفس الكلمة التي وصف بها «السيد» يسوع المسيح . كأنه أراد أن يفهم العبد أنه هو وسيده ، عبدان لهذا «السيد» الأعظم يسوع المسيح ، كما قال في رسالة معاصرة لهذه : «لأنكم تخدمون الرب المسيح» (كولوسي ٣: ٢٤) . ولا يغرب عن بالنا ، أن بولس كان يتأذى بأن يقول عن نفسه إنه «عبد» ليسوع المسيح . وهل يفوتنا أن نذكر أن رب المجد نفسه اتسع لدرجة أخذ فيها صورة «عبد» (فيلبي ٢: ٧) ؟ ألا يكفيكم كل هذا عزاء ، يا أيها العبيد ، على تسميتكم بالـ «عبيد» ؟ !

أما الواجب المطلوب من العبيد ، فقد عبر عنه الرسول بكلمة «أطيعوا» . وليس في هذا غضاضة على العبيد ، لأن هذه هي نفس الكلمة التي تعين واجب المرأة نحو الرجل ، وواجب الأولاد نحو الوالدين (٥: ٢٢ و ١: ٦) . وبما أن عهد العبودية قد مضى ، فمن الواجب أن يراعى هذا الواجب من جانب الخدم في وقتنا الحاضر .

ب - الروح الذي يؤدي به هذا الواجب : «بخوف ورعدة كما في بساطة قلوبكم كما للمسيح» . هذا هو خوف الاحترام الذي تولده

## كما للمسيح ٦. لا بخدمة العين كمن يرضى الناس

المحبة خشية أن تخالف إرادة المحب بحال من الأحوال . وقد وردت العبارة الأولى : «خوف ورعدة» في فيلبى ٢: ١٢ ، وصفا للروح الذى به يتم المؤمنون خلاصهم . و«لروح» الأخوية المسيحية التى بها استقبل الكورنثيون تيطس ورحبوا به ( ٢ كو ١٥: ٧ ) .

أما «بساطة القلب» ، فهى الرغبة الصادقة فى عمل الصلاح حباً بالصلاح ، ابتغاء مرضاة المسيح ، على عكس القيام به طمعاً فى كسب رضى إنسان ، أو استجداء لمديح أو ثناء ، أو استئداء لآ كف الإحسان . « فالقلب البسيط » هو القلب الموحد الذى ينصرف عن كل الأشخاص ، لأنه متوجه إلى شخص واحد — هو المسيح . فلا يبالى إذا كثرت له الدنيا عن أنيابها ، ما دام قد حاز ابتسامة المسيح . ولا يلهو بابتسامة الدنيا الخادعة ، إذا كان المسيح قد حول وجهه عنه ( روم ١٤: ٧ — ٩ ) .

**عدد ٦** — ج — الباعث على هذا الواجب : « لا بخدمة

العين ... بل كعبيد المسيح » .

هذا باعث ذو جانبين : أحدهما سلبي : « لا بخدمة العين ... »

: والثانى إيجابى : « بل كعبيد المسيح »

الجانب السلبي : لا بخدمة العين كمن يرضى الناس .

«خدمة العين» — هاتان الكلمتان هما فى اللغة الأصلية كلمة واحدة مركبة ،



## بل كعبيد المسيح

لم ترد إلا هنا ، وفي رسالة كولوسي ، والظاهر أن بولس صاغها خصيصاً ، لتؤدي الغرض الذي كان يرمى إليه : وهو أن « العبد » مجرب بأن لا يكون أميناً في عمله ، إلا متى تحقق أن عيني سيده ترقبانه . ومتى زالت رقابة السيد عنه ، انتفت معها أمانة العبد ، هذه أمانة زائفة ، لأن مبعثها إرضاء الناس — لا مجال فيها لراحة الضمير ولا لرضى الله ، ويكفى أن يقال فيها : أنها « أمانة العبيد » !!

والعبارة المترجمة « يرضى الناس » هي أيضاً كلمة واحدة مركبة — في اللغة الأصلية — يقابلها قول الرسول نفسه في غلاطية ١ : ١٠ « أفأستمطف الآن الناس أم الله . أم أطلب أن أرضى الناس . فلو كنت بعد ارضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » . والفكرة المنطوية عليها هذه العبارة ، هي أن الناس « ترضيهم » الخدمة الممؤنة ، التي يقوم بها العبد غراراً . ولكن الذي يحاول أن يتخدد غيره ، إنما يتخدد نفسه .

الجانب الإيجابي : « بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب »

(١) جوهر هذا الباعث : « كعبيد المسيح » . ما أقوى ساعديك

يا رسول الأمم ، لأنك بهذه العبارة المحكمة قد سموت بالعبيد من مستوى حقير دنى ، إلى أرفع مستوى . فمن « عبيد للناس » إلى « عبيد للمسيح » !! وهل في الدنيا سيد مالك نفسه ، مثل ذاك الذي يستعبد نفسه طوعاً واختياراً للمسيح ؟ !

هذا مقاله جورج مائيسون : « صيرني ياربى عبداً لك ، فأتحرراً !! »

## عاملين مشيئة الله من القلب

(٢) سمو هذا الباعث : « عاملين مشيئة الله » — هذه العبارة تخلع حالة من المجد والجلال على أحقر خدمة يقوم بها أضعف عبد ، فتجعلها في مقام أجل خدمة يقوم بها أكبر سيد لأنها أدخلتها في منطقة « مشيئة الله » ! فلا الملائكة بأجنحتهم النارية الملتهبة ، ولا الملوك بتيجانهم المتألقة على رؤوسهم ، بأعلى مقاماً من العبيد ، لأن الكل متم مشيئة الله ! ألم يكن هذا شعار المسيح نفسه : « ماجئت لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني » ١ ؟

فليس العبد وهو يكنس البيت ، أو يغسل الأواني ، إلا متمماً مشيئة الله . بهذا يجعل نفسه حراً وهو لا يدري ، لأن استعباد المسيح فقد تحرر من الناس (٣) أما موطن هذا الباعث ، فقد أفرغه الرسول في العبارة التي اختتم بها هذا العدد : « من القلب » — وفي اللغة اليونانية — من « النفس » ، ولعلها أقرب الكلمات إلى قولنا : « بـنفس » — أي بهمة ونشاط ، لأنه ملعون « من يعمل عمل الرب برحاء »

العبد الذليل يخدم « وعين جسده » حائرة من فرط تطلعها إلى عين مولاه الأرضي ، ومنى أغمضت عنه عين سيده ، ارتخت يداه . لكن العبد « المتسيد » ، يخدم بقلب غيور ، لأن « عين نفسه » مطمئة إلى رضى مولاه في علاه . هذا هو الفرق بين العبد الأجير ، ورب البيت . فالعبد يخدم وعينه متطلعة إلى الشمس يترقب غروبها ، وإلى يد سيده تنقده الأجر . لكن رب البيت يعمل من كل قلبه ، ونفسه ، وفكره ، وقدرته .

هذا هو الفرق بين تدين العبيد الذين يخدمون الله ويعبدونه ، خوفاً من

## ٧ خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس

عذاب الجحيم ، أو ابتغاء التمتع بالنعيم . لكن أبناء الله يخدمون الله ، ويعبدونه لأنهم يحبونه من كل نفوسهم وقلوبهم .

**عدد ٧** — د — النية التي يؤدى بها هذا الواجب : « خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس » . هذا العدد خير مفسر للعبارة التي اختتمت بها العدد السابق : « من القلب » فالقلب هو موطن النية . ومتى كان القلب طيباً ، أوضحت النية صالحة . وإن تكون النية صالحة ، إلا متى كان القلب « بسيطاً » نيتراً ( عدد ٥ ) .

ينظر الناس إلى الوجوه ، ويتطلع المراقبون إلى الأيدي العاملة . لكن الله ينظر إلى القلوب ، ويتطلب النية الصالحة . في هذا يصدق القول : « وإنما الأعمال بالنيات وأن لكل امرئ ما نوى » .

« كما للرب ليس للناس » . كان مفروضاً على العبد أن يقوم بأعماله إتماماً لمشيئة سيده ، لكن الرسول أعطى العبيد فرصة يحررون بها أنفسهم من الناس ، متى اعتبروا أنفسهم عبيداً للرب .

ويقول الدكتور جالوفر : إن من بين العادات الشرقية القديمة ، التي كان للعبيد أن يلجأوا إليها للتحرر من ساداتهم ، أن يذهبوا إلى هيكل هرقل ويكرسوا أنفسهم لخدمته — بذلك يصبحون أحراراً من كل سيد آخر . وكذلك كل من يستعبد نفسه طوعاً واختياراً للمسيح ، يتحرر من كل عبودية قهرية من البشر .

٨ عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً . ٩ وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور

**عدد ٨** | هـ - أساس المكافأة على هذا الواجب :

«عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً» . فالمسيح إذاً ينظر إلى كل عمل في قيمته الذاتية الحقيقية ، بصرف النظر عن الحالة الخارجية التي يكون عليها من يقوم بهذا العمل ، سواء أكان عبداً أم حراً . لأن المسيح لا يبالى بالروح الذي به تؤدي الأعمال . فكم من عبد يؤدي أعماله بروح حر تطوعى ، ورب سيد يقوم بعمله بروح العبد المسخر . فالأول حر في جسم عبد ، والثاني عبد في رسم حر . فالإنسان ينظر إلى المظهر ، لكن المسيح ينظر إلى الجوهر . الناس ينظرون إلى اليد العاملة ، والمسيح ينظر إلى القلب المحرك . فرب أياد سوداء في لونها ، كانت «أيادي بيضاء» في ثمارها . ورب أياد بيضاء في مظهرها ، هي أسود من الفحم . الأولى تنال «النعمة» المقدرة للعبد الصالح والأمين ، والثانية تلقى الصدأ والأعراض «مأعرفكن» ( متى ١٢: ٢٥ و ٢٣ و غلاطية ٦: ٩ ، رومية ٦: ٢ - ١٠ ، ٢ كور ١٠: ٥ عب ٣٥: ١٠ ، رؤيا ١٢: ٢٢ ، متى ١٢: ٥ ، ١: ٦ و ٤ )

**عدد ٩** | ثانياً : واجب السادة نحو العبيد : « وأنتم أيها السادة

افعلوا لهم هذه الأمور تاركين التهديد طالمين أن سيديكم أنتم ... »  
كلمة واحدة وجهها الرسول إلى كل من العبيد والسادة — هي كلمة : «عالمين» : فلعبيد قال : «عالمين أن مهما عمل كل واحد فذلك يناله من الرب»

## تاركين التهديد عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات

(عدد ٨). وللسادة قال: «عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات» (عدد ٩) فكأنه وجه نظر العبيد والسادة على السواء، إلى ربهم الأوحد — يدوع المسيح. ومتى التقى العبد بسيدته في «محضر» المسيح، زالت عنه مرارة العبودية. ومتى نظر السيد إلى عبده في نور المسيح، ذهبت عنه غطاسة السيادة !!

«وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور» — استهل الرسول كلامه للسادة بهذه العبارة التي تحمل جوهر ذلك القانون الذهبي الذي نادى به المسيح: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم». فالواجبات إن لم تكن متبادلة، انعدم معها أهم ركن من أركانها.

— ١ — ماهية الواجب المطلوب من السادة: إكتفى الرسول في هذا الباب بتحذير السادة من أمر كان مألوفاً عندهم — استهبال القسوة: «تاركين التهديد». هذه عبارة تنطوي على تعنيف لطيف، لأنها تحمل ضمناً اتهاماً لهم، بأنهم كانوا فيما مضى، يلجأون إلى التهديد، فأوصاهم بتركه ولعل السادة المسيحيين كانوا متأثرين بالبيئة الفكرية المحيطة بهم. في استعمل التهديد، لأن الرأي الذي كان سائداً بين ظهرائهم: أن العبد لا يقوّم إلا بقضيب من حديد. كأنه كتلة جامدة، لا تصاح فيها عوامل اللطف واللين والمحبة.

— ب — أما الباعث الذي جعله الرسول نصب عيونهم، فهو نفس الباعث الذي جعله نصب عيون العبيد — النظر إلى المسيح سيد العبيد

## وليس عنده محابة ١٠ أخيراً

والسادة على السواء : « عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات » . إن فوق العالى أعلى ، ويد الأعلى فوق الجميع ، وما ربك بظلام لا للسادة ولا للعبيد . فهو لا ينظر إلى السادة بعين غير التى ينظر بها إلى العبيد ، بل ينظر إلى الجميع نظرة واحدة . لأنه « صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون عن كل وجه الأرض » ( أع ١٧: ٢٦ ) .

هذا هو الإله الذى « لا يحابى بالوجوه » ، « حيث ليس يونانى ويهودى ختان وغرة . بربرى سكيثى ، عبد حر . بل المسيح الكل فى الكل » . وفى اعتقادنا أن هذه العبارة الأخيرة هى النواة الحية لشجرة الحرية ، وهى أول معول عمل على هدم تجارة الرقيق . وإنما العيب على الأبدى البشرية التى تلسكأت فى استخدام هذا المعول .

## المسيحى فى الجهاد الروحى

( ١٠: ٦ - ٢٠ )

وقف الرسول بنا طويلاً ، فى تلك البقعة الصغيرة ، المقدسة ، الجميلة — ولعلها أقدس بقاع الأرض وأجلها — التى يقال لها « البيت » . فأطرب نفوسنا بأعذب الأنشيد ، التى تعطر جو البيت المسيحى ، حين يسوده التفاهم ، وتظله ، المحبة ويتخلله الصفاء .

وقد كنا نود أن يطول بنا المقام فى تلك البيئة المقدسة ، الجميلة ، لنتملى

## يا أخوتي

برؤية أنوار المحبة الطاهرة، حين تهبط أشعتها من السماء على نفس المرأة فتنبعث منها إلى زوجها — وقد حالت إلى طاعة وولاء، وتنزل على قلب الرجل فتشع منه نحو زوجته — وقد استحوالت إلى محبة ووفاء، فتجتمع نيرانها الملتهبة المقدسة على قلوبهما معاً، فتكون عليهما برداً وسلاماً ١١.

وكم كان يحلو لنا الوقوف لنستمع لتغريد تلك «العاصفير» الملائكية، التي يقال لها الأطفال، وهي تخفض أجنحة الذل والطاعة في محضر الوالدين إجلالاً واحتراماً، ونرى البشير يطفح على وجوه الوالدين وهم يحيطون بعطفهم وحنانهم «أكبادهم» الصغيرة وهي تتمشي أمامهم في شكل فتيان وفتيات. وما أبدع ذلك المنظر الذي يجمع الأولاد والوالدين في تلك البيئة الأرضية المسماة «بالبيت»، وهم يتبادلون عواطف التقدير والمحبة، مع نفرٍ هم بيض القلوب ولو كانوا أسود الوجوه، لأن شمس الطبيعة لوحت وجوههم فصيرت لونها أسود من فحمة الليل، لكن «شمس البر» أشرق في قلوبهم، فصيرها أبهى لمعاناً من ضياء القمر.

نعم كنا نود أن يطول بنا المقام ويطيب في هذه البيئة الهادئة، الهادية إلى سواء السبيل. لكن الرسول انتقل بنا فجأة من هذا الجو المعطرة أنفاسه بموسيقى السماء، إلى جو لا يعرف موسيقى سوى صليل السيوف، ولا ترى فيه أضواء سوى بريق الخوذ النحاسية، ولعلعة أسنة السيوف المرهفة، ولا نصغي لأصوات سوى تلك التي تحدثها «سهام الشرير الملتهبة» عندما تصطدم بالتروس والدروع.

## تقووا

بذا أفهمنا الرسول، أن الحياة المسيحية لا تقضى كلها في جو منعم بالأمن والسلام، لكن جلتها يُصرف في جو كله جهاد، وحرب، وصدام ١١. وما من شك في أن الرسول استقى تعبيراته الحربية التي في هذا الفصل، بوحى من العهد القديم — سيما اشعيا ٥٩ : ١٤، ١١ : ٤، يشوع ٥ : ١٣، وسفر الحكمة ١٥ : ١٧، وكلها أسلحة مجيدة تقلدها رب الجنود. إلا أنه من الطبيعي جداً أن يكون قد استمد بعض هذه التعبيرات من ظرفه الذي كان فيه وقت كتابة هذه الرسالة. فمن المسلم به أنه كان سجيناً في روما يتناوب حراسته أربعة جنود طوال اليوم، فتوثق يمناه في يسرى الجندي بسلسلة من حديد. فمن المعقول أن بولس وهو يكتب هذه الرسالة، كان يتطلع إلى أسلحة الجندي الروماني، مستلهماً بها فكره النير عن أسلحة الجندي المسيحي، مقارناً « الماديّات » « بالروحانيات ١١ ».

فلنتقدم إلى درس هذا الفصل « الحربي » بروح « السلام » والاطننان :

أولاً : الفريقان المتحاربان :

( ١٠ : ١١ و ١١ )

( ١٠ : ٦ )

( ١١ : ٦ )

( ١٢ : ٦ (اوب) )

( ١٢ : ٦ (١) )

( ١٢ : ٦ (ج) )

( ١٢ : ٦ (د) )

— أ — جنود الرب : « يا أخوتي »

— ب — رب المسكايد : « ابليس »

ثانياً : طبيعة الحرب وطبيعة الخصم :

— أ — سلباً : « ليست مع دم ولحم »

— ب — إيجاباً : « مع السلاطين ... »

ثالثاً ميدان الحرب : « في السهاويات »



## في

رابعاً : أسلحة الحرب : ( ٢٠ — ١٣ : ٦ )

— ١ — أسلحة العدو الكاملة العادية : ( ١٥ — ١٣ : ٦ )

( ١ ) للحقوين : « منطقة الحق » ( ١٤ : ٦ ) ( ١ )

( ٢ ) للصدر : « درع البر » ( ١٤ : ٦ ) ( ب )

( ٣ ) للقدمين : « حذاء استعداد إنجيل السلام » ( ١٥ : ٦ )

— ب — أسلحة دفاعية : ( ١٦ : ٦ و ١٧ )

( ١ ) للقلب : « ترس الإيمان » ( ١٦ : ٦ )

( ٢ ) للرأس : « خوذة الخلاص » ( ١٧ : ٦ ) ( ١ )

— ج — سلاح هجومي : ( ١٧ : ٦ ) ( ب )

( ١٧ : ٦ ) ( ب ) « سيف الروح »

خامساً : سهر الجندي المحارب بالصلاة : ( ٢٠ — ١٨ : ٦ )

( ١ ) الصلاة لأجل نفسه ( ١٨ : ٦ )

( ٢ ) الصلاة لأجل جميع القديسين ( ١٩ : ٦ )

( ٣ ) الصلاة لأجل الرسول الموثق ( ٢٠ : ٦ )

أولاً : الفريقان المتحاربان ( ١٠ و ١١ : ٦ )

عدد ١٠ — ١ — جنود الرب وسر قوتهم « تقوّوا في الرب »

« أخيراً » — يُنْجِلْ إلينا أن الرسول ، بعد أن أفاض في الإفشاء بالمعلنات الجليلة التي مرت بنا ، شرع يطوى رداءه ، ويستجمع قواه ، ليقول كلمته

## الرب

الأخيرة — وإن شئت قل ليضرب الضربة الأخيرة — قبل أن يختتم هذه الرسالة الخالدة .

وليس بغريب أن يختتم الرسول هذه الرسالة المجيدة التي حدثنا فيها كثيراً عن النعمة ، بهذه النعمة الشديدة القوية — نعمة الحرب ! أليست الحياة كلها حرباً وجهاً ؟ هذا ما تنادى به الطبيعة ، فالقوى فيها يغالب الضعيف ويغلبه ، وفي النهاية يبتلعه . وهذا ما نشعر به في العالم الإنساني . فالبشر على الدوام في صراع عنيف ، وما تاريخ البشرية إلا تاريخ مواقع حاسمة في سجل الحروب . وما فترات السلام الكائنة بين حرب وحرب سوى فرص استعداد لحرب أشد وأقوى . بل هذا ما تحدثنا به ضمائرنا في عالمنا الداخلي المسمى بـ « النفس » . فالنفس الحية في صراع مستمر ضد ميولها الداخلية أحياناً ، وضد التجارب الخارجية حيناً . عيشاً تحاول النفس أن تهرب من التجربة إلى أقصى الجبال ، أو أن تهبط إلى أسافل الوديان ، فالشر كامن فيها ، والتجربة توصوص لها من نوافذ « الإنسان الباطن » . فالتجربة التي وجدها القديس انطونيوس في البراري الواسعة ، هي نفس التجربة التي كانت تواجهه في الإسكندرية ، وإن تراءت بأشكال مختلفة ، أو تلونت كما تتلون الحرباء !!

الكلمة المترجمة « أخيراً » يجوز أن تترجم حرفياً إلى : « فيما بعد » أو « فيما يأتي » أو « بقى لي أن أقول » . كأن ما مر بهم من الكلام يعوزهم هذا الحق . فمع أن الخلاص بالنعمة ، إلا أن هذا لا يعنى المؤمن من الجهاد الروحي ،

## وفي

ولأن ملكوت الله يُغصب» وإن كان البار «بالجهد» يخلص. فالخاطي  
والفاجر أين يظهران ؟ !

«يا أخوتي» — ما أحلى هذه الكلمة المنبعثة من قلب الرسول السجين،  
إلى أهل أفسس بمن فيهم من العبيد، وإلى سائر سكان مقاطعة آسيا الصغرى. لقد  
حجبتهم عنهم جدران سجن روما، لكن تلك الجدران لم تحجز قلبه عن أن  
يفيض بهذه الكلمة الحلوة العذبة «يا أخوتي» ! «يا أخوتي في الإيمان،  
ويا أخوتي في الجهاد» ! فكما أننا في نعم الإنجيل أخوة، كذلك نحن  
أيضاً في آلامه أخوة ولو أنكم تتمتعون بحرية العالم المسيح، وأنا أقاسي  
عنكم ولأجلكم آلام السجون» ! ( ١ : ٣ ) .

ما أوسع هذه الكلمة وما أرحب صدرها «يا أخوتي» . إنها تضم إلى  
صدرها أقواماً لم يعرفهم بولس ولم تخطر أشخاصهم على باله — فهي تشمل  
كل النفوس المجرّبة، والمضطهدة، والمعذبة لأجل الإنجيل في كل عصر  
ومصر . إنها تضم جيوش الشهداء الذين ماتوا لأجل الحق والمرسلين  
الشجعان الذين عاشوا لأجل الحق .

نعم كان سكان أفسس مجريين بائعي والترف اللذين غمر أفسس الغنية  
الغنية، ومحاريين بسلطان الآلهة ديانا التي تربعت حيناً من الدهر على قلب  
أفسس، ومغالبيين بالقوات والعادات التي سادت تلك البقاع، إلا أن  
لكل عصر تجاربه، ولكل جيل آلهته، ولكل دهر مصارعته. فالشرور  
تنوع، لكن الشرير واحد ! !

### سر القوة : « تقووا في الرب وفي شدة قوته »

هذا هو سر القوة : « الرب » ، هذا هو برجنا الحصين الذي نركض إليه ونتمتع : « في الرب » . هو البدء وهو الختام ، فلنتقو بقوته فينالنا بقوتنا لأن قوتنا ضعف ! فليست هذه قوة نخترعها ، وإنما هي قوة نكتشفها . ولا هي قوة نوجدناها ، بل نجدها — لا بل هي تجدنا . فاعلمنا إلا أن نقبلها ونتقوى بها . ولا هي قوة نسمى إليها كأنها بعيدة المنال ، لكنها في متناول كل منا . فاعلمنا إلا أن نرحب بها في قلوبنا ، ونفوسنا : « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » . هي عطية من الله لأنها قوة الله نفسه . ولا سبيل إلى نيل قوة الرب ، إلا بأن نلبس الرب يسوع نفسه . لأن قوة الرب ملازمة للرب القوي . وكم من كثيرين يخطئون إذ يقعون في خطيئة سيمون الذي تاق إلى قوة الرب من غير أن يطلب رب القوة . وكم من كثيرين يوقدون على مذابح حياتهم وخدمتهم نارا من حماسهم الشخصي ، فتستحيل إلى رماد لأنها « نار غريبة » عن روح الرب !! فلا يمكننا أن نتقوى في شدة قوة الرب إلا إذا تقوينا في الرب نفسه . هذا هو رأس جيشنا . فلنسنا في حاجة إلى أن نستميله ليحارب في صفوفنا ، كأن الحرب حربنا نحن ، لكننا نحارب تحت لوائه ، لأن الحرب للرب . فلنتقدم بقلوب واثقة ونفوس مطمئنة ، لأننا نحارب في صف رئيس عظيم قد « خرج غالباً ولكي يغلب » . فالتعريفنا ما دمنا معه لا أننا لا نغتصب الظفر ، بل نوهبه . فلنجعل قوة الرب قوتنا .

حسناً قال إيرونييموس : « إن من يقرأ هذا الفصل الجليل ويقال به بما يمثله

## قوته

في الكتاب المقدس ، لا مفرّ له من أن يخرج بهذه الحقيقة الواضحة، وهي :  
أن الرب يسوع هو المحارب ، وأنه هو نفسه السلاح الكامل .

الكلمة المترجمة «تقوّوا» مجانسة للمصدر المشتقة منه كلمة «عزاء». فلنكن  
في قوتنا مطمئنين واثقين، متميزين : «ان لم تؤمنوا فلاتؤمنوا» .. «بالهدوء  
والطمأنينة تكون قوتكم» (أشعيا ٣٠: ١٥) . وقد استعملت في الأصل  
بالصيغة الحالية التي تفيد الاستمرار المتجدد. فهي إذا تشير إلى حالة مستديرة  
نكون عليها ، لا إلى درجة وقتية نسعى إلى إدراكها .

وقوله : «في الرب» ورد ٣٥ مرة في هذه الرسالة . هذا هو منبع  
القوة، ومصدرها، والمحرك لها . «في الرب» أصبحنا معافين من كل دينونة  
(رومية ٨: ١) . «في الرب» ثبت فنحنيا (يو ١٥: ٤-٧) . «في الرب»  
نتقوى فننتصر نصراً مبيّناً (يو ١٥: ٥) .

أما العبارة : «شدة قوة الرب» ، فقد وردت في ١٩: ١ من هذه الرسالة،  
وهي تنميد أن قوة المسيح نبعٌ تصدر عنه شدة متناهية . فالشدة تنبعث من  
القوة ، على اعتبار أنها نتيجة القوة . فنحن نتقوى في شدة قوة الرب، إذ  
نتشدد بالرب القوي . لأن شدة القوة التي أقامت الرب يسوع من الأموات ،  
هي ملك لنا في حربنا الروحية .

هذه هي «الشدة» اللازمة لنا لنتمكن بها من حمل السلاح ، ولولاها  
لأصبح السلاح الكامل ثِقلاً علينا، فيقصم ظهورنا ونحن ضعاف، ويعرقل سيرنا.

## ١١ البسوا سلاح الله الكامل

عدد ١١ | نداء إلى الفريق الأول : «البسوا . لكي تقدرُوا»

(١) كلمة مجملة عن السلاح : «البسوا سلاح الله الكامل» .

هذا سلاح كامل . فالكلمة المترجمة «السلاح الكامل» هي في اليونانية كلمة واحدة ، ولم ترد في العهد الجديد سوى مرة أخرى (لوقا ١١: ٢٢) . وقد استعملت هناك عن سلاح ابليس ، لكنها استعملت هنا عن سلاح المؤمن . هذا يدل على أن هذا السلاح كتلة واحدة لا تتجراً . فمع أن له عناصر مختلفة ، لكن لا يحق للمؤمن أن يتسلح ببعض عناصره ويترك البعض الآخر ، لأن من يتهاون في حمل جزء من هذا السلاح ، يأتيه الهجوم من هذه الناحية لمعرضة للخطر . «فأخيليس» غطسته أمه في ماء سحرية آمنة أن تصون جسمه من سهام الأعداء ، لكن لم يكن أمامها يد من أن تمسكه من كعب رجله ، وهي تدليه في الماء . فأصابه السهم في الموضع الذي أمسكته منه أمه —

في الكعب ١١

(٢) مصدر السلاح : «الرب» . لعل الإشارة هنا منصرفة إلى القوة

الحربية التي تعدها الدولة للمتحاربين فيليبس ونها . فما على المتجند إلا أن يتقدم ليلبس هذا السلاح ، لا أن يلبس رداء يحبكه هو لنفسه ، لأن هذا ليس سلاحاً «ملكياً» يشتره لنفسه ، لكنه سلاح معد من رئيس الجيش ، فما على المحارب إلا أن يتقدم ويتقلده .

ولقد سبق الرسول فأشار في رسالتين سابقتين إلى «لبس السلاح»

## لكي تقدرُوا أن تثبتُوا

كأنه رداء ، إذ قال : «البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» (رومية ١٣: ١٤) .. «لابسين درع البر» (١ تس ٥ : ٨) . فكما أن الخلاص من الرب أولاً وآخراً ، كذلك النصر من الرب — من ألقها إلى يائها . لأن الرب رئيس جنودنا ، وهو ممدّ سلاحنا ، وهو المحارب عنا ، وهو الظافر فينا . فإذا أردنا أن نفتصر في مصارعنا مع إبليس (عدد ١٢) وجب أن نفتصراً أولاً في مصارعنا مع الله (هو شم ١٢: ٢٤ ، تكوين ٣٢: ٢٤-٢٩) .

(٣) غاية حمل السلاح : «لكي تثبتُوا ضد مكاييد إبليس» .

يلوح لنا أن كلمة : «تثبتُوا» هي «مفتاح» هذا الفصل . وقد وردت فيه ثلاث مرات — المرة الأولى حاننا نلبس عدتنا الحربية : «البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبتُوا» (عدد ١١) . المرة الثانية عندما نكبل لبس عدتنا الحربية : «بعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتُوا» (عدد ١٣) ، المرة الثالثة ، عندما تتمنطق بالمنطقة : «فاثبتُوا بمنطق أحقاءكم بالحق» (عدد ١٤) . والمستفاد من تكرار كلمة «اثبتُوا» على هذه الكيفية . إن الصورة التي أمامنا ، ترسم لنا حرباً دفاعية أكثر منها هجومية . والإشارة فيها ليست منصرفاً إلى ذلك حصون الأعداء ، بل إلى الثبات في وجه الخصم ونحن محتفظون بحصوننا

«ها المسيح الرب قادم فاحفظوا الحصون»

هذا يذكرنا بذلك الموقف التاريخي الذي وقفه لوثر عندما قال : «ها أنا أقف هنا . فليساعدني الرب !»

— ب — الفريق الثاني — صاحب المكاييد — إبليس «مكاييد إبليس» .

## ضد مكاييد إبليس

هذا هو إبليس الخداع صاحب «المكاييد» الكلمة المترجمة «مكاييد» تعني حرفياً «طرق» أو «أساليب منظمة»، وهي التي مرت بنا في ١٤: ٤. وكثيراً ما يحتال علينا عدو الخير بهذه «الطرق المنظمة»، فيجربنا أحياناً في نقاط ضعفنا عن طريق الخطايا المحيطة بنا بسهولة — كما جرب داود، ومراراً يجربنا في نقاط قوتنا كما جرب موسى الحليم، فأسقطه في خطية الغضب، وبطرس الشجاع فأوقعه في خطية الجبن. تارة يوجه إلينا سهماً مسموماً بتمر الوعيد، وأخرى يصوب نحونا ريشة مسمولة بعذب المواعيد. فما علينا تجاه تلوناته وألاعيبه، إلا أن نثبت في المسيح واثقين، فلا يرعبنا الوعيد، ولا ترغبنا المواعيد، عالمين أن هذه كلها «طرق» وأساليب (اطلب ٢ كورنثوس ١١: ١٤).

طبعي أن يتدع إبليس كل هذه «الطرق» و«المكاييد» المتلونة لأنه هو الخداع، المشتكى، العنيد، الذي لا يفشل قط. فثما جرب فادينا في البرية متخذاً لكل تجربة شكلاً غير الذي أفرغت فيه التجربة الأخرى، ولم ييأس على رغم فشله «بل تركه إلى حين»، كذلك في تجربة المؤمنين، لا تلين له قناة، ولا يهدأ له بال، حتى ينقث سمومه القمالة في ضحاياها. وكم لك يا إبليس من ضحايا! وليس بخاف أن إبليس ليس مجرد تأثير، لكنه شخص. وإذا كان إبليس صاحب «مكاييد» وطرق، فلا عجب إذا سموه في العربية: «الحارث» (١) (في طلب المزيد، راجع شرح ٢: ٢، وأطلب ٤: ٢٧، أعمال ١٣: ١٠، ١ تيموثاوس ٣: ٦ و ٧، ٢: ٢٦، عب ١٤: ٢، زكريا ١: ٣ و ٢).



## ١٢ فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم

عدد ١٢ | ثانياً : طبيعة الحرب : « لأن مصارعتنا . . . »

١ - — طبيعة الحرب : روحية : « لأن مصارعتنا ليست مع دم »  
استنتج بعضهم من هذه العبارة ومثيلاتها ( كما في ٢ تي ٢: ٤ و ٥ ) ، ان  
الرسول استعمل استعارة مركبة ، فمزج الحرب بالمصارعة ، لكن الحرب كانت  
قديمًا « حرب التحام » ، كما تدل عليه الكلمة العبرية التي يعبر بها اليهود عن  
الحرب : « ملحمة » . وفي مثل تلك الحروب كان المجال متسعاً للمصارعة . فالرسول  
إذاً ملازم لنفس الاستعارة الواحدة — الحرب الروحية !!  
الكلمة اليونانية المترجمة : « مصارعة » ( بالي ) لم ترد في كل الآداب  
اليونانية سوى هذه المرة وحدها .

هذه حرب روحية ، لأن خصومنا فيها راحيون . وقد وصفهم بولس  
وصفين — أولهما : سلبي : « ليست مع دم ولحم » .

والثاني إيجابي : « بل مع الرؤساء . . . »

الوصف السلبي : « ليست مع دم ولحم » . وردت هذه العبارة — مع تقديم  
وتأخير في كلمتها — « لحم ودم » في متى ١٦: ١٧ ، ١ كو ١٥: ٥٠ ، غلاطية ١: ١٦  
وعب ١٤: ٢ — وهي تعني الإنسان — أو البشر — في حالته الجسدية الراهنة .  
« فاللحم والدم » لا يرثان ملكوت الله ( ١ كو ١٥: ٥٠ ) والإنسان الجسدي —  
« اللحم والدم » — لم يوح إلى بطرس بذلك الاعتراف الجليل . والإنسان  
الجسدي — « اللحم والدم » — لم يعلم بولس حق الإنجيل ( غلاطية ١: ١٦ )

## بل مع الرؤساء مع السلاطين

فمراد الرسول إذاً : هو أن المصارعة التي نحن مجاهدون فيها، ليست مع البشر، لأن حربنا ليست مع مجرد أناس عائشين في هذا الجسد الهيمولي، الفاني، لكنها حرب روحية ضد «قوات منظمة في عالم الروح». هذه أمور وأدهى الوصف الإيجابي : «مع الرؤساء مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة» هذه تعبيرات مركزة متجمعة تصف : — أ — أركان حرب جيوش الأعداء في ثلاث كلمات : «رؤساء، سلاطين، ولاة».

والمستفاد منها : (١) أن قوات الشرير منظمة تنظيمًا محكمًا. (٢) أنها ليست مجرد تأثيرات وهواجس لكنها شخصيات معنوية، تعمل تحت قيادة رئيسها الأعلى — إبليس الذي يدبر «مكايدها» ويديرها (عدد ١١). (٣) أنها منظمة على درجات ورتب، كأن هذه الطغمة التي كانت قبلاً ملائكة نورانية، فسقطت، قد اقتبست تلك الدرجات، من الحالة المجيدة التي كانت عليها قبل سقوطها (روا ٨ : ٣٨، كو ١٥ : ٢٤، كو ١ : ١٦، أفسس ١ : ٢١، ٣ : ١٠). (٤) بط ٢ : ٢٤ ويهوذا ٦). فلقبوا بـ «رؤساء وسلاطين»، نظراً لسمو مقامهم، واختلاف بعضهم عن بعض في زيادة القوة. ودعوا «ولاة العالم» بالقياس إلى سلطتهم على «البشر الساقطين»، الذي يتخذون منهم أعواناً وجنوداً لتنفيذ «مكايدهم».

ألا يتخذ أعوان الخير والنور، درساً في النظام والترتيب، من أعوان الشر والظلام ١١٢؟

— ب — طبيعة سلطان هذه القوات : «على ظلمة هذا الدهر».

## مع ولادة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية

هذه العبارة تصف الثلاث الكلمات التي مرت بناء: «رؤساء، سلاطين، ولادة» أي أن أركان حرب الشيطان تحكم — ولكن في عالم الظلام، لأن طبيعتها ظلام، وجوها ظلام، وأسلحتها ظلام، وأساليبها ظلام، والمحكومين بها، ظلام (٥ ٨)، فهي إذاً ظلام في ظلام.

إن كلمة «هذا الدهر» تشير إلى «العالم الحاضر الشرير» الذي أحبه ديماس فترك خدمة مولاده، وإلى «الساعة الراهنة» الذاخرة — «الآن»، المضادة للأبد والخلود: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو ٢٢: ٥٣) أو بعبارة أخرى هي «شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة».

طبيعة هذه القوات: «مع أجناد الشر الروحية»: إذا كانت الثلاث الكلمات التي مرت بنا في غرة هذا العدد، تصف «أركان حرب» إبليس، فإن هذه العبارة تصف «جنوده» الذين يتلقون أوامره، وينفذون مؤامراته. وإذا كانت العبارة الرابعة الواقعة في قلب هذا العدد: «على ظلمة هذا الدهر» تصف طبيعة سلطان أعوان إبليس، فإن هذه الكلمة الخامسة: «أجناد الشر الروحية» تصف جنود إبليس في طبيعتهم الذاتية. فاجناد الشر هم أجناد أشرار، بل شر الأجناد. وكما أن الحرب روحية في طبيعتها وفي أسلحتها، فإن أجنادها هم أجناد الشر الروحية. والشرور التي يصيبوننا بها ليست شروراً مادية: كالمرض والفقر، والفشل، وإثمها الذي يندثر الذي يختفي وراء المرض، والمرارة التي تستتر وراء الفقر، واليأس الذي يولده الفشل.

ثالثاً: ميدان الحرب: «في السماويات». هذه هي المرة الخامسة التي

## في السماويات

فيها وردت هذه العبارة في هذه الرسالة (١:٣ و ٢:٢٠، ٦:٣، ١٠:٣) ، فاطلب تفسيرها في ٣:١ . وقد وردت في الإنجيل عبارات مجالسة لها (متى ١٨:٣٥ ، يوحنا ١٢:٣ ، ١ كورنثوس ١٥:٤٠ و ٤٨ و ٤٩ ، فيلبي ٢:١٠ ، ٢ تي ١٨:٤ ، عب ١:٣ ، ٤:٦ ، ٥:٨ ، ٩:٢٣ ، ١١:١٦ ، ١٢:١٢) . ولكي نعرف معنى هذه العبارة: «في السماويات» ، علينا أن نذكر أنها هي «الدائرة» المقدسة التي تحيط « بالبركات الروحية التي باركنا الله بها في المسيح يسوع » (٣:١) ، أو أنها هي المقام الذي أُجلس المسيح فيه بعد صعوده عن يمين العظمة «في السماويات» (٢٠:١) ، وأنها هي «المرتبة» الروحية الممتازة التي رفعت إليها الكنيسة مع رأسها وربها وقاديتها «في السماويات» (٢١:١) . فمن المعقول أن هذه العبارة « في السماويات » تعني « الميدان الروحي العلوي » الذي تلتقي فيه قوات الظلام بقوات النور ، محاولة — إذا أمكن — أن تنال من المختارين — وهيبات ! لأن المسيح رأسنا الأعلى قد ارتفع فوق السماويات ، وقد رفعنا معه إلى هذه الدرجة الروحية الممتازة (٢١:١) . فإذ منا ثابتين في رأسنا الأعلى ، و متمنعين في حصننا الحصين ، فإن سهامه الشريرة الملتهبة تنطلق قبلما تصل إلينا وإن بلغتنا ، صارت علينا برداً وسلاماً ، مثلها مثل «رش» بارودة الصبى ، يطلقه على النسر المحلق في الفضاء ، فينفذه عنه كما ينفذ قطر المطر . ولا نغفل ما جاء بهذا الصدد في تفسير العلامة إيرونيموس لهذه العبارة : « إن السماء غير الأرض . فالسماويات هي كل ما هو غير أرضي ، وفوق الأرض ، وفوق قدرة البشر الطبيعية ، في العالم العلوي الغير المنظور »

١٣ من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أَنْ

رابعاً: أسلحة محاربتنا (١٣:٦ — ٢٠)

**عدد ١٣** | أ — العدة الحربية الكاملة : «سلاح الله الكامل»

«من أجل ذلك» — أي إزاء هذه القوات «الجهنمية» المنظمة التي لا تأتي عن قصد لها وإن طال بها الأمد ؛ ليس لنا إلا أن نحمل السلاح الكامل الذي أعده الله لنا . فمأجل أفكار الله من جهةتنا وما أجملها ! لأنه إذا كان إبليس يحيك لنا الحيل ويدبر «المكايد» للإيقاع بنا في التهلكة ، فإن الله من جانبه قد «دبر» لنا سلاحاً كاملاً ، وحبك لنا «بذلة عسكرية» كاملة العدد فما علينا إلا أن نتقدم فنحمل هذا السلاح الكامل . فلا نشغل أفكارنا بكيفية صنعه ، بل نتقدم بقلب صادق ، وإرادة حازمة ، إلى حمل هذا السلاح . فالكلمة المترجمة «احملوا» تعني حرفياً «خذوا عليكم» ، أو «خذوا احملوا» أو «اتخذوا» فهذا «السلاح» على قاب قوسين منا أو أدنى . فليس لنا أن نقول «من يصعد إلى السماء ليحدره لنا أو من يهبط إلى الهاوية ليصعده لنا» .

ب — خطتنا بعد حمل السلاح : «أن تقاوموا... أن تثبتوا»

مراراً يترتب علينا أن «لنقاوم الشر» كما علمنا المسيح في موعظته على الجبل (متى ٢٩: ٥) ، ومراراً أخرى يتحتم علينا أن «نقاوم في اليوم الشرير» كما أوصانا الرسول هنا . وكلا الأمرين لازم في وقته . فأمام قسوة عدو الخير ، علينا أن نتسلح بنية الوداعة ، وعدم المقاومة . ولكن أمام «مكايد» الشرير وحيله ، وأساليبه الجريية ، لا يسعنا إلا أن نتسلح بنية المقاومة . لأن المقاومة

## تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شيء

في الحالة الأولى تحسب معاندة . وعدم المقاومة في الحالة الثانية يحسب استسلاماً . وما أجل الشيء متى وضع في موضعه .

فوضع الندا في موضع السيف بالملى مضر كوضع السيف في موضع الندا  
الكلمة المترجمة «تقاوموا» وردت أيضاً في يعقوب ٥: ٦ ، ١ بط ٥ : ٩  
على أنه لا يثنأني لنا أن تقاوم، إلا إذا وطدنا موقفنا بالثبات في المسيح.. «أن  
تثبتوا» ؛ فنثبت في مقاومتنا ، ونقاوم في ثباتنا .

— ج — يوم الفصل في حربنا : «في اليوم الشرير» لا يكف الشرير عن  
مناواتنا في وقت مناسب وغير مناسب . فكل يوم يُعتبر يومه ، على نوع ما .  
لنكن هذا العدو الخداع الذي أنقن أساليب الحرب منذ إنه تماطأ أبويننا الأولين  
تعلم كيف يختار «أنسب الأيام» لمهاجمتنا ، «وأنسب» يوم عنده هو «شر»  
يوم عندنا . هذا هو اليوم الشرير الذي يركز فيه الشيطان كل قواه موجهاً  
إياها نحو أضعف نقطة فينا ، لينال منا ، ويظهر بنصر حاسم . هذا هو «اليوم  
الفصل» ومن بعده تزايد قوى الغالب ، وتتناقص قوة المغلوب . كأن قوة المغلوب  
تتسرب في دم الغالب ، حالما يخرج أمامه صريعاً !!

ومع أن في الإنجيل أقوالاً كثيرة تنبئنا بأنه قبيل مجيء المسيح ثانية  
تنشب حرب شديدة تملأ نيرانها بين جنود الخير ، وأجناد الشر الروحية ،  
إلا أن الإشارة هنا منصرفة إلى مجاهدة المؤمن بوجه عام في كل عصر ومصر  
— ب — موقفنا في حربنا : «وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا» أي  
بعد أن تسكلوا استعدادكم لحمل السلاح ، وتجهلوا ما يصيبكم من هجمات

## أن تثبتوا ١٤ فائبتوا بمنطقتين

الأعداء ، ليس أمامكم إلا أن تحتفظوا بموقفكم ، لأن الهدف النهائي الذي يجعله عدو الخير نصب عينيه ، هو أن يزحزحكم عن موقفكم . فلا تلبسوا أمام هجمات العدو ، وترجموا القهقري هارين ، ولا تأخذكم حيلة الحربية فتتركوا حصنكم المنيع ظناً منكم أنه هارب أمامكم ، لأنه إنما يستدرجكم لتتركوا مكانكم ، وتدخلوا «أرضه» فيتمكن منكم ويضربكم الضربة القاضية . فائبتوا بأقدام راسخة في صخر الدهور ، بمسكين بالرجاء الموضوع أمامكم «الذي هو لنا كرساة للنفس مؤمنة وثابتة تدخل إلى ما وراء الحجاب . حيث دخل يسوع كسابق لنا» (عب ٦ : ٢٠) .

عدد ١٤ — ١ — «البذلة الحربية» — سلاح مثلث للجسم :

«المنطقة ، والدرع ، والخذاء» (٦ : ١٤ و ١٥)

من ختام المدد الماضي ، استمد الرسول مطلع استهلال لهذا العدد : «أن تثبتوا ... فائبتوا» . فالثبات يستلزم فعلاً حاسماً تأتبه الإرادة ، وهو يتجدد في كل مناسبة . فيرتب على الجندي ، بعد أن عرف أن موقفه الدائم هو الثبات في وجه العدو ، أن ينهض في ثباته ، وأن يتدرع «بالثبات» وهو يلبس «البذلة الحربية» التي تشتمل على سلاح مثلث للجسم :

(١) سلاح الحقوين — منطقة الحق : «منمنطقين أحقاءكم بالحق»

للعامل العادي . منطقة تشد ملازمه حول حقويه ، كيلا تمرقل سيره ، فيصبح بها خفيف الحركة ، متأهباً لكل خطوة يتطلبها عمله ، من غير طائق .

## أحقاءكم بالحق

لكن «المنطقة» المذكورة هنا ، هي منطقة الجندي الروماني ، التي كانت تصنع قديماً من جلد ، عليها صفائح صغيرة من الحديد أو «الفولاذ» وبها يعلق السيف (٢ صم ٨: ٢٠) . وكان شد المنطقة قديماً ، أول علامة للتأهب للقتال ، لأن المنطقة تثبت سائر الأسلحة في مواضعها ، وتصون بعض أعضاء الجسد المعرضة للخطر . ولقد كانت المنطقة الحربية لازمة أشد لزوم للجندي ولولاها لأضحت أسلحته ثقلاً عليه يعرقل حركاته .

أما منطقة الجندي المسيحي فهي : «الحق» . «والحق» هنا لا يعني كلمة الله بالذات — هذه سيأتي دورها في الكلام عن سيف الروح . لكنه يشير إلى صفة يتدرع بها المحارب من جانبه هو . فالحق المقصود ، هو خلاصة الاخلاص ، والبساطة ، والأمانة ، والصدق ، فيكون الجندي مسيحياً حقاً لا غش فيه . وليس بغريب أن تجمع منطقة «الحق» كل هذه الخصال ، لأن منطقة الجندي هي رباط الكمال لكل الأسلحة ، وبما أن سيف «الحق» كان يعلق بالمنطقة ، فمن المعقول أن يكون «حق» هذه المنطقة هو الحق المعلن في المسيح ، أو هو «المسيح الحق» (٢١: ٤) الذي نلبسه وتتمنطق به — وفيه — كما تدل الكلمة الأصلية . فكما كانت منطقة الجندي محيطة به ، كذلك يكون الجندي المسيحي محاطاً بالحق ومحوراً به ، فلا تصيبه سهام الباطل من أية ناحية ، لأنه يصبح متسلحاً بالمزم القوي الذي يستجمع به كل قواه ، ويظل مستمسكاً بشدة اليقين في الله وحقه ، فيقال له حقاً : «البطل المتمنطق»



## ولا بسين درع

(٢) سلاح للصدر — الدرع : « لا بسين درع البر » .

يتألف الدرع الروماني من جزئين — مقدم ومؤخر ، قد وصل على الجانب . وكان القصد منه أن يغطي الصدر والظهر ، وأحياناً الرقبة والبطن ، وكان وزن درع جليات ٥٠٠٠ شافل من النحاس ، أي ٣٢ رطلاً . ويرجح أنه كان مصنوعاً من صفائح نحاس مثل حراشف السمك . وكان يصنع أحياناً من قضبان صفيصاف معاً كمثل السلال ، ومغطاة بصفيحة من النحاس . وربما صنع أيضاً من صفائح جلد ، أو قماش من كتان أو صوف ، وكانت القطعة الصدرية مصنوعة غالباً من كتان مبطن . ولكون الدرع هو الجزء الرئيسي والأكمل في سلاح الدفاع ، فقد أشير به إلى تمام الدفاع والأمن (إشعيا ٥٩: ١٧) .

هذا درع الجندي الروماني . أما « درع » الجندي المسيحي فهو : « البر » . يعتقد الدكتور وستكوت أن « البر » الذي يتدرع به الجندي ، هو قبوله الحق الإلهي ، وتطبيقه إياه ، بالمحبة ، في علاقته بالناس . هذا يوافق قول الرسول في رسالة سابقة : « لا بسين درع الإيمان والمحبة » (١ تس ٥ : ٨) فبالإيمان تقبل الحق الإلهي ، وبالمحبة تطبقه على معاملاتنا مع الآخرين . ويمكننا أن نختصر الطريق ، فنقول إن « البر » المقصود هنا هو « البر المسيح » لأن السلاح المقدم لنا ، هو « سلاح الرب » لا سلاحنا نحن .

كما أننا لا نبرّ لي أدنو من القادي العلي

ويعتقد الدكتور موليه ، أن هذا « البر » هو صفات المؤمن التي يتحلى

## البر ١٥ وحاذين أرجلهم

بها نتيجة ولائها لله، وإرادته الصالحة المرضية الكاملة . واهله أراد أن يقول  
أن المؤمن بإيمانه بالمسيح، يقبل «بر» المسيح، فيلبسه هذا البر، ويصبح  
فيه صفات عملية جليلة، كأنها من عندياته . لأن «بر» المسيح لا «يحسب»  
لنا نظرياً وكفى، بل نختبره عملياً في حياتنا. في البداية يكون لنا، ومن ثم  
يصبح فينا، فيحمي صدورنا ضد وساوس الشكوك في الله، ويقي أحشاءنا  
من تحجر الشعور نحو الآخرين، ويحمي ظهورنا من ذئاب خطايا الماضي التي  
تتبعنا ليل نهار لتفتك بنا.

هذا هو البر الذي نلبسه أولاً، ثم يلبسنا هو، فيبدل ضعفنا بقوة المسيح،  
وينزع نجاستنا فتجعل محلها طهارة المسيح، فنفتكر - ولسكن بذكر المسيح،  
ونحب ونبغض - ولسكن بقلب المسيح، إذ يصبح بر المسيح فينا، ونحن فيه .

**عدد ١٥ | سلاح للقدمين - الحذاء :** «حاذين أرجلكم باستعداد

إنجيل السلام» . في هذا العدد أمران يدعوان إلى الغرابة :

أولهما : كيف يعتبر «الحذاء» سلاحاً ؟ وجواباً عليه نقول : ظهرت  
في إحدى المجلات الواسعة الانتشار كلمة بقلم مدرب عسكري ماهر، عنوانها:  
«الأحذية المتينة الجيدة تلعب دوراً حاسماً في الحروب» . ويقول العارفون  
أن من أهم أسباب اندحار الجنود الحبشية في ساحة القتال، أنهم كانوا حفاة  
الأقدام، لأن رواسب الغازات السامة لحست بطون أقدامهم !

فماذا يعمل الجنود المساكين الذين يسرون أحياناً في مسالك وعرة ،

## باستعداد إنجيل

تمزق بطون أقدامهم بأسننها المتحجرة، وأحياناً أخرى يغوصون إلى أحقادهم في مستنقعات آسنة مليئة بالحشرات السامة والجراثيم الفتاكة، ومراراً يسرون على طرق - منتشرة فوقها قطع حديدية مدببة، وضعتها يد الأعداء !

هذه بعض المسالك التي كان على الجنود الرومان أن يسلكوها. فكانوا يسرون تارة بين صخور ووديان تدمى الأقدام، وطوراً في مستنقعات وأوحال تغوص فيها السيقان. فكان من اللازم أن « يتسلح » بحذاء جيد يحفظ قدميه في كلا الحالين . وإذا كان المصارعون قد اهتموا قديماً بحالة أقدامهم، لتكون خفيفة كأقدام الأيائل، فما أحرى بالجندي المسيحي أن يهتم بشديد الاهتمام بحالة قدميه اللتين عليهما يتوقف ثباته في هذه الحرب، سيما وأن كلمة « اثبتوا » هي مفتاح النصر في هذه الحرب !!

ولكن ما هو « الحذاء » الذي يتسلح به المؤمن ؟ هو « استعداد إنجيل السلام » — هو التأهب الذي يولده الإنجيل في قلب من يسمعه ويقبله ، فيصبح مستعداً و « جاهزاً » لتبليغ بشرى الإنجيل إلى العائشين في وادي الظلمات . لأن نور الإنجيل متى بلغ قلب إنسان ما ، يمسى فيه ناراً مضطربة تدفعه إلى حمل شعلة الإنجيل في يده، إلى الواقعين في أسر الظلام، وإذ يلمحه أولئك الأسرى عن بعد، يقومون مهللين لقدميه المبهون فيحيونه بتملك الأنشودة القديمة الخالدة : « ما أجمل على الجبال قدمي المبشر النخب بالسلام المبشر بالخير القديعة الخالدة : « ما أجمل على الجبال قدمي المبشر النخب بالسلام المبشر بالخير بالانقلاب لصفائهم قد ملك إلهك » ( اشعيا ٥٢: ٧ ) ، فتجاوب معها أصدااء تلك الأنشودة الجميلة : « هو ذا على الجبال قدما مبشر مناد بالسلام

## السلام . ١٦ حاملين فوق الكل

عبيدي يا يهوذا أعبادك أوفى نذكرك . فانه لا يعود يعبر فيك أيضاً المهالك »  
( ناحوم ١ : ١٥ ) .

أما الأمر الثاني الذي يدعو إلى الغرابة، فهو أن الرسول يتحدث عن استمداد «إنجيل السلام» ، كسلاح في الحرب الروحية — والسلام والحرب متناقضان!! ولكن هذا العجب يزول متى ذكرنا أن قدمي المبشر لا تثبتان في الحرب إلا متى كان متمتعاً بسلام الله الذي يحفظ قلبه وفكره في المسيح، وحاملاً لسلام المسيح للواقعين في أمر الشر والفساد. فمع أننا نحارب في حرب روحية ، إلا أننا ندخلها بقلب يفيض سلاماً مع الله ، ومع أنفسنا ، ومع الآخرين . هذا هو سلام الثقة واليقين، الذي به وقف بولس وقفة الشباب على رغم امتراز ركبتيه بحكم الشيخوخة ، فقال : «أنا عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي » فلا يكفي الجندي المسيحي أن يكون حاصلاً على سلام مع الله ، بل عليه أن يكون متمتعاً بسلام الله نفسه .

**إعداد ١٦ — ب — أ — سلاح الدفاع . (١) سلاح يقى القلب : الترس**

الترس، على الأرجح ، من أقدم أدوات الحرب . فان الإشارات إليه في كتابات الأقدمين عديدة ( تكوين ١٥ : ١ ، مزمو ١٢ : ٥ و ١٨ : ٢ ) . وكانت الأتراس مختلفة الحجم، وتصنع على الغالب من الخشب الخفيف، وتغطي بطبقات متعددة من الجلود السمكية التي كانت تمسح بالزيت وتصل جيداً (إشعيا ٥ : ٢١) وكانت أكثرها تلون بألوان مختلفة على هيئة دوائر في النصف

## ترس الإيمان الذي به

(ناحوم ٢: ٣) . أما الجلد فكان يُمدّ أحياناً على مشبك من قصب أو فروع الصفصاف . وكثيراً ما كان يصنع بحجلة من الذهب أو النحاس ، أو كان يلبس بصفائح صميكة من المعادن المذكورة (املوك ١٤: ٢٦ و ٢٧) . وكان يُحفر على الأتراس المعدنية صور ونقوش مختلفة .

كان الترس يحمل على الذراع اليسرى ، وذلك بادخال اليد تحت سيرين من الجلد على مؤخره ، وقبض الأصابع على سير صغير عند حافته . واستعيض في الأزمنة المتأخرة عن السيور بقبضة من الخشب أو الجلد في وسطه . وأحياناً كان يعلق بسير في العنق عوضاً عن مسكه باليد . أما سطحه الخارجى فكان محدباً ، وذلك لمنع الأسهم من اختراقه ، وكانت حوافه ملبسة بصفائح من الحديد تمكيناً له ، ولوقايته من فعل الرطوبة إذا أُلقي على الأرض . وكانت الأتراس تُحمل أثناء الحرب فوق الرؤوس ، أو تُصف في خط مستقيم لتكون حاجزاً عمومياً .

هذا هو الترس الذي كان يتسلح به الجندي الروماني . فما هو الترس الذي يتسلح به المسيحي ؟ — هو ترس الإيمان . وليس بخاف أن الإيمان يبدأ معرفة ، فيتطور تصديقاً ، فيصبح اتكالاً واعتماداً ، وثقة . أي أنه يبدأ غالباً في دائرة العقل ، ويعمر بالعاطفة ، ثم ينتهي بالإرادة . وهو العين المرفوعة على الدوام إلى ربها منتظرة منه العون : « معونتي من عند الرب . الرب ظل لك عن يدك اليمنى ... إليك رفعت عيني » يا مساكناً في السموات . هو ذا كما أن أعين العبيد نحو أيدي سادتهم ، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدها ،

## تقدرون أن تطفئوا جميع

هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا» (مزمو ١٢١ : ٢١ و ١٢٣ : ٢١)، وهو أيضاً اليد المفتوحة التي تتقبل بركات الله، بالثقة واليقين والشكران. والإيمان، فضلاً عن كونه يتجدد النفس بالله، فيحسب نصرته نصرتها فهو أيضاً يثبت النظر في المستقبل لأنه يرى مالا يرى ومن لا يرى. فاذا انهزم في معركة ما، لا يدركه الفشل لأنه واثق في النهاية من النصر المبين، وهو يرى النصر قبل أن يأتي فيخصه لذاته، ويحسبه ملكاً له قبل أن يتمكن من الاستيلاء عليه فعلاً. فهو يعيش في المستقبل وإن تكن قدماه سائرتين في العالم الحاضر. لأنه هو الثقة بما يرجي.

ومتى ذكرنا وعد الله لابرام : « لا تخف يا ابرام . أنا ترس لك » (تكوين ١٥ : ١) ، علمنا أن ترسنا هو الله نفسه ، الذي به نحتمى بالإيمان . أهمية هذا السلاح : « حاملين فوق الكل » — « أي زيادة على كل ما ذكر من الأسلحة ، أو ما يمكن أن يوضع فوق كل الأسلحة لوقاية الجسد . ويجوز أن تترجم إلى « وفي كل حال » أي في كل دور من أدوار الحرب ، وفي أي اتجاه تأتي منه السهام ، وضد كل هجوم يقوم به الخصوم — كل هذا لأن الترس يحمل باحدى اليدين فيسهل تحريكه ذات اليمين وذات اليسار » في قوة الله بسلاح اليمين واليسار .

قوة فعل هذا السلاح : « الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة » . هذا أول الأسلحة الدفاعية ، التي يلبسها المؤمن ليحتفظ بموقفه . وقد اعتاد المتحاربون قديماً أن يربطوا بالسهم مواد قابلة

## سهام الشرير الملتهبة . ١٧ وخذوا خوذة

الاشتعال — كالقار وما اليه، يرمون بها العدو وهي مشتعلة. وإلى ذلك أشار المرثم بقوله : « يجعل سهامه ملتهبة » و « سهام جبار مسنونة مع جمر الرتم » (زمور ١٣ : ٧ ، ١٢٠ : ٤) .

وقد كان الترس قوياً منيعاً، يكفي لإطفاء سهام الشرير الملتهبة فلا تصيب قلب المسيحي المجاهد. ويُكنى « بالسهم الملتهبة » عن التجارب المحرقة التي كانت مائة جو أفسس — أمثال خطية الغضب المتأججة نيرانه والميول الجنسية التي كانت تذكيها عبادة أرطاميس، ونيران المطاعم المادية التي تلتهب في القلب فتأكل الأخضر والحشيم، أو سـورة افكر التي تزعزع ثقة الإنسان بالله . ناهيك عن نيران الجسد الآكلة .

هذه بعض سهام الشرير الملتهبة التي قد تأتينا مختبئة في الغنى أو مغلفة بالفقر . تارة تأتينا مستورة بالورد والرياحين في أيام نجاحنا، وأخرى تبيئنا محفوفة بالأشواك في أيام فشلنا . لكن الخطر ليس في الغنى أو الفقر، ولا في النجاح أو الفشل ، بل في الشر الذي يستتر وراء كل منها .

**عدد ١٧ | ( ٢ ) . السلاح الثاني الدفاعي : سلاح يقي الرأس**

**الخوذة :** « وخذوا خوذة الخـلاص » الخوذة هي غطاء الرأس. كانت تصنع أحياناً من جلد سميك ، وأخرى من نحاس ( ١ صم ١٧ : ٢٨ ) وتزينت قمتها غالباً بعرف أو ريش . وفي الأزمنة المتأخرة، أضيفت اليها قطعة وجهية لوقاية الوجه وتبين لنا أهمية الخوذة متى تحققنا أنها تغطي الرأس الذي هو مركز

## الخلاص وسيف الروح

الدماغ . ووازن الجسد ، وموطن العينين . فكل سهم يصيب الرأس ، يفقد الجسد قوة التوازن ، أو يصيب منه مقتلاً .

أما «خوذة» الروحانية فهي «خوذة الخلاص» . وقد أشار اليها بولس نفسه في رسالة سابقة بقوله : «وخوذة هي رجاء الخلاص» ( ١ تس ٥ : ٨ ) .

فهي خوذة « الخلاص » على اعتبار أن الخلاص فعل تم منذ آمنتاً ، وهي خوذة «رجاء الخلاص» على اعتبار أن الخلاص عملية لم تتم بعد . المعنى الأول يفيد خلاص التبرير ، والثاني يشير إلى خلاص التقديس والتجديد حين نتمتع بكامل قداء الأجساد . لأننا خلصنا في الماضي ( أعمال ١٦ : ٣١ ) ، وهما نحن

متممون خلاصنا الحالي ( فيلبي ١٢ : ٢ ) ، وسنخلص كالياً عند مجيئ المسيح ثانية ( عب ٩ : ٢٨ ) . يتضح لنا ذلك متى ذكرنا أن الكلمة التي ترجمت إلى « خلاص » في هذا العدد ليست هي « سوتيريا » التي استعملت في ١ تسالونيكي ٥ : ٨ ، بل « سوتيريون » الأولى تعني الخلاص كعملية دبرها الله ، والثانية تعني الخلاص كنعمة يقبلها الإنسان بالإيمان .

هذا هو الخلاص ، الذي يتقبله الإنسان من الله كعطية مجانية مقدمة منه . فالكلمة التي ترجمت : « خذوا » تعني حرفياً « تقبلوا » ، أو تسلموا كما من يد رئيس جيشكم الأعلى ، الذي أعد لكم هذا السلاح ، كناية عن قبول الإنسان ذلك الخلاص العجيب الذي أكمله المسيح على الصليب .

وقد يحلو لنا أن نذكر أن إشعياء رأى فادينا ورئيس جيش خلاصنا « وخوذة الخلاص على رأسه » ( إشعياء ٥٩ : ١٧ ) . فما علينا إلا أن نرفع عيوننا



## الذى هو كلمة الله.

إليه بالإيمان فنكون فيه ظافرين. ومادام «الرأس» فى حمى أمين، فلا خوف علينا نحن أعضاء الجسد!! وإذا كانت الخوذة تحمى عيوننا أيضاً، فلنرفع عيوننا لأن نجاتنا تقترب» (لوقا ٢١: ١٨) .

— ج — سلاح الهجوم - سلاح لليد - السيف : «وسيف الروح الذى هو كلمة الله» . كان السيف غالباً قصيراً ذا حدين (قضاة ٣: ١٦) ، وكان له غمد (ارميا ٤٧: ٦) ، وُعلّق بالمنطقة (٢ صم ٢٠: ٨) . وهو السلاح الهجومى الوحيد الذى ذكره الرسول هنا ، لأن الحرب التى نحن بصددتها، هى حرب دفاعية أكثر منها هجومية : «اثبتوا» .

أما سيف المؤمن فهو «كلمة الله» ، الموحى بها فى الكتاب المقدس ، وفى الكلمة «ريما» لا «لوجوس» . هذا هو السيف الماضى ذو الحدين الذى استخدمه المسيح حين صرع الشيطان بقوة «المكتوب» . بل هو السلاح الذى به تغلب بولس فى ساعات مجده ، وفى أوقات هوانه، إذ كان يرجع دائماً إلى المكتوب (قابل أعمال ١٤: ١٤ و ١٥ بمزمور ١٤٥) . بل هذا هو السلاح الذى حمّله لوثيرس طوال مدة الاصلاح، مستمسكاً بقوة المكتوب «البار بالإيمان يحيا» . لا بل هذا هو السلاح الذى به صرع يونان عدو الخير ، ووقف على قدميه ظافراً منصوراً ، حين جاءته «كلمة الرب ثانية» !! «فالى الشريعة وإلى الشهادة» !!

هذا هو السيف المرفف الفاحص . فقد رأى أحدهم بعض الجنود فى الحرب الكبرى يغرزون سيوفهم فى أكياس من الدريس، لأن أخباراً جاءتهم،

## ١٨ مصليين بكل صلوة وطلبة

بأن جواسيس اختبأوا بين الدريس! هذا هو السلاح عينه الذي يستطيع أن يميز أفكار القلب ونياته. هذا هو السلاح الذي يرهف عقولنا، ويحدد عزائنا، ويشدد إرادتنا. فكم من جندي جريح توكأ على سيفه بعد أن بترت إحدى ساقيه بشظايا القنابل!! هذه هي تعزيتي في مذمتي أن قواك أحياني .

وقد نسب هذا السيف إلى « الروح » لأن الروح القدس هو الموحى بالكلمة المقدسة ، وهو الناطق بالأنبياء في كلا العهدين - القديم والجديد (عب ٣:٧، ٩:٨ و ١٠:١٥، ١ بط ١:١١، ٢ بط ١:١٢) .

### عدد ١٨ - ٢٠ : خامساً : سهر الجندي المسيحي - الصلاة

ها قد رسم أمامنا الرسول ، صورة للجندي المسيحي المتسلح بكامل عدته ، « فمَنْطَقَةُ الْحَقِّ » تشدد حقويه ، « ودرع البر » يقي صدره ، وأحشاءه ، وظهره ، « وخذاء استعداد أنجيل السلام » يوطد قدميه . « وترس الإيمان » بيده اليسرى ليحمي قلبه من « سهام الشرير الملقهبة » ، « وخوذة الخلاص » فوق رأسه لتصون رأسه وعينه ، « وسيف الروح » في يده اليمنى يضرب به ذات اليمين وذات اليسار ، فإذا بقي عليه بعد حمل هذا السلاح الكامل ؟ بقي شيء واحد - إن أضاعه خسر معه كل شيء - هو السهر ، المعبر عنه بالصلاة . هذا هو السلاح الذي سقط من يد بطرس فأسقط في يده ، فنبأ سيفه عن قصده ولم يصب سوى أذن عبداً وفي النهاية انقلب هو أمام جارية. هذا هو السلاح الذي أوصى به بولس أهل أفسس قائلاً :

## كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه

« مصلين بكل صلاة وطلبية » .

أولاً : الصلاة كسلاح : « مصلين بكل صلاة وطلبية » — تعتبر الصلاة سلاحاً لأنها إحدى وسائل الاستنجاد برئيس جيشنا الأعظم ليرسل إلينا المدد

عدد ١٨ | ١ — نوع الصلاة — « بكل صلاة وطلبية »

الكلمة الأولى : « صلاة » تعني الشركة مع الله ، وهي تشمل الحمد والشكر والانتظار في حضرته بسكون. والثانية : « طلبية » تعني الأدعية التي نتقدم بها إلى الله . والأولى أهم من الثانية وأشرف وأرفع. الأولى تعين صلاتنا بالله حتى بعد ارتقاعنا إلى المجد. لكن الثانية قاصرة على أدعيتنا إليه ونحن على أرض الحاجة والعوز . وقوله « كل صلاة » يعني الصلاة بكل أنواعها : من سرية وجرية ، شفوية وباطنية ، مكتوبة ومرجلة ، شخصية وشفعية .

ب — أوان الصلاة : « كل وقت » . لا أوان للصلاة ، لأنها في

كل أوان ، فهي لا تحمل ساعة يد ، ولا ساعة جيب ، ولا تتطاع إلى ساعة حائط ، لأن عينها على الدوام متوجهة إلى « ساعة » الله التي يتمم فيها مقاصده بحكمة. وليس معنى هذا أن يكون الإنسان متخذاً « هيئة المصلي على الدوام » — إن ساجداً ، أو واقفاً أو جالساً — بل أن يكون على الدوام في « روح » الصلاة ، إذ يكون قد عود نفسه على التوجه إلى الله اتجاهاً علوياً كل يوم وكل اليوم !

ج — جو الصلاة : « في الروح » — أي في الروح القدس الذي

## بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين .

هو المحرك على الصلاة ، والمرشد في الصلاة ، والمعين في الصلاة ، والناطق فينا « بأنات لا ينطق بها » في الصلاة .

—د— المواظبة على الصلاة : « ساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة » هذه هي المرة الثالثة التي تكررت فيها كلمة « كل » في هذا العدد — والحبل المثلوث لا ينقطع سريعاً وقد أريد بهذه « الكلية » الثالثة شدة المواظبة ، ودوام المثابرة والسهر في الصلاة بكل أنواعها . ويسكني « بالسهر بكل مواظبة » عن توقع انتظار إجابة الصلاة في حينها .

—هـ— المصلى لأجلهم : (١) : « لأجل سائر الجنود : » لأجل جميع القديسين . على الجندي أن يوجه قلبه باستمرار إلى الله في الصلاة ، ذاكراً إخوته المجاهدين معه في نفس الحرب الواحدة — وإن كانوا في ميادين مختلفة . لأننا وإن كنا نختلف عن بعضنا البعض في حالاتنا وحاجاتنا ، ومعداتنا ومحارباتنا ، لا أننا واحد في المسيح ، وأنه لمن أكبر المشجعات لنا في جهادنا الروحي ، أن نذكر أننا نحارب وحدنا ، لكننا نكون جيشاً واحداً مع سائر أخوتنا في العالم : ولو أننا لا نراهم . بهذا كان يتشجع المتحاربون في الحرب الكبرى مع كونهم لا يرون أخوتهم المختلفين عنهم في الخنادق ، وهو خير امتياز يتمتع به صغیرنا : أن يكون سبب إتيان بركة الظفر والانتصار على كبيرنا ومن يدري أربما في اليوم الأخير ، ترفع تيجان كبيرة وضعها البشر على رؤوس « عظيمة » ، لتلبسها رؤوس كانت مختلفة عنا ، اعتقاداً منا أنها صغيرة .

١٩ ولا جلي لكي يعطى لى كلام عند افتتاح فى لاعلم جهاراً  
بسر الإنجيل . ٢٠ الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل .

عدد ١٩ | (٢) لأجل الرسول نفسه ولا جلي . أى امتياز

فى الدنيا يعدل هذا الذى يشعر بها العبد فى المنزل المسيحى عندما يسمع بولس  
قائلاً له : « صل لأجلي » . ما أعظم ديمقراطيتك يا بولس وما أجل وداعتك !  
نعلم أن الآ كثرين فى حاجة إلى صلاتك لأجلهم ، ولكن ما كنا ندرى أنك  
فى حاجة إلى صلاة الجميع - حتى أصغر الأصغرين !! أليس هذا دليلاً على  
وحدانية المؤمنين فى المسيح الواحد ، وأن ما يصيب أحدهم من ألم ، يشترك فيه  
الآخر ، وأن لا غنى لأكرم عن أصغرهم . فما عليك أيها الأخ العزيز إلا أن  
تتأبر فى الصلاة فلعلمك بصلاتك تسعف عظيمًا كبولس وأنت لا تدرى

كان بولس فى حاجة إلى الصلاة لأجله ، لكي يبلغ رسالة الإنجيل بكل  
حكمة وفطنة وشجاعة إلى أهل تلك المدينة العظيمة - عاصمة الدنيا فى  
وقته - روما . « لكي يعطى لى كلام عند افتتاح فى » - للوعظ والإرشاد -  
« لأعلم جهاراً » - بدون تحفظ ولا وجل فلا أخفى شيئاً من الحق ، فأقول  
الحق ، وكل الحق ، ولا شيء إلا الحق ، ( فيلبي ١: ٢٠ و رومية ١: ١٥ و ١٦ )  
« بسر الإنجيل » - هذه هى المرة السادسة التى وردت فيها هذه الكلمة :  
« سر » فى هذه الرسالة ( ١: ٩ ، ٣ ، ٤: ٣ ، ٩ و ٥: ٣٢ ) فاطلب تفسيرها فى  
هذه المواضع .

عدد ٢٠ | تناقض ظاهرى : « سفير فى سلاسل » - كلمتان متناقضتان

لكي أجاهر فيه كما يجب أن أتكام ٢١ ولكن لكي تعلموا أنتم أيضاً أحوالي ماذا أفعل يعرفكم بكل شيء تيهيكس الأخ الحبيب

يفصل بينهما حرف صغير : « في » . إحداهما ترينا الرسول في جلال ومجدا : « سفير » ، والثانية ترينا إياه في موقف المجرمين : « سلاسل » . الأولى ترينا إياه نائب ملك : « سفير » ، والثانية ترينا إياه في مكان العبد : « سلاسل » . هنيئاً لك يا بولس هذا المجد الممتاز ، فلو كنت سفيراً فقط لاحترمناك مرة ، أما وأنت سفير في سلاسل ، فأننا نحترمك ألف مرة ومرة — لا على السفارة التي تمجد السلاسل ، بل على السلاسل التي تزين السفارة أفلا التيجان على رؤوس الملوك بأجل من هذه السلاسل في رجلك !! غيرك تقيد به الدنيا العريضة ولو كان في قصورها ، لأنه متعلق بأهداب مادتها ولكنك أنت حر ولو كنت مغلولاً بسلاسل سجونها . فأهناً بما نلت وبشرجهاراً « بسر » الإنجيل ولو كنت في السلاسل !!

## كلمة شخصية

( ٢٢ و ٢١:٦ )

بكلمات شخصية اختتم بولس هذه الرسالة الخالدة ، لأن صلات المحبة والمودة كانت تربطه بالمسكتوب اليهم . ولما كان لازماً عليه أن يحيطهم علماً « بأحواله » ، لم ير بداً من أن يكلف الأخ تيهيكوس بهذه المهمة ، فيعرفهم بكل شيء شفاهاً ، كأنه حسب هذه الرسالة السماوية أرفع من أن يسيطر فيها حديثاً عن ظروفه الخاصة ، وأحوال معيشته في السجن ، وماله من مجال للنشير

والخادم الأمين في الرب ٢٢ الذي أرسلته إليكم لهذا بعينه لكي تعلموا أحوالنا ولكي يعزي قلوبكم ٢٣ سلام على الأخوة

ولقد خلع على تيخيكوس وصفين جميلين - كل منهما مزدوج أولهما : «الأخ الحبيب» والثاني : «الخادم الأمين». أولها يصفه في شخصه ، والثاني يصفه في عمله . وقد ورد اسم الأخ الحبيب في أعمال ٢٠ : ٤ ، كو ٤ : ٧ ، ٢ تي ٤ : ١٢ ، تيطس ٣ : ١٢ - والمستفاد من هذه الشواهد مجتمعة معاً ، أن هذا الأخ من آسيا الصغرى مولداً ، ولعله من أفسس نفسها ، وهو محب صادق وصدوق لبولس ، مما أكسبه حب الرسول وثقته . وهو بين الدين وقفوا جانب الرسول حتى نهاية جهاده . ويقول تقليد قديم : إن هذا الأخ الحبيب أصبح أسقفاً على بيثينيّا . ويقول مصدر آخر : إنه صار أسقفاً على نيبوليس في قبرص . ويقول الأسقف ليتفوت أن اسم «تيخيكوس» وجد منقوشاً على عملة رومانية قديمة لا وسواء أكان هذا اسمه هو ، أم لا - والأرجح لا - فيكفيه فخراً أن اسمه نقش في رسالة أفسس - وهو الشخص الوحيد الذي حاز هذا الشرف بعد الرسول - هذا أجل له ، وأشرف ، وأبقى .

## البركة الختامية

( ٢٣ : ٦ و ٢٤ )

تمتاز البركة الرسولية التي اختتم بها الرسول هذه الرسالة عن تحيته التي استهلها بها ، بأمرين :

أولهما : أن البركة موجهة إلى «الأخوة» في صيغة الغائب : «على الأخوة»

ومحبة بإيمان من الله الآب والرب يسوع المسيح. ٢٤ النعمة  
مع جمع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح

والتحية موجهة إليهم في صيغة المخاطب : « نعمة لكم ».

ثانيهما : أن البركة الرسولية أعم في مداها من التحية . فالتحية كانت مقصورة على « النعمة والسلام » : « نعمة لكم وسلام » لكن البركة أضافت محبة مقترنة بالإيمان إلى النعمة والسلام : « سلام .. محبة .. إيمان .. النعمة » وكلها منبعثة من قلب الله . « سلام ، محبة ، إيمان ، نعمة » — هذه هي الأضلاع الرباعية التي يتألف منها « هرم » هذه البركة . وهو أثبت من أقدم الأهرامات وأعظمها ، لأن الله موجود أحجاره

« النعمة مع جميع الذين » ... هذه مكافأة جامعة

« يحبون ربنا في عدم فساد » ... هذه مكافأة مانعة

إن حب المسيح لنا يولد فينا نحوه حباً من جنسه : « محبة في عدم فساد » . هذا أجل ختام لأجل رسالة خطها قلم بولس . فقد لأن حقاً بتاج رسائله أن تتوَّج بخير النعم والمضائل — المحبة المزهرة عن الفساد فهي إذاً محبة حية خالدة لأنها مجردة عن الفساد الذي هو علة الفناء ، وهي محبة عالية لأنها موجهة إلى ربنا يسوع المسيح . هذه هي الماسة الصافية النيرة التي لا تشوبها شائبة فساد ، أو غرض ، أو هوى . هذه هي الدرة الخالدة التي لن تفتنى ، ولن يفنى حاملها ، ولو كان عائشاً في قلب أفسس عاصمة الفساد .



في عدم فساد . آمين

كتبت إلى أهل أفسس من رومية على يد تيموثاوس

لأنه يحب المسيح « من كل قلبه ، ومن كل نفسه ، ومن كل فكره » .  
 هذه دلالة مصالحته مع الله ، وثمره هذه المصالحة ، بل تاج هذه المصالحة  
 هذه هي المحبة التي تحيا وتتحرك وتوجد في جو مقدس لا يعترية  
 الفساد . لأنها تحيا في الله . فلن تموت محبة يكون الإخلاص  
 رائدها ، وحب المسيح موجدتها ، وشخص المسيح  
 مجددتها ، ومجد المسيح متوجهاً وممجدتها .  
 آمين فآمين





**دار العالم العربي للطباعة**

٢٣ شارع الظاهر — القاهرة ت: ٩٠٦٧٠٦







